دراسات في

تاريخ تهامة والسراة

خلال العصور الإسلامية

المبكرة والوسيطة

[ق ١ هـ ـ ق ١٠هـ / ق ٧م ـ ق ١٦ م]

دراسات في
تاريخ تهامة والسراة
خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة
[ق ١هـ - ق ١٠هـ / ق ٧م — ق ١٦م]

الجزء الأول

تأليف :

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية

كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية

جامعة الملك خالد

الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

ح غيثان بن علي جريس، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جريس، غثيان بن علي

دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية/

غثيان بن علي جريس. ـ أبها ١٤٢٣هـ.

٤٣٧ص، ١٦,٥X٢٤سم

ردمك: ٨-٢٢٣-٤٣-٩٩٦٠

١ـ تهامة ـ تاريخ إسلامي ٢ـ بلاد السراة ـ تاريخ إسلامي

أ ـ العنوان

ديوي ٩٥٣,١٥٧ ١٤٢٣ / ٤٩٣٢

ردمك: ٨-٢٢٣-٤٣-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٤٢٣ / ٤٩٣٢

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م

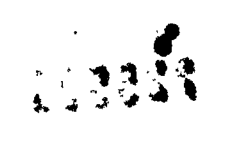
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾

سُورَةُ سَبَإٍ

225594

(من آية ١٤ حتى آية ١٩)



[محتويات كتاب]
دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة
(ق ١ هـ - ق ١٠ هـ / ق ٧ م - ق ١٦ م)

الإهداء

- إلـى أبناء شبه الجزيرة العربية الكرام .
- إلى الباحـثين والمفكرين من أبناء المملكة العربية السعودية .
- إلى ذوي الهمـم العاليـة مـن أصـحاب الأقـلام الواعـدة ، مـن أبـناء بلاد تهامـة والسراة ، ممن يبحـثون في تـاريخهم وحضـارتهم ذات الماضـي المجيد والحاضر المشرق .
- إليهـم جميعـاً أهـدي كـتابي هذا ، آملاً أن يكون نافعـاً ومفيـداً للدارسـين والباحـثين في تـاريخ المـنطقة (الـتهامية والسـروية) ، ولبـنة في بـناء صرحها الحضاري المرتقب .

والله الموفق ،،،




المقدمة

دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق ١ هـ - ق ١٠ هـ / ق ٧ م – ق ١٦ م)

مقدمـــــة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابته والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد .

إن الـــدارس لعـــلم الـــتاريخ يدرك الصعاب التي يقابلها المؤرخ عند تناوله بالدراســـة موضـــوعاً من موضوعات التاريخ السياسي أو الحضاري ، وتتفاوت هذه العقبات والصعاب من مؤرخ لآخر ، ومن موضوع إلى موضوع ، فمن ناحية الموضوع فكلما كان الموضوع الذي يتصدى له الباحث يتسم بالندرة والشح في مادته العلمية ، أو صعوبة في اللغة التي تخدم الموضوع المراد البحث فيه ، أو تتطلب الدراسة الاستعانة بالمصادر والدراسات الأثرية كي تثري البحث في جانب أو آخر من جوانب الموضوع، فيكون القصور في هذه الدراسات الأثرية سبباً في زيادة متاعب الباحث .

والـــناظر في تاريخ وحضارة شبه الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الإسلام حـــتى عصرنا الحاضر يجدها تتفاوت في ثراء وأصالة الدراسات التي خرجت عنها حتى الآن ، وذلك بحكم المادة العلمية المتوفرة عنها سواء التاريخية أو الأثرية ، فعلى سبيل المثال نجد أن التاريخ القديم لهذه البلاد ، كان أوفر حظاً حيث حظي باهتمام الكثير من الباحـــثين العـــرب والأجانب أكثر من غيره من حقب التاريخ التالية ، حيث خرجت العديد من الدراسات التاريخية والحضارية والأثرية عن بعض أجزاء شبه الجزيرة العربية وفي مقدمـــتها بـــلاد اليمن ، ومنطقة الفاو ، وبعض المواقع الأخرى في منطقة الخليج

العربي ، بالإضافة إلى أرض الحرمين ، ورغم ذلك لا نستطيع القول إنّ العصور القديمة أو التاريخ القديم لشبه الجزيرة قد استوفى حقه دراسة وتحقيقاً ، فما زالت هناك مناطق لم يكشــف الــنقاب بعد عن تاريخها كاملاً ، ومن ثم لا يزال هذا الحقل في حاجة إلى المزيد من الدراسات والأبحاث وخاصة ما يتعلق منها بالدراسات الأثرية التي تساهم بما لايـــدع مجالاً للشك في إماطة اللثام عن الكثير من الحقائق التاريخية التي قلما نجدها في المصادر الكلاسيكية المعروفة .

ثم يأتي العصر الإسلامي ، وتتبدل أحوال سكان شبه الجزيرة العربية بإشراقة نـــور الإســـلام من الشر إلى الخير ، ومن الظلمات إلى النور ، وتصبح المدينة المنورة عاصـــمة الدولة الإسلامية لأربعة عقود تقريباً ، ثم تعصف الأحداث السياسية بالعالم الإســـلامي فتتحول عاصمة العالم الإسلامي إلى كل من دمشق ، ثم بغداد ، ثم القاهرة وأخيراً استانبول في عصر الدولة العثمانية .

وبهـــذا ، فشبه الجزيرة العربية لم تعمر طويلاً كموطن للعاصمة السياسية في الدولـــة الإسلامية ؛ وهذا الوضع قد أثر بشكل أو بآخر على اهتمام المؤرخين بهذه البقعة ، وبالتالي على الاهتمام بتدوين تاريخها وحضارتها ، ولذا لا نجد مادة علمية ثرية في كتب التراث الإسلامي تتناولها ، وإنما مانجده غالباً هو مجرد نتفاً يسيرة قد تشير إلى منطقة دون أخرى ، وأفضل المناطق التي نالها بعض الإهتمام من مدوني التراث خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة هي أرض الحرمين الشريفين ، يليها بلاد اليمن ، وأحياناً أخرى بلاد اليمامة والبحرين ، أما ماعدا ذلك فقد سادها التجاهل والنسيان مـــن أربـــاب القلم ، وإن ذكرت في بعض المصادر فلا يتم ذلك ، إلا بشكل عرضي وليس أساسي .

أما في العصر الحديث ، وخصوصاً بعد الائتلاف المبارك الذي حدث في القرن (١٢هـــ /١٩م) ، بين كل من الأمير محمد بن سعود ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب

وما ترتب على ذلك من جمع أغلب مناطق وأجزاء شبه الجزيرة العربية تحت راية التوحيد والتي شعارها "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، ثم تعاقب الدول السعودية الثلاث التي استطاعت – وخاصة الدولة الثالثة بقيادة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل "يرحمه الله" – أن تجعل من معظم شبه الجزيرة العربية دولة عصرية حديثة تساير بقية دول العالم في شتى مجالات الحياة وأساليب التقدم التي لا تتعارض مع شريعة الإسلام ،وإذا ما أخذنا في التنقيب عن تاريخ هذه الحقبة ، فإننا لا نجد صعوبة تذكر في تدوين أحداثها ووقائعها، حيث لفتت هذه الفترة الزمنية أنظار العديد من المؤرخين المحدثين عرباً وأجانب ، فكانت محط اهتمامهم ، وترتب على ذلك الكثير من المدونات التاريخية • وقد ساعد على ذلك أيضاً وفرة الوثائق والمخطوطات التي تتناول هذه الفترة ، ومنها الكثير الذي لم يسبق نشره ، ولم ير النور بعد ، والموزعة فيما بين الأرشيفات العربية والأجنبية في العديد من الدول والمكتبات العالمية •

ومن خلال استعراضنا السابق لحقب التاريخ الثلاث (القديم – الإسلامي – الحديث) التي مرت على شبه الجزيرة العربية ، نلاحظ أن العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة هي الأقل حظاً من الحقب الثلاث سواء في توفر المادة العلمية أو في اهتمام المؤرخين بها والحديث والكتابة عنها ، ولذا حينما يتصدى الباحث لموضوع ما يتناول تاريخ وحضارة بعض هذه المناطق النائية أو المعزولة من شبه الجزيرة العربية ، بخلاف الحجاز واليمن ، فإنه يصطدم دون شك ، بالعديد من المصاعب والعقبات الناجمة عن ندرة المادة العلمية التي تساعد في توضيح تاريخ وحضارة تلك المناطق ، وخاصة في الفترة الزمنية من فجر الإسلام حتى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين •

وقد دفعتني هذه الندرة ، وذلك الغموض ، للغوص في بطون المصادر وأمهات كتب التراث للكشف عن تاريخ وحضارة بعض تلك المناطق التي طواها النسيان ، وقد أثمر ذلك الجهد عن إخراج هذه الدراسة المتواضعة التي تتناول بلاد تهامة

والسراة، وهي البلاد الواصلة بين حواضر بلاد اليمن والحجاز الرئيسية ، وهي مساحة أرضـــية شاســـعة تمتد من الجنوب إلى الشمال بحوالي (٧٠٠كم – ١٠٠٠كم) ومن الشـــرق إلى الغرب بحوالي (٣٠٠كم – ٥٠٠كم) ، وتتنوع في تضاريسها ومناخها ، وكذلـــك في ثـــرواتها النباتية والحيوانية إلى جانب تميزها بكثافة سكانية عالية في جميع حواضرها وقراها وجبالها وأوديتها .

وقد أطلقنا على هذا الكتاب عنوان " **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة من القرن الهجري الأول حتى القرن العاشر الهجري / السابع الميلادي حتى القرن السادس عشر الميلادي** " . الجزء الأول ، واتخاذنـــا هـــذا المسمى ليكون عنواناً لهذا الكتاب يعود إلى عدة أسباب ، ندرجها في النقاط التالية :

١- إحساســـنا بالحاجـــة الماسة لدراسة هذه المنطقة الواسعة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وذلك – كما أسلفنا – لقلة ما كتب عنها أو ندرته ، ثم لعل هذه الدراسة تلفت أنظار غيرنا من الدارسين والباحثين فيولون هذه المنطقة بعض الاهتمام وخاصة الأثريين الذين لو بذلوا بعض الجهود المتضافرة لدراسة هذه البلاد لأخرجوا لنا دراسات علمية رصينة تفيد أجيالنا القادمة وتصور لهم كيف كان تاريخ وحضارة هذه البلاد .

٢- الانتماء إلى هذه البلاد بحكم كوني أحد أبنائها وعشت فيها معظم حياتي وتجولـــت في أنحائهـــا منذ طفولتي حتى انتهيت من دراستي الجامعية ، ثم انقطعت عنها خلال دراستي في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في كل من أمريكا وبريطانيا ، بعدها عدت إلى هذه البلاد وأصبحت أقوم برحلات متـــتالية إلى أجزاء عديدة منها بل أصبحت أنقب عن تاريخها وحضارتها منذ قرابة عقدين ونصف ، وهذا ما جعلني أجزم بندرة ما كتب عنها في كـــتب الـــتراث ، وأنادي أقسام الآثار داخل المملكة العربية السعودية

وخارجهـــا بـــأن تولي هذه المنطقة بعض الاهتمام فتقدم لنا مجموعة من الدراســـات الأثـــرية التي قد تكشف لنا عن طريق التنقيب الأثري مادة علمية قيمة تخدم الفكر والتاريخ والحضارة •

٣- إن الدراســـات التي اشتمل عليها هذا الكتاب هي حصيلة جهود مضينة جمعت ودرست على فترات طويلة تزيد عن العشر سنوات ، وقد قُدمت في نـــدوات ومؤتمـــرات عـــلمية كبرى داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ، ولعموم الفائدة وحرصنا على جعل هذه الدراسات تحت يد القـــراء الكـــرام سواء من الباحثين المتخصصين أو عامة المثقفين ، قمنا بجمعهـــا بين دفتي هذا المصنف ، الأمر الذي يتيح الفرصة لعدد أكبر من القـــراء والباحـــثين والمؤرخـــين والدارســـين للحصول عليها وقراءتها والاستفادة منها •

٤- قـــد وضعنا على هذا الكتاب عبارة "الجزء الأول" وذلك رغبة منا ، إذا كـــان في العمـــر بقية ، أن نواصل دراساتنا عن هذه المنطقة الفقيرة في تاريخهـــا خلا العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، فيليه أجزاء أخرى بـــنفس العنوان لعلنا نساهم في توفير بعض الدراسات الأكاديمية المختلفة عـــن هذه المنطقة التي نعتقد أنها ثرية بتاريخها وحضارتها ودورها الذي لا يـــنكر في الفكر والتراث الإنساني ، وإن ظلمت وطواها النسيان ، فلم يتم تدوينه •

٥- راعيـــنا في ترتيبنا لهذه الدراسات المتنوعة الفترة الزمنية التي شملتها هذه الأبحـــاث وهـــي فترة تمتد منذ فجر الإسلام إلى القرن العاشر الهجري (القرن السابع إلى السادس عشر الميلادي) • وقد أوردناها على النحو التالي :

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أشكر الله عز وجل ، الذي أنعم عليّ بـــنعمة الصحة والعافية حتى انتهيت من هذه الدراسة ، وانتهز الفرصة لأثني بالشكر عـــلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة حتى خرجت هذه الدراسة ، وأخص منهم جميـــع الزملاء بقسم التاريخ الذين زاملتهم منذ عام (١٤١٠ حتى ١٤٢٣هـــ) فقد كانوا خير معين لي عندما أستشيرهم أو أطلب منهم عوناً أو مراجعة لبعض أجزاء هذه

الدراسة وغيرها مما تم نشره أو لازال في الطريق للنشر . وأخص من هؤلاء الزملاء الزميل والصديق الدكتور / أسامة أحمد حماد ، أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بجامعتي الملك خالد والاسكندرية ، فقد كان – جزاه الله عنا كل خير – خير معين وخير مستشار في جميع ما نطلب منه ، كما أشكر الأخوان الفضلاء الدكتور/ عبد الله بن محمد الحميد ، والدكتور/ مطلق محمد شائع عسيري ، والدكتور/ خالد الدوفش والدكتور/ منذر عادل العبسي الذين ألقوا نظرة على هذا الكتاب قبل أن ندفع به إلى المطبعة فكانت لهم بعض الملاحظات القيمة استطعنا تداركها في اللحظات الأخيرة ، كما أشكر الأستاذ/ مجدي محمد صبحي الذي قام بطباعة وصف هذا الكتاب .

ولا يفوتني أن أقدم شكري أيضاً لكلّ من ساعدني أثناء كتابة ومراجعة هذا المصنف ، وفي أثناء طباعته على الحاسوب ، أو في أثناء إجراءات فسحه من وزارة الإعلام وهم كثير جداً . كما أشكر جميع أفراد أسرتي واعترف لهم بالجميل على تحملهم لي وصبرهم على إنجاز هذه الدراسات .

وأخيراً فإنني لا أدعي الكمال في إنجاز هذا الكتاب ، وإنما هو جهد المقل ، واسأل الله أن لا يحرمني أجره ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجه الكريم ، وأقول إن أخطأت فمن نفسي ، وإن أصبت فمن الله ، والله اسأل السداد والتوفيق ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

جمعه ثم كتبه وانتهى منه

غيثان بن علي بن عبد الله بن جريس الجبيري الشهري

بمنزله في حي المنسك بمدينة أبها في غرة شهر رمضان

سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة على

صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

الدراسة الأولــى :

بلاد تهامة والسراة منذ فجر الإســــــــلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة (*)

إعداد
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية
كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية
جامعة الملك خالد

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(*) هذه الدراسة منشورة في : **المجلة التاريخية المصرية** ، المجلد (٣٨) السنة (١٩٩١ – ١٩٩٥م) ص٤١ – ٦٥ . ثم أضيف إليها معلومات جديدة وأُعيد نشرها مع بعض الإضافات في : **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي** ، عدد (٣١) رمضان (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ص ١٧ – ٤٧ .

محتويات الدراسة الأولى :

بلاد تهامة والسراة
منذ فجر الإسلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة

بلاد تهامة والسراة منذ فجر الإسلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة

أولاً : تمهيد :

حفلت شبه الجزيرة العربية قبيل الإسلام ، بالعديد من الاتجاهات الفكرية والدينية ، فوجدت بها الديانات النصرانية ، والصابئة ، واليهودية ، والحنفية ، والمجوسية ، وعبدة الأوثان [(١)] ، مما أدى إلى اضطراب اجتماعي وخلط في المفاهيم الدينية ، فضلاً عما كان هناك من قلق في الأوضاع ، وهكذا حتى جاءت رسالة الإسلام ، لتعمل على تطبيق الأحكام الشرعية بدلاً من الأعراف والعادات التي كانت سائدة بين القبائل دون أدنى بصيرة أو منهاج . ودأب الرسول عليه الصلاة و السلام على توحيد الجزيرة العربية ، ومنها خرجت الجيوش إلى أنحاء شبه الجزيرة العربية ، فضلاً عن قرارات تعيين الولاة والقرارات السياسية والدينية والإدارية وغيرها [(٢)] .

ومما يسترعي النظر في تاريخ شبه الجزيرة العربية في فجر الإسلام ، ذلك التباين في أهمية أجزائها وحواضرها وأقاليمها ، وهو التباين الذي يبدو في تتبع مسيرة التاريخ في تلك الفترة ، فمكة المكرمة والمدينة المنورة نالتا حظاً وافراً من الاهتمام يفوق ما كان لغيرهما من الحواضر والأقاليم نظراً لمكانتهما الدينية المرموقة في المرحلة المرتبطة بمولد الإسلام ، مما جعل ذكرهما يتردد باستمرار في كتب التراث الإسلامي ويليهما في الأهمية حواضر اليمن مثل صنعاء وصعدة ، وهكذا تتسلسل أهمية بقية الحواضر والأقاليم كاليمامة والبحرين وغيرهما . ولعل ورود الكثير من الروايات عن هذه المدن ، يعود إلى استراتيجيتها ودورها في صنع الأحداث ، فضلاً عما توافر لبعضها من قيادات سياسية وإدارية قادرة على أن تؤثر وتتأثر بالأحداث الجارية [(٣)] .

وقد اخترنا في هذا البحث أن نلقي بعض الضوء على جانب من الأقاليم التي لم تحظ بقدر واضح من الأهمية في كتابات من تعرضوا لتاريخ شبه الجزيرة في فجر

الإسلام ، واخترنا المنطقة المعروفة باسم (تهامة والسراة) التي تصل حواضر الحجاز الكبرى ــ الطائف ــ ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ــ بحواضر اليمن ، صنعاء وصعدة وغيرهما .

وربما اقتصر اهتمامنا على المنطقة الممتدة من شمالي نجران وجازان جنوباً ، إلى جنوبي مكة المكرمة والطائف شمالاً، وارتأينا أن يكون بحثنا محصوراً في فترة زمنية محدودة تمتد من بعث الإسلام إلى السنة الثانية عشرة للهجرة ، آملين أن تكون هذه الدراسة اللبنة الأولى ، التي تشد الباحثين الذين يرغبون في الكشف عن تاريخ هذه المنطقة وغيرها من أقاليم شبه الجزيرة التي لم تنل حظاً كافياً من العناية في مجال البحث التاريخي.

ونبدأ بتسجيل ملحوظة إيضاحية ، هي أن المصادر المعاصرة أطلقت على البلاد الواقعة إلى الجنوب من مكة المكرمة مسميات عديدة مثل بلاد جنوبي الطائف ومكة أو (بلاد اليمن) أو (تهامة والسراة) دون تحديد الفواصل بين تلك الأقاليم ، بعضها وبعض . وقد ركزت بعض المصادر على حواضر ومراكز حضارية معينة ، مثل: نجران وجرش وبيشة والطائف دون تحديد منهجي لدراستها ، وبذلك غدت من البلاد المحظوظة نوعا ما ، لتردد ذكرها في بعض كتب التراث الإسلامي ، رغم شحها قياساً بغيرها [٤] .

ثانياً : نبذة عن الوضع الجغرافي والبشري :

المقصود ببلاد تهامة والسراة ، الوارد ذكرها في هذا البحث ، تلك المنطقة الممتدة من قرب الطائف ومكة المكرمة شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً . وهذه المنطقة لا تشمل كل بلاد تهامة والسراة المشار إليها في كتب التراث ، والتي قد تمتد شمالاً إلى المدينة المنورة أو بلاد الشام ، وجنوباً إلى حواضر اليمن الكبرى . وبين هذا وذاك ،

سنركز نحن في هذا البحث على واسطة العقد أي قلب ذلك الإقليم ووسطه ، فنقول سراة الشيء في اللغة أعلاه وظهره ووسطه ، ويذكر عن بلاد السراة أنها سلسلة الجبال المتصلة المشرفة على عرفة والتي تمتد إلى حواضر اليمن (٥) . ويشير بعض الجغرافيين المسلمين القدماء إلى أن تلك الجبال الممتدة من حواضر الحجاز الكبرى إلى حواضر اليمن يطلق عليها جبال السروات، وربما أطلق عليها الحجاز ، لأنها تحجز بين تهامة في الغرب ونجد في الشرق (٦) . ويبدو أن حدود جبال السروات أو الحجاز صارت مثار جدل واختلاف عند الجغرافيين المسلمين . والذي يهمنا في هذا الصدد أن بلاد السراة المعنية هنـــا ، عرفت باسم السروات ، ومفردها سراة ، وبهذه المنطقة سروات كثيرة ـــ أي قمم ـــ من أشهرها سراة الطائف ، يليها نحو الجنوب سراة فهم وعدوان ، ثم سراة بني سعد وبالحارث ، ثم سراة بني مالك بجيلة ، فسراة غامد وزهران ، ثم سراة خثعم وشمران وبلقرن ، فسراة الحجر ، يليها سراة عسير التي كان يطلق عليها قديماً (سراة عنز) ، ثم سراة قحطان ، وتعرف قديماً (بسراة جنب) (٧) ، وتمتد أطرافها الجنوبية إلى بلاد نجران .(انظر الخريطة رقم ١). وهذه السروات يسكنها العديد من القبائل والعشائر والأفخاذ ، وبالتالي كانت وما زالت تنسب كل سراة إلى القبيلة أو العشيرة التي تقطنها ، وإن كان معظم سكان تلك السروات يسكنون في المرتفعات أو السروات التي تفصل بين الأجزاء التهامية والنجدية، إلا أن بعض الأفخاذ والعشائر كانت ترحل عـــن مواطنها في السروات (٨)، وتنـــزل الأغوار التهامية في الغرب أو الأجزاء النجدية في الشرق .

وبـــلاد الســـراة كثيرة الهضاب والوهاد ، وتتفاوت في الارتفاع فقد يصل ارتفاع بعض الجبال في سراة عسير إلى أكثر من ثلاثة آلاف قدم ، ثم تقل إذا ما اتجهنا صوب الشمال وتتخذ شكل المدرجات ، وتميل بشدة نحو البحر في اتجاه الغرب ، بينما تنحدر تدريجياً نحو الهضاب الداخلية في اتجاه الشرق . وتعد مرتفعات السراة بمثابـــة

خارطة رقم (١)



السروات الواقعة بين الطائف ونجران

موزع للمياه بين تهامة في الغرب والهضاب النجدية في الشرق ، ومن أهم الأودية المنحدرة تجاه الشرق أودية الطائف ، مثل : وادي وج ، ووادي ليه ، ووادي السر، ووادي كلاخ، يليها إلى الجنوب وادي تربة ، وهو من الأودية الفحول التي تأخذ مياه قسم كبير من وجه السراة الشرقي ، ويتجه نحو الشرق حتى يلتقي بوادي بيشة . ولوادي تربة العديد من الروافـــد منها ، وادي العقيـــق الذي يسيل من سراة زهران ، ووادي بواء ، الآتي من سراة بجيلة ويمر في بلاد بالحارث حتى سراة غامد وزهران ، ثم وادي رنيـــة بفتـــح الراء وسكون النون . وكثيراً ما يطلق عليه الآن اسم وادي سبيع ، لأن كثيراً من بطون سبيع تقيم في هذا الوادي وبين جنباته ، وهو يسيل من سراة غامد . وجنوباً يأتي وادي بيشة الذي يعد من أكبر أودية السراة المنحدرة نحو الشرق ، ويمكن أن يطلق على هذا الوادي وادي خثعم[٩] ، لأن جميع البطون القاطنة فيه وعلى معظم روافده من خثعم . ومن روافد هذا الوادي وادي تبالة الذي يسيل من سراة خثعم وبلقرن وشمران ، وهرجاب من سراة الحجر وغيرها [١٠] . ثم وادي تثليث [١١] إلى الجنوب من وادي قحطان ، وإذا كنا قد أطلقنا على وادي بيشة ، وادي خثعم ، وعلى وادي رنية ، وادي سبيع ، فيمكننا أن نطلق على وادي تثليث ، اسم وادي قحطان ، حيث تنتشر بعض فروع قبائل قحطان على أغلب أجزاء وادي تثليث ، بالإضافة إلى أن بداية مسايل هذا الوادي من أعالي سراة قحطان [١٢] ، ومن أكبر روافده وادي العرين الذي يستمد مياهه من سراة عبيدة عند المنطقة المسماه بـــ (الفيض) حول ظهران الجنوب .

أما الأودية الغورية المتجهة من مرتفعات السراة تجاه الغرب ، فمنها إلى الشمال نحو الجنوب ، وادي نعمان الذي يسيل من غرب سراة الطائف ، ثم يمر بالقرب من عرفة جنوباً ، وهناك يجتمع بوادي عرنة الآتي من الشمال ، فيسمى الواديان وادي عرنة حتى يفيض في البحر جنوبي جدة ، ثم وادي ملكان ، الذي يباري

الوادي السابق من الجنوب حتى يصب في البحر عند الشعيبة [١٣] وواديا أدام ويلملم ويقعان إلى الجنوب من وادي ملكان ، ثم يأتي وادي الليث نحو الجنوب ، وهو أكبر ما تقدم من الأودية ، وتأتي مياهه من أعالي سروات بالحارث وبجيلة بني مالك ، منحدراً نحو الغرب حتى البحر . وهناك أودية أخرى تأخذ مياهها من سروات غامد وزهران وخثعم وشمران وبلقرن ، مثل : وادي الشواق ثم دوقه ، وقرماء ، وناوان ، والأحسبة ، وجميعها تصب على مقربة من القنفذة . ووادي قنونا الذي يصب من غرب سراة بلاد الحجر حتى البحر عند القنفذة ، ثم وادي حلي الذي يعتبر أعظم الأودية التي سبق ذكرها ، وله رافدان عظيمان هما : واديا بقره والحمض اللذان يأتيان من سراة الحجر ، ثم وادي عتود الذي يسيل من سراة عسير [١٤] ، حتى يصب في البحر عند بلدة الشقيق ، ثم يليه إلى الجنوب وادي بيض ثم وادي بيش اللذان تأتي مياههما من سراة قحطان ، وأخيراً واديا صبيا ثم جازان [١٥] .

ثالثاً : تهامة والسراة أثناء مرحلة الدعوة المكية :

بُعث الرسول (ﷺ) في مكة المكرمة يدعو الناس إلى عبادة الله وترك عبادة الأوثان ، فتصدت له قبيلة قريش ، وحاربته ، ووصفه القرشيون بأسوأ الصفات ، ثم سعوا إلى تحريض باقي القبائل في شبه الجزيرة عليه وعلى ما جاء به وشجعوهم على المضي في عبادة الأصنام في كل مكان ، ولكن بنصر الله وتوفيقه ، انتشرت رسالة الإسلام وتزايدت أعداد المسلمين حول الرسول (ﷺ) ، حتى صارت شبه الجزيرة العربية تدين بكلمة التوحيد [١٦] .

ولم يكن سكان تهامة والسراة في بداية الدعوة بمعزل عن سير الأحداث في مكة المكرمة ، وإنما كانوا على صلة سياسية وحضارية بأهل مكة والطائف ومن جاورهم [١٧] . والسؤال الذي يواجهنا في هذا الصدد هو : ماذا كان موقف التهاميين

والسرويين أثناء المرحلة المكية ؟ الواقع أن موقفهم كان سلبياً من الدعوة الإسلامية ، لأن قبيلة قريش في نظرهم كانت المثل الذي يُقتدى به ، ولذا انساقوا وراء قريش في عدائها للرسول (ﷺ) في مكة المكرمة . ولم نستطع العثور على دليل يشير إلى أن السرويين والتهاميين وقفوا موقفاً إيجابياً من الرسول (ﷺ) ودعوته في المرحلة المكية ، اللهم إلا بعض حالات فردية تمثلت في بعض الشخصيات السروية التي تجاوزت الطوق الذي ضربته قريش حول الرسول (ﷺ) ومن آمن معه في مكة المكرمة (١٨) . ومن تلك الشخصيات الطفيل بن عمرو الدوسي الزهراني ، الذي كان زعيماً لقبيلة دوس ، بسراة غامد وزهران . ويذكر عنه أنه كان رجلاً شريفاً شاعراً يرتاد مكة المكرمة من وقت لآخر ، وكان أجداده على علاقة مصاهرة مع أبي سفيان بن حرب وزعماء آخرين من قريش (١٩) ، وفي إحدى المرات ، أثناء السنة الحادية عشرة من النبوة ، جاء إلى مكة فاستقبله أبو سفيان وبعض طغاة قريش ، فحذروه من مقابلة الرسول (ﷺ) أو السماع له . ولكنه لم يصغ لدعوهم وقال : " إني رجل لبيب شاعر ، ما يخفى عليّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ، وما يقول ؟ فإن كان حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركتــــه " . ثم ذهب لمقابلة الرسول (ﷺ) فسمعه يتلو القرآن ، فأعجبه ما سمع ، وقال :"ما سمعت قط قولاً أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه " ثم أسلم ، وشهد شهادة الحق ، وقال للرسول (ﷺ) :" إني مطاع في قومي وراجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام" فوافقه الرسول (ﷺ) ودعا له (٢٠) .

وفرد آخر يدعى ضماد الأزدي ، من أزد شنوءة ، بسراة عسير ، جاء إلى مكة المكرمة وكان يعالج من مرض الجن ، فاستقبله طغاة قريش ، وحذروه من مقابلة الرســـول (٢١) ، (ﷺ) ووصفـــوه بأنه ساحر مجنون ، فلم يسمع ضماد لما قالوا ، وقال : " لو أني أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي " ثم لقيه فقال له : " يا محمد أني أرقي من هذا الريح فهـــل لك ؟ " فقال رسول الله (ﷺ) : إن الحمد لله

نحمده ونستعينه ، ومن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله " فقال ضماد " أعد عليّ كلماتك هؤلاء " ، فأعادهن عليه رسـول الله ثلاث مرات ، فقال : " لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، هات يدك أبايعك على الإسلام " فبايعه (٢٢) .

وإذا كان الطفيل وضماد من بوادر نسمات الخير التي أتت من بلاد تهامة والسراة ، إلا أن السواد الأعظم من سكان تلك البلاد بقوا على وثنيتهم حتى بعد هجرة الرسول (ﷺ) إلى المدينة ، بل وبعد حدوث المعارك الكبرى في الإسلام كبدر ، وأحد ، والأحزاب ، ثم فتح مكة المكرمة في السنة الثامنة للهجرة .

رابعاً : تهامة والسراة أثناء مرحلة الدعوة المدنية :

بعد هجرة الرسول (ﷺ) إلى المدينة المنورة ، واتخاذها عاصمة للدولة الإسلامية ، ثم تحول المسلمين من دعاة إلى جند يقاتلون الشرك وأعوانه . ظل السرويون والتهاميون يرقبون تطورات الوضع عند القرشيين ، ويهوون هواهم ، ويتعاطفون معهم ، بحكم الجوار والموقع ما بين مكة والطائف وبين أهل تلك البلاد الذين يجاورونهم جنوباً . ونظراً للأهمية التي تتمتع بها أسواق مكة والطائف من حيث تسويق السلع وترويجها ، وتوفير ما يحتاج الناس لشرائه من الحاجات ، ونظراً لمعتقداتهم الوثنية التي تتفق مع ما كان عليه المشركون في مكة وما حولها ، كل هذا يجعلنا ندرك ما كان هناك من تجاوب بين أهل مكة والطائف وبين أهل تهامة والسراة المنتشرين من حواضر الحجاز إلى مدن اليمن الكبرى . ولا تذكر المصادر دوراً إيجابياً ملموساً لأهل تهامة والسراة ، وبخاصة قبل فتح مكة المكرمة في السنة الثامنة للهجرة وإنما أشارت إلى بعض السرايا التي أرسلها الرسول (ﷺ) إلى بعض مواقع الجنوب من

مكة والطائف . فذكر الواقدي والمسعودي أن الرسول أرسل سرية إلى تربة ، جنوبي الطائف [٢٣] ، بقيادة عمر بن الخطاب في شهر شعبان في السنة السابعة للهجرة ، وكان معه من صحابة الرسول ثلاثون رجلاً ، فذهبوا إلى بلاد تربة فوجدوا العشائر قد تفرقت من مواطنها ، فعادوا إلى المدينة [٢٤] . ولم تذكر الروايات الطريق التي سلكها عمر بن الخطاب للوصول إلى تربة جنوبي الطائف ، حيث كانت أغلب البلاد جنوبي المدينة حتى تربة مأهولة بالمشركين المعادين للرسول (ﷺ) ، ولكن ليس ببعيد أنه كان هناك طرق مطروقة بين بلاد تهامة والسراة من جهة والمدينة المنورة من جهة أخرى ، لأن المصادر تذكر قدوم أول طلائع المسلمين من بلاد السراة في شكل جماعات ، وذلك بعد رجوع الطفيل بن عمرو الدوسي إلى قومه ، فبقي يدعوهم إلى الإسلام حتى السنة السابعة للهجرة . وفي تلك السنة خرج من سراة غامد وزهران ومعه ثمانون بيتاً من دوس فقدموا على الرسول (ﷺ) وأعلنوا إسلامهم[٢٥]. وخروج مثل هذه الأعداد الكبيرة من بلاد السراة مروراً ببلاد الطائف ومكة المكرمة قبل فتحها ، يعدّ دليلاً على وجود طرق تربط بين تهامة والسراة وبين المدينة المنورة ، ثم إن أهل الطائف ومكة ، وبخاصة منذ السنة السابعة للهجرة [٢٦]، ربما غدوا عاجزين عن قطع الطريق الواصل بين بلاد اليمن والسراة وبين عاصمة الإسلام في المدينة ، هذا بالإضافة إلى أن قوة المسلمين أصبحت مرهوبة الجانب ليس في المدينة وما حولها فحسب . وإنما في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية .

وبدخول الرسول (ﷺ) الطائف في السنة الثامنة للهجرة علت كلمة الإسلام، الأمر الذي أدى إلى انهيار الشرك في بلاد تهامة والسراة وغيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية . وبعد معركة حنين وحصار الطائف ، قدم وفد من ثقيف على الرسول (ﷺ) في المدينة المنورة بعد فتح مكة المكرمة ، وتبعته وفود أخرى من حواضر تهامة والسراة وبلاد اليمن [٢٧]. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل دخل سكان السراة

وتهامة في الإسلام زرافات أم وحدانا ؟ وهل قام ممن دخل في الإسلام من أهل السراة بنشر الإسلام بينهم ؟ وهل بقي بعضهم على وثنيته تأخذه العزة بالإثم ؟

الواقع أن أهل تهامة والسراة لم يدخلوا في الإسلام بشكل جماعي ، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من القبائل التي دخلت الإسلام بعد فتح مكة المكرمة . ويمكننا القول إن دخولهم الإسلام كان ما بين السنتين السابعة والعاشرة للهجرة . فبعد فتح مكة المكرمة ثم بعد معركة حنين ومحاصرة أهل الطائف ، نجد بعض التهاميين والسرويين كانوا من أوائل من دخل في الإسلام ، الأمر الذي أدى إلى استعانة الرسول (ﷺ) بهم وبغيرهم من الداخلين في الإسلام على محاربة من بقي على عقائد الوثنية .

وتذكر بعض المصادر أن الرسول (ﷺ) أرسل الطفيل بن عمرو الدوسي مع بعض رجاله بعد معركة حنين في السنة الثامنة من الهجرة لمحاربة من بقي على الوثنية في بلاد غامد ودوس وأوصاهم بهدم صنم عمر بن حممة الدوسي ، الذي يعرف بذي الكفين ، فلم يكن على الطفيل إلا أن يطيع أمر الرسول (ﷺ) ويطلب من الرسول الوصية ، فقال (ﷺ) للطفيل " افش السلام ، وابذل الطعام ، واستحي من الله كما يستحي الرجل ذو الهيئة من أهله [٢٨]، إذا أسأت فأحسن ، إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين " [٢٩]. ثم خرج الطفيل بمن معه فحارب بعض المشركين في بلاد دوس وما حولها، ثم هدم صنم "ذا الكفين"، وجعل يحشو النار في جوفه ويقول :

يا ذا الكفين لست من عبادك

ميلادنا أقدم من ميلادك

أنا حشوت النار في فؤادك

وبعد ذلك رجع الطفيل ومن معه من قومه ، وكان عددهم أربعمائة رجل ، فقابلوا الرسول (ﷺ) بالطائف [٣٠] .

ويذكر ابن الجوزي أن جرير بن عبدالله البجلي قدم على الرسول (ﷺ) بعض قومه بعد فتح مكة المكرمة ، فأسلموا وحسن إسلامهم . ثم رأس الرسول (ﷺ) جريراً على صحبه وطلب منهم هدم صنم ذي الخلصة في بلاد خثعم ، فلبى ما أمر به الرسول (ﷺ) [٣١] .ويشير ابن سعد في رواية أخرى عن جرير بن عبدالله بأنه قدم على الرسول (ﷺ) في السنة العاشرة ومعه مائة وخمسون رجلاً من بجيلة فرحب به الرسول (ﷺ) ومن معه ، ثم قال له بايعني " على أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتنصح المسلمين ، وتطيع الوالي ، وإن كان عبداً حبشياً " ، فقال : جرير (نعم) فبايعه الرسول (ﷺ) " ، ثم سأله الرسول (ﷺ) عن أحوال ما وراءه في بلاد السراة ، فقال : " يا رسول الله ، قد أظهر الله الإسلام ، وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاتهم ، وهدمت القبائل أصنامها التي كانت تعبد [٣٢] ، قال : " فما فعل ذو الخلصة ؟ " قال " هو على حاله ، قد بقي والله مريح منه إن شاء الله " [٣٣] .. فبعثه الرسول (ﷺ) إلى هدمه وعقد له لواء ومعه مائتان من قومه ، فذهب جرير ومن معه فهدموه ، ثم رجعوا إلى الرسول (ﷺ) فقال : " يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد هدمته ، وأخذت ما عليه ، وأحرقته بالنار وتركته كما يسوء من يهوى هواه ، وما صدنا عنه أحد " فسر الرسول (ﷺ) وبرّك على جرير وقومه [٣٤] .

ولم يكتف الرسول (ﷺ) بارسال قادة من أهل السراة لمحاربة من بقي على الوثنية منهم ، بل غيّر وبدّل ، فأرسل قادة من صحابته ليحاربوا المشركين في بلاد تهامة والسراة . وتذكر بعض المصادر أن سرية قطبة بن عامر بن حديدة التي أرسلها الرسول (ﷺ) إلى بلاد خثعم في شهر صفر من السنة التاسعة للهجرة كانت حوالي عشرين رجلاً ، ذهبوا إلى محاربة بعض المشركين ، وعادوا ظافرين [٣٥] .

أما وفود بلاد تهامة والسراة على الرسول (ﷺ) في المدينة فكانت في العامين التاسع والعاشر الهجريين ، وخاصة في العام التاسع الذي كثرت فيه الوفود على رسول الله (ﷺ) من شبه الجزيرة ، لدرجة أنه سمي عند المؤرخين بعام الوفود . ويبدو أن بعض الوفود قدمت من بلاد السراة قبل هذا التاريخ أمثال الدوسيين بزعامة الطفيل بن عمرو الدوسي وغيرهم فكانوا ندرة ، ولكن بعد فتح مكة المكرمة ، انفتح الباب الذي كان حاجزاً بين أهل تهامة والسراة واليمن وبين الرسول (ﷺ) في المدينة ، وبالتالي تفد الوفود من قبائل متباينة في بلاد تهامة والسراة ، وفي أعداد متفاوتة لكي تقدم إسلامها للرسول (ﷺ) ثم تعود إلى أوطانها لتنشر الإسلام بين أقوامها ، وتحارب أهل الشرك أو من بقي مصرا على عبادة الأوثان .

وإلى جانب الذين سبق ذكرهم من الشخصيات أو الوفود التي وفدت على الرسول (ﷺ) وقدّمت إسلامها ، هناك أيضاً وفود أخرى قدمت من بلاد تهامة والسراة في العامين التاسع والعاشر للهجرة ، ومن تلك ، وفد ثمالة من النواحي الجنوبية لسراة الطائف ، ووفد سلامان من تهامة وسراة الحجر ، قدموا على الرسول (ﷺ) في السنة العاشرة للهجرة ، فأسلموا ، ثم علّمهم بعض الشرائع ، ثم أجازهم وعادوا إلى مقرهم ، كذلك وفد غامد بزعامة أبو ظبيان الأزدي الغامدي ، ووفد دوس ، الذي سبقت الإشارة إليه بزعامة الطفيل بن عمرو الدوسي ، ووفد بارق ، ووفد خثعم ووفد زُبيد من بلاد تثليث وما حولها بزعامة عمرو بن معدي كرب الزُبيدي ، ثم وفد الأزد بزعامة صرد بن عبدالله الأزدي [٣٦] .

ومن الملاحظ أن الوفود التي قدمت على الرسول (ﷺ) من بلاد تهامة والسراة ، أو من أي مكان في شبه الجزيرة العربية ، كانت دليلاً على انهيار الشرك ، وبالتالي علامة على انتشار الإسلام في البلاد والأقاليم التي وفدت منها . ويتضح من بعض كتب الرسول (ﷺ) أن البعض من قبائل تهامة والسراة فعلوا ما فعل الحارث بن

عبد شمس الخثعمي ، الذي خرج إلى المدينة المنورة بعد هدم جرير لصنم ذي الخلصة ، فأسلم وأخذ الأمان لأصحابه من رسول الله [٣٧] .

كذلك قدم من بلاد بيشة إلى الرسول (ﷺ) بعد فتح مكة المكرمة مطرف بن الكاهن الباهلي ، الذي أعلن إسلامه ، وطلب الأمان من الرسول (ﷺ) فأمّنه وأعطاه الرسول كتاباً فيه فرائض الصدقات قال فيه : " هذا كتاب من محمد رسول الله لمطرف ابن الكاهن ، ولمن سكن بيشة من باهله ، أن من أحيا أرضاً مواتاً بيضاء فيها منافع الأنعام ومراح فهي له وعليهم في كل ثلاثين من البقر فارض ، وفي كل أربعين من الغنم شاة ، وفي كل خمسين من الإبل ثاغية مسنة ، وليس للمصدق أن يصدقها إلا في مراعيها ، وهم آمنون بأمان الله " [٣٨] . وكتب الرسول (ﷺ) كتاباً آخر لنهشل بن مالك من باهلة بيشة قال فيه : " باسم الله هذا كتاب من محمد رسول الله لنهشل بن مالك ومن معه من بني وائل ، لمن أسلم ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وأطاع الله ورسوله ، وأعطى من المغنم خمس الله ، وسهم النبي ، وأشهد على إسلامه ، وفارق المشركين ، فإنه آمن بأمان الله ، وبري إليه محمد من الظلم كله ، وأن لهم أن لا يُعشروا ، وعاملهم من أنفسهم ... [٣٩] ". وفي كتاب آخر لقبائل خثعم ببلاد بيشة قال فيه : " هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضر بيشة وباديتها ، أن كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع ، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خيار أو عرار تسقيه السماء .... فله نشره وأكله ، وعليهم في كل سيح العشر ، وكل غرب نصف العشر " [٤٠]. وكتاب آخر لأهل بارق قال فيه الرسول (ﷺ) : " هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق ، لا تجز ثمارهم ، ولا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلا بمسألة من بارق أو من مر بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام ، وإذا أينعت ثمارهم فلابن السبيل اللقاط يوسع بطنه من غير أن يقتشم ... " [٤١] .

وبهذا نخلص إلى أن الرســول (ﷺ) لم يكتف فقط باستقبال الوفود في المدينة المنورة ، وإنما عمل ما في وسعه لتوطيد الإسلام بين أهل تهامة والسراة ، فأكرم وفادة الوفود القادمة عليه ، ثم علّمهم المبادئ الأساسية في الإسلام ، وبعدها أذن لهم بالعودة إلى أوطانهم ، فعادوا إلى أقوامهم وكلهم إصرار على نشر الإسلام فيما بينهم .

وأحياناً كان يكتب الرسول (ﷺ) كتباً لبعض الوفود يبين لهم فيها بعض التعاليم الدينية ، وتارة أخرى كان يرسل رسائل إلى بعض القبائل والعشائر ، يذكر لهم فيها ما يتوافــق مع منهج الإسلام ، سواء في العقيدة أو الأحكام ، أو الأنظمة الاجتماعية ، أو غيرها ، بل ويحثهم على محاربة الفتن والضلالات والنصرة على أهل الشرك وضمان الأمن والبقاء في أوطانهم .

ومن أهم الوفود السروية التي وفدت على الرسول الكريم ، وفد الأزد ، الذي كان يتزعمه صرد بن عبدالله الأزدي ، حيث قدموا من جرش إلى المدينة وعددهم بضعة عشر رجلاً فقدّموا إسلامهم بين يدي الرسول (ﷺ) . ثم أمّر الرسول صرد بن عبدالله على بقية رفاقه ، وأمرهم بالعودة إلى ديارهم ليقيموا الجهاد على من بقي على وثنيته ، ويعملوا على نشر الإسلام في أوطانهم وتطهيرها من الشرك ، فخرجوا من عند رسول الله متجهين إلى بلاد جرش [٤٢] وهناك أبلوا بلاء حسناً حتى تحولت بلادهم جميعاً من الشرك إلى الإيمان [٤٣]. وبعد انتشار الإسلام في ديار جرش ، قدم منهم وفد آخر على الرسول (ﷺ) فقال لهم الرسول (ﷺ) : " مرحباً بكم أحسن الناس وجوها ، وأصدقه لقاء ، وأطيبه كلاما ، وأعظمه أمانة ، أنتم مني وأنا منكم ، وجعل شعارهم مبرورا ، وحمى لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة ... [٤٤] .

ولم تأت حجة الوداع ، إلا وبلاد تهامة والسراة قد دان أهلها بالإسلام ، مثلهم مثل غيرهم من قبائل وعشائر شبه الجزيرة العربية . وانتقل الرسول (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى وبلاد العرب جميعها تدين بدين الإسلام . ثم أتى من بعده الخليفة

الراشد الأول أبو بكر الصديق (١١هـ /٦٣٢م ـ ١٣هـ /٦٣٤م) ، فحدثت هزة في مجتمع شبه الجزيرة نتيجة لحركة الردة .

خامساً : صدى الردة في إقليم تهامة والسراة :

ظهر قبيل وفاة الرسول (ﷺ) ، في أنحاء من شبه الجزيرة العربية بعض الكذابين المدعين للنبوة [٤٥] ، أمثال عبهلة ، الملقب بـ (الأسود العنسي) في بلاد اليمن وما حولها [٤٦] فاتخذ من صنعاء نقطة انطلاق نحو الشمال حتى سيطر على نجران وأجزاء عديدة من بلاد قحطان وعسير وبيشة وما حولها ، بل لقد سعى إلى طرد عمال الرسول (ﷺ) في تلك الأجزاء [٤٧] . وجاء النبأ ، بأفعال الأسود العنسي ، إلى الرسول (ﷺ) ، فقام عليه السلام ، بمراسلة العديد من قبائل وشيوخ أهل اليمن ، وتهامة والسراة وحثهم على التمسك بدين الإسلام ، والثبات في تصديهم للأسود العنسي ، وحذرهم من الارتداد عن دين الله ، بل أرسل جرير بن عبدالله البجلي مع بعض الرجال من أزد السراة ليتصدوا للمرتدين أو المؤيدين للأسود العنسي في أرض السروات [٤٨] . وبعد خروج جرير بن عبدالله من المدينة متجهاً إلى بلاد السروات أتى نبأ وفاة الرسول (ﷺ) فعاد جرير إلى المدينة دون أن يواصل مهمته ، وربما عاد ليقف على أحوال المسلمين بعد وفاة الرسول الكريم ، وفي ضوء ذلك الموقف يستطيع أن يتصرف مع بقية صحابة الرسول (ﷺ) ، ويحتمل أن يكون موت الرسول (ﷺ) ، وهول تلك الصدمة جعلت جرير بن عبدالله لا يواصل هو وأصحابه ما كُلفوا به من قبل الرسول (ﷺ) فلم يستطيعوا السير قدماً ، وقرروا الرجوع إلى مدينة الرسول الكريم [٤٩] .

ولكن حدث بعد عودة جرير وصحبه إلى المدينة المنورة أن وجدوا المسلمين قد اجتمعوا على تنصيب أبي بكر الصديق خليفة لهم ووجدوا أبا بكر غير راض عن رجوعهم من المهمة التي كلفهم بها الرسول (ﷺ) [٥٠] فلم يكن عليهم إلاّ الذهاب إلى

بـــلاد الســـــراة لمحاربة من ارتد من عشائر وقبائل تلك البلاد ، وساروا إلى بلاد بجيلة وخثعم ودوس والحجر فحاربوا من ارتد أو عاد إلى الوثنية وتغلبوا عليهم [٥١] .

والواقـــع أن المـــرتدين في بلاد تهامة والسراة كانوا قلة ، وخاصة إذا قورنوا بـــبقية أجـــزاء شـــبه الجزيرة العربية [٥٢] فالأسود العنسي ـــ كما أشرنا ـــ ظهر في حواضـــر اليمن الكبرى ، ثم مد نفوذه شمالاً حتى نجران وجرش وبيشة ، ووجد بعض المؤيديـــن لدعوتـــه في تـــلك الأجزاء ، بل وجد من بين أهل تهامة والسراة من يتولى قيادات عامة ينوبون عنه في السير بحركة الارتداد في أوطانهم ، فيقنعون من بقي على ديـــن الإسلام ، ويحببون إليهم الردة ، أو يهاجمون ويحاربون من يقف في طريقهم من مســـلمي البلاد أنفسهم ، أو من سيأتي من قبل المدينة المنورة وما حولها . ومن أولئك المؤيديـــن للعنســـي ، عمرو بن معدي كرب الزُبيدي ، الذي تزعم وفد زُبيد عندما قدموا إلى المدينة ليعلنوا إسلامهم أمام الرسول (ﷺ) ، وبعد ظهور العنسي ارتد عمرو وانضم إلى حزب المرتدين ، فجعله العنسي نائباً عنه في البلاد الممتدة من نجران جنوباً إلى بيشـــة شمالاً [٥٣] ، وبرز إلى جانب عمرو مع العنسي قيس بن عبد يغوث الأزدي المـــرادي ، الذي ولاه العنسي إمرة الجيش العامة ، كما شارك مع العنسي معاوية بن قيـــس الجنبي ، ويزيد بن الأفكل الأزدي ، وجميعهم من قبائل بلاد السراة الواقعة بين نجران وبيشة [٥٤] . ويورد الطبري تجمع بعض الأفراد من عشائر بجيلة ، وخثعم ، وأزد السراة ، وأفخاذ أخرى في تهامة والسراة ، ثم انضوائهم تحت زعامة حميضة بن النعمان ابن حميضة البارقي، ثم إعلانهم ارتدادهم [٥٥] وربما اتحادهم مع أعوان الأسود العنسي ، ونهجهـــم نهج المرتدين في شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة امتناعهم عـــن دفع الزكاة ، وعدم التقيد ببعض أحكام الإسلام .

والســـؤال الـــذي يطرح نفسه هو : ماذا كان حجم المرتدين في بلاد تهامة والســـراة ؟ الواقـــع أن الإجابة على هذا السؤال صعبة لأن المصادر الأولى لا تسعفنا

بمعلومات وافرة حتى نستطيع من خلالها معرفة حجم حركة الارتداد في البلاد المعنية بالدراسة في هذا البحث ، ولكن في اعتقادنا ــ وكما أشرنا سابقاً ــ أن حجمها كان أقل بكثير من حجمها في أجزاء أخرى من شبه الجزيرة ، بدليل أنه عندما عزم الخليفة أبو بكر الصديق على محاربة المرتدين في كل مكان ، فإنه لم يرسل جيشاً خاصاً إلى تهامة والسراة وإنما أرسل جيشاً مر بمكة المكرمة ثم الطائف ، ثم سلك طريقه عبر السراة حتى وصل صنعاء في اليمن ، ومرور مثل ذلك الجيش بالسراة جعله يصطدم ببعض المرتدين ، الذين يبدو أن حجمهم وخطرهم لم يصل إلى مستوى خطورة وحجم جماعة مسيلمة الكذاب أو طليحة بن خويلد الأسدي أو مالك بن نويرة ومن ارتد معهم ، أو غيرهم في أطراف أخرى من جزيرة العرب (٥٦) .

ولم يكتف الخليفة أبو بكر الصديق برد جرير بن عبدالله البجلي ومن كان معه إلى حيث أرسلهم الرسول (ﷺ) من بلاد السراة ، وإنما أصدر تعليمات أخرى إلى عماله في مكة المكرمة والطائف يأمرهم أن يرسلوا البعوث إلى بلاد تهامة والسراة ليجمعوا من بقي على الإسلام هناك ، ثم يجاهدوا بهم من ارتد عن دين الله ، فلم يكن على أمير مكة المكرمة عتاب بن أسيد ، إلاّ الامتثال لأمر الخليفة ، وأرسل أخاه خالد بن أسيد إلى الأجزاء التهامية الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة والممتدة إلى بلاد اليمن (٥٧) . كذلك أرسل والي الطائف ، عثمان بن أبي العاص ، بعثاً إلى بلاد السروات ، الممتدة من جنوب الطائف إلى اليمن ، فذهب ذلك البعث حتى اجتمع بجرير بن عبدالله البجلي في وسط السراة ببلاد دوس وخثعم والحجر ، ثم ذهبوا جميعاً حتى التقوا بحميضة البارقي ومن كان معه من المرتدين في سراة عسير (عنز) فحاربوهم حتى هزموهم ومزقوهم شر ممزق (٥٨) . وأدى إصرار الخليفة أبي بكر على إبادة ودحر المرتدين إلى تجهيز جيوش عديدة في المدينة ، ثم أرسل كل واحد منها إلى ناحية لكي يتصدى للمرتدين ، فكان نصيب بلاد تهامة والسراة واليمن جيش

أرسله تحت زعامة المهاجر بن أمية،فخرج ذلك الجيش من المدينة المنورة حتى الطائف ، ثم ســـار في بـــلاد السراة حتى لحق بجيش جرير بن عبدالله البجلي ومن كان معه ، ثم واصلوا جميعاً السير حتى التقوا بجيوش عمرو بن معدي كرب الزُبيدي وقيس المرادي وغيرهمـــا فهـــزموهـــم ، وعاد كل من عمرو وقيس إلى الإسلام ، وعادت جميع بلاد تهامـــة والسراة إلى حوزة الإسلام وبعد ذلك بدأت المرحلة الثانية في تاريخ الخليفة أبي بكـــر الصـــديق ، وهـــي مرحلة الفتوحات الإسلامية ، فانخرط الكثير من السرويين والتهاميين في جيوش المسلمين ، مثلهم مثل غيرهم من عرب شبه الجزيرة العربية وأبلوا بـــلاء حســـناً في فتح بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس وفارس وغيرها ، بل لقد عمل الكثير منهم على نشر الإسلام في تلك البقاع الإسلامية الجديدة واستقر بعضهم في بعـــض الحواضـــر مـــن تلك الأمصار ، ثم شاركوا في كثير من الأنشطة السياسية والحضارية .

وبعـــد ، فلعلنا في هذه الدراسة قد نجحنا في كشف النقاب عن صفحة شبه مجهولة في تاريخ إقليم تهامة والسراة في فجر الإسلام .

سادساً : الحواشي والتعليقات

١ ــ للمزيد من التفصيلات عن الديانات المتعددة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، انظر : جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٢ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٠م) جـ٦ ص٥ وما بعدها .

٢ ــ ظهور الدين الإسلامي في الحجاز على يد الرسول (ﷺ) ثم انتشاره إلى جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية، ثم إلى بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس، بل وإلى بلاد فارس والهند والسند وغيرها ، لم يكن يحدث بين عشية وضحاها ، وإنما مر بمراحل صعبة منذ اجتماع الرسول (ﷺ) بأصحابه في دار الأرقم بن الأرقم ، حتى وصلت الفتوح الإسلامية إلى أقصى مداها في عهدي الدولتين الأموية والعباسية . وللمزيد من الاطلاع على أحداث مراحل التاريخ الإسلامي المبكر ، وامتداد الفتوح الإسلامية إلى أقصى الشرق والغرب، انظر : عبدالملك بن هشام. السيرة النبوية ، حققه وشرحه ، مصطفى السقا وآخرون (بيروت : دار القلم . د.ت) (٤) أجزاء ؛ أحمد بن يحيى البلاذري . فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م) ص١٧ وما بعدها ؛ محمد بن عبدالله الأزدي . تاريخ فتوح الشام ، تحقيق عبدالمنعم عبدالله عامر (القاهرة : مطابع سجل العرب ،١٩٧٠م) ؛ محمد عمر الواقدي. فتوح الشام (بيروت : دار الجيل ، د.ت) جزءآن ؛ عبدالوهاب النجار . الخلفاء الراشدون (بيروت : دار الفكر ، د.ت) ، ص٣ وما بعدها .

٣ ــ نلاحظ الكثير من كتب التراث الإسلامي المبكرة ملأى بالروايات المختلفة عن المدن الكبرى في شبه الجزيرة ، كمكة ، والمدينة ، والطائف ، وصنعاء ، وصعدة ، واليمامة ، والبحرين ، وغيرها ، فتعرضت لثقلها السياسي،والاقتصادي ، والفكري ، والاجتماعي ، والديني وبخاصة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، بل والكثير من المصادر أشارت إلى العديد من الشخصيات التي برزت في تلك الحواضر ، خلال القرون الإسلامية المبكرة ، وكان لها دور بارز في بعض مجالات الحياة السياسية والحضارية المختلفة . وللمزيد من

التوضيحات ، انظر : محمد بن عبدالله الأزرقـي . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشـدي ملحس ، ط٤(مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م) جزءان ؛ عمر بن شبه . تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهيم محمود شلتوت (جدة: دار الأصفهاني للطباعة والنشر،١٣٩٣هـ) (٤) أجزاء ؛ عمر على الجعدي . طبقات فقهاء اليمن ، تحقيـق فـؤاد سيـد (بيروت : دار القلم ، د.ت) ص٢٥ وما بعدها ؛ حمد الجاسر . أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، د.ت) ص٧ وما بعدها ؛ أكرم ضياء العُمري . المجتمع المدني في عهد النبوة (المدينة المنورة : د.ت ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) ص١٧ وما بعدها .

٤ ــ هناك العديد من المصادر المبكرة التي تعرضت لبلاد تهامة والسراة من حيث المسميات ، أو من نواحي جغرافية وحضارية أخرى . وللمزيد من الشروحات انظر : عبيدالله بن خرداذبه . كتاب المسالك والممالك ، تحقيق ، ام . جي. دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٨٩م) ص١٣٣ ــ ١٤٤ ؛ عبدالله بن عبدالعزيز البكري . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع ، تحقيق مصطفى السقا ، (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ، مج١ ، جـ١ ، ص٥ ــ ٨٠ ؛ شهاب الدين ياقوت الحموي . معجم البلدان (بيروت ، دار صادر ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) ، جـ٣ ، ص٢٠٤ ــ ٢٠٥؛ محمد بن أحمد بن جبير.رحلة ابن جبير(بيروت: دار الكتب، د.ت) ص١٠٢ ــ ١٠٦ ؛ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل العمري . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق، أيمن فؤاد سيد (القاهرة : المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، د.ت) ص١٤٩ ــ ١٧٠ ؛ حسن إبراهيم الفقيه . مدينة السرين الأثرية (الرياض : مطابع الفرزدق التجارية ، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م) ص٩ وما بعدها ؛ أحمد بن عمر الزيلعي . " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي (ق٣ ــ ٩هـ /٩ ــ ١٥م) " حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية رقم (٧) الرسالة (٣٩) (١٤٠٦هـ /١٩٨٦م) ص١١ ــ ٦٥ ؛ محمد أحمد معبر . مدينة جرش من المراكز الحضارية القديمة (خميس مشيط : دار جرش للنشر والتوزيـع ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م) ص١٣ ــ ٥٠ .

٥ ــ ولـــلمزيد من التفصيلات عن بلاد تهامة والسراة ، من حيث حدودها ، وخطوط الطول والعرض بها،وبعض ما قيل عن دورها الحضاري في بعض كتب التراث الإسلامية المبكرة، انظــر : الحســـن ابن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحـــوالي (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشـــر ، ١٣٩٧هــ /١٩٧٧م) ص٥٨ ــ ٥٩ ، ٩٨ ــ ١٠٠، ياقوت ، معجم البلدان ، جــ٣ ، ص٢٠٤ ــ ٢٠٥ ، محمد بن عبدالله الإدريسي.كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هــــ /١٩٨٩م) جـــــ١ ، ص١٣٦ ــ ١٥٦ ، حمد الجاسر . في سراة غامد وزهران (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩١هــ /١٩٧١م) ص ٣٥٣ ــ ٣٦٦ . غيـــثان بـــن علي جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " مجلة الدارة عدد (٣) سنة (١٩) (١٤١٤هــ/١٩٩٣م) ص ٧٦ ــ ١١١ .

٦ ــ انظر تفصيلات أكثر في مقالتي . عبدالله الوهيبي . " الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب " مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض (١٣٩٠هــ /١٩٧٠م) جــ١ ، ص٥٣ ــ ٧٠ ؛ صـــالح أحمد العلي ." تحديد الحجاز عند المتقدمين " مجلة العرب (١٣٨٨هــ /١٩٧٨م) جــ١ ص ١ ــ ٩ . غيثان بن علي جريس " بلاد السراة ... " ص ٧٦ وما بعدها .

٧ ــ ولا زالـــت أغلب هذه السروات المذكورة تستوطن بالقبائل والعشائر التي سميت بها كل ســـراة. ويســـتنتج من ذلك أن الأرض كانت ولا زالت تنسب إلى من يسكنها، فمثلاً : سراة قحطان ، أو عسير ، أو الحجر ، عرفت بهذه الأسماء ، لأن قبائل قحطان أو عسير ، أو الحجـــر استوطنت سرواتها منذ أمد بعيد ، فعرفت الأرض باسم القبيلة ونسبت إليها ، وهكذا حدث مع بقية السروات الأخرى .

٨ ــ التنقل والترحال من عادات العرب القديمة ، بل وانتقال الفخذ أو العشيرة من مكان إلى مكان ، كان من الأوضاع المألوفة عند البدوي منذ عهود قديمة ، إلى جانب وجود أسباب أخـــرى تجعـــل بعض العشائر ترحل من مواطنها الأصلية إلى مواطن أخرى ، كأن تهاجم قبيلة قوية أخرى ضعيفة فتجبرها على الرحيل ، أو ترحل بعض العشائر ، وبخاصة البدوية منها ، من مكان لآخر بحثاً عن الماء والعشب الذي يفيدها في رعي مواشيها ، أو حدوث

نوع من الخصومة والشقاق بين أفراد العشيرة الواحدة ، مما يؤدي إلى خروج بعضهم من مواطن العشيرة الأساسية ، والبحث عن مكان آخر يعيشون به . وما نلاحظ في بلاد تهامة والسراة من تشابه في بعض أسماء القرى والأفخاذ المتفرقة ، أو من توزع بعض أفراد القبيلة أو الفخذ الواحد في أكثر من مكان ، سواء كان بالأجزاء السروية المرتفعة أو بالهضاب والأودية الشرقية أو ببعض الأجزاء الساحلية التهامية ، ليس إلاّ ناتجاً من حدوث بعض الأسباب الآنفة الذكر ، والتي عاشها ومارسها سكان تلك البلاد منذ أزمنة بعيدة .

٩ ــ لقد لحظنا ورود أسماء بعض الأودية دون ذكر أسماء العشائر والقبائل التي أقامت حولها ، مثلما حصل مع قبائل سبيع وخثعم في واديي رنية وبيشة ، وفي اعتقادنا أن السبب في ذلك يعود إلى أن بعض القبائل التي سكنت حول الوديان ، ولم تسم باسمها ، هي قبائل غلب عليها طابع الترحال وعدم الاستقرار ، فلم تكن تمكث طويلاً وتلتصق بالأرض مثلما حدث مع قبائل خثعم وسبيع على واديي بيشة ورنية .

١٠ ــ يقصد ببلاد الحجر المنطقة الواقعة بين سراة عسير جنوباً ، وبلقرن وخثعم وشمران شمالاً، ويستوطنها في وقتنا الحالي ، قبائل بللحمر جنوباً يليها نحو الشمال قبائل بللسمر، ثم قبائل بني شهر وبني عمرو . وللمزيد من التفصيل انظر: غيثان علي جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (أبها : مطابع مازن ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ص ٩ ــ ١٤ .

١١ ــ وتثليث فهي ديار عمرو بن معدي كرب الزُبيدي ، الذي ورد ذكرها معنا ، عند الحديث عن الوفود التي قدمت على الرسول (ﷺ) بعد فتح مكة المكرمة . ومن المعلوم أن السواد من سكان الجزيرة العربية كانوا يدينون بالوثنية أو ما شابهها من الديانات الساذجة الدالة على سخف في التفكير وضعف في المعتقد ، وبعد ظهور الإسلام ، ثم انتشاره إلى بلاد تهامة والسراة ، ظهر عندئذ شخصيات أمثال عمرو بن معدي كرب وغيره ، تعد بوادر الخير الذي ظهر بظهورها ، فحملوا راية الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله ، وجعلها العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى .

١٢ ــ ومن كبرى عشائر قبيلة قحطان في وقتنا الحاضر ، وبخاصة في الأجزاء السروية : وادعة ، وسنحان ، وبنو بشر ، وعبيدة ، ورفيدة ، والجارمة وخطاب .

١٣ ــ الشـــعيبة كانت ميناء مكة الرئيس منذ العصر الجاهلي وحتى عهد الخليفة الراشد عثمان ابن عفان (٢٣هـ /٦٤٤م ــ ٣٥هـ /٦٥٦م) ، ثم استبدلت به جدة فصارت الميناء الـــرئيس لـــبلاد الحجاز حتى وقتنا الحالي . وللمزيد من التفصيل انظر : حمد الجاسر ، في شمـــال غرب الجزيرة ، نصوص ، مشاهدات ، انطباعات (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م) ص ١٦٧ وما بعدها ، وللجاسر أيضـــــاً "حـــول الجـــار والشـــعيبة "مجلة العرب (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)جــ١٢، ص ١١٧٠- ١١٧٢ .

G.R. Hawting . " The Origin of Jeddah and the problem of al-Shuayba " Arabica Vol . XXXI (1984) . PP. 318 - 326 .

١٤ ــ إن الـــذي قصدنا به هنا من سراة عسير، هي منطقة مدينة أبها وما حولها ، أو بوجه أدق مواطـــن قـــبائل عســـير الأصلية ، والتي هي: قبائل مغيد، وعلكم، وبنو مالك ، وربيعة ورفيـــدة ، وجميعهـــا تقطن الأجزاء السروية الواقعة بين سراة الحجر من الشمال وسراتي قحطان وشهران من الجنوب، كما يوجد لهذه القبائل بعض العشائر في أسفل عقبة ضلع المـــنحدرة مـــن جـــبال أبها تجاه منطقة جازان ،وكذلك قبائل رجال ألمع الواقعة في بعض مرتفعات الأجزاء التهامية من سراة قبائل عسير .

١٥ ــ وللمزيد من التفصيل عن أهم الأودية الواقعة بين جازان ونجران جنوباً وبين مكة المكرمة والطائف شمالاً ، انظر: عبد الرحمن صادق الشريف ، جغرافية المملكة العربية السعودية ، إقلـــيم جنوب غرب المملكة (الرياض : دار المريـــخ ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) جــ٢ ، ص٣٣ وما بعدها ؛ عاتق بن غيث البلادي . بين مكة واليمن (رحلات ومشاهـــدات) (مكة المكرمة: دار مكة ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) ص ١٣ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه. بـــين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة : دار مكة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ص٩ وما بعدها .

١٦ ـ القرآن الكريم ، وكتب السنة ، وكذلك جميع كتب السيرة والطبقات والتراجم ، والكثير من كتب التراث الإسلامي الأخرى مليئة بتاريخ سيرة الرسول(ﷺ) سواء يوم كان في مكة المكرمة ، أو بعد الهجرة إلى المدينة المنورة ، وتأسيس أول عاصمة إسلامية هناك ، ثم محاربته للمشركين واليهود والمنافقين ، وتبليغه رسالة الإسلام إلى الناس كافة .

١٧ ـ كان أهل تهامة والسراة على علاقات (تجارية ، واجتماعية ، وسياسية) مع الحجازيين . فالقرآن الكريم (في سورة الإيلاف) وكثير من كتب التراث الإسلامي تشير إلى الرحلة الشتوية التجارية التي كان يقوم بها أهل مكة المكرمة ، عبر بلاد تهامة والسراة ، حتى حواضر اليمن الكبرى . ورحلة تجارية متكررة كل عام ، لا بد أن يحدث الاحتكاك الحضاري بين روادها الذين هم من قريش ، وبين أهل الديار التي يمرون عليها من بلاد تهامة والسراة . والأخذ والعطاء لا يكون مقصوراً على الأعمال التجارية فحسب ، وإنما يمتد إلى أمور أخرى عده، كالتعاون في توفير الأمن للتجار أثناء عبورهم الطريق التجارية، أو ورودهم بعض الأسواق أو المراكز الحضارية الكبرى للبيع والشراء . ومن المتوقع أن تمتد العلاقات إلى الزواج والمصاهرة ، واقتباس بعض العادات الاجتماعية المتعلقة بحفلات الزواج والختان ، أو عادات الزينة واللباس ، أو الطعام والشراب ، أو بناء الدور وما شابهها. ومن يتجول الآن في بلاد الحجاز ، أو بلاد تهامة والسراة المعنية في هذا البحث ، أو بعض أرياف ومدن اليمن يجد هناك الكثير من التشابه في نمط الألبسة ، وطريقة عمل بعض الأطعمة ، أو بناء ونقش وزخرفة المنازل . ومثل هذا التشابه لا يمكن حدوثه من فراغ وإنما ورثه الأبناء والآباء عن الأجداد ، كما أنه نتيجة للاختلاط والانصهار البشري الذي مرت به هذه الديار منذ أزمنة بعيدة .

١٨ ـ لم يترك القرشيون وسيلة إلا جربوها من أجل صد الرسول (ﷺ) عما كان يدعو إليه ، فوصفوه تارة بالجنون ، وأخرى بالكهانة أو السحر ، بل وضيقوا عليه في جميع جوانب حياته الاجتماعية ، وتطاول بهم الأمر إلى إيذائه والاستهزاء والسخرية به . أما المسلمون الأوائل الذين صدقوا برسالة الإسلام فقد نالهم من الأذى ما الله به عليم ، بل فقد بعضهم حياته من أجل اعتناقه الإسلام ، وذلك كله بما فعل طغاة قريش من أجل القضاء على دين الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

١٩ ــ للمزيد من التفصيلات عن علاقة الأحلاف والمصاهرة التي كانت بين آباء وأجداد الطفيل الدوسيين وبين بعض زعماء قريش ، أمثال أبي سفيان وغيره . انظر : محمد بن حبيب البغدادي . كتاب المنمق في أخبار قريش ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، (بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م) ص ١٩٩ــ ٢١١، الجاسر ، في سراة غامد وزهران ، ص٢٧٥ ــ ٢٧٩ .

٢٠ ــ قصة إسلام الطفيل ، وما دار بينه وبين الرسول (ﷺ) في أول لقاء ، ثم عودته إلى قومه في سراة غامد وزهران ، وما بذل من جهد من أجل محاربة الوثنية بينهم ودعوتهم إلى الدخول في الإسلام . انظر تفصيلات أكثر . ابن هشام . السيرة ، جـ٢ ص ٢١ ــ ٢٥ ، جمال الدين بن الجوزي . صفة الصفوة ، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي (حلب : دار الوعي ، ١٣٨٩هـ /١٩٦٩م) جـ١ ، ص٦٠٠ ــ ٦٠٤ ؛ عزالدين علي بن الأثير . أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت) جـ٣ ، ص٥٤ ــ ٥٥ .

٢١ ــ لم تكن سياسة قريش في محاربة الرسول (ﷺ) وما جاء به من دعوة ، مقصورة على تحذير الناس من مقابلة الرسول بشكل فردي ، كما فعلوا مع الطفيل وضماد ، وإنما كان منهجهم إلقاء الخطب على رؤوس القبائل في الأسواق ، وعلى أبواب السكك الداخلة إلى مكة ، وكذلك أيام الحج ، وفي أماكن أخرى عديدة ، يحرصون على التشكيك فيما جاء به الرسول محمد (ﷺ) ويدّعون أنه ضرب من الأساطير والخرافات .

٢٢ ــ للمزيد من التوضيحات عن إسلام ضماد الأزدي ، انظر : ابن الجوزي ، صفة الصفوة، جـ١ ، ص٦٠٤ ــ ٦٠٥ ، صفي الرحمن المباركفوري . الرحيق المختوم (بيروت : دار القلم ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م) ص ١٣١ .

٢٣ ــ تربة : بالضم ثم الفتح ، تقع إلى الجنوب من مدينة الطائف ، بحوالي مائة كيلومتر ، وبها واد فحل يسمى " وادي تربة " ، وتنحدر مياهه من أعالي بلاد السراة نحو الأجزاء الشرقية ، ويسكن على ضفافه العديد من الأفخاذ والعشائر التي تمتهن الزراعة ومزاولة بعض الأعمال التجارية الأخرى . انظر : شهاب الدين ياقوت الحموي . معجم البلدان .

ج ٢ ، ص ٢١ ، عاتق بين غيث البلادي ، بين مكة وحضرموت ، رحلات ومشاهدات (مكـة المكـرمة : دار مكة ، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م) ص ١١ ، مشاهـدات الباحث ورحلاته الميدانية خلال عام ١٤١٣هـ /١٩٩٢م ـ ١٩٩٣م) .

٢٤ ـ انظـر : محمد بن عمر الواقدي . كتاب المغازي ، تحقيق مارسدن جونس (بيروت : عالم الكتـب . د.ت) جـ٢ ، ص ٧٢٢ ، علي بن الحسين المسعودي . التنبيه والإشراف . (بـيروت : دار مكتبة الهلال ، ١٩٨١م) ص ٢٤٣ . انظر أيضاً . خليفة بن خياط . تـاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمـري (الرياض : طيبة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص ٧٨ .

٢٥ ـ يذكـر أن الطفيـل قـدم مع قومه إلى المدينة ، فوجد الرسول (ﷺ) قد ذهب إلى خيبر لفـتحها، فلحق به هناك . وللمزيد من التفصيل انظر: الواقدي ، المغـازي ، جـ٢ ، ص ٦٨٣ ؛ ابن هشام ، السيرة ، جـ٢ ، ص٢١ ـ ٢٥ ؛ شمس الدين محمد بن القيم . زاد المعـاد في هدى خير العباد ، تحقيق شعيب بن الأرنؤوط وآخرين (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م) جـ٣ ، ص٦٢٤ ـ ٦٢٨ .

٢٦ ـ مـن استقراء تاريخ السيرة النبوية نجد أن المشركين كانوا يتراجعون إلى الوراء منذ ظهور الرسـول (ﷺ) في المديـنة ، ولكن سقوط حظهم لم يصبح واضحاً للعيان إلا بعد معركة بدر، ثم تتالت عليهم أحداث الفشل والخيبة حتى السنة السادسة للهجرة ، وذلك عندما عقـدوا ما يسمى بـ (صلح الحديبية) مع الرسول وصحابته ، ومن بعد ذلك التاريخ لم يعمـروا طويلاً حتى جاءت السنة الثامنة للهجرة فدخل المسلمون مكة المكرمة ، وقضي على المشركين في عقر دارهم .

٢٧ ـ من الوفود التي وفدت على الرسول (ﷺ) من بلاد تهامة والسراة وفد الأزد ، وفد بجيلة ، وفـد بارق ، وفد خثعم ، وفد ثمالة ، وفد غامد ، وفد دوس ، وغيرها كثير . للمزيد من التفصيلات ، انظر:محمد بن سعد . الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) جـ١ ، ص٣٢١ ـ ٣٥٩ .

٢٨ ــ أي ذو الصورة والشكل الحسن ، أو ذو الوقار . وتقول هئت للأمر أهي . هيئة ، وتهيأت تهيوا ، والهيئة: الشارة ، فيقال فلان حسن الهيئة . انظر ابن منظور . لسان العرب ، فعل " هيأ " جــ١٥ ، ص١٧٠ (طبعة بيروت) .

٢٩ ــ الواقدي ، المغازي ، جــ٣ ، ص ٩٢٣ .

٣٠ ــ ولــلمزيد مــن التفصــيل عن محاربة الطفيل للوثنيين في بلاد دوس، انظر : الواقدي ، المغازي، جــ٣ ، ص٩٢٣ ، ابن الجوزي ، صفة ، جــ١ ، ص٦٠٣ ؛ الجاسر ، في سراة غــامد ، ص ٣٢٤ ؛ المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٤٩ ؛ ابن سعد ، الطبقــات ، جــ٢ ، ص١٥٧ ، ابــن هشام ، السيرة ، جــ٢ ، ص٢١ ــ ٢٥ . ويذكر أن الطفيل عاد من بــلاد دوس مع قومه ومعه دبابة ومنجنيق ، فقال لهم الرسول (ﷺ) "يا معشر الأزد من يحمــل رايــتكم ؟ فقال الطفيل : من كان يحملها في الجاهلية ، فقال : أصبتم " وقيل إن الــذي كــان يحمل الراية في الجاهلية أخو : النعمــان بن الزرافة اللهبي ، وهذا ما ذكر الواقــدي ، أمــا ابن سعد فذكر أنه (النعمان بن بازية اللهبي) ، وذكر ابن عبد البر في كــتاب الاســتيعاب ، أنه (النعمان بن الزراع عريف الأزد) . انظر الواقدي . المغازي ، جـــ٣، ص٩٢٣، انظر أيضاً ملاحظة (٤) في نفس الصفحة المذكورة آنفاً ، ابن سعد ، الطبقات ، جــ٢ ، ص١٥٧ ــ ١٥٨ ، محمد بن إسماعيل البخاري . صحيح البخــاري (بيروت : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، د. ت) مج٣ ، جــ٥ ، ص ١٢٣ .

٣١ ــ انظــر : ابــن الجــوزي ، صفة الصفوة ، جــ١ ، ص ٧٤١ . وصنم ذو الخلصة كان لدوس، وخثعم وبجيلة ، ومن كان ببلاد السراة ، بل وكان يعرف بالكعبة اليمانية ، وكان يحج إليه أعداد كثيرة من الناس . وللمزيد من التوضيحات ، انظر : ابن هشام ، السيرة ، جــ١ ، ص٨٨ ، ابن الجوزي ، صفة ، جــ١ ، ص٧٤١ ، البخاري ، الصحيح، مج٣، جـــ٥ ، ص١١١ ــ ١١١٢ ، مج٤ ، جــ ٨ ، ص١٠٠ ، الأزرقــــي ، جــ١ ، ص ٣٧٤ ــ ٣٨٩ . ويذكر أن صنم ذو الخلصة أعيد بناؤه بعد القرن العاشر الهجري ، وربمــا من قبل ذلك ، وبقي على حاله حتى زمن عبدالعزيــز بن محمد بن سعود ، حيث ذكــر ابن بشر في حوادث (١٢٣٠هــ) أن رجال عبدالعزيز بن محمد بن سعود حاربوا الترك في بلاد بيشة وخثعم ودوس وغامد حتى وصلوا صنم ذو الخلصة فهدموه وأحرقوه.

انظـــر : عثمان بن بشر . عنوان المجد في تاريخ نجد (الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، د. ت) جـ١ ، ص١٨١ ـ ١٨٢ .

٣٢ ـ ويتضـــح من هذه العبارات ، أن الإسلام أصبح منتشراً عند أهل تهامة والسراة ، حتى إن القـــبائل الســـروية والتهامية قامت بهدم الأصنام التي كانت تعبد من دون الله ، وصاروا يوحدون الواحد القهار في مساجدهم وصلواتهم وجميع تصرفاتهم .

٣٣ ـ انظر : البخاري ، الصحيح ، مج٣ ، جـ٥ ، ص١١١ ـ ١١٢ ، الأزرقي ، أخبار مكة، جـ١ ، ص٣٨٠ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ١ ، ص٣٤٧ ـ ٣٤٨ .

٣٤ ـ المصادر نفسها .

٣٥ ـ ابن القيم ، زاد المعاد ، جـ٣ ، ص٥١٤ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ٢ ، ص١٦٢ .

٣٦ ـ للمزيد من التفصيلات عن تلك الوفود ، انظر ابن سعد ، الطبقات ، جـ١،ص ٣٢١ـ ٣٥٩ ، ابن هشام، السيرة ، جـ٤ ، ص٢٣٠ ـ ٢٣٤ ، ابن القيم، زاد المعاد، جـ٣، ص٦٢٠ ـ ٦٢١ ، محمـــد بـــن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت : دار سويدان ، ١٣٨٢هـ /١٩٦٢م) جـ٣ ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ ، ١٣٤ ـ ١٣٦ ، محمـــد حميـــد الله . مجموعـــة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م) ص ٢٤١ ، ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

٣٧ ـ محمـــد حميـــد الله ، مجموعـــة الوثائق ، ص ٢٩١ . ويتضح أن بعض العشائر الخثعمية ، خلاف الحارث بن عبد شمس ، قدمت على الرسول وأعلنت إسلامها ، فيذكر محمد حميد الله ، وابـــن سعد أن " عثعث بن وحشي وأنس بن مدرك قدموا على رسول الله (ﷺ) في رجـــال مـــن خثعم ... فقالوا آمنا بالله ورسوله ، وما جاء من عند الله ، فاكتب لنا كتاباً نتبع ما فيه ، فكتب لهم كتاباً شهد فيه جرير بن عبد الله ومن حضر ... " انظر محمد حميد الله ، المصـــدر نفســـه ، ص٢٩١. أيضاً وردت هذه المعلومات في جزء من طبقات ابن ســـعد، تم طبعه في بلدة أكبر أباد بالهند ، عام ١٣٠٨هـــ . ص ١١٢ ـ ١١٣ . وهذا الجزء ضمن مكتبة الباحث .

٣٨ ــ ابـــن ســـعد ، الجزء المطبوع في بلدة أكبر آباد بالهند ، ص٣٨ ــ ٣٩ ، محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق ، ص٢٩٢ ــ ٢٩٣ .

٣٩ ــ المصدران السابقان .

٤٠ ــ ابن سعد، الجزء المطبوع في بلدة أكبر آباد بالهند ، ص٤١ ، محمد حميد الله ، الوثائـــق ، ص٢٩١ .

٤١ ــ ابـــن سعد ، الطبقات، جــ١ ، ص ٣٥٢ ، محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق، ص٢٤١ ، ابن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص٤٤ .

٤٢ ــ بلاد جرش ، أو إقليم جرش ، أو مخلاف جرش ، اسم واحد كان يطلق على أغلب إقليم عسير في وقتنا الحاضر ، ومركز هذا الإقليم قديماً هو بلاد خميس مشيط في بلاد شهران، وأحـــد رفيـــدة في بلاد قحطان ، ومدينة أبها وما حولها في قبائل عسير الأصلية (علكم ، ومغيـــد ، وبـــنو مالك ، وربيعة ورفيدة) . وربما كان إقليم جرش يتسع ويضيق حسب الأحوال السياسية التي كانت تعيشها البلاد خلال القرون الإسلامية المبكرة . وقد تعرض لهذا الإقليم العديد من المصادر المبكرة فذكرت موقعه ، وطبيعة أرضه وما بها من خيرات وكذلـــك سكانه وأنسابهم . وللمزيد من التفصيلات عن بلاد جرش ، انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦ ، البكري ، معجم ما استعجم ، مج١، جــ١، ص٣٧٦ ، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي ، كتاب البلدان ، تحقيق أم . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل، ١٩٨١م) ص ٣١٤ ــ ٣٢٠ ، غيثان بن علي بن جريس " تاريخ مخلاف جـــرش خلال القرون الإسلامية الأولى " مجلة العصور . مج ٩ ، جــ١ (١٤١٤هــ/ ١٩٩٤م) ، ص ٦٣ ومابعدها .

٤٣ ــ لـــلمزيد من المعلومات عن ما قام به صرد بن عبد الله الأزدي وأصحابه من المسلمين في محاربة من بقي على الوثنية في بلاد جرش ، وخاصة بعدما أمرهم الرسول (ﷺ) بالرجوع إلى أوطـــانهم لمحاربـــة المشركين هناك . انظر: ابن هشام ، السيرة ، جــ٤ ، ص٢٣٣ ــ ٢٣٤ ، ابـــن سعد ، الطبقات ، جــ١ ، ص ٣٣٧ ــ ٣٣٨ ، ابن القيم ، زاد المعاد ، جــ٣ ، ص ٦٢٠ ــ ٦٢١ ، الطبري ، تاريخ ، جــ٣ ، ص ١٣٠ ــ ١٣١ .

٤٤ ــ انظــر ، ابــن ســعد ، الجزء المطبوع في بلدة أكبر آباد بالهند ، ص ١٠١ ، ابن سعد ، الطــبقات ، جـــ١ ، ص٣٣٨ ، ابن هشام ، السيرة ، جـ٤ ، ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ ، محمد حميد الله . مجموعة الوثائق ، ص٢٨٩ ــ ٢٩٠ .

٤٥ ــ المدعــون للنــبوة أمــثال مسيلمة الكذاب في بني حنيفة ببلاد نجد ، وطليحة بن خويلد الأســدي في قومه من قبائل بني أسد ، والأسود العنسي في بعض القبائل باليمن والأجزاء التهامية والسروية الواقعة بين صنعاء ومكة المكرمة .

٤٦ ــ الأسود العنسي رجل من عنس أحد قبائل قحطان ، كان كاهناً تنبأ قبيل وفاة الرســول (ﷺ) ، وتابعه على أمره أقوام عديدة من عرب اليمن وبعض أجزاء بلاد تهامة والسراة ، فخــرب ودمــر ، وعاث في الأرض فساداً ، حتى هيأ الله له بعض الموالي والعرب ببلاد الــيمن فتآمروا على قتله ونجحوا في ذلك . للمزيد من التفصيلات عن حركته وفجوره ، انظــر : الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص٢٣٠ وما بعدها ؛ عبد الوهاب النجار . الخلفاء الراشدون (بيروت : دار الفكر ، د.ت) ص ٤٦ ــ ٥٦ .

٤٧ ــ كان من عمال الرسول (ﷺ) في بلاد اليمن وتهامة والسراة ، عمرو بن حزم على نجران ، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران ورمع وزبيد ، وكانت إمارته تمتد شمالاً على ديــار قحطــان وبلاد جرش ، وعسير حتى بيشة ، وكان الطاهر بن أبي هاله على عك والأشعريين في بعض النواحي التهامية .

٤٨ ــ انظر : الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص٢٣٢ ، ٣٢٢ ، عبد الرحمن بن خلدون . تاريخ بن خلدون ، تحقيق خليل شحادة وآخرين (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠١هــ /١٩٨١م) جـ٢ ، ص ٤٩٣ .

٤٩ ــ دون شك أن فاجعة موت الرسول (ﷺ) كانت كارثة عظيمــة ، وخاصــة عند صحابته (رضــوان الله عــليهم) ، فقد عرفنا ما أصاب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي لم يصــدق خــبر الوفاة ، والذي يروى عنه أنه قال : والله لو قال أحد إن محمداً قد مات لقطعــت رأســه بسيفي هذا ، وهذه العبارة لا يقولها إلا شخص لم يصدق بالخبر ، وربما الصــدمة العــنيفة في قلب عمر جعلته يقول هذه المقولة ، علماً أنه من العشرة المبشرين

بالجنة ، ومن العارفين العالمين بسنن الله ، وأن الموت لا يترك صغيراً ولا كبيراً إلاّ داهمه . وتتجلى شخصية الخليفة أبي بكر الصديق في القول الذي قال لعمر وغيره من المسلمين ، عندما تأكد من موت الرسول (ﷺ) فقال : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وهنا عاد عمر إلى وعيه ، وخفت الصدمة على نفسه بعد سماع ما قال أبو بكر الصديق، وصبر المسلمون على تلك المصيبة العظيمة.

٥٠ ـ كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) حريصاً على تنفيذ جميع تعاليم الرسول (ﷺ) وبعد توليه للخلافة ، رأى أن جميع السرايا والغزوات التي كانت قد جهزت في حياة الرسول ، أو كان قد أمر بعقد لوائها أو أرسلها ، لا بد أن تنفذ مهما بلغ الأمر ، ومن أعظم الأمثلة انفاذه جيش أسامة بن زيد بن حارثة إلى بلاد الشام ، وخاصة في الظروف العصيبة التي كانت تمر بها المدينة أثناء ارتداد القبائل العربية في أطراف عديدة من شبه الجزيرة العربية ، ومع هذا فلم ينقضه ، ولم يفكر في ذلك ، وإنما قال بعد ما عرض عليه بعض الصحابة رأي تأجيل ذلك الجيش ، (والله لا أحل لواء عقده رسول الله ـ ﷺ) .

٥١ ـ الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص٣٢٢ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٤٩٣ .

٥٢ ـ وللمزيد من التفصيل عن حركة المرتدين في شبه الجزيرة العربية ، وما قاموا به من خراب وفساد في الديار ، وكيف كانت عاقبتهم ، انظر: الطبري ، تاريخ ، جـ٣، ص ٢٢٣ ـ ٣٤٢ ؛ عبد الوهاب النجار ، الخلفاء الراشدون ، ص٤٥ ـ ٦١ .

٥٣ ـ لتفصيلات أكثر عن شخصية عمرو بن معدي كرب منذ العصر الجاهلي حتى إسلامه ثم ارتداده ثم إسلامه ومساهماته في الفتوحات الإسلامية ببلاد الشام وفارس ، انظر: الطبري، تاريخ ،جـ٢ ، ص٢٣٠ ـ ٢٣١ ، ابن هشام، السيرة ، جـ٤ ، ص٢٣٠ ـ ٢٣١ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ١ ، ص ٣٢٨ ، محمد بن عبدالله بن قتيبة. الشعر والشعراء (بيروت : دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م) ص٢٤٠ ـ ٢٤٢ ، علي بن الحسين المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت : دار الأندلس، ١٤٠٣هـ ـ /١٩٨٣م) جـ٣ ، ص٢٣٥ ، أحمد بن يحيى البلاذري . فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م)

ص ١٢٦ ، أحمـــد بن محمد بن عبدربه . العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة وآخرين (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) جـ١ ، ص١٢٤ ، ٣١٨ ـ ٣١٩ .

٥٤ ـ انظر الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص٢٣٠ ـ ٢٣٢ .

٥٥ ـ انظر الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص ٣٢١ ـ ٣٣٢ .

٥٦ ـ لمزيد من التفصيل عن حركات المرتدين في الأجزاء المختلفة من شبه الجزيرة العربية انظر: الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ٢٢٣ ـ ٣٤٢ ، النجار ، الخلفاء ، ص٤٥ ـ ٦١ .

٥٧ ـ انظر ، الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص٣١٩ ـ ٣٢٠ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ٢، ص٤٩١ .

٥٨ ـ الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص٣٢٠ ـ ٣٢٢ ، ٣٢٨ . وبعد هزيمة حميضة البارقي ومن كان معه ، قال أحد الشعراء :

فضضنا جمعهم والنقع كابـ ... وقد تعدى على الغدر الفتوق

ابرق بارق لما التقينـــــــــــا ... فعادت خلبا تلك الـــــبروق

انظر : الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص٣٢٠ .

٥٩ ـ الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص ٢٢٣ ـ ٣٤٢ ، النجار ، الخلفاء ، ص٤٥ ـ ٦١ .

الدراسة الثانية :

دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام(*)

إعداد

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية

كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية

جامعة الملك خالد

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(*) قدمت هذه الدراسة في محاضرة على مسرح كلية التربية / فرع جامعة الملك سعود بأبهـا ، ضـمن أنشطة الجامعة خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعـي ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ، وذلك يوم الأثنين الموافق ١٩/١٠/١٤١٥هـ .

محتويات الدراسة الثانية :

دور أهل تهامة والسراة
في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة
في صدر الإسلام

دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام

أولاً : تمهيــد :

كـــان المجـــتمع العربي قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، يعاني من الفرقة والـــتمزق بسبب الصراعات القبلية ، الأمر الذي أدى إلى انعدام الأمن في أوساطه ، فحـــلت الفوضى محل النظام ، والخوف محل الأطمئنان ، وبقي الأمر على هذا الحال ، حـــتى جـــاء الرسول ، عليه السلام ، وبدأ يدعو الناس لعبادة الواحد القهار ، ونبذ الشـــرك والأوثـــان ، وترك الرذائل والتحلي بالفضائل . كل هذا جعل أهل مكة ، وخاصة القرشيين منهم ، يحاربونه بكل ما أوتوا من قوة ، ولكن صبره ، عليه السلام ، وقـــوة إيمانه جعلته يتغلب عليهم ، وازداد دخول الناس في الدين الجديد عن قناعة و إيمان . وكما رأى ، الرسول (ﷺ) ، استحالة استمرار الدعوة في مكة المكرمة ، هاجر إلى المديـــنة المنورة ، وأقام فيها مسجده الشريف ، ومنها أخذ يعد الغزوات والسرايا لتوسيع رقعة دولته ، ونشر الإسلام ، وعقد التحالف مع القبائل المجاورة ضد مشركي مكة ومن تبعهم . وتمكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعمله المتواصل من فتح مكة المكـــرمة في الســـنة الثامنة للهجرة ، واتخذ من المدينة المنورة مقراً له ، وأخذ الناس يدخـــلون في ديـــن الله زرافات ووحدانا ، وتتابعت الوفود على المدينة المنورة معلنة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) إسلامها [1] .

وبعـــد فـــإن البحث يقتصر على دراسة المنطقة الواقع إلى الجنوب من مكة المكرمة والطائف ، والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى مثل : صنعاء وصعده وغيرها ، وقـــد أطلقنا عليها اسم (تهامة والسراة) [2] ، ونظراً لكثافتها السكانية ، فقد شاركت

مشاركة فعالة في الأحداث الجسام التي حدثت للدولة الإسلامية ، منذ ظهور الدعوة إلى تكوين الدولة ، إلى حروب الردة [٣] ، إلى فتح العراق وفارس والشام . وقد حباها الله بتضاريس متنوعة ، فهناك الجبال الشاهقة ، والوهاد العميقة ، والهضاب المتتابعة ، والأمطار الموسمية التي تصب على المنطقة كأفواه القرب ، فتسيل الأنهار ، وربما أدى الأمر إلى فيضان – خاصة – في المناطق الجبلية العالية المتصلة بالوهاد المنخفضة ، مما دعا سكان الجبال إلى حفر الآبار وبناء السدود ، والاهتمام بالزراعة على مختلف أنواعها إلى جانب الرعي ليكون لديهم اكتفاء ذاتي في معاشهم لصعوبة مسالك جبالهم ، مما أدى إلى صعوبة الاختلاط . ومن هنا كان حظ بلاد تهامة والسراة في الكتابات – وخاصة – التاريخية نادراً ، رغم موقعها الجغرافي الهام حيث تقع بالقرب من مكة المكرمة والمدينة المنورة اللتين تعدان من أهم حواضر الحجاز ، وتتصل بالحواضر الكبرى لليمن ، هذا الموقع أكسبها أهمية تجارية ودينية ، أما التجارية فتعود إلى قربها من البيت العتيق وما له من أهمية عبر العصور [٤] . لذا كانت مكة المكرمة مركز اهتمام سكان المنطقة يرصدون ما يدور فيها فتراهم أول من هب لنجدة الإسلام ، بوفودهم على الرسول الكريم (ﷺ) معلنين إسلامهم وإسلام قبائلهم، وهم أول من شارك بأعداد غفيرة في حروب الردة ، وفي الفتوحات الإسلامية الكبرى. ورغم هذا ، لم ينالوا حظهم في التاريخ مثلما نال غيرهم من سكان المناطق الأخرى التي لم تزد مشاركتهم عنهم ، ولعل هذا راجع إلى ما ذكر آنفاً من صعوبة التضاريس ، ووعورة المسالك ، مما جعل الطارقين لها من أرباب الأقلام قليلين .

لذا رأينا من الواجب علينا أن نسهم – بما استطعنا – في إبراز شخصيتها التاريخية ، وما قامت به من أدوار عبر الحوادث التي حدثت في الجزيرة ، وفاء منا لها بإعطائها حقها ، وعدم غبنها – خاصة من أبنائها الذين وجب عليهم أن يقوموا

بدراسة المنطقة من جميع الجوانب السياسية والعسكرية والحضارية ، لزاماً منهم في بيان دورها في المسار التاريخي للدولة الإسلامية • وما هذا البحث إلا لبنة بناء في الصرح التاريخي للمنطقة ، راجين من الله السداد •

لهـذا كان أهل تهامة والسراة من الأوائل الذين دخلوا في الإسلام ، وحسن إسلامهم ، وبعد عودتهم لأوطانهم أخذوا يمارسون الإسلام فيها ، ويعملون في المحافظة عـليه والولاء له تحت راية الرسول (ﷺ) في المدينة المنورة • وعندما حدثت الردة ، كان معظمهم قد بقي على إسلامه ، باستثناء أفراد من قبائل الأزد ، ومذحج ، وبارق، وخـثعم ، ودوس ، وبجيـلة ، الذيـن أرتدوا عن الإسلام ، عند موت الرسول عليه السلام ، لكن معظمهم أعلنوا ولاءهم للخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، بل وانضموا إلى الجيوش التي أرسلها لمحاربة المرتدين في بلاد تهامة والسراة ، وفي حواضر اليمن الكبرى وما حولها [٥] • وعندما انتهى أبو بكر من حروب الردة في الجزيرة ، بدأ عـلى الفـور يستنفر المسلمين ويعد العدة لتجهيز الجيوش لنشر الإسلام في المناطق المجـاورة لهـا من بلاد الشام والعراق وفارس ، حيث كانت الأولى تحت حكم الروم والأخرى تحت حكم الفرس •

ثانياً : دور أهل تهامة والسراة في جبهات الفتوح الإسلامية المبكرة :

لـبىّ السرويون والتهاميون من ضمن من إستجاب من المسلمين للانخراط في جيوش الإسلام المجاهدة ، ولكثرتهم كان عددهم بارزاً في الحملات التي خرجت لمقاتلة الفرس والروم على حد سواء ، وخاصة في أمهات المعارك ، معركة القادسية ، ومعركة اليرمـوك • وسـيدور البحث حول ثلاثة محاور (أ) دورهم في الجبهة الشاميـة (ب) دورهـم في الجـبهة الفارسـية (جـ) دورهم في التنظيم العسكري والقيادات العسكرية •

أ- دورهم في الجبهة الشامية :

بعد استقرار الأوضاع في الجزيرة العربية بانتهاء حرب الردة ، أصبحت البلاد جميعهـا تدين بالولاء والطاعة للخليفة أبي بكر ، الذي أعلن النفير العام للجهاد متبعاً سياسـة الرسول (ﷺ) الحربية في استشارة كبار الصحابة على ما عزم عليه من حرب للبلاد الشامية(٦) ، ثم قال لهم "...**اعلموا – يقصد الصحابة – أن رسول الله (ﷺ) كان عـول أن يصـرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه ، واختار له ما لديه ، ألا وأني عازم أن أوجـه أبطـال المسلمين إلى الشام بأهلهم ومالهم فرسول الله (ﷺ) أنبأني بذلك قبل موتـه** "(٧) . ونستشـف مـن هذا القول أن الصديق كان حريصاً على تنفيذ رغبة الرسول عليه السلام ، وهو الذي كان يقتضي أثره ويقتدي به وبعمله ، ولهذا أفصح لصـحابته عمـا يجول في خاطره ، فقد وافقوه على ذلك من غير شك لأنهم كلهم ، رضوان الله عليهم ، كانوا يمثل حرص أبي بكر .

وعـلى أثر ما قال الخليفة في تبيان ما هو عازم عليه أرسل جيشاً تجاه الشام بقيـادة خـالد بن سعيد بن العاصي وأمره بالإقامة في تيماء(٨) ، حتى يأتيه أمره ، ثم استنفر الناس يحثهم على الجهاد(٩) . ويشير البلاذري والواقدي إلى أن الخليفة انتدب أهـل المدينة من الأنصار والمهاجرين لجهاد الروم ، ولكن بعد أن أدرك قلتهم وكثرة جحـافل الروم قرر استنفار القبائل العربية ، وبخاصة من كان يسكن في بلاد السراة وحواضـر الـيمن الكبرى(١٠) . ويعزز الأزدي قول البلاذري والواقدي في استنفار الخليفة أهل تهامة والسراة ، وبلاد اليمن بشكل عام ، حيث أرسل لهم كتاباً مع أنس ابـن مـالك قـال فيه " ... **أما بعد ، فإن الله كتب على المؤمنين الجهاد ، وأمرهم أن يـنفروا خفافـاً وثقـالاً ، وقـال: جـاهدوا بـأموالكم وأنفسـكم في سبيل الله ، فالجهاد فريضـة مفروضـة ، وثوابه عند الله عظيم ، وقـد استنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى جهـاد الـروم بالشـام ، وقـد سـارعوا إلى ذلـك ، وعسكروا وخرجوا ، وحسنت في ذلك**

نيتهم ، وعظمت في الخير حسبتهم ، فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم ، وإلى إحدى الحسـنيين إما الشهادة ، وإما الفتح والغنيمة ، فإن الله لم يرض من عباده بالقول دون العمـل ، ولا يـترك أهل عدواته حتى يدينوا بالحق ، ويقروا بحكم الكتاب ، أو يؤدوا الجـزية ، عـن يـد وهـم صاغرون ، حفـظ الله لكـم ديـنكم ، وهدى قلوبكم ، وزكى أعمالكم ، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين ، والسلام عليكم " [١١] .

وكتاب الخليفة أبي بكر لم يكن مرسلاً إلى قبيلة أو عشيرة بعينها ، وإنما أرسله إلى كـــل القبائل والعشائر التي تقطن البلاد الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة والطائف والممتدة إلى مدن اليمن الكبرى ، كصنعاء ، وصعدة وغيرهما ، وقد أكد ذلك رسول الخليفة ، أنس بن مالك ، حيث وصف لنا رحلته إلى تلك البلاد ، فقال : " **لقد أتيت أهـلها جـناحاً جـناحاً ، وقبيـلة قبيـلة ، أقـرأ عـليهم كتاب أبي بكر ، وإذا فرغت من قـراءته قـلت ، الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله – ثم يقـول – بسـم الله الـرحمن الـرحيم • أمـا بعـد : فإني رسول خليفة رسول الله (ﷺ) ورسـول المسـلمين إليكم ، ألا وإني قد تركتهم معسكرين ، ليس يمنعهم من الشخوص إلى عدوهـم إلا انتظاركم ، فعجلوا إلى إخوانكم ، رحمة الله عليكم أيها المسلمون** [١٢] " فلم يكن رد السامعين لما قرأه وقاله إلا أن قالوا : "**نحن سائرون**"[١٣] .

وبـــدأت بعـــض القـــبائل والعشائر السروية تغادر بلادها في شبه مواكب عسكرية، مرتبة على شكل كتائب ، الكتيبة تلو الأخرى ، وليس بعيد أن لكل كتيبة رايـــتها ترمـــز بها إلى قبيلتها قدمت – وهي تحملها– على الخليفة الصديق في المدينة المنورة ، وما أن سمع سكان المدينة بقدومهم ، حتى خرجوا بزينتهم احتفاء بهم وتكريماً لقدومهـــم ، ويـــبدو أن لهم مكانة خاصة في نفوس أهل المدينة أو علاقة مميزة ، لأن الاســـتقبال بمثل هذا الحال لا يكون إلا لمن له مكان عند أهل المدينة ، وكان من بين تـــلك العشـــائر والقبائل القادمة ، قبائل حمير التي كان على رأسها يتقدم مواكبها ذو الكـــلاع الحميري ، ثم تلتها كتائب من عشائر مذحج تحت زعامة قيس بن هبيرة بن

مكشـــوح المرادي ، ثم تلتها كتائب من أزد السراة [١٤]، ولعل هذا التمييز ناتج من شهرة رؤسائهم ومعرفة الناس لهم، أو من رايات خاصة بكل قبيلة أو من الاثنين معاً •

وبعـــد اســتكمال وفود المجاهدين إلى المدينة ، عيّن الخليفة عليهم عدداً من القـــادة، أمثال ، يزيد بن أبي سفيان ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، وعمـــرو بـــن العاص ، وهذه الجيوش الأربعة توجهت إلى بلاد الشام ، ووقعت عدة معـــارك بينها وبين الروم ، أسفرت عن عدم قدرتها وحدها في مواجهة الروم ، مما دعا الخـــليفة إلى أن يطلب من القائد خالد بن الوليد ، أن يتوجه من عين التمر في العراق إلى الشام لمساعدة إخوانه هناك ، وتم له ما أراد [١٥]•ويبدو أن السرويين كانوا كثيري العـــدد في معـــركة اليرموك أو غيرها من المعارك الشامية ، وفي هذا الصدد ، يذكر الأزدي أن الخـــثعميين توجهـــوا إلى بلاد الشام وعلى رأسهم عبد الله بن ذي السهم الخـــثعمي وكان عددهم نحو ألف مجاهد[١٦] ، وهم رديف لجيش يزيد بن أبي سفيان الذاهـــب إلى دمشـــق والذي توفي فيها ، وتولى القيادة من بعده أخوه معاوية بن أبي ســـفيان لأنـــه كان مساعداً له في حملته • كما زود الخليفة جيش المسلمين بعدد من المجاهدين الأبطال من قبائل همدان ، ومراد وأزد شنؤة ، ومعهم عدد من قبائل أخرى لا تقطـــن الســـراة ، وبلغ عددهم جميعاً ما بين ألف إلى ثلاثة آلاف مجاهد تحت قيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الذين انضووا تحت لواء أبي عبيدة بن الجراح الذي توجه بجيشه صوب حمص [١٧]•ويبدو أن هذه الجحافل كانت تتوافد تباعاً قبل وقوع المعركة الكـــبرى (معركة اليرموك) ، وإذا كان الأمر كذلك ، فمعنى هذا أنها وصلت قبل أن يتوجه خالد إلى الجبهة الشامية قادماً من العراق •

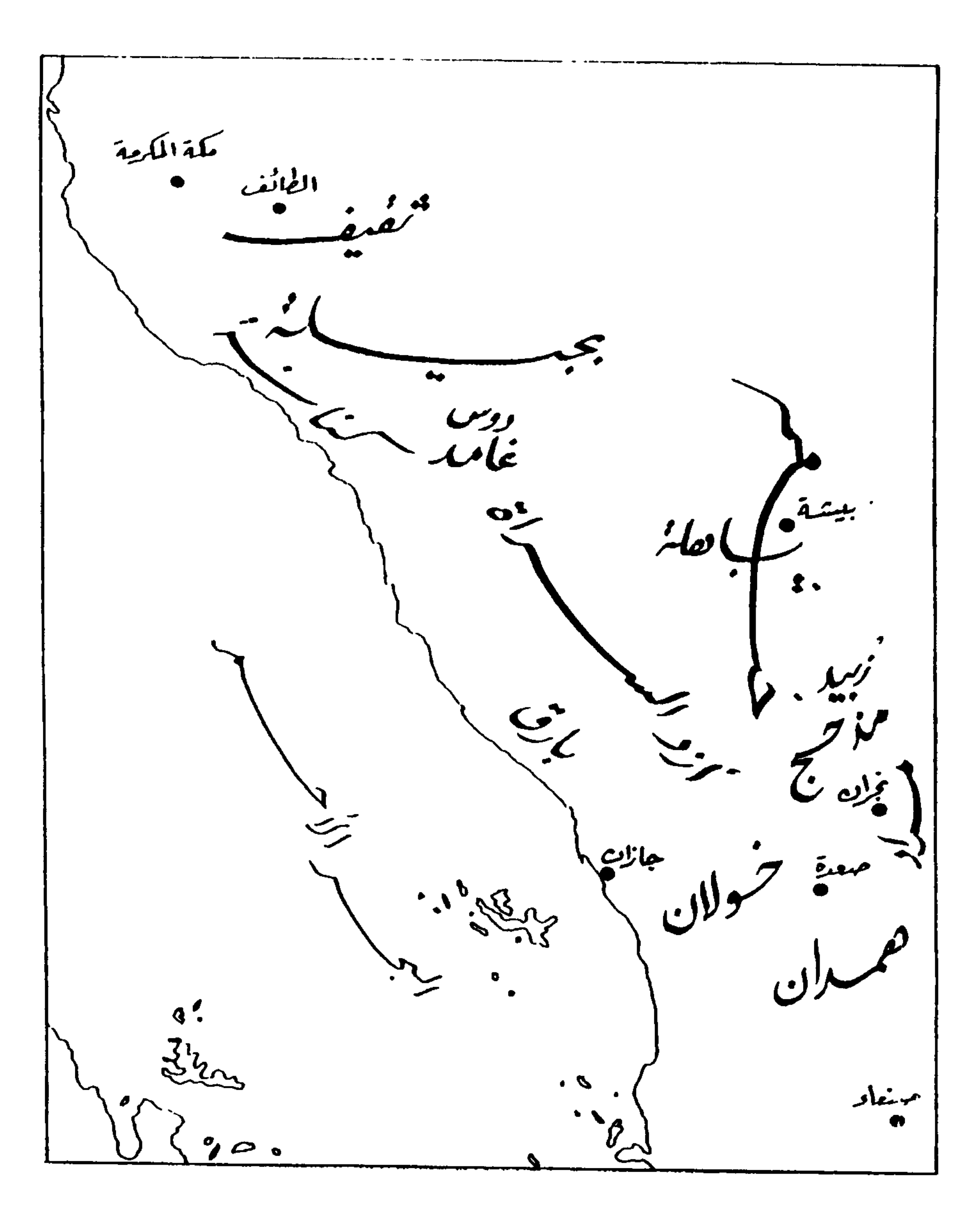
ومهمـــا يكن من أمر فإن الواقدي يذكر عدداً من جموع السراة من مذحج ، والأزد ، والـــنخع ومن أهل مكة المكرمة بما يساوي تسعة آلاف رجل[١٨]، وكان من

بيــنهم عمــرو بن معدي كرب الزبيدي ، وكلنا نعرف ما لهذه الشخصية من أثر في المعــارك ، لأنهــا شخصــية حربية بارعة في تخطيطها وأسلوب قتالها وصبرها علــى القتــال (١٩) . ويبدو أن وصول هذا المدد الذي كان فيه الزبيدي كان في النصف الأخير للمعركة (٢٠) . وعن حجم الإمدادات يشير الأزدي إلى أن عددهم بلغ ما بين الألف والألفين (٢١) .

والقضية هنا ليست في العدد ، أو الإمدادات ، وإنما بتفرد قادة من السراة – على الخصوص – بقيادة أهم قسم من أقسام الجيش ، فهاهو قيس بن هبيرة كان على رأس فرقة الخيالة في معركة اليرموك يتلقى أوامره من القائد العام للمعركة ، خالد بن الوليــد ، وعمــرو بــن الطفيل بن عمر ذي النور الدوسي كان على فرقة أخرى ، وجــندب بــن عمــرو بــن حممة الدوسي على فرقة ثالثة ، معظم فرسانها من قبائل الســـراة (٢٢) .

وإن دل هــذا على شيء فإنما يدل على إتقانهم فن الفروسية هم وذويهم من أهل السراة ، وعلى معرفتهم بالخيول والعمل على تربيتها وإتقان ركوبها ، ومن المعلوم أن فرق الخيالة كانت من أهم الفرق في الجيش ، لأنها تعد السلاح الحاسم في المعركة إذا ما استقامت لها الأمور ، لأن سهولة حركتها وكثرة غاراتها على الأعداء تعمل على تبديد قواهم ، وبالتالي تساهم مساهمة كبيرة في إنهاء المعركة لصالحها .

ويروي ابن أعثم أن عدداً من السرويين كان في القلب والميمنة ، وقسم منهم مــع الــرماة ، وغالبيتهم كانوا فرساناً (٢٣) .وفي ظني أن وجودهم في القلب – على الخصــوص – يــدل عــلى شجاعتهم ، وحسن إتقانهم لفنون القتال ، لأنه جرى في الترتيب للقتال أن يختار جماعة من الشجعان الكماة الذين يمتازون بحسن القتال والصبر عــليه بــأن يكونــوا في القلب لما له من أهمية في الميدان حيث يوجد فيه القائد العام للمعركة الذي ينظم الصفوف ، ويستبدل الخطط ليضمن النصر ، فلابد من حمايته .



أهم القبائل العربية ببلاد تهامة والسراة في صدر الإسلام

مــن هنا كان اختيارهم مقصوداً ، ومهما يكن من أمر فإنه يوجد أكثر من دلالة تدل عــلى حســن قيادهم وإتقاهم لفنون القتال ، فتراهم في الميسرة ، وفي الميمنة ، وفي القلب، ومع الرماة .

كمــا نرى تعيين قادة منهم أكثر من مرة ، وفي أكثر من معركة ، فها هو قيــس بــن هبيرة المرادي يعين على جند الميسرة وكان من بينهم عشائر من خولان ، ومذحج، وخثعم ، والأزد ، وهمدان (٢٤) . وفي رواية أخرى تشير إلى تعيينه على جند الميمنة في اليرموك ، وكان منهم عشائر زبيد ، ومعهم زعيمهم عمرو بن معدي كرب الــزبيدي (٢٥) ، ويبدو عدم تعيين عمرو كقائد لميمنة الجيش يعود إلى نسيان نفسه إذا مــا حمي الوطيس ، وهذا النسيان قد يؤدي بالجند إلى الهلاك ، لأن قعقة السيوف تثير الحميه في نفسه ، لكنه مخطط بارع من الدرجة الأولى ، وهذا ما دفع الخليفة عمر أن يطلب من قائد معركة القادسية سعد بن أبي وقاص أن يستشيره في تخطيط المعارك دون تعيينه كقائد عام للسبب المذكور آنفاً (٢٦) .

ويــبدو أن السرويين خاصة والمسلمين عامة ، أبلوا بلاء حسناً في حرهم ضــد الــروم ، وثبــتوا لهم ثبوت الرواسي ، وقد برز في هذه المعارك قيس بن هبيرة المرادي ، وعمرو بن الطفيل الدوسي ، وجندب بن عمرو بن حممة الدوسي ، وعمرو ابــن معدي كرب الزبيدي ، الذي روي عنه أنه كان يستثير همم المجاهدين ، وبخاصة الــزبيديون من قومه ، والخثعميين ، والدوسيين وغيرهم ، فيحثهم على الأقدام على محاربة الروم ، ويحذرهم من الفرار والجبن من الأعداء ، فيقول لهم : "... **أتفـرون من الأعــداء ، أتــرمون أنفسكم بالعـار والذلة والشنار؟ ... أما علمتم أن الله يطلع على المجاهدين الصـابرين ، فإذا نظر إليهم قد لزموا الصبر في مرضاته ، وثبتوا لقضائه أمدهـم بنصـره وأيدهـم به**" (٢٧) . وعندما سمع المجاهدون قوله التفوا حوله ، وانضم إلى جانــبه قــبائل أخرى من الأزد ، وحمير ، وخولان وغيرها ، وأبلوا بلاءً حسناً في

حربهم مع الروم ، وثبتوا لهم في الميدان ، حتى قيل إنه استشهد من هذه القبائل أكثر مما استشهد من القبائل الأخرى .

وبصدد مساهمة بعض قبائل أهل تهامة والسراة في معركة اليرموك ، يقول الأزدي : " ... **وفيها الأزد وهم ثلث الناس ، وفيها حمير وهم أعظم الناس ، وفيها همدان ، وخولان ، ومذحج ، وخثعم ....**"[(٢٨)] .

وبعد ، فإن الإشارات السابقة تعكس مدى مشاركة أهل تهامة والسراة ، لكن – مع الأسف– لم تذكر مجموع المشاركين ، ولم تذكر عدد الأفراد المشاركة في كل الإمدادات التي أرسلت إلى جبهات القتال في بلاد الشام – خاصة – في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، حيث كانوا يخرجون من ديارهم يفدون على الخليفة بما يحتاجون من الإمدادات العسكرية وينطلقون نحو الشام ، بعد تعيين قادة عليهم ، واستمر هذا المدد يأتي من تهامة والسراة ماراً بالمدينة المنورة متجهاً نحو الشام لتأدية فريضة الجهاد إلى أن دخلت الشام في الإسلام .

ب- دورهم في الجبهة الفارسية :

وبعد الانتهاء من حروب الردة ، طلب الخليفة أبو بكر من خالد بن الوليد أن يذهب بمن معه من الجند إلى المثنيّ بن حارثة الشيباني الذي كان يقاتل الجيوش الفارسية في جنوب العراق ، وجاءت هذه النجدة ، بناء على طلب المثنيّ ، وبعد وصول خالد واشتراكه مع المثنيّ في جبهة قتال واحدة ، وصلت إلى الخليفة أبي بكر أنباء من بلاد الشام تطلب النجدة ، بسبب ما أحاط بالمسلمين من أهوال ومصاعب ، فما كان من الخليفة أبي بكر ، إلا أن طلب من خالد بن الوليد بأن يترك المثني ويتوجه إلى بلاد الشام لشد أزر الجيوش الإسلامية هناك .

بقي المثنيّ بن حارثة وحده في الميدان ، وأدرك أنه في حاجة إلى مدد عسكري يعـــوض بـــه جيـــش خالد ، فأرسل إلى الخليفة أبي بكر يطلب منه العون ، فأرسل له الخـــليفة عدداً من المجاهدين بقيادة أبي عبيدة بن مسعود الثقفي ، الذي قتل في معركة الجســـر في شـــهر شعبان من العام الثالث عشر للهجرة ، وكان من نتائج المعركة ، اندحـــار المسلمين أمام قوات الفرس (٢٩)٠وفي هذه الفترة الزمنية ، حدثت حوادث جســـام للمسلمين منها السيء ومنها الحسن ، ففيها انتقل إلى الرفيق الأعلى الخليفة الراشد أبو بكر الصديق وتسلم الخليفة عمر بن الخطاب زمام الأمور من بعده ، وفيها اندحرت القوات الإسلامية أمام جيوش الفرس ، ولكنها انتصرت على قوات الروم في معـــركة اليرموك ، وأخذت تطارد فلولهم ، الأمر الذي طمئن الخليفة عمر على حال المســـلمين في الجـــبهة الشـــامية ، وتفرغ إلى الجبهة الفارسية ، فأعلن النفير ، وأخذ يســـتحث الناس على الجهاد فلبىّ الدعوة عدد كبير من أبناء الجزيرة ، وخاصة أبناء تهامـــة والســـراة ، وأبناء الحواضر في اليمن ، وكان في مقدمة الإمدادات العسكرية القادمـــة من السراة البجليون وعلى رأسهم زعيمهم جرير بن عبد الله البجلي الذي استقبله الخليفة عمر عند وصوله إلى المدينة المنورة ٠ واختلفت الروايات فيما دار بين الاثـــنين ، وقـــد رأيـــنا ذكـــرها لاطلاع القارئ عليها قصد التعرف على مضامينها وأولويات هذه المضامين ، وأخذ ما هو الأرجح من هذه الروايات بعد قياسها بواقعها ٠ والرواية الأولى تورد ما دار بين القائد البجلي وبين الخليفة عمر ، حيث قال الخليفة :

"ويحـك يـا جريـر ! إنا قد أصبنا بالمسلمين مصيبة عظيمة – يقصد معركة الجسر – والمثني بن حارثه في وجه العدو ... فسر نحو العراق فعسى الله عز وجل أن يدفع شر هؤلاء الأعاجم ، وتخمد بك جمرتهم..."(٣٠) ٠

أمـــا الرواية الثانية ، يذكر أن جريرا أراد أن يجمع شتات قومه الموزعين بين القبائل ليجعلهم في جمع واحد(٣١) ، فطلب من الخليفة أبي بكر ما أراد ، لكن الخليفة

كـــان مشغولاً بحرب الردة ، وبإرسال الجيوش إلى الجبهتين الشامية والفارسية ، فلم يـــلب طلبه ، وأفصح عن ذلك بقوله : "**تـــرى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بأزايهم الأسدين فارس والروم ، ثم أنت تكلفني التشاغل بما لا يغني عما هو أرض لله ولرسـوله ، دعـني وسـر نحـو خـالد بـن الوليـد حـتى انظـر ما يحكم الله في هذين الوجهـــين**"(٣٢) . نستشف من هذا القول أن لأبي بكر الصديق أولويات في الأمور، فهو الآن في أمر أهم مما طلبه جرير البجلي ، لكن جريرا ربما كان يرى رؤية أخرى ، وهي أن يكون على رأس قومه في القتال ، وهذا مما يؤدي إلى زيادة الالتحام بينه وبينهم إلى جـــانب معرفتهم بأساليب قتاله ، وأن أية سلبية من سلبيات القتال تنعكس بوضوح عـــليه وعلى قومه . ولكن طلبه ربما جاء في ظروف صعبة للغاية ، الأمر الذي تعذر على أبي بكر تحقيقه (٣٣) . وهناك تضارب في الأقوال ، البعض يقول أن جرير بن عبد الله البجلي سار على رأس جيش من عشائر وقبائل مختلفة إلى أن وصل معسكر خالد قـــبل ذهاب خالد بن الوليد إلى الشام ، بل ويذكر أن وصوله إلى بلاد الفرس كان في أيـــام الخليفة عمر بن الخطاب ، ثم أن الطلب الذي طلبه جرير من أبي بكر ، لم يحدث بـــل حـــدث في عهد الخليفة عمر ، وأن الخليفة عمر قد لبىّ الطلب ، لما رأى فيه من فائدة تبرز تلاحم البجليين ومهارتهم في القتال ، فأمر الخليفة بإخراج عشائر بجلية من القبائل الأخرى، فجاءته قيس كبة ، وسحمة ، وعرينة وهؤلاء رهط جرير بن عبد الله البجلي، من قبائل عامر بن صعصة ، وعدد آخر من أفخاذ بجيلة كانوا في عشائر عربية أخـــرى(٣٤)، فلما اكتملت عدتهم سيرهم الخليفة عمر بقيادة جرير إلى العراق سنـــة ١٣هــــــ، في الفـــترة مـــا بين قيام المعركتين البويب والقادسية،وكان معهم نساؤهم وأطفـــالهم، فقد بلغ عدد النساء ألف امرأة(٣٥)، ولا ندري لم هذا الرحيل الجماعي إلى الجبهة الشرقية(جبهة الفرس)إلا إذا كان القصد من ذلك الاستقرار هناك لمتابعة المعارك المتتالية بوجودهم الدائم ومعهم نساؤهم وذراريهم قصد اطمئنانهم واستقرارهم .

ويـــبدو من بعض الروايات التاريخية أن رغبة قبائل بجيلة الذهاب والبقاء في بلاد الشام ، لكن الخليفة عمر لم يحقق رغبتهم ، مبيناً لشيوخهم بأن الشام أصبحت في مـــأمن مـــن الـــروم ، وأن عليهم التوجه إلى بلاد فارس ، حيث إنها ما زالت محفوفة بالمخاطر ، وعرض عليهم أن يأخذوا ربع ما يغلبون عليه من الأراضي(٣٦) ، وفي رواية للـــبلاذري أن الخليفة عمر قال لزعيم بجيلة ، جرير بن عبد الله : "**هـل لك في العراق وأنفلك الثلث بعد الخمس**..."(٣٧) ، ويذكر الطبري أن الخليفة نفلهم ربع خمس ما أفاء الله عليهم في غزواتهم فذهبوا إلى العراق ، واستقروا فيه(٣٨) .

ويبدو قبل ذهاب البجليين للعراق ، التقى رؤساء عشائرهم مع الخليفة عمر يـــتقدمهم زعيمهم جرير بن عبد الله البجلي ، وعرفجة بن هرثمة البارقي (٣٩). وعند استقبال الخليفة لهم ، ولى عليهم عرفجة وقال لهم : "**اسمعوا لهذا ، فلم يكن البجليون يرضـون بولايـة عـرفجة ، وقالوا للخليفة : إعفنا من عرفجة : فقال : لا أعفيكم من أقدمكـم هجـره وإسلاماً ، وأعظمكـم بـلاء وإحساناً ، قالوا استعمل علينا رجلاً منا ولا تستعمل علينـا نـزيعاً فينـا ، فظـن عمـر أنهـم ينفونه من نسبه ، فقال : انظروا ما تقولـون ، قـالوا : نقول ما تسمع ، فأرسل إلى عرفجة ، فقال إن هؤلاء استعفوني منك وزعمـوا أنـك لست منهم ، فما عندك ، قال : صدقوا أنا امرؤ من الأزد ، ثم من بارق ، في كهـف لا يحصـى عـدده ، فقـال عمـر نعـم الحـي الأزد يأخذون نصيبهم من الخير والشـر، قـال عـرفجة إنـه كـان مـن شأني أن الشر تفاقم فينا ودارنا واحدة ، فأصبنا الدمـاء ووتـر بعضـنا بعضاً فاعتزلتهم لما خفهتم ، فكنت في هؤلاء أسودهم وأقودهم ، فحفظـوا عـلى الأمـر ، ثم دار بيني وبين دهاقينهم بعض الفتن فحسدوني وكفروني ، فقال : لا يضرك فاعتزلهم إذ كرهوك ، واستعمل جريرا مكانه**" (٤٠) .

ويبدو من هذا الحوار المسوغات التي أبداها عرفجة في رفضهم إياه ، كما لمس مفهوم العصبية عندهم ، ومدى تأثيرها في قراراتهم ، وهذا ما أحس به الخليفة عمر ، ممـــا دفعـــه إلى قبول مطالبهم ، وهي استبعاد عرفجة وتعيين جرير بن عبد الله البجلي بدلـــه. والدليل على صحة ما نقول ، أن عرفجة قدم مرة أخرى على الخليفة عمر ،

ومعه سبعمائة غاز من الأزديين ، وعدد من بارق وألمع ، فطلبوا من الخليفة الذهاب إلى الشـــام ، فقال الخليفة : "**ذلـك قد كفيتموه ، العراق العراق ! ذروا بلدة قد قلل الله شـوكتها وعددهـا ، واسـتقبلوا جهـاد قـوم قد حووا فنون العيش ، لعل الله أن يورثكم بقسطكم من ذلك ، فتعيشوا مع من عاش من الناس**"(٤١) . عندئذ قام عرفجة خطيباً في قومه من الأزد ، وقال : "**يا عشيرتاه ! أجيبوا أمير المؤمنين إلى ما يرى ، وأمضوا له ما يسكنكم ، قالوا : إنا قد أطعناك ، وأجبنا أمير المؤمنين إلى ما رأى وأراد**"(٤٢) .

فدعـــا لهم الخليفة عمر ، ثم أمر عليهم عرفجة بن هرثمة البارقي ، وأرسلهم مـــددا إلى المثنىّ بن حارثة الشيباني ، وهذه الرواية الأخيرة ربما هي أقرب إلى الصحية من التي قبلها . لكن الغريب في ذلك ألا نجد ذكرا ملموساً لمساهمة عرفجة ومن كان معه في الحروب التي خاضها المثني ضد الفرس ، في حين نجد المصادر تورد اسم عشائر بجيـــلة وزعـــيمهم جرير بن عبد الله ، فتشير إلى خروجهم من المدينة المنورة نحو بلاد فـــارس، فالتقوا بالمثنىّ واندمجوا مع جيشه ، وتصدوا لمهران ، أحد ملوك الفرس ، في معـــركة البويب ، فتم لهم النصر بقتل مهران ، وكان ذلك في شهر رمضان سنـــــة ١٣هـــ (٤٣) .

وقد تناقضت الأخبار عند أصحاب الروايات والسير حول من كان القائد في المعـــركة ، فبعضهم يرى المثنىّ ، وبعضهم يرى جريراً ، وبعضهم يرى أن كلاً منهما كان قائداً على قومه . ولكن على ما يبدو من كثرة ذكر المثنىّ أنه هو الذي كان القائد العام للمعركة ، لأن هناك رواية تشير إلى أنه عندما تم قتل مهران ، ادّعى كل من جرير والمنذر قتله ، وتنازعا فيما بينهما ، فذهبا إلى المثني ليتقاضيا عنده ، فحل المعضلة بأن أعطـــي سلاح مهران لجرير ، وأعطي للمنذر منطقته ، كما قام بتوزيع غنائم معركة البويب ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنه القائد العام للمعركة (٤٤) .

وأبلى جرير البجلي وقومه بلاءً حسناً في المعركة ، ومما روي عنه ، أنه كان يحثهم على الإقدام والمثابرة على القتال ، ومما قاله لهم :"... **يا معشر بجيلة ، إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غداً من النفل مثل الذي لكم منه ولكم ربع خمسه نفلا من أمير المؤمنين ، فلا يكون أحد أسرع إلى هذا العدد ، ولا أشد عليه منكم للذي لكم ، فإنما تنتظرون إحدى الحسنيين : الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة**" (٤٥) .

وبعد معركة البويب عين الفرس (يزد جر) ملكاً عليهم ، وأعدوا العدة لملاقاة المسلمين ، ولما علم الخليفة عمر ، صمم أن يتولى قيادة الجيش ، لكن أعيان الصحابة أمثال عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف ، وغيرهم ، رفضوا رأيه ، وطالبوه بتعيين شخص مناسب لذلك وهو سعد بن أبي وقاص ، لأنه إذا مات في المعركة ، يختلف المسلمون فيما بينهم بتولية خليفة بدله ، ولكن كقائد جيش آخر ، من الممكن استبداله عند العزل أو الموت ، إلى جانب أن المسلمين بحاجة الخليفة عمر لينظم أمورهم ويقيم الحدود . وتم ما أرادوا وعين سعد على رأس الحملة ، وكان دور أهل تهامة والسراة مميزاً ، فقد شارك فيها عدد من عشائر بارق ، وألمع ، والحجر ، وغامد الذي بلغ عدد أفرادها سبعمائة جاءوا إلى الخليفة عمر وعلى مقدمتهم حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي (٤٦) .

وفي رواية أخرى قدم من قبائل مذحج ألف وثلاثمائة يتقدمهم ثلاثة رؤساء منهم ، أبو سبرة بن ذؤيب ، وعلي بن منبه ، وعمر بن معدي كرب الزبيدي (٤٧) ، ولا ندري عن مدى صدق القول بأن عمرو بن معدي كرب الزبيدي كان أحد زعماء قبائل مذحج الوافدة على المدينة قبل معركة القادسية ، لأن بعض الروايات تشير إلى وجوده مع الجيش الإسلامي في جبهات الفتوح ببلاد الشام ، ثم نجد الخبر عنه الآن يقدم مع بعض قومه من بلاد السراة للانضمام إلى صف سعد بن أبي وقاص ، وقد يكون هناك احتمالان الأول : أنه ذهب إلى بلاد الشام وبعد معركة اليرموك عاد إلى

بـــلاده بأرض السراة ثم خرج مرة ثانية إلى المدينة للمشاركة في حروب المسلمين مع الفـــرس ، ويكـــون خروجه في المرة الثانية مثل خروج غيره من زعماء تهامة والسراة أمثال حميضة بن النعمان البارقي وغيره ، والاحتمال الثاني أنه ربما رجع من بلاد الشام واشترك مع بني قومه عندما وصلوا المدينة وانضموا مع جيش سعد الذي يقال أنه كان نحـــو أربعة آلاف ، ثلاثة آلاف منهم من بلاد تهامة والسراة والألف الرابع من سائر الناس[٤٨] .

وخـــرج سعد بن أبي وقاص من المدينة المنورة في شهر المحرم سنة أربع عشرة مـــن الهجرة ، ومعه الأربعة آلاف مقاتل متجهاً إلى بلاد فارس ، وبعد أن أصبح على مقربة من الجيش الإسلامي أتاهم نعي المثنيّ بن حارثة الشيباني ، وينضم إليه جرير بن عـــبد الله البجلي بمن كان معه من قومه ، بل ويجمع الجيش كله تحت قيادته ، وعندئذ أرســـل الطلائع لاكتشاف قوة الفرس فوجد قوتهم كبيرة ، وأعدادهم كثيرة ، فأرسل إلى الخليفة في المدينة يطلب منه المدد فأمده بأربعة آلاف مقاتل ، كان من بينهم ألفان مـــن بلاد تهامة والسراة ، والألفان الآخران من قبائل غطفان وقيس النجديه[٤٩] . وتشير بعض الروايات إلى مجموع الجيش الذي كان يحارب مع المثنيّ بن حارثه وجرير ابـــن عـــبد الله قبل قدوم سعد بن أبي وقاص فكان نحو ثمانية آلاف ، وكان من بينهم ألفـــان مـــن قبائل بجيلة[٥٠]، وهذا العدد فيما يخص بجيلة يختلف مع مجموع المجاهدين الذيـــن خرجوا مع جرير عندما أرسل مدداً للمثنيّ حيث لم يكونوا أكثر من سبعمائة مجاهد ، ووصولهم إلى الألفين ربما لأن البعض منهم خرج في الفترة الواقعة بين خروج جرير قبل معركة البويب وبين وقوع معركة القادسية .

وإن حاولنا معرفة نسبة أهل تهامة والسراة من الجيش الكلي الذي جمع تحت قيـــادة سعد بن أبي وقاص قبل معركة القادسية ، فلن نصل إلى معرفة دقيقة لهم ، لأن

المصـــادر لا توفر لنا ما نريد ، وأكثر المعلومات التي نجدها ، هو ما أشير إليه سابقاً ، وبخاصة قبيلة بجيلة ، فقد أشارت بعض الروايات إلى عددهم في الجيش الكلي ، ولكن أيضـــاً يسود هذه الروايات بعض الاختلافات . فبعضها أشارت إلى أن عددهم قبل قـــدوم ســـعد بن أبي وقاص كان ألفين ، ورواية أخرى تذكر أن هذا العدد بعد جمع الجيـــوش تحت زعامة سعد [٥١]، وفي رواية لأسماعيل بن أبي خالد مولى بجيلة عن قيس ابن أبي حازم البجلي أن عدد من شهد القادسية كان بين ستة إلى سبعة آلاف مجاهد ، وبجيلة كانت ربع الناس [٥٢]، ويورد ابن أعثم رواية فيذكر أنه اجتمع تحت قيادة سعد ابن أبي وقاص نحو أربعين ألف مقاتل ، ثم جاءه المدد من بلاد الشام في حوالي عشرين ألـــف آخرين ، فصار المجموعه الكلي نحو ستين ألفاً[٥٣] ، ويورد الطبري رواية أخرى تخالف رواية ابن أعثم فيذكر أن عدد الجيش الإسلامي قبل وقوع القادسية كان يزيد عـــن الـــثلاثين ألف مقاتل ، ولكنه لم يشير إلى المدد الذي جاء من بلاد الشام[٥٤] . وروايتا الطبري وابن أعثم ربما تكونان أقرب إلى الصحة من التي قبلهما ، لأن الجيوش التي كانت مع المثنيّ بن حارثة الشيباني ، ثم الإمدادات التي تلاحقت حتى خرج سعد ابن أبي وقاص قد تصل إلى أعداد كبيرة تفوق ما ذكر في رواية إسماعيل بن أبي خالد ، الآنفـــة الذكر . وكون المجموع الكلي للجيش الإسلامي المشارك في معركة القادسية غـــير معروف تمام المعرفة ، ثم إن المصادر لم تفصل ، بل ولم توضح نسبة مساهمة أهل تهامة والسراة من المجموع العام ، لكن مما لاحظنا في سياق الأخبار السابقة أنهم كانوا من العناصر الأساسية في جيش الخلافة في ميادين الجبهة الفارسية .

وعندما اكتمل جيش سعد بن أبي وقاص ، وصار على أهبة الاستعداد لمواجهة الفـــرس في معركة القادسية ، طلب الأمير سعد بن أبي وقاص المدد من الخليفة فأرسل الخـــليفة عمـــر إلى أبي عبيدة بن الجراح في بلاد الشام وأمره بإمداد سعد ببعض من الجيش الذين كانوا معه ، فذكر الطبري أنه أمده بخمسة آلاف من قبائل ربيعة ومضر

الشـــامية ، وألـــف مـــن قبائل تهامة والسراة اليمانية [٥٥]، ويروي البلاذري أن عدد المقاتلين من أزد السراة في ذلك الجمع الذي أرسله أبو عبيدة من الشام كانوا سبعمائة مجـــاهد ، وكانوا تحت زعامة قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المرادي [٥٦]، وهذا الرقم الذي أشار إليه كل من الطبري والبلاذري يختلف عن الرقم الذي أشار إليه ابن أعثم وهو عشرون ألف مقاتل ، ولا ندري هل المدد الذي جاء من بلاد الشام إلى سعد بن أبي وقـــاص كان على فترتين أو على فترة واحدة فقط فلابد أن إحدى الروايتين غير صـــحيحة ، وربمـــا رواية الطبري والبلاذري أقرب إلى الصحة ، لأنه من متابعة سير الإمـــدادات التي كان يرسلها الخلفاء في الفترة الأولى من الفتوح الإسلامية كانت لا تـــزيد عـــن الخمسة أو الستة آلاف رجل ، ثم إن إرسال عشرين ألف مقاتل من بلاد الشام كما قال ابن أعثم قد تخل بتوازن الجيش الإسلامي في بلاد الشام ، خصوصاً أن الفـــتح لم يتوقف في بلاد الشام ، ولكنه امتد إلى مصر وبلاد المغرب مباشرة بعد وقعة اليرموك وسقوط بلاد الشام ، وبالتالي فالجيش الإسلامي في تلك الأجزاء الجديدة من العـــالم يحتاج إلى إمدادات من الخليفة في المدينة المنورة ، ومثل تلك الامدادات لن تتم إلا عن طريق الجيوش الإسلامية المتواجدة في بلاد الشام .

وتســـتعرض مصادر التاريخ الأحداث التي حصلت بين الفرس والمسلمين في معركة القادسية ، وتطيل الشرح في الوقائع والاصطدامات التي حدثت بين الطرفين ، وبخاصـــة في الأيام الثلاثة المشهورة ، بيوم أرماث ، ويوم أغواث ، ويوم أعماس ، ثم الليلة الأخيرة في تلك المعركة والتي أطلق عليها ليلة الهرير [٥٧] ، وكذلك الجهود التي بذلـــتها الجيـــوش الإسلامية في مصارعة الفرس ، وبخاصة البجليون الذين أبلوا بلاءً حسناً، رغم عدم التكافؤ في العدد والعدة ، فكان لدى الفرس ستة عشر فيلاً يقاتلون البجـــليين بهـــا ، إلى جانب : استخدامهم لحسك الحديد ، الذي هو عبارة عن ثلاثة

مســـامير حـــادة تتصل بالقاعدة التي تغرس في الأرض فيضرب حافر الفرس ، أو قدم المشاه فيعطله عن السير ، رغم هذا فقد استطاعت الخيول البجلية تخطي هذا الحسك الشبيه اليوم بـــ (الألغام المتفجرة) . ونجح البجليون ومن معهم من المسلمين في صد القـــوات الفارســـية ، حتى جاءهم إمدادات عسكرية أخرى ، من غامد ، وربيعة ، والأســـد ، وغيرها ، وبعون الله تمكنوا من رد الفرس ، وإجبارهم على التراجع (٥٨) ، وفي صمود البجليين ، قال سعد بن أبي وقاص عنهم :

وما أرجو بجيلة غير أنـــي … أؤمل أجرهم يوم الحســـاب

فقد لقيت خيولهم خيـــولاً … وقد وقع الفوارس في ضــراب

وقد دلفت بعرصتهم فيــول … كأن زهاءها إبل جـــــراب(٥٩)

وبهزيمة الفرس في القادسية ، ومقتل قائدهم رستم ، ثم تقهقرهم إلى الوراء ، ودخول المسلمين إلى المدائن عاصمتهم ، لكنه لم يكن إلا وقت وجيز حتى جمعوا فلولهم في جلولاء ، فبلغ عددهم حوالي ثمانين ألفاً ، ولما علم قائد المسلمين سعد بن أبي وقاص بـــتجمعهم استشـــار ذوى الـــرأي ، وكـــان عمرو بن معدي كرب الزبيدي أحد مستشاريه، وقد قال لسعد :

"أيها الأمير! لا نحب أن تتقي علينا فإن الذي نصرنا عليهم بالأمس ، هو الذي ينصرنا عليهم اليوم ... وقد علمنا أن الله عز وجل إذا كتب على قوم القتل فلابد لهم مما كتب لهم ، ... فلسنا نشك أن القتل في سبيل الله أفضل من الموت على وثير الفرش ، فطوبي لمن قتل في سبيل الله صابراً يريد بذلك ما عند الله من الثواب الجزيل ..."(٦٠) .

اقتـــنع سعد بكلام عمرو وكلام غيره من ذوي الرأي ، وأوكل القيادة لابن أخيـــه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وانضم إلى هاشم جرير بن عبد الله وصحبه من المجاهدين البجليين ، ودوس ، وخثعم ، وعشائر وأفخاذ من القبائل اليمانية والمضرية ،

يعاونه قيس بن مكشوح المرادي ، وعمرو بن معدي كرب وغيرهما ، والتقي الجمعان ودارت رحـى الحـرب ، وأظهـر المسـلمون بسالة وصبراً ، والكل يثير همم قومه ويستحثهم على الصبر ، وكان من بين القادة الذين كانوا يجوبون الميدان (يحث قومه)، جرير بن عبد الله البجلي ، الذي أنشد يقول :

تلكم بجيله قومي إن سألت بهـا
قادوا الجياد وفضوا جمع مهـران
وأدركوا الوتر من كسرى ومعشر
يوم العروبة وتر الحي شيبـان
فسائل الجمع جمع الفارسي وقـد
حاولت عند ركوب الحي قحطـان
عز الأولى كان هزاً من يصول بهم
ورمية كان فيها هلك شيطـان (٦١)

ويبدو أن كتائب الفرس أحاطت بالمسلمين ، وأثقلتهم بالقتال ، فأدرك عمرو ابن معدي كرب الزبيدي خطورة الأمر ، ودارت مساجلة بينه وبين المسلمين ، بينوا لـه فيها ما أصابهم من إعياء بسبب مكوثهم الطويل في الميدان ، وأوجسوا خيفة من كـثرة الفـرس ، ولكن عمر استطاع رفع معنوياتهم وصبرهم ، فكان لقوله تأثير في نفوسـهم ، ونظـراً لأهمية هذه المساجلة ولنتيجتها الحاسمة ، رأينا إيرادها ليستشف القارئ مدى أهمية رفع المعنويات ، ومدى الخبرة في استخدام الأساليب المثيرة للأنفس، والمشجعة لها .

خطب عمرو بن معدي كرب بالمسلمين قائلاً : "**يـا معشـر المسلمين! لعلة قد هالـتكم هـذه الكتيبة ؟ قـالوا : نعـم والله يا أبا ثور لقد هالتنا! وذلك أنك تعلم أنا**

تقـاتل هـؤلاء القـوم مـن وقـت بزوغ الشمس إلى وقتنا هذا ، فقد تعبنا وكلت أيدينا ودوابـنا ، وكـاعت رجالـنا ، وقد والله خشينا أن نعجز عن هذه الكتيبة ، إلا أن يأتينا الله بغيـاث مـن عـنده ، أو نـرزق عـليهم قوة ونصراً ، فقال عمرو يا هؤلاء إنكم إنما تقاتـلون عـن ديـنكم ، وتذبـون عـن حريمكم ، وتـدفعون عن حوزة الإسلام ، فصفوا خيولكـم بعضـها إلى بعض ، وانزلوا عنها ، والزموا الأرض واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفـرقوا ، فـإنكم بحمد الله صبراء في اللقاء ، ليوث عند الوغى، وهذا يوم كبعض أيـامكم الـتي سـلفت ، ووالله إنـي لأرجـو أن يعز الله بكم دينه ، ويكبت بكـــــم عـدوه ..."[٦٢] ، ثم تـــرجل عـــن فرســـه[٦٣] ، وترجل معه ألف رجل من السراة ، وكسروا أغماد السيوف طالبين الشهادة ، وتم النصر بفضل من الله ، ثم بفضل إيمانهم وصبرهم ، وفي هذا يقول شاعر السراة ، عبيد بن عمرو البجلي :

سل أهل ذي الكفر مهراناً وأسرتـــه
يوم البـجيلة إذ خلوا عن القـــاع
واسلموا ثم مهراناً بـبلقعـــــــه
يوم العروبـة مطروحاً بـجعجـــاع
وفي جلولا اثرنا كل ذي بــــــدع
بـكل صاف كلون الملح لمـــــاع
وكف كل كريم الجد ذو حســــب
حامي الحقيقة للآواء دفـــــاع[٦٤]

وتقدم المسلمون بعد انتصارهم في جلولاء إلى حلوان ، ودخلوا دون صعوبة، وفي هذا ينشد عبد الله بن قيس الأزدي السروي :

فأبلغ أبا حفصٍ بأن خيولنـــا
بحلوان أضحت بالكماة تجمجـــم

ونحن دهمناها صباحاً بفيلق
جرير علينا في الكتيبة معلم
ونحن أبدنا الفرس في كل موطن
بجمع كمثل الليل والليل مظلم

جـ- دورهم في التنظيمات العسكرية في جبهتي الشام وفارس :

لم يكن أهل تهامة والسراة فقط يرحبون بنداء الخليفة أبي بكر الصديق للانخراط في جيش الجهاد الإسلامي الذي ذهب من شبه الجزيرة العربية إلى جبهتي الفرس والروم ، وإنما أيضاً حرصوا على المشاركة مع إخوانهم المسلمين في بناء الدولة الإسلامية ، بل وتحمل المسؤولية في القيام بأعمالهم على خير وجه ، فكانوا يحاربون الأعداء راغبين في الشهادة والفوز بالجنة ، أو النصر وإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولم يشاركوا جميعهم في الجيش الإسلامي قبل وأثناء المعارك مع الفرس والروم فقط على هيئة جنود محاربين دون أن يكون لبعضهم أدوار قيادية تنظيمية ، وإنما على العكس من ذلك ففي الجبهة الشامية ضد الروم نجد بروز عدد من القادة أمثال قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي ، وعامر بن الطفيل الدوسي ، وجندب بن عمرو الدوسي وعمرو بن معدي كرب فكانوا جميعهم يقودون بعض الفرق في الجيش الإسلامي قبل وأثناء معركة اليرموك ، بل وكان البعض منهم أمثال عمرو بن معدي كرب يستحث الجيوش على الإقدام والاستمرار في محاربة الروم والحصول على النصر أو الشهادة في سبيل الله[٦٥] .

أما عن دورهم القيادي والتنظيمي في الجبهة الفارسية فكان أعظم بكثير حيث برز منهم قادة عظام كان لهم أيضاً شرف المساهمة في الجهاد على أرض بلاد الشام ضد

الـــرومان أمثال قيس بن هبيرة المرادي ، وعمرو بن معدي كرب ، ولكن أيضاً ظهر قـــادة آخـــرون ساهموا في حرب الفرس أمثال أبي ظبيان الأعرج الغامدي الذي كان يحمـــل رايـــة غامد في معركة القادسية ، وعرفجة بن هرثمة البارقي الذي صار مدداً للمســـلمين في سبعمائة من أهل تهامة والسراة ، وجرير بن عبد الله البجلي الذي كان عـــلى مقدمة جيش المسلمين مع سعد بن أبي وقاص وابن أخيه هاشم بن عتبه بن أبي وقاص في معركتي القادسية وجلولاء ، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى شجاعة جرير، وقدرته على محاربة الأعداء ، بل واستحثاثه المسلمين على الصبر والجهاد لأجل الفوز بمرضاة الله ، فكان يقول لهم : "**اصبروا لقتال هؤلاء الفرس التماساً لإحدى الحسنيين، إما الشـهادة فثوابها الجنة ، وإما النصر والظفر ففيهما الغنى من العيلة ، وانظروا لا تقاتـلوا ريـاء ولا سمعـة ، فحسـب الرجل خزياً أن يكون يريد بجهاده حمد المخلوقين دون الخـالق ، وبعـد فـإنكم جربـتم هؤلاء القوم ومارستموهم ، وإنـما لهم هذه القسي المنحنية وهذه السهام الطوال فهي أغنى سلاح عندهم**" (٦٦) .

ومثل هذه العبارات لا تصدر من جندي عادي ، وإنما مصدرها رجل جرب الحياة وعرفها ، بل ومارس الحروب وأهوالها ، ثم إن مكانته في الجيش الإسلامي ببلاد فارس كانت تسمح له أن يقوم على رؤوس المجاهدين وينصحهم بما يراه نافعاً لهم ، وما تقتضيه ظروف الحرب ضد الأعداء ، ولو استقصينا المساهمات التي قام بها جرير وغيره أمثال عمرو بن معدى كرب وأبي ظبيان الغامدي لوجدناهم كانوا على مقدمة الجيوش في كل من القادسية وجلولاء وغيرهما من المعارك التي وقعت بين المسلمين والفرس في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (٦٧) .

والفرق بين مساهمة أهل تهامة والسراة في الجبهتين الرومية والفارسية ، هو أن القيـــادات مـــنهم في معركة اليرموك وما قبلها كانت غالباً في الأمراء الأوائل الذين أرسلهم أبو بكر الصديق من المدينة أمثال أبي عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان، وشـــرحبيل بن أبي حسنة ، وعمرو بن العاص ، ثم خالد بن الوليد الذي أرسل إليهم

مـــدداً مـــن العـــراق وإن جاءت أسماء قادة من بلاد السراة أمثال عامر بن الطفيل الدوســـي، وجـــندب بن عمرو الدوسي ، وعمرو بن معدي كرب ، وقيس بن هبيرة المـــرادي ، فلم يكونوا يتولون قيادات عامة ، وإنما كانوا قادة على فرق في الجيش ، وربما كانت تلك الفرق من أقوامهم وعشائرهم ، إلى جانب أنه يذكر عن الخليفة أبي بكـــر الصـــديق أنه رفض أن يستخدم في القيادة العامة من أسلم متأخراً أو من ارتد وشارك المرتدين في عهده(٦٨) ، ومن المعلوم أن عمرو بن معدى كرب وقيس بن هبيرة المـــرادي ارتدا وشاركا الأسود العنسي بل وناصراه عندما أعلن ارتداده ونبوءته ، ثم ســـيطرته على بلاد اليمن وأغلب بلاد تهامة والسراة(٦٩) . وبهذا فالخليفة الصديق لم يكن يستخدم أحداً من أهل تهامة والسراة في القيادات العامة في الجيش ، ولكن عندما جـــاء الخليفة عمر بن الخطاب ، ثم وجه الجيوش إلى بلاد الفرس وشاور جرير بن عبد الله البجلي على أن يذهب إلى بلاد فارس مع قومه وله ثلث وقيل ربع خراج العراق ، فذهـــب جرير وتجمعت الجيوش في معارك البويب والقادسية وجلولاء فكان جرير من القادة العظام الذين شاركوا في تلك المعارك ، بل ويقال أنه كان القائد العام في أرض المعركة بجلولاء(٧٠) .

ثالثاً : الخاتمـــة :

وخلاصة القول أن أهل تهامة والسراة كانوا من القوى البشرية التي شاركت في جـــبهات الفـــتوح الإســـلامية المبكرة ، فلم يكونوا يتأخرون عن السماح لنداء الخليفتين الراشدين ، أبو بكر وعمر ، عندما استنفرا المسلمين في جهاد الفرس والروم ، وإنما كانوا على مقدمة الجيوش في اليرموك ، والبويب والقادسية وجلولاء ، ساعين مـــن وراء ذلـــك إلى الفوز والنصر وإعلاء كلمة الحق على أرض الروم وفارس ، أو الفوز بالشهادة والخلود في جنات النعيم ، وبسواعدهم الفتيه مع غيرهم من المسلمين

في شـــبه الجزيـــرة العربية استطاعوا فتح بلاد الشام وفارس ، ثم بلاد مصر والمغرب والأندلس ، بل واستطاعوا بتوجيهات من خليفة المسلمين في المدينة المنورة أن يمصروا الكوفـــة والبصـــرة ، والفســـطاط والقيروان وغيرها ، بل واستطاعوا مع غيرهم من المســـلمين أن يكونوا حضارة إسلامية عريقة استطاعت أن تضاهي ، بل وتتفوق على غيرها من الحضارات .

رابعاً : الحواشي والتعليقات

١- لقد أفاضت كتب السير في الحديث عن الوفود التي قدمت على الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أنحاء شبه الجزيرة العربية ، وكان منهم بعض الوفود التي قدمت من بلاد تهامة والسراة ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، وفد ثمالة ، وفد بجيلة ، وفد زهران، وفد باهلة ، وفد دوس ، وفد سلامان ، وفد خثعم، وفد بارق، وفد الأزد، وفد زبيد ، وغير ذلك من الوفود التي قدمت من أجزاء عديدة من بلاد اليمن ، وللمزيد من التفصيل ، انظر : عبد الملك بن هشام . **السيرة النبوية** ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت : دار القلم ، د.ت) ، جـ٤ ، ص١٨٢ وما بعدها، محمد بن سعد. **الطبقات الكبرى** (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) جـ١ ، ص٩١ وما بعدها ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم . **زاد المعادفى هدى خير العباد** ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين (بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) جـ٣، ص٦٠٠ وما بعدها .

٢- لم يكن اسم (تهامة والسراة) الذي استخدمناه حديث الاستخدام ، وإنما هو قديم الذكر في مصادر التراث الإسلامي المبكرة ، حيث أطلق على الجبال والمرتفعات الممتدة من الطائف إلى صنعاء اسم السراة ، أو السروات ، وأحياناً يطلق عليها (الحجاز) وذلك لأنها تحجز بين البوادي والنجود في الشرق وبين الأغوار والسهول التهامية في الغرب . أما تهامة فعرفت أيضاً بأنها المنطقة المنخفضة التي تقع غرب بلاد السراة ، وتمتد إلى شواطئ البحر الأحمر . ولمزيد من المعلومات ، انظر : الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني . **صفة جزيرة العرب** ، تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م) ص٢٦٠-٢٦٨ ، عبد الله بن عبد العزيز البكري . **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**،تحقيق مصطفى السقا (بيروت:عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) مج١ ، جـ١ ، ص٨-١٣ ، شهاب الدين ياقوت الحموي . معجم البلدان (بيروت: دار صادر ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) جـ٢ ، ص٦٣-٦٤ ، جـ٣ ، ص٢٠٤-٢٠٤ ، محمد عبد المنعم الحميري . **كتاب**

الـــروض المعطـــار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس (بيروت : مكتبة لبنـــان ، ١٩٧٥م) ، ص١٤١-١٤٢ ، ١٨٨-١٨٩ ، ٣١١ .

٣- ما قام به سكان أهل تهامة والسراة من أعمال سياسية قبل الفتوح الإسلامية، وبخاصة في عهـــد الرسالة ، وفي فترة قيام حروب الردة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عـــنه) ، انظـــر تفصـــيلات أكثر عن هذه الأحداث في مقالة منشورة **بالمجلة التاريخية المصرية** ، المجلد (٣٨) ، س (١٩٩١-١٩٩٥م) ، ص ٤١ وما بعدها .

٤- كـــان رجال من أهل تهامة والسراة يأتون إلى مكة المكرمة للحج ، وللتجارة، ولأعمال اقتصـــادية واجتماعية أخرى ، وأكبر دليل على ذلك إسلام الطفيل بن عمرو والدوسي وضـــماد الأزدي في فترة الدعوة المكية ، وكتب السيرة والتراجم قد حفظت لنا قصة ارتيادهما مكة المكرمة ، ثم مقابلتهما للرسول (صلى الله عليه وسلم) وإسلامهما . انظر، ابـــن هشـــام ، **السيرة** ، جـــ٢ ، ص٢١-٢٥ ، جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي . **صـــفة الصـــفوة** ، تحقيـــق محمود فاخوري (حلب : دار الوعي بحلب، ١٣٨٩هـــ / ١٩٦٩م) جـــــ١، ص٦٠٠-٦٠٥ ، عز الدين أبو الحسن بن الأثير . **أسد الغابة في معرفة الصحابة** (بيروت : دار أحياء التراث العربي، د.ت) جـــ٣، ص٤١-٤٢ .

٥- وللمزيد من التفصيلات عن الجيوش التي أرسلها الخليفة أبو بكر الصديق إلى بلاد تهامة والسراة ، في أثناء حروب الردة ، انظر . محمد بن جرير الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** (بيروت:دار سويدان، ١٣٨٢هـــ/ ١٩٦٢م) جـــ٣ ، ص٢٣٠ وما بعدها ، أحمد بن عبد ربه . **العقد الفريد** (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـــ /١٩٨٣م) جـــ٣ ، ص٦٤ – ٦٥ ، ابن الجوزي ، **صفة الصفوة** ، جـــ١ ، ص٧٤٠ – ٧٤٢ .

٦- لقـــد أرســـل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعض السرايا إلى حدود بلاد الشام ، بل ذهـــب هـــو عـــلى رأس بعض الغزوات التي وصلت إلى تبوك وما حولها . للمزيد من التفصـــيل، انظر . ابن هشام، **السيرة** ، جـــ٤ ، ص١٥٩ وما بعدها ، ابن القيم ، **زاد المعاد** ، جـــ٣ ، ص٥٢٦ وما بعدها .

٧- أبو عبد الله عمر الواقدي. **فتوح الشام** (بيروت : دار الجيل ،د .ت) جـ١، ص٥ . انظر أيضاً ، عبد الرحمن الشجاع . **اليمن في صدر الإسلام** (دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٨هـ) ص٢٧ وما بعدها .

٨- تيماء بلد في طرف شبه الجزيرة العربية من جهة بلاد الشام ، وتقع على طريق الحاج المؤدية إلى دمشق، أنظر. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت. **معجم البلدان** ، جـ٢، ص٦٧ .

٩- الطبري ، جـ٣، ص٣٨٨ ، محمد عبد الله الأزدي . **تاريخ فتوح الشام**، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر (القاهرة : مطابع سجل العرب ، ١٩٦٩م) ص٢-٥ .

١٠- أحمد بن يحي البلاذري . **فتوح البلدان** ، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م) ص١٢٨ ، الواقدي، **فتوح الشام** ، جـ١، ص٥-٦ .

١١- الأزدي ، ص ٨- ٩ .

١٢- المصدر نفسه ، ص٩ ، عبد الرحمن الشجاع ، **اليمن في صدر الإسلام** ، ص٣٤ وما بعدها .

١٣- المصدر نفسه .

١٤- لمزيد من التفصيل انظر . البلاذري ، ص١٢٨ ، الأزدي ، ص٥، ٦ -١٠، الواقدي ، جـ١ ، ص٧ ، ٨ ، ٩ ، ولمزيد من التوضيح عن مضارب أهم القبائل والعشائر في بلاد تهامة والسراة خلال العهود الإسلامية الأولى ، فقد أرفقنا مع البحث خريطة توضح ذلك .

١٥- لمزيد من المعلومات عن بداية الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام انظر الأزدي ، ص١١ وما بعدها ، الواقدي ، جـ١ ، ص٢٤ وما بعدها .

١٦- الأزدي ، ص٢٥-٢٦ ، ويذكـــر أن ابن ذي السهم الخثعمي قدم على الخليفة أبي بكر الصـــديق في المديـــنة ، ومعه نحو ألف مجاهد من قومه ، فقال للخليفة : "**إنا قد تركنا الديـــار والأموال والأصول ، وأقبلنا بنسائنا وأبنائنا ، ونحن نريد جهاد المشركين ، فماذا ترى لنا في أولادنا ونسائنا ؟ أنخلفهم عندك ونمضي ؟ فإذا جاء الله بالفتح بعثنا إليهـــم فأقدمتهم علينا ، أم ترى لنا أن نخرجهم معنا ونتوكل على ربنا؟ قال أبو بكر (رضـــي الله عنه) : سبحان الله يا معشر المسلمين ، هل سمعتم ممن سار من المسلمين إلى أرض الـــروم وأرض الشام ذكر عن الأولاد والنساء مثل ذكر أخي خثعم ؟ أما إني أقسم لك يا أخا خثعم أني لو سمعت هذا القول منك والناس مجتمعون عندي قبل أن يشخصـــوا لأحبـــبت أن أحتبس عيالاتهم عندي ، وأسرحهم ، وليس معهم من النســـاء والأولاد ما يشغلهم ويهمهم حتى يفتح الله عليهم ، ولكنه قد مضى عظم الـــناس وذراريهم ، ولك بجماعة المسلمين أسوة ، وأنا أرجو أن يدفع الله بعزته عن حرمة الإسلام وأهله ، فسر في حفظ الله وكنفه، فإن بالشام أمراء، وجهناهم إليها ، فـــأيهم أحبـــبت أن تصحب فاصحب**" فلحق بيزيد بن أبي سفيان وصحبه . انظر ، الأزدي ، ص٢٥-٢٦ .

١٧- الأزدي ، ٣٢-٣٥ ، أبو محمد أحمد بن أعثم . **كتاب الفتوح** ، مصور من طبعة حيد أباد بالهند (بيروت : دار الندوة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) جـ١ ، ص١٠٤ ، ١١٤ .

١٨- الواقدي ، جـ١ ، ص٣٧ .

١٩- المصدر نفسه ، وللمزيد من التفصيلات عن شخصية عمرو بن معدي كرب، وشجاعته في الحـــروب ، انظر . ابن هشام ،جـ١ ،ص٤١ ، جـ٤، ص٢٣٠-٢٣٢ ، علي بن الحســـن المســـعودي ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** (بيروت : دار الأندلـــس ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ،جـ٣، ص٣٣٥-٣٣٦، البلاذري، ص١٢٦-١٢٧، ١٢٨ .

٢٠- انظر الواقدي ، جـ١ ، ص١١٠، ١١٢ .

٢١- الأزدي ، ص١٥٩ ، ١٨٥-١٨٦ .

٢٢- المصـــدر نفسه ، ص١٩٠-١٩١ ، ٢٢٣-٢٢٤ ، الواقـــدي ، جـ١ ، ص١١٨ ، الطـــبري ،جـ١، ص١١٨ ، الطبري،جـ٣، ص٣٩٧، ٤٠٢ . ومن بطولات بعض رجـــال السراة في معركة اليرموك ، ما ذكر الأزدي حيث يقول : "**وثبتت بعض قبائل**

الأزد السروية ، فقاتلت قتالاً شديداً لم يقاتل مثله أحد من تلك القبائل ، وقتل منهم مقتـــلة لم يقتل مثلها قبيلة من القبائل الأخر . وأقبل يومئذ عمرو بن الطفيل بن ذي الـــنور ، وهو يقول، يا معشر الأزد ، لا يؤتين المسلمون من قبلكم ، وأخذ يضرب بسيفه متقدماً عليهم وهو يقول :

قد علمت أوس ويشكر تعلـــــــــــمُ
إني إذا الأبيض يوماً مظلـــــــــــمُ
وعرد النكس وفر الأيهـــــــــــمُ
أني عفر في الوقاع ضيغـــــــــمُ

وقال جندب بن عمرو بن حممه ، ورفع رايته :

يـــا معشـــر الأزد ، إنه لا يبقى منكم ولا ينجو من الإثم والعار إلا من قاتل ألا وإن المقتول شهيد ، والخائب من هرب اليوم ، ثم قال :

يا معشر الأزد احتذاذ الأفيـــــــال
هيهات هيهات ووقوف للحـــــال
لا يمنع الراية إلا الأبطـــــــــــال .

لمـــزيد مـــن التفصيلات ، انظر ، الأزدي ، ص٢٢٣-٢٢٤ ، نزار عبد اللطيف الحديـــثي . أهـــل اليمن في صدر الإسلام دورهم واستقرارهم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ن.ت) .

٢٣- ابن أعثم ، جـــ١ ، ص٢٥٤- ٢٥٥ .

٢٤- المصدر نفسه ، جـــ١ ، ص٢٥٥، ٢٥٨ .

٢٥- المصدر نفسه ، جـــ١ ، ص٢٥٩ .

٢٦- عمـــرو بـــن معـــدي كرب الزبيدي من الشخصيات الهامة التي ساهمت في الفتوحات الإســـلامية في الجـــبهة الفارسية مع سعد بن أبي وقاص ، وبخاصة في معركتي القادسية وجـــلولاء ، ولمـــزيد مـــن التفصيل انظر . الحديث عن الجبهة الفارسية خلال بعض الصفحات التالية لما ورد في المتن عند هذه الملاحظة .

٢٧- انظر ، ابن أعثم ، جـــ١ ، ص٢٥٩ .

٢٨- الأزدي ، ص٢١٨ .

٢٩- لـــلمزيد مـــن المعلومات عن الحروب الأولى التي وقعت بين المسلمين والفرس، انظر . الطبري ، **تاريخ** ، جــ٣، ص٤٤٤ وما بعدها ، المسعودي ، **مروج الذهب** ، جــ٢ ، ص٣٠٧ وما بعدها .

٣٠- ابن أعثم ، جــ١ ، ص١٧١ .

٣١- لم نستطع العثور على الأسباب التي جعلت بعض عشائر وقبائل بجيلة موزعة بين عشائر وقـــبائل أخرى ، ويتضح تفرقهم من حرص جرير بن عبد الله البجلي على جمعهم تحت زعامة واحدة ومن المحتمل أنهم تفرقوا لمهارتهم في فنون القتال ، ولمكانتهم بين القبائل مما جعل لهم ارتباطاً واختلاطاً مع العديد من القبائل ، أو أنه حدث بينهم حروب ونزاعات في الجاهلية سببت اختلافهم ثم تفرقهم واندماجهم في قبائل أخرى .

٣٢- الطـــبري ، جــ٣ ، ص٣٦٥، عبد الرحمن بن خلدون . **تاريخ ابن خلدون** (بيروت: دار الفكر ، ١٤٠١هــ /١٩٨١م) . جــ٣ ، ص٥٢٣ .

٣٣- الطبري ، جــ٣، ص٣٦٥ ، ٣٥٩، البلاذري ، ص٢٤٧ ، ابن خلدون ، جــ٢، ص ٥٢٣ .

٣٤- انظـــر ، الطبري ، جــ٣ ، ص٤٦٠ ، ٤٧١ ، البلاذري ، ص٢٤٧، ابن خلـــدون ، جــ٢، ص٥٢٣ .

٣٥- انظـــر ، الطبري ، جــ٣، ص٥٨١، نزار الحديثي، **أهل اليمن في صدر الإسلام** ، ص ٧٤ وما بعدها .

٣٦- انظر ، المسعودي ، جــ٢، ص٣١٠-٣١١ .

٣٧- البلاذري، ص٢٥٤ .

٣٨- الطبري ، جــ٣، ص٤٦٠، ٤٦٢ .

٣٩- هـــو عرفجة بن هرثمة من بني عدي بن حارثة بن عمر بن عامر ، وعداده في بارق من الأزد . لـــلمزيد مـــن التفصيل انظر ، أحمد محمد بن عبد ربه . **العقد الفريد** ، تحقيق مفيد محمد قميحة وآخرين (بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هــ /١٩٨٣م) ، جــ ٣، ص٣٣٤، الطبري ، جــ٣، ص٤٦٢-٤٦٣ .

٤٠- المصـــدر نفسه ، جـــ٣، ٤٦٢-٤٦٣٠ ويورد ابن الأثير القصة التي وقعت بين عرفجة الـــبارقي وبجيلة ، ولكنه يشير إلى أن جرير بن عبد الله البجلي هو الذي أيد قومه على تقـــديم شكواهم إلى الخليفة عمر بشأن عرفجة ، بل ويورد أن الخليفة عمر ، بعد سماعه لقصة عرفجة قال له : "**اثبت على منزلتك، فدافعهم كما يدافعونك فقال لست فاعلاً ولا ســـائراً معهـــم** " ثم خرج إلى البصرة ، وهذه الرواية قد لا تكون صحيحة ، لأن البصـــرة لم تختط بعد ، و لم تكن معركة القادسية قد وقعت بعد. ابن الأثير ، جـــ١، ص٢٧٩-٢٨٠ ، انظر أيضاً الطبري ، جـــ٣، ٤٧١-٤٧٢ .

٤١- الطبري ، جـــ٣، ص٤٦٣ .

٤٢- المصدر نفسه .

٤٣- للمزيد من التفصيلات عن معركة البويب، انظر . الطبـــري ، جـــ٣ ، ص٤٦٠ وما بعدهـــا ، المســـعودي ، جـــ٢، ص٣١٠ وما بعدها. ويذكر أن الذي قتل مهران هو جرير بن عبد الله ، واقتسم سلبه مع المنذر بن حسان بن المندر بن ضرار الضبي ، الذي شاركه في قتله ، والذي قال في ذلك بعض الشعر، حيث يقول :

ألم ترني خالست مهران نفســـــــــــه

بأسمر فيه كالخلال طريـــــــــــــــرُ

فخر صر يعاً والتقاني برجلــــــــــــه

وبادر في رأس الهمام جريــــــــــرُ

فقال: قتيلي ، والحوادث جمـــــــــةُ

وكاد جرير للسرور يطيـــــــــــــرُ

فقال أبو عمرو: وُقتلي قتلتـــــــــهُ

ومثلي قليل والرجالُ كثيــــــــــــرُ

فأرسل يميناً إن رمحك نالـــــــــــه

وأكرم أن تحلف وأنت أميـــــــــرُ

انظر ، البلاذري ، ص٢٥٤، الطبري ، جـ٣، ص٤٦٦، ابن أعثـم ، جـ١ ، ص١٧١ ، المسعودي ، جـ٣، ص٣١١ .

٤٤- الطبري ، جـ٣، ص٤٧٢، المسعودي ، جـ٢، ص٣١١-٣١٢ .

٤٥- الطبري ، جـ٣ ، ص٤٦٩ .

٤٦- انظـر ، الطبري ، جـ٣ ، ص٤٨٠، ٤٨٣، ٤٨٦، البلاذري ، ص٢٥٦، ويذكر ابن حجـر العسـقلاني ، أن آبي ظبيان الأعرج الغامدي كان الحامل لراية غامد في معركة القادسية ، وهو القائل :

أنا أبو ظبيان غير المكذبـــة　　　أبي أبو العنقا وخالي اللهبـــــه

أكرم من يعلم بين ثعلبـــــة

انظر ، شهاب الدين أحمد بن حجر ، **الإصابة في تمييز الصحابة** (بيروت : دار الكتب العـلمية ، د.ت) جـ٤، ص١٨٨ ، ترجمة رقم (٥٢٢٨) ، حمد الجاسر ، **في سراة غـامد وزهـران نصـوص ، مشاهدات ، انطباعات** (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م) ص٢٨٢ .

٤٧- الطبري ، جـ٣ ، ص٤٨٤ .

٤٨- المصدر نفسـه .

٤٩- المصدر نفسه ، جـ٣، ص٤٨٦ .

٥٠- المصدر نفسه ، جـ٣، ص٤٨٤، ٤٨٦ .

٥١- المصدر نفسه .

٥٢- المصدر نفسه ، جـ٣، ص٤٨٥، ٥٧٦، البلاذري ، ص٢٦٧، ٢٦٨ .

٥٣- ابن أعثم ، جـ١، ص٢٠١ .

٥٤- الطبري ، جـ٣، ص٤٨٧ .

٥٥- المصدر نفسه ، جـ٣، ص٥٤٣ .

٥٦- البلاذري ، ص٢٥٦-٢٥٧ ، ٢٦١ .

٥٧- للمزيد من التفصيل عن معركة القادسية ، وأيامها المشهورة ، انظر . الطبري ، جـ٣، ص٤٨٠- ٥٧٩ .

٥٨- الطبري ، جـ٣، ص٥٧٦ ، المسعودي ، جـ٢ ، ص٣١٣ .

٥٩- الطبري ، جـ٣، ص٥٧٧ . وفي رواية أخرى تذكر أن الفرس اجتمعت على قبائل بجيلة ، فجاءهم المدد من بعض العشائر الأزدية اليمانية بقيادة القعقاع بن عمرو ، فأعانوهم ، وأجبروا الفرس على التقهقر ، فقال سعد بن أبي وقاص مشيراً إلى مساعدة القعقاع وإنقاذ بجيلة مما كاد أن يحل بهم .

هم منعوا جموعكم بطعن — وضرب مثل تشقيق الإهاب
ولولا ذاك ألفيتم رعاعا — تشل جموعكم مثل الذباب

انظر ، الطبري ، جـ٣ ، ص٥٨٠ .

٦٠- ابن أعثم ، جـ١، ص٢٧١-٢٧٢ .

٦١- المصدر نفسه ، جـ١، ص٢٧٤٠ ويذكر عن جرير أنه كان ينادي في قومه بجيلة ويقول :

"الزموا الصبر وصابروا ، فوالله إنكم الأنجاد الأمجاد ، الحسان الوجوه في اقتحام الشدائد! فاصبروا يا معشر بجيلة! فوالله إني لأرجو أن يرى المسلمون منكم اليوم ما تقربه عيونهم ، وما ذاك على الله بعزيز" .

انظر ، ابن أعثم ، جـ١ ، ص٢٧٣-٢٧٤ .

٦٢- المصدر نفسه ، جـ١، ص٢٧٦، وكان لعمرو بن معدي كرب مواقف بطولية أخرى في معركة القادسية يشجع فيها الجيوش الإسلامية على محاربة أعدائهم ، انظر . الطبري، جـ٣، ص٥٧٦، البلاذري ، ص٢٥٧، المسعودي ، جـ٢، ص٣٢٤ وما بعدها .

٦٣- وعند نزول عمرو عن فرسه ، كان يقول :

لقد علمت أقيال مذحج أنني
أنا الفارس الحامي إذا القوم أضجروا
صبرت لأهل القادسية معلماً
ومثلي إذا لم تصبر الناس يصبر
وطاعنتهم بالرمح حتى تبددوا
وضاربتهم بالسيف حتى تكسروا

بذلك أوصاني أبي وأبو أبـــــــــي
بذلك أوصاني فلست أقصـــــــــــــــر
حمدت إلهي إذ هداني لدينـــــــــه
فلله أسعى ما حييت وأشكـــــــــــــر

انظر ، ابن أعثم ، جـــ١، ص٢٧٧ .

٦٤- المصدر نفسه ، جـــ١، ص٢٧٨ .

٦٥- انظـــر تفصـــيلات أكثر ، الطبري ، جـــ٣، ص٣٩٧، ٤٠٢، الأزدي ، ص١٠٤ وما بعدها ، ابن أعثم ، جـــ١ ، ص٢٥٤، ٢٥٩ ، ٢٦٢ .

٦٦- المصـــدر نفســـه ، جـــــ١ ، ص٢٧٣-٢٧٤ ، وللمزيد عن جهود جرير بن عبد الله البجلي ، انظر ، البلاذري ، ص٢٥٣-٢٥٤ ، ابن أعثم ، جـــ١ ، ص١٧١ -١٧٢ .

٦٧- ولمـــزيد من التفصيلات عن الحروب التي وقعت بين المسلمين والفرس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، انظر . الأزدي ، ص١١ وما بعدها ، الواقدي ، جـــ١ ، ص١٥ ، ومـــا بعدها ، الطبري ، جـــ٣ ، ص٣٤٣ وما بعدها ، المسعودي ، جـــ٢ ، ص٣٠٧ وما بعدها .

٦٨- انظر . الطبري ، جـــ٣ ، ص٢٢٧ -٢٤٠ .

٦٩- لمـــزيد مـــن المعـــلومات عن حركة الارتداد في عهد الخليفة أبي بكر ودور أهل تهامة والســـراة، وبلاد اليمن في ذلك ، انظر ، الطبري ، جـــ٣ ، ص٢٢٧-٢٤٠ ، ٣١٨-٣٢٨ .

٧٠- المصدر نفسه ، جـــ٣ ، ص٥٧٦ وما بعدها .

الدراسة الثالثة :

تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى (*)

إعداد

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية

كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية

جامعة الملك خالد

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(*) هذه الدراسة منشورة في مجلة العصور ، المجلد التاسع ، الجزء الأول ، (رجب ١٤١٤هـ/ يناير ١٩٩٤م) ص ٦٣ ــ ٧٨ . ثم أعيد نشرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٢٤) ربيع الثاني (١٤١٩هـ) ص ٦٦ ــ ١٠٠ .

محتويات الدراسة الثالثة

تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى

تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى

أولاً : مقدمة :

المخلاف (ويجمع على مخاليف) ويقصد به الناحية أو الإقليم ، وقد أورد ابن مـــنظور كلمة مخلاف على أنها ناحية من نواحي الأرض ، أو منطقة من المناطق ، وقد يكـــون المخلاف صغيراً أو كبيراً حسب عدد المدن أو القرى أو العشائر والقبائل التي تسكنه [١] . والمخلاف ، أو الإقليم ، أو الناحية ، أو الكورة، أو الرستاق ، جميع هذه المســـميات تعـــني مـــنطقة معينة تشتمل على عدة مدن وقرى لها مميزات وخصائص اشـــتهرت بها . وتسمية مخلاف جرش في هذه الدراسة ، ليست من ابتكار الباحث ، وإنمـــا ورد ذكـــرها بهذا الاسم في كتب الجغرافيين الأوائل ، ككتاب ابن خرداذبه ، واليعقوبي ، وقدامة ، وغيرهم من الذين ذكروا جرش بهذه التسمية ، وجلهم عدها من المخـــاليف التابعة لولاية مكة المكرمة ، خلال القرون الإسلامية الأولى [٢] . وفي هذا البحث سوف نركز على سبب التسمية ، وعلى الموقع الجغرافي ، وعلى المجال التاريخي السياسي منه والحضاري خلال القرون الإسلامية المبكرة .

ثانياً : أصل التسمية لجرش:

أمـــا عـــن التسمية باسم جرش ، فقد ورد ذكرها في بعض المصادر التاريخية الأولى ، عـــلى أن تبعاً أسعد أبا كرب ، خرج غازياً من اليمن غزوته الأولى ، وعندما وصل إلى بلاد جرش بأرض السراة ، رأى موضعاً قليل الأهل كثير الخيرات ، فخلف فيـــه نفـــراً مـــن قومه ، فقالوا :- بم نعيش ؟ فقال : اجترشوا من هذه الأرض ، وأثيروها ، واعمروها فسميت جرش [٣] . وقد أورد ياقوت الحموي هذه القصة إلا أنه

لم يتفق قوله مع الرواية السالفة الذكر على أن تبعا أسعد ترك بعض قومه عندما رأى كثرة الرخاء وقلة السكان ، وإنما بعض من قومه تحيروا وضعفوا عن اللحاق بالجيش ، فقال لهم : اجرشوا هاهنا ، أي البثوا ، فسميت جرش بذلك[٤] . ويذكر البكري أنها سميت بجرش بن أسلم ، لأنه أول من سكنها [٥] ، ويتفق ياقوت الحموي مع البكري ، نقلاً عن أبي المنذر هشام ، فيذكر أن جرش بن أسلم هو منبه بن أسلم بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ، وهو أول من سكن جرش فسميت باسمه [٦].ويعضد هذا القول بعض علماء النسب ، كابن حزم الأندلسي ، والوزير المغربي اللذين يؤكدان أن جرش أحد أبناء أسلم بن زيد الحميري[٧] . ويورد ياقوت الحموي رأياً آخر نقلاً عن أبي المنذر هشام بن الكلبي قوله : " **جرش قبائل من أفناء الناس تجرشوا ، وكان الذي جرشهم رجل من حمير يُقال له زيد بن أسلم ، خرج بثور له ، عليه حمل شعير في يوم شديد الحر فشرد الثور ، فطلبه فاشتد تعبه فحلف لئن ظفر به ليذبحنه ثم يجرش الشعير وليدعون على لحمه ، فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش، وكل من أجابه وأكل معه يومئذ كان جرشيا** "[٨] . ولم يذهب ياقوت بعيداً عن الرأي الذي قاله البكري ، نقلاً عن كتب النسب المبكرة ، ولكن في هذه الرواية لم يرد ذكر جرش ، وإنما ورد باسم زيد بن أسلم ، بينما ورد في الرواية السابقة باسم منبه بن أسلم ، وبهذا لا يكون ثمة فرق بينهما لأنه من المحتمل أن زيدا وأسلم هما اسم لشخص واحد ، ثم بعد تمكنه من القبض على ثوره ووعدهم بجرش الشعير على لحم الثور ، صار يطلق عليه اسم جرش[٩] ، ثم نسبت البلاد التي حصل بها جرش الشعير وأكل لحم الثور إلى اسم جرش . ومما يؤكد هذا الرأي ، أن معاجم اللغة تؤكد على كلمة (الجرش) التي تشير إلى جرش الشيء ، بدقّة فلا ينعم الدق ، وبالتالي يسمى جريشاً ، ويقال : جرش

الملح والحب جرشاً ، أي لم ينعم طحنـــه ودقّة ، وبهذا القول نرى أن زيداً أو منبه بن أسلم ، جرش الشعير على لحم ثوره في منطقة جرش [١٠] ، ولهذا السبب سميت المنطقة بهـــذا الاســـم ، وربما كانت هذه الرواية أقرب إلى الصحة من رواية تبع أسعد ، عن أولئك الذين تخلفوا عن مسايرة الجيش ، فقال لهم : اجرشوا هاهنا ، أي البثوا ، حيث لم نجد عند اللغويين من قال إن الجرش هو المقام أو المكوث في مكان فيه ماء ، ولكنهم قـــالوا : إن الجرش هو الصوت ، ويسمى الملح والحب بـــ (الجرش) لأنّه حكّ بعضه ببعض فصوّت حتى سحق ، غير أنه لا يكون ناعما [١١] .

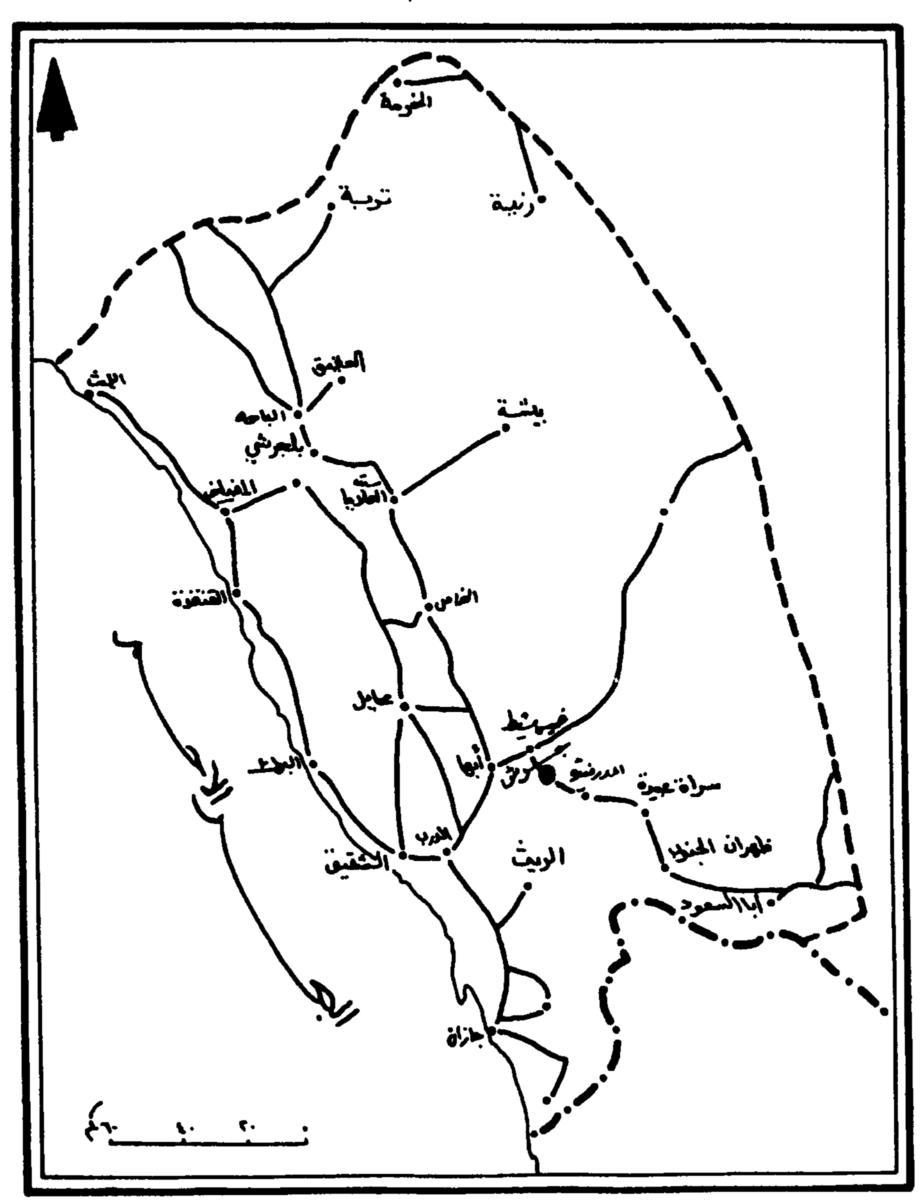
ثالثاً : التحديد الجغرافي لجرش :

أما عن موقع مخلاف جرش ، فهناك العديد من المصادر الإسلامية المبكرة التي أشارت إلى موقع المخلاف ، غير أنها لم تكن تتوخى الدقة في رسم هذا الإقليم ، فبعض الجغـــرافيين المســـلمين الأوائل كانوا يذكرون جرش عند ذكرهم للمحطات التجارية الواقعة على الطريق الموصل ما بين صنعاء ومكة المكرمة عبر الأجزاء الشرقية من بلاد الســـراة ، ومعظم المصادر التي أشارت إلى تلك الطريق ، ذكرت المحطات الواقعة إلى الشـــرق مـــن جـــرش ، فابن خرداذبة والإدريسي أشارا إلى المحطات التي تربط مكة المكـــرمة بصنعاء ، وبعد ذكرهما لمحطة مدينة بيشة ، استمرا في تعداد المحطات صوب الجـــنوب حـــتى ذكـــرا محطة سروم راح الواقعة إلى الشرق من جرش على بعد ثمانية أميـــال [١٢] . أمـــا أبو الفرج قدامة فلم يتفق مع ابن خرداذبة والإدريسي على أن ســـروم راح تـــبعد عـــن جرش المسافة المذكورة آنفاً ، علما بأنه لم يذكر المسافة بين البـــلدتين ، لكنه أورد اسم محطة (كتنة) الواقعة إلى الشمال من محطتي سروم راح ، والـــثجه ، وأكـــد أن كتـــنة هـــي التي تبعد عن جرش بثمانية أميال [١٣] . وحسب الدراسات الحديثة التي حددت مركز جرش إلى الجنوب من مدينة خميس مشيط بحوالي

خمســـة عشـــر كيـــلو مـــترا ، على الطريق البري الواصل بين مدينتي خميس مشيط ونجـــــــران [١٤] (انظر الخارطة رقم "١") . فهذا أمر يجعلنا نتوقف مُمعني النظر في أقـــوال الإدريسي ، وابن خرداذبة ، لأن الطريق التجاري القادم من الأجزاء الشرقية لبلاد السراة ، تبعد محطاته بعشرات الأميال عن مركز جرش ، ثم إن المسافة بين محطة بيشة ، ومحطة سروم راح ، تبلغ حوالي مائة وتسعة عشر ميلا حسب ما جاء في كتاب (صـــفة جزيـــرة العرب) للهمداني ، وبين كتنة وبيشة حوالي ثلاثة وثمانين ميلا [١٥] ، فـــليس من المعقول أن يكون البعد بين جرش والمحطتين ثمانية أميال فقط ، والمسافة في وقتنا الحاضر بين جرش وبيشة حوالي مائة وخمسة وثمانين ميلا [١٦]، ولهذا فمن المحتمل، أن يكـــون الجغـــرافيون الأوائل قد ذكروا المسافة بين أطراف مخلاف جرش من جهة الشـــرق ، وبـــين تلك المحطات السالفة الذكر . والباحث يميل إلى هذا الرأي ، لأن مخلاف جرش بجميع مدنه وقراه لا يشمل منطقة خميس مشيط وما حولها في وقتنا الحالي فحســـب ، بل يشمل أغلب أقاليم عسير ، وبخاصة الأجزاء السروية ، وبالتالي فاسم جرش لم يكن يشمل المدينة ، وإنما كان يطلق على أغلب بلاد عشائر قحطان وشهران وعسير [١٧] . وبهذا الامتداد ، فإن القسم الشرقي من المخلاف ، ربما كان يبعد قليلاً ، وأحيانـــاً يشمل بعض محطات الطريق التجاري الواصل من صنعاء إلى مكة المكرمة ، وإذا كان الأمر كذلك فإن أقوال الجغرافيين الأوائل ، ربما تكون قريبة من الصواب .

ومما يؤكد شمول التسمية على اتساع مخلاف جرش ، ما جاء في كتاب (صفة جزيـــرة العـــرب) للهمداني تحت عنوان (جرش وأحوازها) قوله : " ... **جرش هي كـورة نجـد العـليا ، وهـي مـن ديار عنز بن وائل ، ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشـراف حمـير ، وهـم ولـد يريم ذي مقار القيل، ولهم سؤدد، وإجابة اليمانية في أرض نجـد إليهـم .. وجـرش في قـاع ، ولهـا أشـراف غربية بعيدة منها ، تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقيها ، بينها وبين حمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء ، ويلتقـــي**

خريطة رقم (١)



موقع مدينة جرش

بهـذا المسـيل أوديـة ديار عنز حتى تصب في بيشة بعطان ، فجرش رأس وادي بيشة ، وتـندحة مـن أودية جرش وفيها أعناب وآبار ، وكتنة أول حد الحجاز وعرضها وعرض جـرش واحـد لأنهـا منها على خط الطول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل مـن يوم ... " [١٨] ، وبهذا فالهمداني يذكر بعض أجزاء مخلاف جرش ، فذكر أنها كورة نجد العـليا ، أي تقـع في الأجزاء الغربية من أطراف بلاد نجد ، ولهذا المخلاف أطراف ونـواحٍ تجاه الغرب ، ويقصد بذلك أطراف بلاد عسير العليا من جهة الغرب ، كأبها وما حولها من النواحـي [١٩] ، ثم يذكر حمومة ، ويقصد به جبل حمومة أو جبل شكر الذي ما زال ماثلاً للعيان حول المدينة العسكرية بخميس مشيط من الناحية الشرقية ، وقـد أوردت حوليـة الآثار العربية السعودية ما نصه : وعلى بعد ¾ كم تقريباً إلى الشرق من جرش ، هناك مرتفع جبل حمومة ... " [٢٠] .

أما تنذحة اليوم فهي عبارة عن واد فيه عدة قرى تقع على الطريق بين بيشة وخميـس مشيط ، وتبعد عن الخميس بحوالي ثمانية عشر كيلو متراً إلى الشرق منها ، ويصب وادي تندحة في بيشة [٢١] .

وتسمي بعض المصادر الجغرافية والتاريخية جرش باسم مخلاف ، فقدامة ذكر في باب مستقل ، سماه (مملكة الإسلام وأعمالها وارتفاعها) ، وعند الحديث عن شبه الجزيرة العربية ، خصوصاً الأجزاء الجنوبية من مكة المكرمة ، والممتدة إلى مدن اليمن الكبرى ، قال : " **ولهـا أعمال تنسب إلى المخاليف والأعراض** " وذكر جرش على أنها مـن المخاليف الواقعة في تلك الأجزاء [٢٢] . أما اليعقوبي في كتابه (البلدان) وتحت عـنوان (مـن مكة إلى اليمن) فقد ذكر العديد من الأعمال والمخاليف ومن ضمنها جـرش [٢٣] ، وفي فصـل مسـتقل لابن رسته سماه (الأقاليم السبعة ، وأسماء مدنها المشهورة) ، أورد في الإقليم الأول العديد من المدن في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وكـانت جرش من ضمن المدن المذكورة [٢٤] ، وأشار ابن خرداذبة إلى مخاليف مكة

المكرمة ، فذكر جرش على أنها من المخاليف التابعة لولاية مكة [٢٥] ، وأشار الإدريسي إلى كل من نجران وجرش فقال : " **هما مدينتان متقاربتان في الكبر وبهما نخل وبهما مدابغ للجلود**... " [٢٦] . وأشار البكري ، وياقوت الحموي ، وابن منظور إلى جرش فقالوا : " **هو موضع باليمن** " [٢٧] ، ولكن ابن منظور زاد في حديثه قائلاً : " ... **هو من مخاليف اليمن من جهة مكة ، ويوجد في الإقليم الأول ، وهو مدينة عظيمة وولاية واسعة** " [٢٨] . وبهذا تعتبر جرش ، وهي قاعدة المخلاف ، من أهم المراكز الحضارية الواقعة شمال نجران وجنوب مكة المكرمة . وكان مركز هذا المخلاف هو المنطقة التي تشغلها المدينة العسكرية الآن في خميس مشيط ، وما يحيط بها ، ولكن إذا كان المركز في المنطقة المذكورة باعتبارها المقر السياسي والإداري لولاة الرسول (ﷺ) ولولاة الخلفاء من بعده ، ففي ظننا أن امتداد ذلك المركز كان يشمل أجزاء مختلفة من الجهات المحيطة به ، بل ربما امتد نفوذ واليه ــ والي جرش ــ إلى نجران جنوباً وبيشة شمالا وشمال شرق وإلى تثليث وما حوله شرقاً وإلى قمم جبال السراة المطلة على الأجزاء التهامية غرباً ، ولو لم يكن مركز جرش قويا وذا نفوذ واسع لما حظي بواسع الذكر في المصادر الأساسية ، وبالتالي طغى الجزء على الكل من منطلق إداري سياسي.

رابعاً : الحياة السياسية في مخلاف جرش :

كانت الأوضاع السياسية في مخلاف جرش مثل غيره من الأماكن في الجزيرة العربية ، تتحكم فيه الأعراف القبلية والتقاليد والعادات ، وكانت بعض القبائل والعشائر تمتهن الغارات وتحترف الغزو . فلما أظهر الله الإسلام ، وفد على الرسول (ﷺ) في السنة العاشرة من الهجرة ، وفد صرد بن عبدالله الأزدي في بضعة عشر رجلاً، فأسلم وأسلم رجال الوفد ، وأمّره الرسول (ﷺ) بعد إسلامه على قومه ، وأمره بالجهاد بمن معه من المسلمين ضد من جاورهم في جرش من المشركين [٢٩] .

وتشـــير كـــتب التاريخ والسير إلى أن جرش كانت مدينة مسورة حصينة ، فعندما سمع أهل جرش بإسلام صرد ، وبما تم بينه وبين الرسول الكريم (ﷺ)سعوا إلى زيادة تحصين مدينتهم ، وانضمت إليهم بعض قبائل خثعم المجاورين لهم ، لمقاومة صرد بـــن عبد الله الأزدي الذي عاد مسرعاً من المدينة المنورة مصطحباً معه من انضم إلى الإســـلام مـــن قومه ، وهاجم بهم مدينة جرش ، فوجدها في غاية المنعة والتحصين ، فحاصرها شهراً كاملاً ، ولما أعياه فتحها رأى أن اللجوء إلى الحيلة أجدى من الحصار، فقـــوض خيامـــه كأنه راحل عنها وهو عازم على الخدعة ، وما أن شاهده المحاصرون راحـــلاً حـــتى فتحوا باب مدينتهم وخرجوا في أثره ليستأصلوا شأفته فتظاهر أمامهم بالفـــرار ، وعـــندما أخذوا في مطاردته عطف عليهم في التفافة بارعة ففتك بهم فتكاً ذريعـــاً [٣٠] ، وتم له فتحها وبعد الفتح توجه وفد أهلها إلى الرسول (ﷺ) لإعلان إســـلامهم أمامـــه ، فرحب بهم ، وقـــال عليه السلام : " **مرحـباً بكـم أحسن الناس وجوهاً ، وأصدقه لقاء ، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانة ، أنتم مني وأنا منكم** " ثم جعل شعارهم مبروراً [٣١] ، وأمرهم بالعودة إلى ديارهم ، بعد أن حمى لهم حمى حول بلدهم، ويـــورد محمـــد حميد الله ذلك الكتاب الذي كتبه الرسول (ﷺ) في حمى جرش وينص علـــى : " **بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي (ﷺ) لأهل جرش : أن لهـم حماهم الذي أسلموا عليه ، فمن رعاه بغـير بساط أهله فماله سحت ، وأنّ زهير بـــن الحماطـة فـإن ابنه الذي كان في خثعم ، فأمسكوه فإنه عليهم ضامن ، وشهد عمر بن الخطاب ومعاوية ابن أبي سفيان** " [٣٢] .

وأهميـــة هـــذا الكـــتاب أن الرسول (ﷺ) أقرّ حمى أهل جرش الذي يحيط بمدينـــتهم ، وذلك بمنحهم حق الرعي والتملك في بلادهم ، ووضع القوانين الشرعية الـــتي تـــنظم العلاقـــات بين الأفراد في شؤون حياهم المختلفة في ظل أحكام الشريعة الإسلامية [٣٣] .

وفي رواية للبلاذري ، نقلاً عن الزهري ، تذكر أن أهل جرش أسلموا من غير قتال ، فأمّرهم رسول الله (ﷺ) على ما أسلموا عليه ، وجعل على كل حالم من أهل الكتاب ديناراً ، واشترط عليهم ضيافة المسلمين ، وأرسل أبا سفيان بن حرب والياً عليهم [٣٤] .

وهذه الرواية التي ذكرها البلاذري لا تتفق مع الرواية التي ذكرتها كتب التاريخ والسير الأخرى ، فرواية البلاذري تنفي أن أهل جرش اعتنقوا الإسلام بالسيف ، في حين أن رواية ابن هشام ، وابن سعد ، والطبري ، وابن قيّم الجوزية ، وغيرهم تؤكد على حرب صرد بن عبدالله الأزدي لهم حتى دخلوا في الإسلام [٣٥] . ويمكننا القول إن ما رواه البلاذري يتفق إلى حد ما مع ما جاء عند أصحاب المصادر الأخرى ، وخاصة أن الرسول (ﷺ) لم يرسل جيشاً معيناً من المدينة المنورة لمحاربة أهل جرش ، وإنما تلك الحرب التي دار رحاها في بلاد جرش وما حولها ، هي حرب جهاد قادها صرد بن عبد الله لكسر شوكة أعداء الدين الإسلامي في المنطقة .

أما إرسال أبي سفيان بن حرب إلى إمارة جرش ، فقد جاءت بعد تولية الرسول (ﷺ) لصرد بن عبدالله على أهل جرش ، مع العلم أن إمارة سفيان كانت مقصورة على جبي الصدقات ، بدليل ما ذكر الطبري ، أن أبا سفيان كان والياً على الصدقات في تلك الأنحاء الممتدة من مخلاف جرش إلى نجران جنوباً ، وإلى زبيد ورمع غرباً . أما الإمارة العامة على تلك الأجزاء فكانت لخالد بن سعيد بن العاص الذي كُلف بإمارة تلك النواحي في نهاية الحج للسنة العاشرة من الهجرة [٣٦] .

وتذكر بعض كتب السنة نقلاً عن ابن عباس أن الرسول (ﷺ) كتب إلى أهل جرش ينهاهم أن يخلطوا الزبيب بالتمر [٣٧] ، وهذا الخبر مفاده أن الرسول (ﷺ) كان

على صلة تامة بأهل جرش ، وبمعرفة أخبارهم ، الأمر الذي أدى إلى نهيهم عمّا لا يتفق مع الشريعة ودعوتهم إلى الامتناع عن القيام بما يُخالفها .

والملاحظ أن بعد موت الرسول (ﷺ) ومجيء الخليفة أبي بكر الصديق ، وما حدث في عهده من أحداث عرفت في مصادر التاريخ بحروب الردة كان لأهل اليمن بمـا فيهم نجران ومخلاف جرش وما حولها دور في تلك الحروب ، لا سيما بعد ظهور الأسود العنسي ، الذي ظهر في أواخر عهد الرسول (ﷺ) ، والذي ارتد عن الإسلام وادعـى النـبوة ، وبسط سلطانه على الكثير من المناطق ، كصنعاء ونجران وجرش وغيرها ، وطرد عمال الرسول (ﷺ) من تلك النواحي ، وولى بدلهم ولاة من عنده ، فكـان مـن ولاته عمرو بن معدي كرب (٣٨) ، أحد نوابه على المنطقة الواقعة ما بين نجران وبيشة ، التي تعد ضمن مخلاف جرش (٣٩) .

لقد منيت الأمة العربيـة عقب وفاة الرسول (ﷺ) وتولية أبي بكر الصديق الخلافـة ، باضـطرابات خطيرة ، ذلك أن بعض القبائل العربية التفت حول زعمائها الذيـن ادعـوا النبوة ، مثل الأسود العنسي المشار إليه وغيره ، وبدأ هؤلاء بدعوتهم للتخـلص من نفوذ المدينة المنورة ، ومن ثم اندلع لهيب العصيان في كل مكان ، فأخذ الخـليفة أبـو بكـر على عاتقه أن يحارب أهل الردة ، فطلب من ولاة مكة المكرمة والطـائف مجابهة المرتدين في بلاد تهامة والسراة الواقعة إلى الجنوب من مكة والطائف والممـتدة إلى الحواضر الكبرى في اليمن . فأعد عتاب بن أسيد عامل مكة المكرمة ، وعـثمان بن أبي العاص عامل أبي بكر الصديق في الطائف عدة حملات لمحاربة أولئك المـرتدين . وقد وصل بعض تلك الحملات إلى مخلاف جرش ، وانضمت إلى المسلمين هـناك ، ثم اشـتبكت مع المرتدين في تلك الديار ، وتمكن المسلمون من هزيمة جيش

المـــرتدين وكسر شوكتهم [٤٠] ، وفرار أحد قادهم ، حميضة بن النعمان البارقي [٤١] فارتجل عثمان بن أبي ربيعة شعراً في هزيمتهم قائلاً : ـــ

فضضنا جمعهم والنقع كـــاب
وقد تعدى على الغدر الفتوق
وأبرق بارق لما التقينـــــــــــــا
فعادت خلّبا تلـــك البروق [٤٢]

وفي رواية للطبري ، أن جرير بن عبدالله البجلي [٤٣] ، كان قد أرسل إلى بلاد السراة واليمن في عهد الرسول (ﷺ) فذهب مع بعض قومه ، ثم عاد إلى المدينة المنورة بعـــد مـــوت الرسول (ﷺ) فأمره الخليفة أبو بكر الصديق بالرجوع إلى بلاد السراة ومحاربة المرتدين بها ، وعندما جهز الخليفة أبو بكر الجيوش لمحاربة المرتدين أمر المهاجر ابن أمية بالتوجه صوب مكة المكرمة والطائف ، ثم التحرك جنوباً إلى بلاد السراة حتى الـــيمن . وفي أرض السراة التقى المهاجر بن أمية بجرير بن عبدالله ، ومن هناك واصل الرجلان سيرهما إلى بلاد مخلاف جرش ، وعند منتصف الطريق التقى المهاجر ، الذي كانت له قيادة الجيوش ، بعبد الرحمن بن أبي العاص ، قائد الجيش بإمرة والي الطائف عـــثمان بـــن أبي العاص . وانضم لهذه الجيوش أيضاً عبد الله بن ثور من تهامة فواصل الجميـــع ســـيرهم عبر مخلاف جرش حتى قدموا على بلاد نجران وما والاها من بلاد الـــيمـــن [٤٤] . وبعـــد معارك كثيرة وصراع طويل تمكن القادة المسلمون من إحراز النصر ، وتلا ذلك هزيمة المرتدين واستسلامهم في النهاية الأمر الذي أدى إلى أن صار مخلاف جرش كغيره من بلاد تهامة والسراة جزءاً من أجزاء الخلافة الإسلامية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق [٤٥] .

والملاحظ أن المصادر الإسلامية المبكرة لا تفصح عن الأحداث التي وقعت في المخـــلاف ، وإنما تشير إلى بعض الوقائع التي حدثت في بعض أجزائه ، ولكن إشارتها

غـــير دقيقة إلى حد ما ، لا في تسمية الأماكن ، ولا في دور الحواضر بشكل مفصل ، الأمر الذي لا يروي ظمأ القارئ إلى معرفة الأوضاع السياسية والحضارية لهذه الأجزاء مـــن المخـــلاف ، وهو بدوره لا يشكل إلا جزءاً محدودا من المنطقة الجغرافية الواسعة والـــتي أطـــلق عليها بلاد السراة . وفي اعتقادي أن مخلاف جرش لم يتغير في وضعه السياســـي خلال القرنين الأولين لا سيما بعد الانتهاء من حروب الردة ، ثم صار من الأجـــزاء التابعة للخلافة الإسلامية في المدينة المنورة ، إذ عيّن الخليفـــة أبو بكر عليه واليـــاً يـــنظم شؤون الناس (٤٦) ، ولكن بعد انتقال الخلافة الإسلامية إلى دمشق أيام الأمويين ، ثم انتقالها إلى بغداد أيام العباسيين ، صار اهتمام الخليفة سواء في دمشق أو بغـــداد ، أن يـــولي أمراء من قبله على المدن الكبرى في شبه الجزيرة العربية ، كمكة المكـــرمة ، أو المديـــنة ، وربما جُمعت المدينتان تحت إمرة والٍ واحد ، وأحيانا تجمع اليمامة والحجاز واليمن تحت إمرة وال من ولاة الخليفة تكون إقامته في مكـــة المكرمة أو المدينة المنورة ، يشرف على الجباة ومراقبة الأسواق ، وحماية البضائع من السرقة ، وما عدا ذلك من الأعمال المتعلقة بشؤون جرش ومخلافها تترك لزعماء القبائل الذين يعدون المسؤولين ــ عرفيا ــ عن إدارة البلاد وتنظيم أمورها (٤٧) .

ومنذ بداية القرن الثالث الهجري ، بدأ الضعف يدب في جسم الخلافة العباسية ، وبخاصة بعد الحرب الأهلية التي وقعت بين الأخوين الأمين والمأمون منذ عام (١٩٣ ــ ١٩٨هـــ) الأمر الذي أدى إلى ظهور الخارجين والثائرين على الخلافة في أجزاء عديدة من البلاد ، فقام أهل جرش وأعلنوا انفصالهم عن ولاية الحجاز ، وقام أمير من الحراميين في حلي بن يعقوب بتهامة (٤٨) ، واستقل ابن طرف بمخلاف حكـــم (٤٩) ، وقامت فتنة في بلاد عك والأشاعرة في بعض الأجزاء من تهامة (٥٠) .

وما إن انتهى الخليفة المأمون من أمر أخيه ، إلاّ والكثير من أجزاء مخاليف جرش ،

ونجران ، واليمن ، وبعض الأجزاء التهامية قد أعلنت ثورتها واستقلالها عن الخلافة ، وعندئذ التفت في جدية لتلك المناطق الجنوبية ، فبعث محمد بن زياد إلى حرب الأشاعرة ، والعكيين في تهامة ، وكانوا أكثر الأطراف خطورة تجاه الخلافة في تلك البلاد ، وقال له : « **أسمعني صوتهم** » ، أي يقاتلهم بقوة لا هوادة فيها ، فوصل ابن زياد مزودا بالمال والرجال وأهل الرأي ، وتمكن من إخماد الأشاعرة وغيرهم ، بل التنكيل بهم (٥١) .

وتفرغ لسكان الجبال والمناطق التي أعلنت انفصالها عن الولايات التابعة لها ، كبلاد جرش ، ونجران ، وبيشة وما حولها ، فاستعمل الترغيب والترهيب ودعوة المنشقين إلى الوحدة ، وعدم الخروج عن الجماعة ، والرجوع إلى طاعة الخليفة وتعهد بإرجاع كل منهم إلى إمارته ، فوافقوا وعادوا إلى الولاء ثانية ، وقاموا بإرسال الخراج، ولكن هذا الأمر لم يستمر ، فبعد موت محمد بن زياد ، جاء من بعده أمراء ضعاف فلم يستطيعوا إحكام القبضة على البلاد التي كانت في حوزة الدولة الزيادية ، فقام كل أمير يستقل بناحيته ، أما مخلاف جرش وبلاد السراة الممتدة من شمال نجران حتى الطائف فقد بقيت شكليا أو اسميا مرتبطة بعامل الحجاز كما كانت سابقا (٥٢) .

وبعد القرن الثالث الهجري لا نجد ما يوضح لنا تاريخ جرش ومخلافها ، وإنما بعض المصادر أشارت إلى أحداث سياسية حدثت في بلاد اليمن أو بلاد تهامة أو السراة ، الواقعة إلى الجنوب من مدينتي الطائف ومكة المكرمة ، والتي اكتسبت صبغة العمومية ، وأحياناً نجد فيها شذرات تشير إلى تاريخ المدن الكبرى مثل : زبيد ، وصعدة ، وصنعاء ، وهذه المسميات لا تعطينا ما نريده من تاريخ جرش ، ولا تبين لنا مدى مشاركة أهلها في المضمار الحضاري للحواضر السابقة الذكر . والذي يبدو أن كتب الجغرافيا والرحلات تذكر جرش عندما تذكر الطريق المار بشرقها والواصل بين حواضر اليمن والحجاز .

ومـــن الجغـــرافيين الذين ربطوا ذكر جرش بذكر الطريق : ابن خرداذبة ، وقدامـــة ، والحربي ، والهمداني ، خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة ، ثم الإدريسي وابن المجاور ، وياقوت الحموي ، في القرنين السادس والسابع الهجريين ، وبعد القرن السابع لم نعد نستطيع العثور على ذكر لها في ما توفر لدينا من مصادر ، ولا ندري ، هل يعود عدم ذكرها إلى اندثارها ، وبالتالي لم يصبح لها دور في التجارة مثلما كان لها مـــن قـــبل ، ومنذ ذلك الوقت للآن، لم يعد لها الازدهار الذي كانت عليه ، ولم تعد تعـــرف بمسماها السابق ، وإنما تحولت إلى مسميات أخرى ، فصارت جزءاً من إقليم عســـير الممـــتد مـــن ظهران الجنوب جنوباً إلى بلاد خثعم وشمران شمالاً ، وحل محل مركـــزها القـــديم مسميات حديثة تأتي ضمن مدينتي خميس مشيط وأحد رفيدة وما حولهما .

خامساً : الجوانب الحضارية في جرش ومخلافها :

من الطبيعي أن تحظى جـــرش ومخلافها بنشاطات مهنية متعددة ، كالرعي والزراعة ، والصناعات ، والحرف اليدوية ، والتجارية ، والازدهار العمراني ، وذلك يعود إلى خصوبة تربتها وحسن موقعها . فمخلاف جرش يتمتع بطبيعته الجغرافية التي تتكون من الجبال والوهاد والوديان ، والهضاب والسهول إلى جانب طبيعته الاجتماعية التي تضم العديد من العشائر والأفخاذ الأزدية التي يحترف بعضها مهنة الرعي التي كانت من الملامح المميزة لأهل جرش مما جعلها المهنة الرئيســـة بجانب الزراعة وبعض الحرف اليدوية الأخرى . وأقرب دليل على بروز هذه المهن في حياتهم ما ذكره الرسول (ﷺ) في كتابه الموجه إليهم ، والذي حمى لهم حماهم الذي أسلموا عليه ، والحمى لا يوجد إلاّ إذا وجدت المواشي والبهائم التي ترعى فيه [٥٣] . ويؤكد بعض الجغرافيين على كثرة الأدم ودباغة الجلود في مخلاف جرش [٥٤] ، وهذا دليل على

كثرة المواشي والبهائم في ربوعها ، فإلى جانب ما يُستفاد منها في قضاء حاجات الإنسان وتوفير غذائه ، تستخدم جلودها كألبسة وفراش بعد دباغتها ، وقد يصدّر منها ما يفيض عن الحاجة إلى المناطق المجاورة لها .

أما الحياة الزراعية ، فمخلاف جرش نال نصيباً من الزراعة ، ومما يؤكد ذلك قول بعض المؤلفين الأوائل الذين أشاروا إلى استخدام النوق الجرشية في رفع المياه من الآبار لسقي المزارع بواسطة السواني ، وفي هذا يقول ابن أبي خازم :

تحدر ماء البئر عن جرشية
على جربة تعلو الدبار غروبها (٥٥)

ولم تكن الجمال فقط التي تستخدم في ري المزارع عن طريق السواني بل استخدمت الأبقار للغرض نفسه ، كما استخدمت القنوات التي تعد خصيصاً لماء المطر لري بعض المزارع العثرية (٥٦) .

ومن المنتوجات الزراعية التي كان يشتهر بها مخلاف جرش ، هي الحبوب كالقمح والشعير والذرة ، وقد يفيض الإنتاج عن الحاجة فيصدّر إلى حواضر الحجاز واليمن (٥٧) . أما منتوجات المخلاف من الثمار ، فتتمثل في الزبيب والتمر والدليل على ذلك أن الرسول (ﷺ) نهى أهل جرش عن خلط الزبيب بالتمر (٥٨) . ويعد العنب الجرشي من أجود أصناف العنب ، وقد أثنى على جودته المؤلفون الأوائل ، أمثال : الأصمعي في كتابه : النخل والكرم في أثناء حديثه عن أصناف العنب فقال : « **فأما الجرشي فأبيض صغار الحب أول العنب إدراكا** » (٥٩) ، ويشير صاحب كتاب لسان العرب ، إلى العنب الجرشي فيقول : « **ضرب من العنب أبيض إلى الخضرة ، رقيق صغير الحبة** » (٦٠) ، ويتفق البكري والإدريسي مع ابن منظور والأصمعي على جودة عنب جرش(٦١) ، ويشير الدينوري ، في كتاب (النبات) إلى جودة عنب مخلاف جرش ، وإلى طول عناقيده (٦٢) ، وفي أجزاء عديدة من مخلاف جرش يوجد القرظ ،

الذي يساعد كثيراً في عملية دباغة الجلود ، ويذكر عماد الدين أبو الفداء ، ما نصه : « **وجرش بلدة صالحة وحولها من شجر القرظ ما لا يحصى** » (٦٣) ، ويشير الإدريسي إلى كثرة زراعة النخيل في بلاد جرش (٦٤) .

أما المهن والحرف الصناعية بمخلاف جرش ، فهي بدون شك متعددة ، ولكن ما حفظته لنا المصادر المبكرة لا يتجاوز إلا عدداً محدوداً من الصناعات ، وكتاب الرسول (ﷺ) إليهم في عدم خلط الزبيب مع التمر يدل على أنهم كانوا يجمعون هذين النوعين ثم يعصرونهما فيخرج لهم شراب النبيذ ، أو نوع من أنواع الخمور ، ولهذا فالرسول (ﷺ) نهاهم عن تلك المهنة (٦٥) .

والثابت أيضاً أن دباغة الجلود وخرازتها في جرش ، ازدهرت ازدهاراً عظيماً، فأشار أبو الفداء وابن المجاور إلى ذلك (٦٦) . وساعدت عوامل كثيرة في ازدهار هذه الصناعة في تلك البلاد وما حولها ، وذلك من حيث توفر المواد الخام المتمثلة في جلود المواشي ، ومواد التصنيع ، بالإضافة إلى وفرة أشجار القرظ الذي يعتبر من أفضل المواد التي تستخدم في الدباغة . هذا وتتمتع المنطقة بعوامل أخرى تساعد على جودة هذه الصناعة ، فالشمس الساطعة ، وطيب الهواء ، وأشجار القرظ كما سبق القول ، تساعد على ممارسة مهنة الدباغة ثم التجفيف والتسويق إلى الحواضر المجاورة (٦٧) .

وهذه الجودة التي تمتعت بها هذه الصناعة ، ساعدت على شهرتها التي تجاوزت حدود شبه الجزيرة العربية ، حتى صار هذا النوع الجيد،والمعروف باسم (أدم جرش) مشتهراً في الأسواق الخارجية مثل أسواق العراق وفارس وبلاد الشام وغيرها (٦٨) .

ومـــن الصناعات الحربية التي اشتهر بها المخلاف صناعة الدبابات والمجانيق ، والعـــرادات . والدبابـــات التي كانوا يصنعونها وهي عبارة عن آلة من مادة الخشب

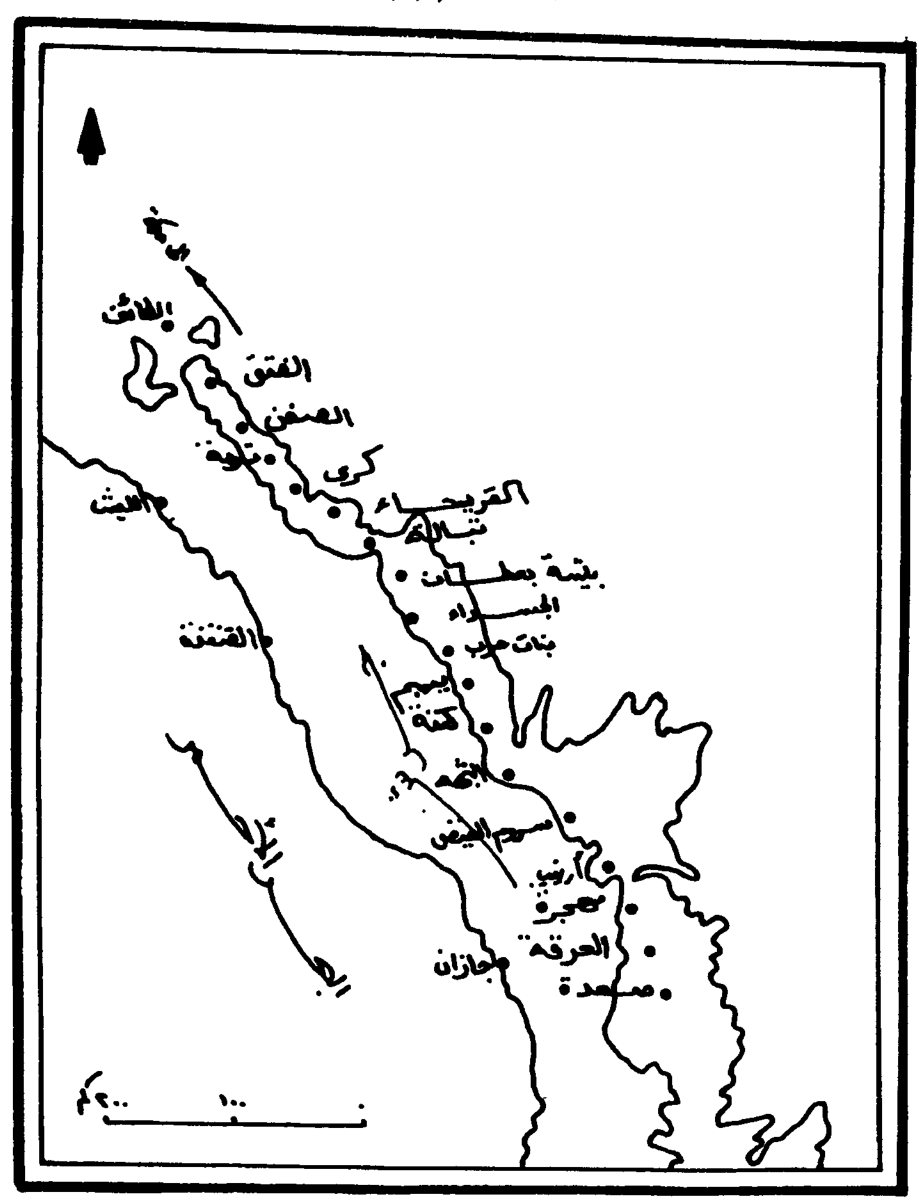
مغطاة بجلود البقر يدخل فيها الرجال،ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه، وهي تقيهم مما يرمى عليهم من حجارة (٦٩) . أما المجانيق والعرادات فهي من آلات الحصار ، التي ترمى بواسطتها الحجارة الثقيلة على الأسوار (٧٠) .

ويذكـــر أن الأغنياء من أهل مكة المكرمة والطائف وغيرهم من حواضر شبه الجزيرة العربية كانوا يذهبون إلى بلاد جرش ليتعلموا بعض الصناعات الحربية ، قصد حمايـــــة أنفسهم وأموالهم ، وممن ذهب إلى هناك أيام الرسول (ﷺ) عروة بن مسعود الثقفي ، وغيلان بن سلمة اللذان سارا إلى جرش وأقاما فيها يتعلمان صناعة العرادات والدبابـــات في أثناء محاصرة الرسول (ﷺ) لمدينة الطائف (٧١) . وهذه الرواية وغيرها من الروايات تؤكد ما كانت تحتله جرش من مكانة مهنية ، خاصة في المهن الحربية .

أمـــا الحيـــاة التجارية فلم تكن أقل من غيرها من الأعمال الأخرى ، ولولا نشـــاطها الـــتجاري لمـــا راجت فيها الصناعات ذات الإنتاج الحيواني ، والمنتوجات والمحاصيل الزراعية التي كانت تفيض عن الحاجة ، وتصدر إلى أسواق الحواضر الكبرى في الحجـــاز والـــيمن ، ومما زاد في النشاط التجاري لمخلاف جرش قربه من الطريق التجاري الذي كان يأتي من صنعاء ماراً بشرق مخلاف جرش ، حتى بيشة ثم الطائف ثم مكـــة المكرمة (٧٢) ، (انظر الخارطة رقم " ٢ ") ، ومن المؤكد أن القوافل التجارية كانت تعرج على مخلاف جرش طلباً للراحة والتزود من سلعها ، كالمحاصيل والعنب ، وبعـــض الصـــناعات الجلدية ، وبعض المواشي كالإبل وغيرها ، وهذه السلع جميعها متوفرة في أسواق جرش ومخلافها .

وغالبية سكان جرش من القبائل اليمانية ، إلى جانب وجود بعض العشائـــر والبطون الشامية ، وفي إشارة للهمداني ما يوضح ذلك ، فيقول : « ... **وفي شـق قرية جـرش فـرق مـن الـنزارية يدعـون الجزارين من موالي قريش** » (٧٣) ، وهذا القول يشير إلى أن بعض العشائر الشامية ، أو من يواليها ، كان يعيش مع السواد الأعظم من

خريطة رقم (٢)



موقع مخلاف جرش من الطريق الجبلي ما بين الحجاز واليمن

القبائل اليمانية في تلك البلاد . بل وإن بعضهم كان من موالي قريش ، وليس ببعيد أن تكـون مـن بيـنهم طـبقة من العبيد تمتهن الحرف والصناعات ، كعمل الدبابات والعـرادات وغيرهـا ، لأنه من المألوف في المهن والحرف الصناعية أن يتداولها مثل هـؤلاء [٧٤] . وكـان في بـلاد جرش بعض اليهود والنصارى ، بدليل ما ذكره الـبلاذري عن الرسول (ﷺ) أنه أمّر أهل جرش على ديارهم ، وفرض على كل فرد مـن أهل الكتاب ثمن بها دينارا [٧٥] ، وهذا الخبر يبين أن بعضاً من اليهود والنصارى كان يعيش مع العرب في مخلاف جرش .

أمـا عن العادات والتقاليد والأعراف عند أهل جرش ، فلم نستطع الحصول على ما يصور لنا هذه الحياة ، ولكن أغلب الظن ، بعد دخولهم في الإسلام ، وإرسال الـولاة إليهم من قبل الرسول الكريم ، ثم الخلفاء الراشدين من بعده ، أن عاداتهم ، وأعيـادهم ، وولائمهم ، وأعراسهم ، وبقية حفلاتهم وموائدهم صارت تمارس طبقاً لمنهج الدين الإسلامي [٧٦] .

أما العمارة عندهم فأصبحت تتماشى مع تعاليم الإسلام ، وكانت مادة البناء هي الحجارة ، والطين وبعضهم كان يعمل على تسوير البيوت ، وتسوير المدن والقرى بأسـوار تنـتهي ببوابات واسعة ، ومثال ذلك أسوار مدينة جرش ، التي وقفت أمام هجمـات عبدالله بن صرد الأزدي وصحبه عند قدومه لفتحها ، أما عن البيوت هل تبنى من طابق أو أكثر ، وعن مدى ما يتمتع به البنّاءون من المهارة في البناء ، فلم نعثر على شيء من هذا في المصادر التي بين أيدينا ، ولكن يمكننا القول أنهم طالما برعوا في الصـناعات الحربية ، وبعض المهن الحرفية الأخرى ، فليس بمستبعد أن يكون لديهم بعض الخبرات في البناء بما يتناسب ومعارف الحال آنذاك .

سادساً : الخاتمة :

وخلاصـــة القول ، أن مخلاف جرش قد عرف منذ الفترة السابقة للإسلام ، وبعـــد أن أســـلم أهلـــه ، تحول من أرض مشركة إلى أرض إسلامية ، يشع منها نور الإسلام ، ويعمل سكانها على تطبيق الشريعة ، وبعد موت الرسول (ﷺ) حدثت بعض الأمور في شبه الجزيرة العربية ، أهمها حروب الردة ، التي عمت أصقاع شبه الجزيـــرة ومن ضمنها مخلاف جرش ، الذي أصابه أذى الارتداد بقيادة الأسود العنسي ، وظهر به بعض المرتدين ممن اشتركوا في حرب الردة مع العنسي ، لكن الله حفظ دينه ، لقوله جلّ جلاله وهو أصدق القائلين { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } .

لقد قام صحابة رسول الله (ﷺ) يتقدمهم الخليفة أبو بكر في محاربة المرتدين ، وإجبارهم على العودة للإسلام ، وأصبحت الجزيرة بعد الانتهاء من حرب الردة تدين كـــلها بديـــن الله ، وأصبح مخلاف جرش من الأعمال التابعة لدار الخلافة في المدينة المنورة، ثم دمشق ، وبعدها في بغداد ، لكن لم يخل الأمر من ظهور بعض الفتن ، وكان روادهـــا يـــودون الاستيلاء على الحكم ، سواء من مخلاف جرش أو غيره ، لكن دار الخلافة كانت لهم بالمرصاد .

إن مخلاف جرش منذ أواخر القرن الثالث الهجري ، وبداية القرن الرابع ، لم نعـــد نجد لها في بطون المصادر المبكرة إلا إشارات بسيطة ، وبخاصة عند ذكر الطريق الـــذي يربط اليمن مع الحجاز عبر الأجزاء الشرقية من بلاد السراة ، والأغرب من ذلـــك أنـــه لم يعد له ذكر بعد القرن السابع الهجري ، ولم يصلنا شيء عنه منذ بداية القرن الثامن ، واندرست مدينة جرش وأصبحت كما يُقال أثراً بعد عين .

وكون مخلاف جرش عاصر الأزمنة الأولى من دولة الإسلام بما فيها من أحداث تاريخية ، وممارسات حضارية ، خاصة الصناعية والتجارية منها بسبب أهمية موقعه ما بين الحجاز واليمن ، لهذا وجب علينا أن نبذل ما في وسعنا في البحث عن معالم هذا المخلاف ، وهذا العمل يقع على كاهل الأثريين والمؤرخين في الدرجة الأولى، لأن الكشف عن الصور الحضارية في هذه المنطقة مفخرة لأبناء الجزيرة خاصة ، وللمسلمين عامة ، لذا أرجو من إخواننا المختصين والمسؤولين في المؤسسات المختصة بهذا الشأن ، مضاعفة الجهود لنحصل ما يمكن الحصول عليه من الآثار العمرانية لهذه المدينة ومخلافها ، لتحكي لنا قصة حضارتها عبر العصور ...

والله الموفق ،،،

سابعاً : الحواشي والتعليقات

١ ــ انظر:جمال الدين أبو الفضل بن منظور. لسان العرب ،تنسيق وتعليق علي شيري (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م) جـ ٤ ، ص ١٩١ ــ ١٩٢ .

٢ ــ كان لمكة المكرمة العديد من المخاليف التابعة لها ، سواء في المنطقة الواقعة بين حاضرة مكة والمدينة المنورة ، أو في الأجزاء الواقعة إلى الجنوب من مكة المكرمة والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى ، ولمزيد من التوضيح انظر: أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي . كتاب البلدان ، تحقيق أم . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م) ص ٣١٤ ــ ٣٢٠ (وهذا الكتاب ضمن الأعلاق النفسية لابن رسته) ؛ أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة . كتاب المسالك والممالك ، تحقيق ام . دي غوي (ليدن: مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م) ص ١٣٣ ــ ١٣٩ .

٣ ــ انظر : أبو محمد عبدالملك بن هشام. السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت : دار القلم ، د. ت) ص ١٩ ــ ٢٠ ؛ عبد الله بن عبد العزيز البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق ، مصطفى السقا (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ، مج١ ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

٤ ــ شهاب الدين ياقوت الحموي . معجم البلدان (بيروت : دار صادر وبيروت للنشر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

٥ ــ البكري ، مج١ ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

٦ ــ ياقوت ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

٧ ــ انظر : أبو محمد علي بن أحمد بن حزم . جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : لجنة من العلماء (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ، ص ٤٣٦ ، ٤٧٨ ؛ الحسين ابن علي بن الحسين الوزير المغربي ، الإيناس في علم الأنساب ، (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ص ١٠٢ ، ١٢٩ .

٨ ــ ياقوت ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

٩ ــ وهــذا يــدل على الوفاء ، بالعهد ، واحترامهم له ، وربما أنه لا يملك سوى هذا الثور ، ومــع هذا ضحى بقوام عيشه في سبيل احترام وعده والوفاء به ، ولعمري إن هذا العمل من أنبل الصفات .

١٠ ــ ابن منظور ، جــ ٢ ، ص ٢٥٠ .

١١ ــ المصدر نفسه .

١٢ ــ ابــن خــرداذبة ، ص ١٣٣ ؛ محمد بن محمد عبدالله الإدريسي . كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هــ / ١٩٨٩م) جــ ١، ص ١٤٤ ــ ١٤٩ . مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هــ /١٩٨٥م) جــ ١ ، ص ١٤٦ .

١٣ ــ انظــر . أبــو الفرج قدامة . نبذ من كتاب الخراج ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خــرداذبــة ، تحقيــق ، ام . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هــ / ١٩٨٩م) ص ١٨٨ ــ ١٨٩ .

١٤ ــ لمزيد من التفصيلات عن جرش في بعض الدراسات الحديثة انظر : حمد الجاسر ، في سراة غــامد وزهــران ، نصــوص ، مشاهدات ، انطباعات (الرياض : دار اليمامة للبحث والــترجمة والنشر ، ١٣٩١هــ / ١٩٧١م) ص ٤٢ ــ ٤٩ ؛ محمد أحمد معبر . جرش من المراكز الحضارية القديمة (خميس مشيط : دار جرش للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هــ / ١٩٨٨م) ص ١٣ ومــا بعدها ، سعيد بن عياش . " مدينة جرش الأثرية وما يقربها من المواضع " مجلة العرب ، جــ ٤ ، السنة السادسة،١٣٩١هــ/ ١٩٧١م) ص ٢٤١ ــ ٢٤٨ .

١٥ ــ انظــر : الحسن بن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب ، تحقيق ، محمد بن علي الأكوع الحــوالي (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧هــ / ١٩٧٧م) ص ٣٣٨ ــ ٣٤٠ .

١٦ ــ معلومات مستقاة من مشاهدات الباحث .

١٧ ــ ولــلمزيد مــن التفصــيل عــن أفخاذ وعشائر بلاد قحطان وشهران وعسير، وأماكن استيطاهم، انظر كتاب ، هاشم سعيد النعمي . تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، (د.م : مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، د. ت) ، ص ٦ وما بعدها .

١٨ ــ الهمداني ، ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦ .

١٩ ــ وقبائل عسير الأساسية هي: بنو مغيد، وعلكم ، وبنو مالك، وربيعة، ورفيدة ، ولكن في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين توسع مفهوم اسم عسير حتى صار يشمل البلاد الواقعة بين غامد وزهران في الشمال ، وظهران الجنوب في الجهة الجنوبية ، وللمزيد من التوضيحات عن مسمى عسير قديماً وحديثاً ، انظر . علي أحمد عيسى عسيري . عسير من ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م ــ ١٢٨٩هـ /١٨٧٢م (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ص ٢٣ وما بعدها ؛ غيثان بن علي جريس . صفحات من تاريخ عسير ، الجزء الأول. (جدة : مطابع البلاد للنشر ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ص ٧ ــ ١٢ .

٢٠ ــ انظر . مجلة أطلال ، الصادرة عن إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف (الرياض ، عدد (٥) ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص ٢٥ ــ ٢٦ .

٢١ ــ تندحة : عبارة عن مجموعة قرى تغطي مساحة من الوادي الكبير المسمى بالتندحي الذي تنحدر سيوله تجاه الشرق والشمال الشرقي حتى تصب في وادي بيشة ، وتربة بلاد تندحة من أخصب الترب بفضل ما يمنحها واديها من الطمي ، وفواكهها ولا سيما الرمان من ألذّ الفواكه لاعتدال جوها ، ومياهها متوفرة قل أن تنضب ، ويقطنها من القبائل بعض عشائر قبيلة كود الشهرانية ، وتغطي حوالي نصف بلاد تندحة ، ثم قبيلة آل الزّلال ، وقبيلة آل مستنير ، والمزارقة ، وبني سامة ، وآل عجير ، وآل الذئب ، وكل هذه القبائل شهرانية ما عدا آل مستنير فمن رفيدة قحطان . مشاهدات الباحث في بلاد قحطان وشهران من (١٠ ــ ١٣/٥/١٤١٣هـ) .

٢٢ ــ قدامة ، ص ٢٣٤ .

٢٣ ــ اليعقوبي ، ص ٣١٧ ــ ٣١٨ .

٢٤ ــ أبو علي أحمد بن عمر بن رسته. كتاب الأعلاق النفسية ، تحقيق ، ام . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م) ص ٩٦ .

٢٥ ــ ابن خرداذبة ، ص ١٣٣ .

٢٦ ــ الإدريسي ، جـ ١ ، ص ١٤٦ .

٢٧ ــ انظر : البكري ، مج١ ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ ، ياقوت ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ، ابن منظور ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ .

٢٨ ــ ابن منظور ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ .

٢٩ ــ للمزيد من التفصيلات عن صرد بن عبدالله الأزدي (رضي الله عنه) انظر : عز الدين علي بن الأثير . أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د. ت) جـ ٣ ، ص ١٧ .

٣٠ ــ وللمزيد من التفصيل عن محاربة صرد بن عبدالله الأزدي لأهل جرش ، ثم هزيمتهم ، انظر: ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ ؛ محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) . جـ ١ ، ص ٣٣٧ ــ ٣٣٨ ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن القيم . زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين (بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) جـ ٣ ، ص ٦٢٠ ــ ٦٢١ ؛ محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو. الفضل إبراهيم ، (بيروت : دار سويدان ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م) جـ ٣ ، ص ١٣٠ ــ ١٣١ .

٣١ ــ ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٨ .

٣٢ ــ محمد حميد الله . مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ .

٣٣ ــ ويتضح أن الرسول (ﷺ) حفظ لأهل جرش حماهم بقوله :" **فمن رعاه بغير بساط أهله فماله سحت** " ، أي فمن رعى حمى أهل جرش ، فلا ضامن على من أهلكه . وقوله عليه السلام : " وأن زهير بن الحماطة ... " والمذكور أن ولد زهير ارتكب في خثعم أمراً أوجب الضمان ، فضمنه زهير لهم ، فأمر الرسول (ﷺ) بإمساك زهير أخذاً بضمانه

لجريـــرة ابنه. انظر، محمد حميد الله ، ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ ، وعن الحمى وأهميته منذ بداية عصر الإسلام ، انظر تفصيلات أكثر . صالح أحمد العلي "الحمى في القرن الأول الهجري" مجلة العرب ، جـ ٧ (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) ، ص ٣ وما بعدها .

٣٤ ـ انظـــر ، أحمد بن يحيى البلاذري . فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص ٧٠ .

٣٥ ـ وللمزيد من التوضيحات ، انظر : ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ ؛ ابن سعد، جـ١ ، ص ٣٣٧ ــ ٣٣٨ ؛ الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ ــ ١٣١؛ ابن القيـــم ، جـ ٣ ص ٦٢٠ ــ ٦٢١ .

٣٦ ـ الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨ ، ٣١٨ . وإمارة صرد بن عبدالله ربما كانت مقصورة على مخـــلاف جرش ، أما أبوسفيان بن حرب فكان عمله فقط جباية الزكاة من مخلاف جرش ومـــا جاوره من المخاليف الأخرى ، كذلك سعيد بن العاص كانت له الولاية العامة على جميع النواحي الممتدة من نجران جنوباً إلى مدينة جرش وبيشة شمالاً .

٣٧ ـ انظـــر : أحمـــد بن حنبل . مسند الإمام أحمد بن حنبل (بيروت : المكتب الإسلامـــي، ١٣٩٨هـ) جـ ١ ، ص ٢٢٤ .

٣٨ ـ للمزيد من التفصيلات عن شخصية عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، انظر . عبد الله بن مسلم بن قتيبة . الشعر والشعراء ، تحقيق حسن تميم ومحمد عبد المنعم العريان (بيروت : دار إحياء العلوم ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ص ٢٤٠ ــ ٢٤٢ ، ابن سعـــد ، جـ١، ص ٣٢٨ ، البلاذري ، ص ١٢٦ ــ ١٢٧ ، ٢٧٨ .

٣٩ ـ لـــلمزيد عـــن ارتداد الأسود العنسي ، وعن المناطق التي سيطر عليها في أثناء ارتداده ، انظر: الطبري ، جـ٣ ، ص ٢٣٠ وما بعدها .

٤٠ ـ وللمزيد من التوضيحات عن حركة المرتدين في شبه الجزيرة العربية عامة ، وفي بلاد تهامة والسراة خاصة ، انظر : الطبري ، جـ٣ ، ص ٢٢٣ وما بعدها ، عبد الوهاب النجار ، الخلفاء الراشدون (بيروت : دار الفكر ، د. ت) ص ٤٦ ــ ٥٦ .

٤١ ـــ كـــان أغلبهم من قبائل الأزد وبجيلة وخثعم ، ولكن بعد هزيمة حميضة ومن ارتد معه ، ثم تفـــريق جمعهم ، عاد بعضهم إلى الإسلام ، وفيما يظهر أن حميضة نفسه عاد إلى الإسلام ، حيث نرى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعثه مع سعد بن أبي وقـــاص إلى العـــراق لمحاربة الفرس ، انظر: الطبري ، جـــ٣ ، ص ٤٨٤ .

٤٢ ـــ الطبري ، جـــ٣ ، ص ٣٢٠ .

٤٣ ـــ لمـــزيد مـــن التوضيحات عن جرير بن عبد الله البجلي ، موطنه الأصلي ، ثم مساهماته في الدعـــوة الإســـلامية ، انظـــر : الطبري، جـــ ٣ ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، جمال الدين أبو الفرج. ابن الجوزي . صفة الصفوة ، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي (حلب: دار الوعي للنشر ، ١٣٨٩هـــ/ ١٩٦٩م) جـــ ١ ، ص ٧٤٠ ـــ ٧٤٢ ، ابن الأثير ، جـــ ١ ، ص ٢٧٩ ـــ ٢٨١ .

٤٤ ـــ انظر : الطبري ، جـــ٣ ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٦ ـــ ٣٢٨ .

٤٥ ـــ وللمزيد من الاطلاع على دراسات هامة تتعلق بتاريخ البلاد الواقعة إلى جـــنوب مكـــة المكـــرمة والطـــائف (تهامـــة وسراة) والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى ، وخاصة في العصـــور الإســـلامية المبكرة والوسيطة ، انظر : محمد بن أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف الســـليماني (الـــرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠٢هـــ / ١٩٨٢م) جـــــ١ ، ص ٧١ وما بعدها ؛ وللمؤلف نفسه ، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان (جـــازان : نادي جازان الأدبي ، ١٤١١هـــ / ١٩٩٠م) جـــ١ ، ص ٢٥ وما بعدها ؛ أحمـــد بن عمر الزيلعي . الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف الســـليماني) في العصور الإسلامية الوسيطة (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٣هـــ / ١٩٩٢م) ص ٢٥ ومـــا بعدها ، وللمؤلف نفسه ، " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حـــلي (ق ٣ـــ٩هـــ / ٩ـــ١٥م) " حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية الســـابعة (١٤٠٦هـــ / ١٩٨٦م) ص ١١ وما بعدها ؛ وللمؤلف نفسه " الأشراف الغوانم ، أمراء المخلاف السليماني وعلاقتهم ببني رسول اليمن (٦٢٨هـــ ـــ١٢٣٠م / ٨٠٣هـــــ ـــ ١٤٠١م) " مجلة العصور ، مج٦ ، جـــ ٢ (١٤١١هـــ / ١٩٩١م) ص ٢٣١ ـــ ٢٦٤ ، غيـــثان عـــلي جريس . " بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر

الإسلامي الوسيط " مجـلة العـرب ، جـ٩، ١، س (٢٧) (الربيعان ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ص ٦٠٧ ـ ٦٢٣ ؛ وللمؤلف نفسه . " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " مجلة الدارة ، العدد الثالـث السنه (١٩) (ربيع الآخـر والجماديان / ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ص ٧٦-١١١ .

٤٦ ـ تشـير بعض المصادر إلى أن يعلى بن منبه كان والياً على بلاد اليمن أثناء خلافة أبي بكر الصـديق ، لكـنها لم تشر إلى الحدود التي شملتها هذه الولاية ، إلاّ أن من المؤكد وطبقاً لـرواية بعـض المصادر ، فإنها المنطقة الممتدة جنوبي مكة المكرمة والطائف ، والممتدة إلى حواضـر اليمن الكبرى ـ وبهذا ـ فمخلاف جرش يأتي ضمن تلك الأجزاء المذكورة ، وربمـا كانت ليعلى بن منبه الولاية العامة على تلك المناطق المشار إليها ، ومن الجائز أنه كان يستعين ببعض الموظفين والعمال وشيوخ القبائل الخاضعة ضمن إطار نفوذه الجغرافي في المـنطقة . (ولـلمزيد من التفصيل عن الإدارة في الدولة الإسلامية ، وإدارة الجزيرة العربية ونواحيها المختلفة ، انظر : حسام الدين السامرائي . المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة (٢٤٧ ـ ٣٣٤هـ / ٨٦١ ـ ٩٤٥م) (دمشق : دار الفتح ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م) ص ٢٠ وما بعدها ؛ صالح أحمد العلي . " إدارة خراسان في العهـود الإسـلامية الأولى " مجـلة كلية الآداب ،عدد (١٥) (١٩٧٢م) ص ٣١١ ـ ٣٤٢ . وللمؤلف نفسه " إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى "مجلة الأبحاث، سنـة (٢١) مج ١ ـ ٤ (١٩٦٨م) ص٣ ـ ٥٧،

Jacob Lassner " Provincial Administration Under the Early Abbasid : The Ruling Family and the Amsir of Iraq . **Studia Islamic** . VOL . 50 (1979) PP. 21 -35 , J . Lassner . " Provincial Administration Under the Early Abbasid : Abu -Jafar al- mansur and the Governore of the Haramayn " **Studia Islamica** , Vol . 49 (1979) PP. 39 - 54 , S.B. Samadi . " Some Aspect of the theory of the State and Administration Under the Abbasids " **Islamic Culture** . Vol . XXIX , No. 2 (1955) PP. 120 - 150 , Hugh Kennedy , " Centeral Government and Provincal Elites in The Early Abbasid Caliphate " **Bulletin of the School of Oriental and African Studies** . Vol. XLIV, (1981) PP. 26 - 38 ; Ghithan .A. Jrais," The Governorship in the Hijaz During

The Early Abbasid Period (132 - 232 A. H. I 749 - 846) Ages (مجلة العصور)
Vol . 7, part . I (1992)PP. 13-21 .

٤٧ ـ وبعد عصر الخلفاء الراشدين ، وفي زمن الأمويين والعباسيين ، بعد انتقال مركز الخلافة إلى دمشق وبغداد ، اشتغل الخلفاء باستقطاب القلوب وتأليف النافرين ، ولم يعط خلفاء تلك العصور الجزيرة العربية الأهمية التي كانت عليها في أيام الرسول (ﷺ) وزمن الخلفاء الراشدين ، رغم أنهم أولوا اهتمامهم بالحرمين الشريفين لمكانتهما المقدسة ، بل انصب جل اهتمامهم بمناطق أخرى لها ظروفها المختلفة التي تستدعي ذلك الاهتمام ، كالعراق وفارس ، وبلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس وأفريقيا . أما البلاد الممتدة من الحجاز جنوباً إلى بلاد جرش فقد أنيط أمر الاهتمام بها إلى عمال مكة المكرمة (شكلياً) وترك أمر إدارتها الداخلية لأهلها شأنها في ذلك شأن كثير من مناطق شبه الجزيرة العربية . انظر، صالح أحمد العلي " إدارة الحجاز .. " ، ص ١٠ وما بعدها ؛ غيثان علي جريس . " مواقف خلفاء بني العباس الخيرية تجاه أهل الحجاز (١٣٢ ــ ٢٣٢هـ) مجلة المنهل (العدد ، " ٤٩٧ ") مج ٥٤ ، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ص ٨٢ ــ ٨٨ . وللمزيد من تفصيلات أكثر ، انظر ، المراجع الواردة في ملاحظة (٤٦) .

٤٨ ـ لمزيد من التفصيل عن مدينة حلي بن يعقوب في تهامة ، ومن استوطنها خلال القرون الإسلامية المبكرة ، انظر . الزيلعي " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي .... " ص ١١ وما بعدها ، العقيلي . تاريخ المخلاف ، جـ ١ ، ص ٦٧ وما بعدها ، عاتق بن غيث البلادي . بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات) . (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ص ١٧٦ ــ ١٧٧ ، ٢٠٠ .

٤٩ ـ سليمان بن طرف الحكمي ، من آل عبد الجد المشهورين بزعامة المخلاف السليماني منذ ظهور الإسلام ، ومنهم عبد الجد الوافد على الرسول (ﷺ) والذي أفرشه رداءه ، وقد سمي المخلاف باسم سليمان بن طرف الحكمي ، ولا زال يحمل المخلاف هذا الاسم إلى هذا الوقت، لمزيد من التفصيل، انظر : العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني ، جـ ١، ص ٧١ وما بعدها ، الزيلعي ، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان ، ص ١٢ وما بعدها .

٥٠ ــ بــلاد علك والأشاعرة في الأجزاء التهامية ، ويذكر أنها كانت من مخاليف مكة ، وللمزيد من التوضيح انظر : الطبري ، جــ٣ ، ص ٣٢٠ ــ ٣٢١ ، البكري ، مج٢ ، جــ٣ ، ص ٩٦٢ .

٥١ ــ ولمــزيد مــن التوضيح عن دولة بني زياد ومدى نفوذها ومواجهتها للفتن والثورات التي قــامت في بلاد اليمن ، انظر . عبد الواسع يحيى الواسعي . تاريخ اليمن ، المسمى فرجة الهمــوم والحــزن في حــوادث وتاريخ اليمن (صنعاء : الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هــ /١٩٨٤م) ص ١٦٠ وما بعدها ، العقيلي . التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، جــ ١ ، ص ١٧ ــ ٢٠ .

٥٢ ــ المصادر نفسها .

٥٣ ــ انظــر ، محمد حميد الله ، ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ ، انظر : صالح العلي " الحمى .. " ص ٣ وما بعدها .

٥٤ ــ جمال الدين أبو الفتح يوسف بن المجاور . تاريخ المستبصر ، تحقيق أوسكر لوفغريــــن (ليدن: مطبعة بريل ، ١٩٥١م) جــ١ ، ص ١٣ ، ياقوت ، جــ٢ ، ص ١٢٦ .

٥٥ ــ يــاقوت ، جــ٢ ، ص ١٢٦ ، ابن منظور ، جــ٢ ، ص ٢٥٠ . ويلاحظ أن النوق لا زالت تستخدم في عصر السمسم في تهامة بلاد عسير إلى وقتنا الحالي .

٥٦ ــ العثرية : المناطق الزراعية التي تعتمد في سقيها على الأمطار .

٥٧ ــ ولــلمزيد مــن التفصيلات عن صادرات بلاد السراة ، بما فيها مخلاف جرش ، انظر : الهمــداني ، المصــدر السابق ، ص ٢٥٥ وما بعدها ، محمد بن أحمد بن جبير . رحلة ابن جــبير (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، د. ت) ص ١٠٢ ــ ١٠٥ ، غيثان بن علي بن جريس " بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط " ، ص ٦٠٧ ــ ٦٢٣ .

٥٨ ــ أحمد بن حنبل ، المسند ، جــ ١ ، ص ٢٢٤ ، محمد حميد الله ، ص ٢٩٠ .

٥٩ ــ انظر ، عبد الملك بن قريب الأصمعي . كتاب النخل والكرم ، نشرة الأب لويس شيخو اليسوعي (بيروت : المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، ١٩١٤م) ص ٧٥ .

٦٠ ــ ابن منظور ، جـ٢ ، ص ٢٥٠ ، جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٠) جـ٧ ، ص ٧٣ .

٦١ ــ البكري ، مج١ ، جـ١ ، ص ٣٧٦ ، الإدريسي ، جـ١ ، ص ١٤٦ .

٦٢ ــ أحمد بن داود الدينوري . كتاب النبات ، القسم الثاني من القاموس النباتي ، جمع محمد حميد الله (القاهرة : المعهد العلمي الفرنسي للآثار ، ١٩٧٣م) ص ١٥٤ ــ ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، انظر ، أيضاً ، اللسان لابن منظور ، جـ٢ ، ص ٢٥٠ . وقد يلاحظ المشاهد في بلاد عسير في وقتنا الحالي كثرة إنتاج العنب والفواكه والخضروات المتنوعة في أجزاء عديدة من المنطقة .

٦٣ ــ عماد الدين إسماعيل أبو الفداء . كتاب تقويم البلدان (باريس : دار الطباعة السلطانية ، ١٨٤٠م) ص ٩٥ .

٦٤ ــ الإدريسي ، جـ١ ، ص ١٤٦ .

٦٥ ــ محمد حميد الله ، ص ٢٩٠ .

٦٦ ــ أبو الفداء ، ص ٩٥ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ١٣ .

٦٧ ــ للمزيد من التوضيحات عن طريقة دباغة الجلود ، والظروف المساعدة لمهنة الدباغة ، انظر : أحمد بن داود الدينوري . كتاب النبات ، الجزء الثالث ، والنصف الأول من الجزء الخامس ، تحقيق ، بي لوين (فيستبادن ، د. ن ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ص ١٠٤ ــ ١٢١ ، أحمد فاروق . " دباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهل الإسلام " مجلة العرب ، جـ ٧ ، ٨ (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) ص ٥٣٨ ــ ٥٥٥ ، أحمد عمر الزيلعي . مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١ ــ ٤٧٨هـ) (الرياض : عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الرياض ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص ١٨٩ ــ ١٩١ .

٦٨ ــ انظــر: ياقوت، جــ ٢ ، ص ١٢٦ ، جواد علي ، جــ٧ ، ص ٥٨٧ ، الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٨٩ ــ ١٩١ .

٦٩ ــ ابن منظور ، جــ٤ ، ص ٢٧٧ .

٧٠ ــ المصدر نفسه ، جــ٩ ، ص ١٢٣ .

٧١ ــ ابن هشام ، جــ٤ ، ص ١٢١ ، الطبري ، جــ٣ ، ص ٨١ ــ ٨٢ .

٧٢ ــ لمزيد من المعرفة عن محطات الطريق التجاري الذي يربط الحجاز باليمن ، ويأتي من شرق بلاد جرش ، انظر . ابن خرداذبة ، ص ١٣٤ ــ ١٣٦ ، قدامة ، ص ١٨٧ ــ ١٩٠ ، الإدريسي ، جــ١ ، ص ١٤٤ ــ ١٤٩ .

٧٣ ــ الهمداني ، ص ٢٥٥ .

٧٤ ــ كــان العرب ولا زال بعضهم ينظر إلى المهن والحرف الصناعية (كالحدادة ، والصياغة ، والنجارة وغيرها) نظرة ازدراء ، ثم إن السواد الأعظم من العاملين فيها كانوا من الموالي والعــبيد ، أو مــن اليهود والنصارى . وللمزيد من التفصيلات عن وضع الحرف عند العرب والمسلمين خلال العصور المختلفة ، انظر:جواد علي،جــ٧، ص٥٤٣ وما بعدها، عبد العزيز إبراهيم العُمري . الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرســـول (ﷺ) (الدوحــة: مركــز الــتراث الشعبي ، ١٩٨٥م) ص ٤٢ ــ ٤٦ ، غيثان بن علي بن جــريس " أهــم الحــرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة " مجلة المنهل، العدد (٤٩٢) مج٥٣ (١٤١٢هــ / ١٩٩١م) ، ص ٨٢ ــ ٩٦ .

٧٥ ــ البلاذري ، ص ٧٠ .

٧٦ ــ وللمزيد من التفصيلات عن بعض النواحي الاجتماعية في بعض من أجزاء العالم الإسلامي خــلال العهــود الإســلامية الأولى ، انظر . عبد الله محمد السيف . الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي (بيروت:مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هــ / ١٩٨٣م) .

M.M. Ahsan . Social Life Under The Abbasids (London : Longman , 1979) ; G.A . Jrais . The Social Industrial ,and Commercial History of the Hejaz Under the Early Abbasids (132 - 232A. H/749 - 847 A.D), Unpublished ph. D. thesis University of Manchester , England , (1989) .

الدراسة الرابعة :

بلاد الســراة
من خلال كتـــــــــاب
صفة جزيرة العرب للهمداني (*)

إعداد

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية

كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية

جامعة الملك خالد

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(*) هذه الدراسة منشورة في **مجلة الدارة** ، العدد الثالث السنة (١٩) (ربيع الآخر ، الجماديان /١٤١٤هـ) ص ٧٦ ــ ١١١ . ثم أعيد نشرها مع بعض الإضافات في **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي** ، العدد (٢٧) جمادى الأولى (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ص ١٤ ــ ٤٤ .

محتويات الدراسة الرابعة

بلاد السراة
من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني

بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانـــي

أولاً : مقدمـــة

يعود السبب في اختياري هذا البحث إلى محاولة معرفة بعض الجوانب التاريخية والسياسية والحضارية لبلاد السراة الممتدة من الحجاز شمالاً إلى اليمن جنوباً . ومن يستقصي تاريخ هذه المنطقة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة يجد شح المادة العلمية التي تتعرض لها ، مع العلم أن بها بعض العوامل المساعدة لنشوء تاريخ وحضارة بها ، فهي حلقة الوصل بين اليمن في الجنوب والحجاز وما يليها من البلاد الممتدة شمالاً ، إلى جانب كثافتها البشرية التي ساهمت وتساهم في أعمال حضارية متنوعة داخل البلاد وخارجها ، مع ما بها من الموارد الاقتصادية المتعددة كالزراعة ، وممارسة الكثير من الصناعات اليدوية والحرف التقليدية ، وكذلك النشاطات التجارية المختلفة في كثير من السلع . وتوفر مثل هذه الأمور في بلاد السراة لم يكن مغرياً للجغرافيين والمؤرخين ، فيدونوا بعض الجوانب التاريخية والحضارية عن هذه البلاد ، والسبب في ذلك يعود إلى صعوبة تضاريس المنطقة لما يوجد بها من جبال ، ووهاد ، وهضاب وعرة المسالك ، أدى هذا إلى عدم الرغبة عند المؤلفين الأول ، فلم يكن مجال اهتمامهم ، وإن توفرت الرغبة للبعض منهم ، بأن ينطلقوا من الحجاز متجهين صوب اليمن عن طريق الساحل ، أو عن الطريق الواقعة في الأجزاء الشرقية من بلاد السراة، لا سيما وأنها كانت مرتبطة منذ أمد بطرق تجارية عدة ، يطرقها الطراق باستمرار ، الأمر الذي جعل الطريق الواقعة في المناطق المرتفعة من السراة ، والممتدة من الطائف شمالاً إلى نجران وصعـــدة وصنعاء جنوباً ، مهملة نوعا ما ، إلى جانب التركيبة القبلية المتينة فيها ، مع صعوبة ساكنها ، مما ساعد على انطوائها على نفسها ، فقلّت

المعلومات عنها ، وهذا من الأسباب التي جعلتني أخوض بقلمي مع صعوبة مهمتي في الحديث عنها من خلال كتاب " صفة جزيرة العرب للهمداني " الذي أسهب أكثر من غيره من كتب التراث الإسلامي في الحديث عــن الناحية الجغرافية لبلاد السراة ، وعن التركيبة السكانية فيها ، فأشار إلى بعض الجوانب الاجتماعية والطرق المعيشية ، وإلى بعض الأحوال التجارية ، والفكرية والعلمية ، وإلى التقسيمات الإدارية ، والطرق الزراعية والرعوية وغيرها ، وبعمله هذا يكون مؤلفه (صفة الجزيرة) أفضل من غيره في تدوين هذه الجوانب عن بلاد السراة خلال الفترة التاريخية الإسلامية الأولى منها والوسيطة ، لهذا كان اعتمادنا عليه راجين من الله السداد .

ثانياً : شخصية الهمداني وحياته :

الهمداني ، هو الحسن بن أحمد بن يعقوب ، يكنى بابن يعقوب ، ويعرف بالنسابة ، وبابن الحائك ، ويسمي نفسه بـــ (لسان ليمن) ، ويكني نفسه بأبي محمد ، وهو من أسرة اتخذت بلاد همدان في اليمن مقراً لها ، وقد تحدث عنها في الجزء العاشر من كتابه (الإكليل) حديثاً مستفيضاً ، عندما تطرق في حديثه عن همدان وأنسابها ، وعيون أخبارها وأن والده كان تاجر ذهب في تجارة له إلى حواضر الشام والعراق ومصر [(١)] .

أما مؤرخنا الحسن ـــ الملقب بالهمداني ـــ فقد ولد في شهر صفر سنـــــــة (٢٨٠هــ /٨٩٣م) في بلاد همدان باليمن ، ولكن المصادر المعاصرة لم تذكر شيئاً عن طفولته ، وما إن أصبح شاباً حتى عمل مع أبيه وأقاربه في مهنة الجمالة التي كانت قائمة آنذاك على نقل الحجاج والتجار من حواضر اليمن إلى الطائف ومكة المكرمة في الحجاز ، وقد أشار الهمداني إلى ذلك بقوله : وكنت أنظر إلى التجار إذا حملناهم إلى مكة من صعدة [(٢)] . وسنحت له الفرصة ، أثناء تنقله بين مدن اليمن والحجاز ، أن يلتقي برجال الفكر من العلماء والمشائخ ، وخاصة في مكة المكرمة ، فدرس على

أيديهم ، وتعلم منهم الشيء الكثير ، فتوسعت مداركه ، ونضجت معارفه ، وازدادت خبرته في الحياة لكثرة ما شاهد ورأى ، مما زاده معرفة في النفوس بمختلف أصنافها ومستويات علمها ، وطرائق عيشها ، الأمر الذي أهّله لأن يكون علماً من أعلام الفكر والمعرفة في زمنه ، فألف العديد من المؤلفات في الأنساب ، والتاريخ ، والجغرافيا، والآثار ، وغيرها من العلوم الأخرى ، وذاع صيته بين الناس ، وأصبح معروفاً عند العلماء بفصاحة لسانه وقوة قلمه ، وقد أثنى عليه بعض العلماء فقالوا : « **إنه لم يولد مثله في اليمن ، علماً وفهماً ، ولساناً وشعراً ، ورواية وذكراً ، وإحاطته بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب منها والشعر** » (٣) . ويبدو من هذا الوصف تنوع ثقافته التي تمتع بها دون سواه ، والدليل على ذلك كثرة مؤلفاته في مختلف ضروب العلم والمعرفة .

وإذا استقرأنا ذكر مؤلفات الهمداني نجدها كثيرة ، ولكن للأسف لم نعثر إلاّ على القليل منها ، مما اتسم بذكر الأحداث التاريخية والأنساب والأخبار عن بلاد اليمن ، وكتابه الإكليل ، الذي يقع في عشرة أجزاء ، يتصف بهذه الصفات ، ومما وصلنا من هذا المصدر أربعة أجزاء : الأول ، ويتحدث عن أصول العرب والعجم وأنسابهم ، وخاصة نسب حمير . والجزء الثاني ، ويتحدث عن ولد الهميسع بن حمير ، وقد طبع الجزءان لأول مرة في القاهرة عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٣م) . أما الجزء الثامن فيتحدث عن محافد اليمن ومساندها ودفائنها وقصورها ، ومراثي حمير والقبور ، وقد طبع لأول مرة في بغداد عام (١٣٥٠هـ /١٩٣١م) .

والجزء العاشر ، يتضمن أخبار همدان وأنسابها ومعارفها ، وطبع لأول مرة بالمطبعة السلفية ، بالقاهرة ، عام (١٣٨٨هـ /١٩٦٨م) .

أما كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء ، فهذا يعد من أبرز كتبه لأهمية مضمونه ، لأنه يتعلق بالمعدنين الذهب والفضة ، من حيث طرق

تعدينهما وصياغتهما ، وضرب عيارهما ، وكل ما يتصل بهما في جزيرة العرب ، وبخاصة في بلاد اليمن . وقد ترجم إلى الألمانية ، ثم نشر باللغتين العربية والألمانية من قبل الأستاذ كريستوفرتل (Christophertoll) بمدينة أبسالا في السويد سنـــــــة (١٣٨٨هـ /١٩٦٨م) .

أما كتابه (صفة جزيرة العرب) الذي وصلنا جزء منه، فهو (كما أشرنا آنفا) الركيزة الأساسية في بحثنا ، ويحتمل أن يكون من خاتمة مؤلفات الهمداني ، لأنه يشير فيه إلى كتابه الإكليل . ويتضمن هذا الكتاب معلومات قيمة عن شبه الجزيرة العربية ، وبلاد اليمن خاصة،وقد امتازت معلوماته بدقة الوصف إلى جانب الشمولية والتعليل . والذي يهمنا من هذا المؤلف ، ما كتب عن المناطق المرتفعة والواقعة جنوب الطائف والممتدة جنوباً صوب نجران ، والتي أطلقنا عليها اسم « **بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني** » (انظر الخريطة المرفقة مع هذه الدراسة) . وقد استعنا بمؤلفات الهمداني الأخرى التي ورد فيها معلومات ذات بال تعزز بحثنا . ونظراً لأهمية كتاب "صفة جزيرة العرب " فقد طبع عدة مرات ، وأول طبعة له كانت في هولنده ، عام (١٢٠٢هـ /١٨٨٤م) ، ثم تلت تلك الطبعة طبعات أخرى ، كان أفضلها الطبعة التي حققها ، محمد بن علي الأكوع الحوالي ، والذي أشرف على إخراجها حمد الجاسر عام (١٣٩٧هـ /١٩٧٧م) ، ولكونها امتازت بالصفات التي ذكرت عنها مقارنة بغيرها من الطبعات الأخرى ، لذا كانت الأساسية عندنا في هذا البحث .

ثالثاً : جغرافية السراة الطبيعية والبشرية :

الســـراة : لغة ، أعلى الشيء ، والسراة عند العرب تعني ــ أيضاً ــ الجبال المــتقاودة ، الآخــذ بعضها برقاب بعض ليس بينهما فاصل تام ، والسراة هنا : هي السلســلة الجبلية الواقعة غرب بلاد العرب ، والممتدة من اليمن جنوباً إلى الحجاز ثم الشام شمالاً ، وتخترق هذه السلسلة أودية وشعاب كثيرة يشرق بعضها ، وبعضهـــا

خارطة توضح السروات الواقعة بين الطائف ونجران



يغرب ، وهي ليست في مستوى واحد من حيث الاستواء ، فمنها الشامخ في العلو ، ومنها المنخفض ومنها المتوسط في الارتفاع . وقد أطلق بعض الجغرافيين القدامى على هذه السلسلة اسم الحجاز ، لأنها حجزت بين الأغوار التهامية الممتدة بمحاذاة البحر الأحمر (غرباً) ، والهضاب الشرقية الممتدة صوب نجد شرقاً [٤] . ويطلق على هذه السلسلة اسم (الطود) ونخص بهذه التسمية الجزء الجنوبي من جبال السراة ، الذي يبتدئ بالطائف شمالاً وينتهي بنجران ثم صعدة وصنعاء جنوباً ، ويسمى الجزء الجنوبي الشرقي من هذه الجبال بـــ (الجبل الأسود) ، ربما لأن صخوره بركانية سوداء ، كما يسمى بالسراة ، أو السروات ، وكل قسم فيه ينسب إلى القبيلة التي تسكنه ، وقد يدعى سراة دون آل التعريف . أما القسم الشمالي من السلسلة الممتدة من شمال مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، وما يأتي بعدها فيسمى بحجاز المدينة أو السراة [٥] .

وطـــول جـــبال السراة وعرضها ، وأقسامها مثار خلاف عند المتقدمين من الجغرافيين والمؤرخين ، وفي الغالب أنها تشمل الجبال الممتدة من الطائف شمالاً إلى اليمن جنوباً ، لكن الجبال الممتدة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ثم بلاد الشام ، والمسماة هـــي الأخـــرى بالسراة ، ليست مجال حديثنا الآن لأنها لا تدخل ضمن بحثنا ، لكنها بـــدون شـــك تختلف عن الأجزاء التي نحن بصددها من حيث الارتفاع ، والاتساع والسمات التضاريسية والمناخية ، لكنها تماثلها في التكوين الجيولوجي ، وتمتاز الجبال الممـــتدة مـــن الطائف إلى نجران ثم صنعاء وصعدة في اليمن ، بأنها متقاربة من بعضها متشابهة بمناخها .

ويعـــد الحسن بن أحمد الهمداني الشخصية المعرفية في أرض السراة وسكانها ، لكثرة تنقله في أرجائها ، وله رأي في تسميتها ، حيث يقول : « **السراة هو ما استوسق واستطال في الأراضي من جبال هذه الجزيرة** » [٦] . لكنه لم يحددها ، وعند حديثه عن أطرافها الجنوبية الممتدة إلى داخل اليمن ينسب الأرض إلى القبيلة ، كسراة الكلاع ،

والمعافــر ، وخــولان ، وغيرها [7] . وفي حديثه عن السروات أثناء رحلته جنوباً نحو الشمال عند وصوله إلى نجران وما بعدها شمالاً ، أشار إلى سراة جنب ، ثم تابع حديثه قائلاً « **ثم يتلوها سراة عنز ، وسراة الحجر نجدها خثعم ، وغورها بارق ، ثم سراة ناه الأزد وبـنو القـرن ، وبـنو خـالد ، نجدهـم خـثعم وغورهم قبائل من الأزد ، ثم سراة الخـال لشكر ، نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأسد بن عمران ، ثم سراة زهران من الأزد ، دوس ، وغـامد ، والحـر ، نجدهم بنـو سواة بن عامر وغورهم لهب، وعويل بن الأزد ، وبـنو عمـرو ، وبنو سواءة خليطي والدعوة عامرية ، ثم سراة بجيلة فنجدها بـنو المعترف ، وأصلهم من تميم ، وقال لي بعضهم ـ والقول للهمداني ـ إنّهم من عكل ، وغورهـا بـنو سـعد مـن كنانة ، ثم سراة بني شبابة وعدوان ، وغورهم الليث ومركوب فيلملم ، ونجدها فيه عدوان مما يصلى مطار ثم سراة الطائف غورها مكة ونجدها ديار هوازن** » [8] .

وبعد هذا الوصف الذي أورده الهمداني عن بعض بلاد السراة ، والقبائل التي تقطن فيها أشار أيضاً إلى بعض فروع تلك القبائل ومواطنها ، إما في الأغوار التهامية ، أو الأجزاء الشرقية النجدية ، ولكنه في مكان آخر من كتابه (صفة جزيرة العرب)[9] وضـــع عـــنواناً جانبياً سماه " أرض السراة" قال فيه ((**ثـم يتلو معدن البـرام ومطار صـاعدا إلى الـيمن ، سـراة بـني عـلي وفهـم ، ثم سراة بجيلة ، والأزد من سلامان بن مفـرج، وألمع ، وبارق ، ودوس ، وغامد ، والحجر إلى جرش ـ ثم قال ـ وبطون الأزد مما تتـلو عـنز إلى مكـة منحدر الحجر وباطنها في التهمة ألمع ويرفى ابنا عثمان في أعالي حـلي وعشـم ، وذلـك قفـر الحجر ، وتنومة والأشجان ، ونحيان ثم الجهوة وهي قرى لـبني ربيعـة بـن الحجـر ، وعاشـرة العرق ، وأيد وحضر ووراوه قرى لبني ربيعة من أقصـى الحجـر أيضـاً . وحلبا قرية لبني مالك بن شهر قبلة الحجر على هذا يمانيها مصـال لعـنز ومـن شـآميها بـلد الـوس والفزع من خثعم وشرقيها ما جاور بيشة من بلد خثعم وأكلب وغوريها بلد بارق ....**)) [10] .

وفي مكان آخر تحدث عن هجرة الأزد من بلاد اليمن بعد انهدام سد مأرب ، فقال : وأما من سكن السروات ، فالحجر بن هنو ، ولهب ، وناه ، وغامد ، ومن

دوس وشكر وبارق السوداء وحاء ، وعلي بن عثمان ، والنمر ، وحوالة ، وثمالة ، وسلامان ، والبقوم ، وشمران ، وعمرو [11] .

وفي أماكن أخرى يشير إلى بعض المواطن التي وجدت بها تجمعات سكانية ونهضة حضارية في عصره ، أمثال جرش [12] ، فيقول عنها « **هي كورة نجد العليا ، وهي من ديار عنز ويسكنها ويترأس فيها العواسج [13] من أشراف حمير ، وهم من ولد يريم ذي مقار الفيل ، ولهم سؤدد .... وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش** » [14] . ثم يواصل الهمداني حديثه عن موقع جرش وما جاورها من البلاد فيقول « **فجرش رأس وادي بيشة ويصالي قصبة جرش أوطان حزيمة من عنز ثم يواطن حزيمة من شاميها عسير قبائل من عنز ، وعسير يمانية تنـزرت ، ودخلت في عنز فأوطان عسير إلى رأس تيه ، وهي عقبة من أشراف تهامة ، وهي أبها ....** » [15] .

ثم يفصّل الحديث في ذكر مناطق مختلفة في منطقة جرش ، التي هي جزء من سراة عنز ، ثم يقول ويأتي بعد سراة عنز « **سراة الحجر بن الهنو بن الأزد ، ومدنها الجهوة ، ومنها تنومة ، والشرع من باحان ، ثم يتلوها سراة غامد ، ثم سراة دوس ، ثم سراة فهم وعدوان ، ثم سراة الطائف** » [16] . ولكنه في مكان آخر يفصّل حديثه نوعا ما عن سراة الحجر بن الهنو ، فيقول في مطلع حديثه « **فأول بلاد الحجر من يمانيها عبل واد فيه الحبل ساكنه بنو مالك ابن شهر ، وباحان به القرى والزرع ، وساكنه بنو مالك وبنو ثعلبة ، وبنو نازلة من بني مالك بن شهر بن الحجر ، وذبوب واد لبني الأسمر من شهر ، ثم الرهوة رهوة بني قاعد من العدميين من بلاد شهر قرية شعفية على رأس من السراة ...** » [17] . ويواصل الهمداني حديثه عن بقية سراة الحجر ، وأحياناً يذكر بعض الأجزاء التهامية والنجدية لتلك السراة ، مع الإشارة إلى شيوخ بعض القبائل فيها ، ومثال ذلك يذكر بلدة نحيان التي هي جزء من أجزاء سراة الحجر ثم يورد اسمي علي بن الحصين العبدي من بني عبد بن عامر ، وابن عمه الحصين

ابن دحيم ويشير إلى أنهما الحاكمان على نحيان ، ويذكر أيضاً مدينة الجهوة وزنامة العرق في السراة نفسها ، ثم يقول " وهي لجابرين الضحاك " (١٨) .

من هذا الوصف الموجز الذي أورده لنا الهمداني عن بلاد السراة ، يمكننا القول بأنه ترك لنا معلومات قيمـــة عن تلك البلاد ، بحيث لا نستطيع أن نجدها في أي مصدر آخر ، ولكن قبل الخوض في تحليل ما ذكر عن الأرض والسكان لبلاد السراة ، يجدر بنا أن نورد نبذة مختصرة عن التركيبة الطبيعية والبشرية لهذه البلاد في عصرنا الحاضر ، وذلك ليسهل الربط بين المواقع الحالية ، وبين المواقع التي ما زالت تحمل المسميات التي كانت أيام الهمداني ، والمواقع التي حرفت أسماءها وتغيرت عما كانت عليه في أيامه . ونقطة البدء في هذه النبذة تبدأ من الطائف في الشمال إلى نجران في الجنوب .

وأول جزء من سراة الطائف الهداة ، الواقعة غرب الطائف ، وهي عبارة عن جبل ضخم يسكنها قبائل من ثقيف ، ومعهم جماعة من هذيل ، ولذا يليها من الجنوب شفا هذيل ، ثم يليها شفا بني سفيان ، وهم بطن من ثقيف ، ويلي ذلك من الجنوب سراة بني سعد ، ثم سراة بالحارث ، وجميع السروات والأشفية تسمى بسراة الطائف ، وربما أطلق على الأجزاء المحاذية للقسم الجنوبي من الطائف سراة فهم ، وعدوان ، وقد تعرف بسراة بني شبابه وعدوان ، وغورها الليث ويلملم ، ونجدها وهي الأراضي الواقعة شرق أودية الطائف وجنوبها التي أشار إليها الهمداني باسم يصلى مطار . سراة بني مالك ، وهذه السراة التي كانت تعرف بسراة بجيلة على بعد مائة كيلو متر جنوب الطائف وتجري المياه المنحدرة من شرقها صوب تربة ، والمياه المنحدرة من غربها صوب الليث ، وقد سماها أحد الشعراء بسراة بني جرير ، نسبة إلى الصحابي جرير بن عبدالله البجلي (١٩) ، الذي هجا خالد بن عبدالله القسري ، فقال :

تمني الفخر في قيس وقسر   كأنك من سراة بني جرير [20] .

أمـــا سراة غامد وزهران ، فتبدأ من أول حدود بني مالك وبلحارث ، وتبدأ صـــعودا في جبل شمرخ الممتد جنوباً إلى بلد خثعم وشمران ، وتصب مياهها الشرقية ، شمالها في تربة ، وشرقها في رنية ، أما مياهها الغربية فتصب من الشمال إلى الجنوب في وادي عـــليب ، ووادي دوقـــة ووادي الأحسبة ، وكلها في الأغوار التهامية والباحة قاعدة سراة غامد وزهران [21] . وتقع سراة خثعم وشمران إلى الجنوب من سراة غامد وزهران ، والممتدة نحو الشرق والجنوب الشرقي حتى السهل ، ومياهها الشرقية تصب في بيشة ، والغربية في وادي قنونا الذي يصب في سهول القنفذة من الشرق . أما سراة بـــلقرن الواقعـــة ما بين سراة خثعم وشمران في الشمال ، وبلاد الحجر في الجنوب ، وتصب مياهها الغربية في مناطق القنفذة وما حولها ، والشرقية في بيشة ، وقاعدة هذه السراة سبت العلاية .

وتمتاز سراة بلاد الحجر بطولها وعرضها ، فهي تمتد من بلاد بلقرن شمالاً إلى المـــناطق القريبة من مدينة أبها جنوباً ، وتتكون من أربع قبائل هي : بنو عمرو ، وبنو شـــهر ، وبللسمر، وبللحمر ، ومعظم قرى هذه القبائل تقع في الأجزاء السروية ، في حين أن هناك أفخاذاً وقرى في تهامة والبوادي تتبع بلاد الســـراة ، ومن أكثر المراكز فيهـــا ، النماص ، وتنومة ببلاد بني شهر ، وسوق الاثنين ببلسمر ، وصبح ببللحمر ، وتصب مياه الحجر الغربية في واديين كبيرين هما (بيه) و (حلي) وكلها تصب جنوب القنفذة ، أما في شرقها فلا زال وادي بيشة يبتلع كل أودية السروات ، وأهم روافد بيشة ببلاد الحجر ، وادي ترج ، ووادي عياء ، ووادي صلحلح [22] .

أمـــا سراة عسير (عنـــز) فتحيط بمدينة أبها ، وتشتمل على أشهر القبائل العســـيرية ، وهـــي ، علكم ، وبنو مغيد ، وربيعة ورفيدة ، وبنو مالك . وكل هذه القـــبائل تقطن في الأجزاء الجبلية من عسير ، ويتبعها قبائل رجال ألمع في تهامة ، وقد

يدخـــل في هذه التبعية ، من حيث الموطن الجغرافي ، بعض قرى وأفخاذ وعشائر من قـــبائل شهران ، ولا سيما القريبة منها بمدينتي أبها وخميس مشيط [٢٣] . وتصب مياه سراة عسير الشرقية في وادي بيشة ، وتصل بين بيشة وسراة عسير بعض الروافد من أشـــهرها ، وادي ذهبان ، الذي أطلق عليه فيما بعد اسم وادي ابن هشبل ، أما مياه السراة الغربية فتصب في مناطق البرك ، والقحمة ، والشقيق في تهامة ، وأهم الأودية ، وادي محـــايل الـــذي يصـــب في حلي ، ووادي ريم وعرمرم اللذان يصبان في مناطق الشـــقيق ، أما وادي عتود فيصب في المناطق الواقعة إلى الجنوب من البرك ، والقحمة والشقيق

أمـــا ســـراة قحطان التي تندمج مع بعض عشائر شهران في بعض المواطن ، والمسماة قديماً بـــ (سراة جنب ، والواقعة إلى الجنوب الشرقي من سراة عسيـــــــــر "عـــنـــز ") ، وتـــبدأ هذه السراة بالمناطق الواقعة من الشمال والشمال الشرقي من سراة عسير إلى ديار نجران وما حولها في الجنوب . وغالبية سكان هذه السراة من قبائل قحطـــان ، كوادعة ، وسنحان ، وبنو بشر ، وعبيدة ، ورفيدة ، والجارمة ، وخطاب وقـــبائل أخرى . وهذه السراة عبارة عن طود عظيم يقع ما بين السهول الممتدة شرقاً إلى التهائم غرباً ، ومياهها تتجه إلى ثلاثة اتجاهات ، شمالاً نحو بيشة ، وغرباً نحو بيش ، وأهل بيشة في الشمال ، وأهل بيش في الغرب يتقاسمان الماء الآتي من السراة الواقعة ما بين أبها ونجران ، أما المياه الشرقية ، للسراة نفسها ، فتصب في واديين حبونن واليدمة نحو بلاد يام .

وســـبق لنا أن أشرنا إلى رحلة الهمداني ، الذي انطلق من سراة جنب (بلاد قحطـــان) متجهاً من الجنوب نحو الشمال ، وأثناء رحلته ذكر سراة عنـــز ، وبعض المواطـــن والمراكز التي كانت بها ، ثم سراة الحجر ، وسراة بلقرن وغامد وزهران حتى وصل بذكره إلى بجيلة وعدوان والطائف ، ويستفاد مما ذكره أن هناك أسماء للسروات

ما زالت إلى يومنا هذا حية في الأذهان متداولة على اللسان ، وبعضها اندثر ، مثل ناه، وأحياناً تلفظ باه ، والخال لشكر ، وأحياناً أخرى يذكر أسماء أماكن في البوادي أو الأغوار ، فيشير إلى أن سكانها من قبائل بلاد الأزد السروية ، لكنه لا يذكر لأي الأفخاذ أو العشائر ينتمون، ولا ندري ما سرّ اختفاء هذه الأسماء، وما هي العوامل التي أدت إلى إخفائها . ومن سياق حديث الهمداني عن ناة أو باة ، والخال لشكر ، وأيضاً بنو خالد ، تبين أن مواطنهم ربما كانت ببلاد سراة الحجر أو سراة بلقرن ، أو ضمن بعض الأجزاء الخثعمية ، شرق سراتي ، بلاد الحجر وبلقرن ، والدليل على هذا القول ، أن الهمداني نفسه ، يذكر سراة الحجر في أثناء ذهابه من الجنوب إلى الشمال ، ثم يذكر السروات التالية لبلاد الحجر نحو الشمال ، قائلاً «... **وسراة من الأزد ، وبنو القرن ، وبنو خالد ، نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزد ، ثم سراة الخال لشكر نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزد بن عمران**» (٢٤) ، وبهذا الوصف يذكر سراة الحجر من الجنوب ، وخثعم من الشرق ، وبنو القرن (الذين يطلق عليهم في وقتنا الحالي بلقرن) في الوسط ، وربما إلى الشمال مع بعض عشائر خثعم ، ثم يلي ذلك بقية السروات السابقة الذكر ، كغامد ، وزهران ، وبجيلة وغيرها (٢٥) . وبهذا العرض الجغرافي يتضح أن ناة ، وبنو خالد ، والخال لشكر ، كانت ربما مجاورة لبلاد الحجر من الشمال ، ومن المحتمل أن تكون مشاركة لها في بعض المواطن الشمالية ، أما بلاد بلقرن فمن المؤكد أنها مجاورة لهم ، بل ومشاركة لهم في كثير من المواطن ، لأننا نجد الهمداني في الوصف السابق يذكر ناة ثم بنو القرن (بلقرن) ، ثم بنو خالد ، والخال لشكر ، ثم غامد وزهران حتى يصل بلاد الطائف (٢٦). وسر اختفاء ناة والخال لشكر وبنو خالد ، ربما أنهم اندمجوا مع قبائل السراة المجاورة ، كسراة بلقرن ، أو بلاد الحجر، أو خثعم ، فصارا جزءاً منهم . وكما هو معروف أن القبائل الصغيرة تدخل تحت حماية القبائل الكبيرة ، إمّا بالغلبة ، أو الاستجارة ، أو الارتباط بالأحلاف ، ومع

مـــرور الزمن تنسى القبائل الصغيرة أسمائها ، ويذوب كيانها في كيان القبائل الكبرى فتسمى بأسمائها (٢٧) .

وأورد الهمـــداني ذكر السروات في أكثر من مكان في كتابـــه «**صفة جزيرة العـرب**» فذكـــرهم وهو ذاهب من الجنوب إلى الشمال ، وذكرهم وهو ذاهب من الشـــمال إلى الجنوب ، مع إيراد بعض الاختلاف لأسماء بعض السروات في كل مرة يذهـــب ويعود من عليها ، فعلى سبيل المثال ، سراة شبابه وعدوان ، الواقعة جنوب الطائف ذكرها بهذا الاسم ، ثم يعود مرة ثانية فيسميها ، سراة بني علي وفهم ، وكلا الاسمـــين صحيح ، لأن تلك الأجزاء تعرف باسمي سراة بني علي وفهم ، وسراة شبابه وعدوان (٢٨) . أمّا بعض المواطن والقبائل في السروات ، فلم يذكرها إلا مرة واحدة . فمـــثلاً ، يقـــول البقوم ، وشمران ، وعمرو ، وكل هذه الأسماء تطلق على عشائر أو قـــبائل تشكل بموطنها جزءاً من بلاد السراة ، فشمران ، مثلا ، جزء من سراة خثعم وشمـــران ، وعمرو جزء من سراة الحجر . وقد يتراءى للبعض أنّ الهمداني قد وقع في خطـــأ ، ولكن الواقع كان يذكر أحياناً اسم السراة للتعميم ، وأحياناً أخرى يشير إلى جـــزء مـــنها ويسميه باسم القبيلة القاطنة فيه . ويتبين لنا من الوصف الجغرافي لبلاد السراة عند الهمداني ، الذي يعد وصفه أفضل وصف وصل إلينا في القرون الإسلامية الأولى ، أن معظم الأماكن السروية مسماة بأسماء القبائل والعشائر القاطنة فيها ، وأن دل هـــذا عـــلى شيء ، فإنما يدل على الترابط الاجتماعي بين هؤلاء السكان ، الأمر الذي أكسبها قوة في بنيتها الاجتماعية تماثلت مع بنية التكوين لهذه الجبال ، وقد أدى هذا التماسك إلى التكافل الاجتماعي ، وإلى تعمق المفهوم القبلي ، رغم وجود الأنظمة منذ بزوغ فجر الإســـلام إلى الوقت الحاضر ، الأمر الذي أدى إلى حدوث اتحاد بين الـــنظام القبلي ونظام السلطة العليا الممثلة في الدولة ، التي ضمنت الاستقرار والأمن للجميع بالتعاون معهم إدراكاً منهم بأهمية السلطة العليا وفائدتها .

ولم يقتصر الهمداني في كتابه على وصف الأماكن وتسميتها بأسمائها الجغرافية، أو بأسماء القبائل أو العشائر القاطنة فيها ، وإنما يذهب إلى أبعد من ذلك ، حيث يذكر مواقـع هذه القبائل أو العشائر في بعض المواطن من بوادي ونجود وسهول وأغوار ، متتبعاً أفخاذ هذه العشائر أو القبائل في الأماكن التي استقرت فيها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، يذكر بعض الحواضر والأرياف في أجزاء من السروات ، كتنومة ، ونحيان، والجهـوة ، وعاشرة ، والعرق ، وأيد ، وحضر ، وباحان ، وبنو ثعلبة ، وبنو نازلة ، وجميع هذه المواطن من بلاد سراة الحجر [٢٩] ، والطريف في الأمر أن أغلبها إن لم يكن جميعهـا مـا زال يحمل الاسم نفسه الذي كان يسمى به في عهد الهمداني ، ولا زالت أسماء هذه الأماكن متداولة على الألسن إلى يومنا هذا [٣٠] .

وأفرد الهمداني عنواناً خاصاً لمدينة جرش وضواحيها [٣١] ، فأشار إلى موقعها ، ومـن سكن فيها من القبائل والعشائر ، وعقد مقارنة بينها وبين بلاد الحجر ، باعتبار الأولى جزءاً من سراة عنـز ، وربما عدت أيضاً من شمال سراة جنب ، أما بلاد الحجر فهي سراة تقع بين سراة عنز (عسير) جنوباً ، وسراة بلقرن شمالاً [٣٢] .

والواقع أن جرش لها سجل في التاريخ لا عند الهمداني فحسب ، بل في كتب السير وغيرها ، فقد ورد اسمها عندما قدم وفدها ، بزعامة صرد بن عبدالله الأزدي ، عـلى الرسول (ﷺ) في السنة العاشرة للهجرة [٣٣] ، وذكرها اليعقوبي فقال « **كـورة بـلاد الـيمن تسـمى مخاليف ، وهي أربعة وثمانون** » ثم ذكر منها مخلاف جرش [٣٤] ، وذكـرها بعض الجغرافيين والرحالة المسلمون الأوائل ، كابن خرداذبة ، والمقدسي ، وابـن حوقل ، والاصطخري ، والإمام أبو إسحاق الحربي ، وابن المجاور ، وغيرهم ، فبيّنوا أهميتها الحضارية ونشاطها التجاري خلال القرون الإسلامية المبكرة [٣٥] . وبهذا فجـرش في القرون الإسلامية الأولى ، ربما كانت أعظم مدينة حضارية ، لأنها كانت تشمل منطقة كبيرة تحوي أغلب منطقة قبائل عسير ، وجزءاً من منطقة قبائل قحطان

وشهران ، وليس ببعيد أنها كانت مركزاً حضارياً مرموقاً ليس في سراة عنز وجزء من سراة جنب ، بل في بلاد السرو بشكل عام ، ولا يستبعد أنها كانت تأتي في المنزلة الثانية بعد مدن اليمن والحجاز الكبرى . وتعود أهمية جرش إلى نموها الحضاري لقربها من المراكز الحضارية الكبرى في اليمن ، كصعدة ، وصنعاء وغيرهما . إلى جانب قربها من الطريق التجاري الذي يصل مدن الحجاز بمدن اليمن ، والواقع إلى الشرق من هذه المدينة . ولم يعد اسم جرش يستخدم إلى اليوم ، وإنما اختفى تقريباً من بعد القرن السادس أو السابع الهجري ، فلا نجد الجغرافيين المتأخرين يذكرونه ، علماً بأن موقع المدينة الأساسي يقع (حالياً) إلى الجنوب من خميس مشيط بحوالي خمسة عشر كيلوا متراً ، على الطريق المؤدي إلى مدينة نجران [٣٦] .

رابعاً : الحياة الاجتماعية :

أما الحياة الاجتماعية في بلاد السراة ، كما يخبرنا عنها الهمداني ، فقد بيّن في كتابه : **صفة جزيرة العرب** أن التركيبة السكانية في هذه البلاد تقوم على القبيلة ، مشيراً إلى مواطن القبائل وفروعها في هذه البلاد ، فمثلاً ، قبائل الأزد بمختلف فروعها استوطنت البلاد الواقعة ما بين نجران وجازان إلى الطائف وتهائم مكة في الشمال ، وقد اختلط مع هذه القبائل ، قبائل عدنانية ، والاختلاط بين القبائل العدنانية والقحطانية في بلاد السراة قائم منذ أمد [٣٧] . الأمر الذي أدّى إلى اندماج العشائر النزارية مع القبائل الأزدية ، باعتبار الأولى أقلّ عدداً من القبائل الأزدية القحطانية ، فاندمجت بها أحياناً تحت ظروف القهر والغلبة ، أو الجوار والمصاهر . ويفهم من حديث الهمداني عندما قال : « ... **ثم سراة زهران من الأزد ، ودوس ، وغامد ، والحر ، نجدها بنو سواءة بن عامر ، وغورها لهب ، وعويل من الأزد وبنو عامر ، وبنو سواءة خليطي والدعوة عامرية** ... » [٣٨] . بأن الاختلاط والاندماج كان قائماً ، ولكن ربما بنسب ،

فبنو سواءة خليط من أفخاذ وعشائر سواء كانت قحطانية أو عدنانية ، وأحياناً يكون خليط مجموعة من العشائر مندرجاً تحت مظلة واحدة أو اسم قبيلة أو عشيرة معينة .

وفي حديث الهمداني عن السراة ، لم يذكر وجود طبقة معينة من العبيد بها ، ولكن لا نستبعد أن يكون قد وجد بها نسبة منهم ، لأجل وقوعها في الوسط بين حواضر الحجاز واليمن الكبرى ، التي اشتهرت بنشاط أسواقها في بيع العبيد وشرائهم، وغيرهم من السلع المختلفة ، إلى جانب أن أغوار بلاد السراة تطل على البحر الأحمر الذي يوجد به عدد من الموانئ التي كان لها صلات جيدة مع مصر والحبشة والسودان والصومال وغيرها من بلاد العالم [٣٩] . أما طبقة الموالي في بلاد السراة فقد ذكرها الهمداني صراحة عند حديثه عن جرش فقال « **وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش** »[٤٠] ، ولعلها نالت هذا التخصيص بسبب كثرتها ، الأمر الذي أدى إلى فرض وجودها ، مع العلم أن النص الذي أورده الهمداني لا يوضح إلى من ينتسب إليه أولئك الموالي من قبيلة قريش ، وكيفية الولاء الذي كان بينهم وبين قريش [٤١] ، ولكن الأهم من ذلك أنّه ربط مهنة الجزارة بالموالي دون سواهم ، لأن القبائل العربية تأنف أن تتخذ مثل هذه المهن وأشباهها ، وفي هذا يقول ابن خلدون في فصل خاص بمقدمته (العرب أبعد الناس عن الصنائع)[٤٢] ، والملاحظ أن المهن إلى اليوم لها انعكاسات على أصحابها في المجتمعات العربية .

وأثناء حديث الهمداني عن مواطن السكان ومجاورة بعضهم بعضاً ، لم يكن يذكر معلومات عن نوعية مساكنهم ومرافقها ، ولم يوضح مما كانت تُبنى بيوتهم ، وكيف تصمم ، ونوع الأثاث الذي كان يوضع بها ، مع العلم أنه ذكر بعض التفصيلات عن بناء البيوت ومرافقها في حواضر اليمن الكبرى ، فأشار إلى سعة بعض الدور ، عند الأغنياء خاصة في صنعاء وغيرها من المدن الكبرى ، واستخدام الحجارة

في البناء على هيئة طابق وطابقين ونادراً ما تكون أكثر من ذلك ، وغيرها من المعلومات الجيدة حول البناء وما يتعلق به [٤٣] . ونظراً للمجاورة بين بلاد السراة وحواضر اليمن فليس ببعيد أن يكون شكل بعض الأبنية والمواد المستخدمة في بنائها مثلما هو الحال في صنعاء وغيرها .

والطريف في وصف الهمداني أنه لم ينس ذكر بعض الأماكن التي وجد بها بعض المراكز الحضارية ، فيذكر منطقة جرش قائلاً « **ويسكنها بنو عبدالله بن عامر من عنز ، ثم تندحة ، وهي العين من أودية جرش ، وفيها أعناب وآبار وساكنه بنو أسامة من الأزد ، ورأيت بعضهم ينجذب إلى شهران العريضة ، والعيبا بلد مزارع لبني أبي عاصم من عنز ، ويليها وادي طلعان كثير المزارع لبني أسد من عنز ، والقرعا لشيبة من عنز ولهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع يقال لها المسقى ، وهم مسالمون للعواسج** » [٤٤] .

وهذا العرض من الهمداني لبعض أجزاء بلاد جرش ، نجده يذكر أسماء أماكن عديدة ، تغير أسماء بعضها ، وبقي أسماء البعض الآخر إلى يومنا هذا ، وكلما ورد ذكره يعطي أجزاء من المناطق المعروفة حالياً بخميس مشيط ، وأحد رفيدة ، ومنتزه القرعا والجرة وما حولهما . وكونه ينوه لذكر شيبة من عنز في أرض القرعا ، ويبين أن لهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع ، فهذا يدل على دقة ملاحظته ، فلم يكن يغفل عن حجم القرية التي كانت كبيرة ، وبها مسجد جامع للمصلين [٤٥] . ولم يكن أيضاً يغفل عن ذكر بعض المراكز الحضارية ، وتجمعات المواطن السكنية بها ، فيورد أسماء بعض القرى الهامة في جرش ، كتندحة ، وغيرها ، ثم يذهب إلى سراة بلاد الحجر ، فيذكر بها تنومة ، ثم يقول « **وهي واد فيه ستون قرية أسفله لبني يسار ، وأعلاه لبلحارث بن شهر** » [٤٦] . ثم يشير إلى مدينة الجهوة التي تأتي في المرتبة الأولى قبل جرش ، ويواصل تدوين ملاحظاته الجيدة عن بعض القرى في سراة خثعم ، وبلقرن ، وشمران ، وغامد ، وزهران ، وبجيلة حتى مدينة الطائف . والملاحظ أن الأماكن التي أشار إليها الهمداني لم

تـــبق على ما كانت عليه ، بل تغيرت في تقسيماتها ، وأحياناً في أسمائها ، فعلى سبيل المثال كانت منطقة الجهوة في زمنه تأتي في المرتبة الأولى قبل جرش ، وهي من أرض بني شهر لسراة الحجر ، لكنها في الوقت الحاضر أصبحت جزءاً صغيراً من قرية بني بكر التابعة لمنطقة النماص .

وعلى الرغم من أهمية معلومات الهمداني ، إلاّ أنه لم يذكر الألبسة المستخدمة لدى أهل السراة ، والمواد وكيفية تصنيعها ، كما أنه لم يشر إلى أدوات الزينة والطيب عـــند أهل هذه المنطقة ، لا سيما وأنها تقع على مفترق الطرق التجارية الكبرى التي تـــربط حواضـــر اليمن والحجاز ، وبالتالي كانت هذه الحواضر مركز جلب الألبسة والمنسوجات بأنواعها ، سواء كان من الجزيرة العربية أو خارجها (٤٧) .

أما الموائد والأطعمة التي لاحظها وذكرها ، فكان جلها من الثريد ، وهو عبارة عن خبز يفت ويبل بالمرق ، ويوضع فوق اللحم (٤٨) ، ولعله يشبه ما يسمى ببلاد الشام (بالفتة) . والمضيرة ، وهي طبيخ اللحم باللبن حتى ينضج وتخثر المضيرة، ثم تعد للأكل، وموائد أخرى تتضمن ، الخبز ، والزبد ، واللبن ، والحليب ، واللحوم. وجميع هذه الأطعمة محلية لتوفر موادها في بلادهم ، فالقمح ، والذرة ، والشعير تزرع في السراة بكميات كبيرة . أما اللحوم والحليب ، فتؤخذ من مواشيهم الموجودة بكثرة حيث المراعي الشاسعة . وأشاد الهمداني بنوع من الأطعمة ، يسمى اللحوح ، وهو خبز رقيق يصنع من الذرة ، ويستخدم عادة مع اللبن،وقد لاحظ رقته فوصفه بالقول « **إنه إذا وقع في اللبن استرخى فلا يحتمل إلا بأكثر الأصابع** » (٤٩) . وأشار إلى أطعمة السفر الذي يتزود بها المسافر من اليمن إلى الحجاز ، وربما تزود بها أهل السراة،فقال : « **وكنا نحن نستعمل في أسفارنا الخبز والسمن واللحم والكشك والمهاد** » (٥٠) . وكان من أفضل المشروبات عند أهل السراة شراب اللبن مع الزبدة ، ومن أفضل المأكولات السمن الذي يستخرج من ألبان المواشي ، حيث كانوا يستخدمونه مع الخبز والعصيد

والهريس [٥١] ، وهذا النوع من الطعام ما زال مرغوباً وخاصة عند المسنين من أهل تهامة السراة .

وبالنسبة للعادات والتقاليد عند أهل السراة كالكرم ، والشجاعة ، والتكافل والتآزر سواء في المواسم أو الأعياد أوغيرها من المناسبات ، فالواقع أن هذا المجتمع كان ينبوعاً وقدوة لغيره من المجتمعات في التطبيق ، ولكن مع الأسف لم يشر إليه الهمداني إلا باقتضاب شديد حينما يتحدث عن النواح بأرض السراة ومشابهته بنواح اليمن ، وتبيّن أن الذين يقومون به هم من النساء والعبيد الموالي [٥٢] .

ومن الملاحظات المهمة للهمداني ــ يرحمه الله ــ اهتمامه بالجانب اللغوي عند أهل السراة ، ومقارنته بالجوانب اللغوية الأخرى عند أهل اليمن ، والكثير من مناطق شبه الجزيرة العربية [٥٣] . وخلص إلى أن أهل السراة أكثرفصاحة في القول ، وسلامة في اللغة حيث يقول « **الفصاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد ، فبني الحارث مما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام ، فأرض سنحان ، فأرض نهد وبني أسامة فعنز ، فخثعم ، فهلال ، فعامر بن ربيعة ، فسراة الحجر ، فدوس ، فغامد ، فشكر ، ففهم ، فثقيف ، فبجيلة ، فبنو علي ، غير أن أسافل سروات هذه القبائل ما بين سروات خولان والطائف دون أعاليها في الفصاحة** » [٥٤] .

وطرأ على بلاد السراة ، ما طرأ على غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية بسبب سهولة المواصلات ، وتيسر سبلها ، الأمر الذي أدى إلى جعل العالم وكأنه بلد واحد ، فحدث خلط جماعي بين سكانها ، وبين الوافدين عليها من مختلف الأماكن ، بل وحدث أيضاً الاختلاف في بعض المفردات واللهجات من عشيرة أو قبيلة إلى أخرى . والواقع أن التبدل والتعدد في اللهجات والمفردات ببلاد السراة له أهميته مثلما له طرافته ، حبذا لو تصدى له بعض الباحثين اللغويين ليبينوا تاريخه ، ودوافعه

وأســـبابه ، فإنه موضوع مهم جداً في علم اللغويات ، وبالتالي يتم إبراز وجه التراث العربي الأصيل .

خامساً : الحياة الاقتصادية :

أما عن الحياة الاقتصادية في هذه البلاد التي حباها الله بعدة مزايا تؤهل ساكنيها علــى مزاولة العيش فيهـــا ، فهناك المراعي ، والأراضي الزراعية الخاصة ، وهناك الموقع الجغرافي الهام ، كل هذا ساعد على امتهان الرعي ومزاولة الزراعة والتجارة ، إلى جانب ممارسة الحرف اليدوية على مختلف أنواعها . فالرعي عند أهل البادية من المهن الأساسية في الحياة ، يشاركهم فيها ــ أحياناً ــ أهل الحضر ، ونتيجة لكثرة المراعي وأهميتها في مقومات الحياة ، فقد ذكرها الهمداني في كتابه : صفة جزيرة العرب فقال : « **والصحن مراعي لبني شهر نجديها مما يصلي بيشة** » [٥٥] . ويبدو أن المناطق الشرقية من السراة تمتاز بكثرة مراعيها ، مما جعلها منطقة رعي عندهم إلى زمن قريب ، والأكثر من هذا أننا نجد حواضر تزاول الرعي إلى جانب الزراعة ، وهذا مما يعبر عنها عند علماء الاجتماع بنهاية مرحلة الانتقال وبداية مرحلة الاستقرار الدائم ، مع التنوع في أساليب العيش لتحسين الدخل .

ومن المواشي التي ورد ذكرها في كتاب الهمداني عن بلاد السراة ، وبقيت إلى زمــن قــريب ، الماعز ، والضأن ، يليها الإبل ، التي كانت تكثر في المراعي الشرقية للســـراة لما يناسبها من اتساعها وتوفر أعشابها ، إلى جانب الأبقار والمطايا من الحمير وغيرها في البلاد السروية عامة ، وفي الأجزاء النجدية والتهامية معا . وذكر الهمداني أفخاذاً وعشائر في مناطق متعددة من بلاد السراة ، اقتصر عملهم على رعي الماشية ، وجمــع الحطـــب ، وصـــيد الحيوانات البرية ، ومعظمهم من سكان المناطق الشرقية للســـــراة [٥٦] . ويـــبدو من كلامه أيضاً ، أن الزراعة كانت لها الأولوية بين المهن ،

لكثرة المزارع والبساتين وما بهما من خضر وفاكهة ، ويعود ذلك لوفرة المياه من الآبار والأودية ، ونزول الأمطار في معظم أيام السنة بسبب هبوب الرياح الموسمية على اليمن وعلى بلاد السراة بشكل عام ، ومما ذكره الهمداني بهذا الخصوص قوله « **وبسراة الحجر البر ، والشعير ، والبلس ، والعتر ، واللوبيا ، واللوز ، والتفاح ، والخوخ ، والكمثرى ، والأجاص والعسل ....** » (٥٧) . ويذكر ثانية سراة الحجر «.... **ثم نحيان واد مستقبل القبلة فيه التفاح واللوز والثمار ...** » (٥٨) ويذكر عدة أصناف من المحاصيل الزراعية التي اعتاد الفلاحون زراعتها ، في بلاد جنب ، وعتر ، وغامد ، وزهران ، وبجيلة ، وغيرها من المناطق الأخرى . وإن دلّ هذا على شيء ، فإنما يدل على صلاحية المنطقة للزراعة ، لما تحويه من وفرة المياه ، وخصب التربة ، لكن مع الأسف لم يذكر لنا الأساليب الزراعية المستخدمة في المنطقة ، ولا كيفية بناء المدرجات الزراعية وحفر الآبار لاستخراج الماء من باطن الأرض ، رغم وجودها منذ زمن بعيد (٥٩) .

والملاحظ أن هذه المنطقة غنية بالأشجار والأعشاب البرية ، ومن هذه الأشجار ، شجر الطرفاء ، والأثل والسلم ، والقرظ ، والشبرم ، والشوحط ، والتالب ، والشث وغيرها (٦٠) .

ولم ينفرد الهمداني بذكر ما في السراة من أشجار برية متنوعة ، بل سبقه في ذلك أبو حنيفة الدينوري (٦١) ، ومن يطالع كتابه (**النبات**) يجد أنه لا يكتفي بذكر أسماء الأشجار ، بل يشير إلى وصفها من حيث شكلها ، والمناطق الملائمة لها ، وأين تكثر وأين تقل ، والأغراض المستخدمة من أجلها ، سواء كان في التجارة أو الدباغة ، أو الصياغة أو غيرها (٦٢) .

أما الحرف والمهن اليدوية ، فلم يكن الهمداني يهتم بذكرها ، وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك العديد من الحرف التي يتم مزاولتها لدى أهل البلاد ، والسبب الذي

يجعلـــنا نجـــزم بوجـــود البعض منها ، هو أن المقومات الأساسية لبعض الحرف كانت متوفرة ، وأشار الهمداني نفسه إلى بعضها ، فمثلاً حرفة الدباغة كانت تحتاج إلى مناخ معـــتدل ، وإلى جـــلود المواشي ، وكذلك إلى بعض أوراق الأشجار المهمة في عملية الدباغـــة ، وكـــل هـــذه الأشياء في متناول أيدي أهل السراة (٦٣) ، وقس على مهنة الدباغة مهناً أخرى ، كالخرازة ، والحدادة ، والخياطة ، والصياغة وغيرها من الحرف الكثيرة (٦٤) .

ولم يغفـــل الهمداني عن ذكر الجانب التجاري في بلاد السراة أثناء تجواله في ديارهـــا من الجنوب إلى الشمال بسبب امتهانه مهنة الجمالة ، حيث كان هو وصحبه ومـــن شاركهم في هذه المهنة يحملون أمتعة المسافرين والتجار على جمالهم ، لكنه مع الأســـف لم يذكـــر لنا تقاليدهم المتبعة في هذه المهنة ، من حيث الأجور ، هل تحسب بحساب الزمن ونوع الأمتعة ، أم بالمسافة وكمية الأمتعة ، كما أنه لم يشر إلى أساليب التعاون وكيفية تطبيقها بين الجمّالين . ولم يشر إلى كيفية التعامل والتبادل التجاري ، الـــذي كـــان معمولاً به في المراكز التجارية ببلاد السراة ، ولا إلى الأعراف التجارية والعقـــود المـــبرمة بين أصحاب المهن والتجار ، في كل من حواضر اليمن والحجاز ، كالطـــائف ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وصنعاء ، وصعدة ، وغيرها من الحواضر الأخـــرى ، حيث نشطت التجارة في هذه الحواضر منذ أمد بعيد حتى أصبح لها تراث تجـــاري زاخـــر في التقاليد والأعراف التجارية ، وهذا ما أشاد به الهمداني وغيره من أصحاب المؤلفات الجغرافية ، خاصة ممن كانت مؤلفاتهم في ذكر الأقاليم ، وما يوجد بها من خيرات، وذكر المسافة فيما بينها (٦٥) .

وخـــصّ الهمداني الطرق التجارية التي كانت تربط الحجاز باليمن مارة ببلاد السراة ، ابتداء من صنعاء وانتهاء بمكة المكرمة ، فذكر الطريق الممتد من صنعاء ماراً

بصعدة ، فجرش ، فبيشة حتى الطائف ثم مكة المكرمة ، والطريف في الأمر أن الهمداني ذكر طول المسافة بين كل محطة وأخرى بالأميال ، وهذا يعكس لنا دقته في قياس طول الطـــريق أثـــناء ذهابه وإيابه معها (٦٦) . وذكر الطريق الساحلي الذي يربط الحجاز بالـــيمن مـــاراً بالســـهول الواقعة على الساحل بمحاذاة البحر الأحمر ، ذاكراً المراكز والمحطـــات الـــتي يمر بها بعد مروره من اليمن ، ومن تلك المراكز ، حلي ، وقنونا ، ودوقـــة، والسرين والليث ، وغيرها حتى يصل مكة المكرمة . وهناك له طريق تجاري آخر يصل حضرموت بمكة المكرمة ، ويلتقي مع طريق صنعاء ــ مكة المكرمـــــــــة (السابق الذكر) في محطة تبالة (٦٧) .

سادساً : الحياة العلمية والفكرية :

وكان الجو العلمي والفكري في السراة مناسباً لنمو البذور العلمية بسبب وضع السراة المميز ما بين اليمـــن والحجاز ، حيث وجد فيها كثير من المراكز الحضارية والفكرية ، والأهم منها الحرمان الشريفان في مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وقصد الناس إليهما على مختلف مستوياتهم العلمية ، لأداء فريضة الحج ، وربما للاستقرار في إحدى الحاضرتين لمجاورة أحد الحرمين ، إلى جانب ما تمتعت به المدينة المنورة من مركز سياسي مرموق ، أيام كانت عاصمة الدولة الإسلامية في زمن الرسول (ﷺ) وزمن الخلفاء الراشدين . ومع انتقال عاصمة المسلمين إلى دمشق في بلاد الشام أيام الأمويين ، إلاّ أن هذا الانتقال لم يقلل من أهمية الحاضرتين ، لا سيما من الناحية العلمية ، لأنّهما بقيتا مركز استقطاب للعلماء في مختلف التخصصات، ولكون بلاد السراة تقع ما بين اليمن والحجاز ، فلا بدّ أن تنال قسطاً من العلم سواء من علماء اليمن أو علماء الحجاز ، خاصة وأنها معبر لأهل اليمن أثناء توجههم لمكة والمدينة . والقارئ لكتب التراجم وغيرها من كتب الأولين ، ككتاب الطبقات لابن

سعد ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، والإصابة في تمييز الصحابة ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، كل هذه الكتب وغيرها يجد فيها القارئ معلومات قيمة عن علماء وفقهاء ، وشعراء وأرباب سيف وغيرهم ، عاشوا في حواضر هذين القطرين (اليمن والحجاز) ، وفي غيرهما من حواضر العالم الإسلامي ، كالكوفة ، والبصرة ، ودمشق ، وبغداد ، وغيرها ، وبعضهم كانوا سراة المولد ، حجازيين ، أو يمنيين ، أو كوفيين ، أو بغداديين ، أو دمشقيين بالاستقرار . ولكن مع الأسف لم نجد لهذه المنطقة (السراة) ذكراً واسعاً وصريحا في مثل هذا المجال. ولعل السبب في ذلك يعود إلى اهتمام المؤرخين والمؤلفين بشكل عام بالمراكز الحضارية الشهيرة في العالم الإسلامي ، أكثر من اهتمامهم بالمناطق المغمورة ، والواقع أن منطقة السراة ظلت منسية ، ردحاً طويلاً من الزمن ، ولهذا وجب علينا أن نقوم بالبحث عن المصادر التي تعرضت لها ، لكي نظهرها للوجود حتى تكون غذاء دسماً وضرورياً للأجيال القادمة .

وها هو الهمداني ـــ يرحمه الله ـــ يدوّن لنا معلومات قيّمة استفدنا منها الكثير في معرفة أحوال المنطقة من جميع الجوانب ، لكن على الرغم من أهميتها ، فإنها لم تف بالمطـــلوب في معـــرفة الحياة العلمية وأساليب التعلم فيها ، وفي التعرف على الشعراء والأدباء والعلماء الذاهبين إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، أو ذهابهم هم أنفسهم إلى المدينـــتين المقدستين والاجتماع برجال العلم والفكر فيهما ، ومن أبرز الشعراء الذين عرفناهم في بحثنا هذا ، الشاعر أبو الحياش الحجري الذي ينتسب إلى الحجر بن الهنو ، بـــلاد ســـراة الحجـــر ، الذي ورد ذكره أثناء تجمع بعض الشعراء من نجد والحجاز والسراة في مكة المكرمة وكان أبو الحياش يمثل أهل السراة ، عندما غلب على الناس القحط وقلة الأمطار ، فأنشد الشعراء قصائد شعرية ليتوسلوا فيها إلى الله جل جلاله

طالبين الرحمة والغيث ، وقد ذكر الهمداني بعض تلك القصائد التي قالها الشعراء المختلفون في مكة المكرمة (٦٨) ، وقد أورد القصيدة التي قالها أبو الحياش ، فقال في مطلعها :

ربّ ما خاب من دعاك ولا يحـ ... ـجب ياذا الجلال عنكَ الدُّعاءُ
لم يخبْ للنبيّ يعقوب ياذا الـ ... ـعرش فيما دعا لديك الرجاء
رب أنت الذي رددت عليه ... بصراً كان قد محاه البكاء

ثم جاء إلى وصف الأرض التي عمها القحط فكان أغلب ما ذكر مواطن ببلاد تهامة السراة ، فقال :

رحمةٌ منك هب لنا إننا نحـ ... ـن لك الله أعبُدُ وإماءُ
إن هاتا لأزمةٌ عمت النا ... س ومستهم لها البأساءُ
ولكم ثم كم سقيت لنا الأر ... ض غيوثاً أتت بها الأنواء
سقيت برهة قرى خلب منـ ... ـها فجازان تلك فالصبياء
فقرى بيش ، فالدويمات فالبر ... ك فحلى ممطورة غيناء
ومن الطود فالزتامات خضر ... رويت فالتنومة الزهراء
فقرى الحجر جهوة الزرع والضر ... ع فأشجانها الحنا فالجباء
فجبال السراة فالفرع الوسـ ... ـطى حكين الجنان فالحيفاء
فالذرى من سراة غامد فالنمـ ... ـر فأجبال دوسها طخياء
فقرى الدارتين أرض علي ... سهلها والجبال منها الماء
فقنونا فأرض دوقة فالليـ ... ـث فهشم السرين فالسراء (٦٩)

ويستنتج القارئ من قراءته لهذه الأبيات ، حرص الشاعر أبو الحياش على ذكر أسماء بعض الأماكن والمواقع في بلاده (أرض تهامة والسراة) وقد حاول عد البعض منها ، وبين حرصه مع صبغ عاطفته على جميع الأماكن التي ذكرها ، راجياً من

الله أن يشملها برحمته بنزول الغيث عليها . كما يستخلص أيضاً من مشاركته مع غيره من شعراء شبه الجزيرة العربية إلى أن بلاد السراة كانت غير خالية من العلماء والأدباء والشعراء ، ولو لم يكن ذلك لما كان هذا الشاعر السروي قام وأخذ نصيب المشاركة مع غيره من الشعراء ، وبخاصة في حاضرة مكة المكرمة التي عرف عنها النشاط الفكري والثقافي منذ عهود قديمة ، ولكن كما ذكرنا سابقاً أنه النسيان وعدم التدوين عن هذه البلاد جعل الكثير من تراثها يندرس ويضيع .

سابعاً : معوقات حضارية :

ومن معوقات العيش في بلاد السراة ، فلم يكن الهمداني ينسى ذكر بعضها، وبخاصة القحط وقلة الأمطار ، كما ورد معنا ، وكذلك غلاء المعيشة وقلة الأطعمة وغيرها من العوائق التي قال عنها « **أصاب الناس أزمة شديدة مكثوا سنة جرداء سموها سنة الجمود ، لجمود الرياح فيها ، وانقطاع الأمطار ، وذهاب الماشية وهزالها ، وثبات الغلاء ، وقلة الأطعمة، وتصرم المياه في الأودية والآبار** » (٧٠) . ومثل هذه المشاكل لا بد أن تكون قد أثرت على الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والفكرية ، أيضاً قد لا تكون معوقات الحياة مقتصرة على ما أورد الهمداني ، ولكن من المحتمل أن يكون هناك عوائق أخرى ، بعضها قد يكون سياسياً أو اقتصادياً واجتماعياً . ومن يعرف أحوال العشائر والقبائل العربية ولا سيما البعيدة عن المراكز السياسية في العصور الإسلامية الوسطى ، فلا بد أن يدرك أن الفوضى والسلب والنهب والحروب القبلية كانت جزءاً من حياة أفراد العشيرة أو القبيلة الواحدة ، ولا يستبعد أن تكون بلاد السراة ، بما فيها من عشائر وقبائل ، كانت من أكثر المناطق ملأى بالفوضى والصراعات القبلية ، وذلك لكثرة القبائل المتعددة بها ، ولبعدها عن مراكز القيادة والإدارة المركزية في عواصم الخلافة الإسلامية .

ثامنــاً : الخاتمة :

وبهذا فالحسن الهمداني يعد رائداً في كتاباته عن بلاد السراة ، فلم يكن يقصر تدويـــن ملاحظاته على مواطن القبائل وتوزيعها ، لكنه أضاف أشياء مفيدة في جوانب علمية مختلفة .

وبعـــد فقد تميز البحث في الكشف عن نقاط غامضة ، وأخرى مبهمة ، فقد تطـــرق إلى موقـــع الســـراة مبيناً أهميته ، وإلى مسمى المنطقة وسبب هذه التسمية ، واختلاف المسمى الحديث عنه ، كما أشار البحث إلى الناحية الاجتماعية مبيناً مواطن القبائل ، ونظام الموائد ، وطرق الطهي ، وأنواعه ، وأشار إلى المراكز التجارية وأثرها في نمـــو المراكز الحضارية ، والازدهار الثقافي الناجم عن توسطها بين مركزين هامين ، الـــيمن والحجـــاز ، وخاصـــة الأخير الذي ما زال يتمتع بشهرة كبيرة بسبب وجود الحرمين الشريفين فيه .

وما أشرنا إليه في هذا البحث ، قد يفتح الآفاق لبعض الباحثين ، وبخاصة من أهل السراة أنفسهم ، لأنهم أدرى بمواطنهم من غيرهم فيضيفوا بالتحليل أو النقد أو التصحيح لكل ما تم إيراده ، آملين من الله التوفيق والسداد في بناء هذا الصرح العلمي لهذه المنطقة التي ما زال الكثير من قضاياها التاريخية بحاجة إلى جهود الباحثين والدارسين لإبرازها .

تاسعاً : الهوامش والتعليقات

١ ــ انظــر ، الحســن بن أحمد الهمداني . الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، تحقيق محب الديــن الخطيــب (بيروت: دار المناهل، ١٤٠٧هــ /١٩٨٧م) ص٢٥ وما بعدها ، جــرجي زيــدان . تاريخ آداب اللغة العربية (القاهرة : دار الهلال ، تاريخ النشر غير معروف) جــ٢ ، ص٢٠٩ ــ ٢١٠ .

٢ ــ الحســن بن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ، وإشراف حمد الجاسر(الرياض : منشورات دار اليمامــــــة ، ١٣٩٧هــ /١٩٧٧م) ص ٣٥٦ ، ولــلمزيد من التفصيلات عن حياة الهمداني ، انظر ، المقدمة التي كتبها حمد الجاســر في أوائل صفة جزيرة العرب ، وقاموس الأعلام ، لخيرالدين الزركلي ، (طبعة بيروت ، ١٩٨٠م) جــ٢ ، ص ١٧٩ .

٣ ــ انظر مقدمة الجاسر في كتاب صفة جزيرة العرب ، ص١٨ .

٤ ــ انظر تفصيلات أكثر عن الحجاز ، بما فيها بلاد السراة المعنية في هذا البحث ، صالح أحمد العــلي . " تحديد الحجاز عند المتقدمين " مجلة العــرب جــ١ (١٣٨٨هــ/١٩٧٨م) ص ١ ــ ٩ ، عــبدالله الوهيــبي . " الحجــاز كما حدده الجغرافيين العرب "مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود (الرياض سابقاً) (١٣٩٠هــ /١٩٧٠م) جــ١ ، ص٥٣ ــ ٧٠ .

٥ ــ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص١١٥ وما بعدها ، عبد الله بن عبد العزيز البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هــ /١٩٨٣م) ، انظر مقدمة المحقــــق ، ص ٨ ــ ١٣ ، جــ٣ ، ص ٧٣٠ ، شهــاب الدين ياقوت . معجم البلدان (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هــ/ ١٩٨٤م) جــ٢ ، ص ٢١٨ ــ ٢٢٠ ، جــ٣ ، ص ٢١٧ ــ ٢١٨ .

٦ ــ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٦٤ .

٧ ــ المصدر نفسه ، ص١٠٥ وما بعدها .

٨ ــ المصدر نفسه ، ص١١٩ ــ ١٢٠ .

٩ ــ المصدر نفسه ، ص٢٦٠ ــ ٢٦١ .

١٠ ــ المصدر نفسه .

١١ ــ المصدر نفسه ، ص٢٧٤ .

١٢ ــ جرش من أعظم المراكز الحضارية في بلاد السراة خلال القرون الإسلامية الأولى ، وقد كان يطلق عليها أحياناً مخلاف جرش ، وربما تأتي في المرتبة الثانية بعد الحواضر اليمانية الكبرى ، كصنعاء وصعدة وغيرهما ، وللمزيد من التفصيلات عن موقعها وأهميتها انظر . البكري . معجم ما استعجم مج١ ، جـ ١ ــ ٢ ، ص ٣٧٦ ، ياقوت . معجم البلدان جـ١ ، ص ١٢٦ ــ ١٢٧ ، محمد أحمد معبر. مدينة جرش من المراكز الحضارية القديمة (خميس مشيط : دار جرش للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م ، ص١١ ــ ٣٥ حمد الجاسر . " جرش قاعدة الأزد " مجلة العرب ، جـ٧ ، السنة الخامسة ، محرم / ١٣٩١هـ ، ص ٥٩٣ ــ ٦٠٠ .

١٣ ــ والعواسج يقطنون اليوم في وادي ابن هشبل ، ببلاد شهران ، ويطلق عليهم العواشز حتى يومنا هذا .

١٤ ــ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٥ .

١٥ ــ المصدر نفسه ، ص٢٥٦ .

١٦ ــ المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .

١٧ ــ المصدر نفسه ، ص٢٦١ .

١٨ ــ المصدر نفسه .

١٩ ــ جرير بن عبدالله البجلي كان من الذين وفدوا على الرسول (ﷺ) من وفد بجيلة ، وكان له مساهمات عظيمة في توطيد الإسلام بين أهل السراة ، وكذلك في ميادين الفتوح الإسلامية المبكرة ، وبخاصة في جبهة الجهاد ضد الفرس . للمزيد من التفصيلات عن شخصية جرير بن عبدالله وأعماله ، انظر. محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت : دار سويدان ، تاريخ النشر غير معروف) جـ٣، ص٣٦٥ ، ٣٦٩ ، المنسوب إلى عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، تحقيق طه الزيني (بيروت : دار المعرفة ، ١٣٧٨هـ /١٩٦٧م) جـ١ ، ص٨٢ ،

أحمـــد بن محمد بن عبد ربه . العقد الفريد (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـــ / ١٩٨٣م) ص ٣٠٧ ـــ ٣٠٨ .

٢٠ ـــ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـــ٧ ، ص١٣٠ ؛ حمد الجاسر. في سراة غامد وزهران، نصـــوص ، مشاهدات ، انطباعات (الريـــاض : دار اليمامة ، ١٣٩١هـــ/١٩٧١م) ص ٣٥٦ .

٢١ ـــ للمزيد من التفصيلات عن بلاد غامد وزهران ، انظر كتاب الجاسر المذكور في الملاحظة السابقة .

٢٢ ـــ للمزيد من التوضيحات عن قرى وعشائر ومواطن أهل سراة الحجر انظر ، عمر غرامة العمروي . المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، بلاد الحجر (الرياض : دار اليمامة، ٩٧ ـــ ١٣٩٨هـــ) .

٢٣ ـــ ولـــلمزيد عـــن بـــلاد عسير وشهران ، انظر ، هاشم النعمي . تاريخ عسير في الماضي والحاضـــر ، مؤسســـة الطباعة والصحافة والنشر ، مكان وتاريخ النشر بدون) ؛ محمود شـــاكر . عســـير (بـــيروت : المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـــ /١٩٨١م)؛ عبد الكريم عـــائض سعيد آل طالع . قبيلة شهران بين الماضي والحاضر (الرياض : المطابع الأهلية ، ١٤٠٤هـــ /١٩٨٤م) .

٢٤ ـــ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص١١٩ ـــ ١٢٠ .

٢٥ ـــ المصدر نفسه .

٢٦ ـــ المصدر نفسه .

٢٧ ـــ لـــلمزيد من التفصيل عن وضع القبائل العربية في العصر الجاهلـــي ، والعصور الإسلامية المختـــلفة ، وكيـــف كـــانت العشائر والقبائل الصغيرة تدخل في حماية القبائل الكبيرة ، وبالـــتالي يغلب اسم القبيلة الكبيرة على أسماء القبائل الصغيرة التي دخلت تحت حمايتها . انظر ، جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٧ ـــ ١٩٧٨م) ط٢ ، جـــ٢ ، ٣ ، ٤ .

٢٨ ـــ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٦٠،الجاسر ، في سراة غامد وزهران ، ص٣٥٦ .

٢٩ ـــ انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٦٠ ـــ ٢٦٢ .

٣٠ ــ لــلمزيد من المعرفة عن أسماء ومواقع هذه الأماكن بسراة الحجــر ، انظر : عمر غرامة العمروي ، بلاد رجال الحجر ، ص٥١ وما بعدها .

٣١ ــ انظر الهمداني ، المصدر السابق ، ص٢٥٥ وما بعدها .

٣٢ ــ ولــلمزيد مــن التفصيلات عن حديث الهمداني حول جرش وبلاد الحجر ، انظر ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٥٥ ــ ٢٦٢ .

٣٣ ــ لمزيد من المعلومات عن وفد جرش الذي وفد على الرسول (ﷺ) . انظر ، عبدالملك بن هشام . السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا (مكان وتاريخ النشر غير معروفين) مج٢، جــ٤ ، ص٥٨٦ ــ ٥٨٨ ، محمد بن سعد . الطبقات الكبرى (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥هــ /١٩٨٥م) جــ١ ، ص٣٣٧ ــ ٣٣٨ .

٣٤ ــ أحمد بن واضح اليعقوبي . كتاب البلدان (تحقيق ام دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م) ص٣١٧ ــ ٣١٨ .

٣٥ ــ انظر محمد أحمد معبر . مدينة جرش ، ص٣٧ ــ ٤٤ .

٣٦ ــ للمزيد من التفصيل عن مدينة جرش، تاريخها ، وموقعها ، انظر محمد أحمد معبر ، المرجع السابق ، ص١١ وما بعدها ، حمد الجاسر " جرش قاعدة الأزد "، ص ٥٩٣ ومابعدها ، غيثان بن جريس "تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى" مجلة العصــور مج (٩) جــ١ (١٤١٤هــ /١٩٩٤م) ص٦٣ وما بعدها .

٣٧ ــ لمزيد من التوضيحات عن القبائل القحطانية (الأزدية) والعدنانية في بلاد تهامة والسراة ، انظــر . هشام بن محمد الكلبي ، جمهرة النسب الكبير ، رواية السكري عن ابن حبيب ، تحقيــق ناجي حسن (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٧هــ /١٩٨١م) ، علي بن أحمد بن حــزم الأندلسي . جمهرة أنساب العرب (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هــ / ١٩٨٣م) ص ١٨ وما بعدها ، عمر بن غرامة العمروي . قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤١١هــ /١٩٩١م)،جــ١ ، ص٥٧ وما بعدها .

٣٨ ــ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص١١٩ ــ ١٢٠ .

٣٩ ــ النشاط التجاري خلال العصور الإسلامية الوسطى كان جيداً ، وبخاصة في مكة المكرمة ، والمديــنة المنورة بالحجاز ، وصنعاء وصعدة وغيرهما من مدن اليمن الكبرى ، إلى جانب

وجـــود طرق تجارية ، برية وبحرية ، نشيطة تربط تلك الحواضر مع أجزاء عديدة في العالم الإســـلامي آنذاك . وللمزيد من التفصيل انظر في المصادر والمراجع التالية ذكرها . شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي . كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق ، ام دى غوى (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٦م) ص٧٩ ، ٩٧ ، محمد بن أحمد بن جبير ، رحلة ابن جبير (بيروت : اسم الناشر وتاريخ النشر غير معروف) ص ٩٦ وما بعدها ؛ ناصر الديـــن خسرو القبادياني المروزي . رحلة ناصر خسرو ، ترجمة وتقديم أحمد خالد البدلي ، (الرياض : عمادة شؤون المكتبات ــ جامعة الملك سعود ، ١٤٠٣هــ /١٩٨٣م) ص ١٢١ ومـــا بعدهـــا ؛ غيـــثان علي جريس " الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجـــاز خـــلال القـــرون الإسلامية المبكرة " مجلة العرب ، جـــ٧ ،٨ ، السنة (٢٦) ، ١٤١٢هــ ، ص٤٤٧ ــ ٤٦١ .

٤٠ ــ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٥٥ ــ ٢٥٦ .

٤١ ــ كـــان العـــرب في صـــدر الإســـلام ولا سيما في العهد الأموي يسمون غير العرب من المســـلمين المـــوالي. وكـــان المسلمون في البلاد العربية ، كالعراق، والشام ، والحجاز ، وغيرهـــا ، قد ألفوا عادة الانتماء بالولاء إلى من يريدون من الشخصيات العربية المرموقة والانتساب إلى قبائلها اسميا ، وإن لم يكونوا منها فيكتسبون بذلك بعض حقـــوق القرابة بالنسب ، كالمساعدة ، والحماية ، والتأييد . ومن الموالي أيضاً من كان في منـــزله الرق ثم اعـــتقوا من قبل ساداتهم فصاروا في مكانة أخرى بين الرق والحرية هي منـــزلة الولاء أو المـــوالي . لـــلمزيد من التفصيل عن الولاء انظر . محمد بن منظور ، لسان العرب، نسقه وعـــلق عـــليه علي شيري (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هــ /١٩٨٨م) جـــ١٥، ص٤٠١ ــ ٤٠٦ .

٤٢ ــ عـــبد الرحمن محمد بن خلدون . تاريخ ابن خلدون (بيروت : دار العلم للجميع ، تاريخ النشر غير معروف) جـــ١ ، ص٣١٨ وما بعدها .

٤٣ ــ انظـــر تفصيلات أكثر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٤٤ وما بعدها ؛ وللمزيد من التوضيحات عن الحياة الاجتماعية في حواضر اليمن ، وبخاصة في صنعاء وما حولها ، انظـــر . المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٨٤ وما بعدها ؛ أحمد بن عمر بن رسته . كتاب

الأعـــلاق النفسية ، تحقيق ، ام . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م) ص ١٠٩ ـــ ١١٥ .

٤٤ ـــ الهمداني ، المصدر السابق ، ص٢٥٧ .

٤٥ ـــ الهمداني ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ وقد أصدر أمير منطقة عسير خالد الفيصل في عام (١٤٢٢هـــ /٢٠٠١م) أمره بتغيير اسم القرعاء إلى الفرعاء .

٤٦ ـــ المصدر نفسه ، ص ٢٦١ .

٤٧ ـــ لمـــزيد مـــن المعلومات عن الحياة التجارية في اليمن والحجاز وعلاقة تلك الأجزاء ببلاد السراة ، انظر . ابن جبير ، الرحلة ، ص١٠٠ وما بعدها ؛ جريس "الطرق التجارية .. " ص٤٤٧ وما بعدها ؛ أحمد عمر الزيلعي . مكة وعلاقاتها الخارجيـــة ٣٠١ ـــ ٤٨٧هـــ (الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض ، ١٩٨١م) ص١٥٥ وما بعدها .

٤٨ ـــ الهمداني ، صفة ، ص ٣٤٠ ، ٣٥٦ .

٤٩ ـــ الهمداني ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٠ .

٥٠ ـــ المصدر نفسه ، ص ٣٥٦ ، والمهاد ، هو الخبز الممهود . والكشك يتخذ من نقع البرغل بعد اختماره فيفت ويطبخ ، الهمداني ، المصدر نفسه ، ص٣٥٦ ، ملاحظة (٢) .

٥١ ـــ الهمداني ، المصدر نفسه ، ص٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

٥٢ ـــ المصـــدر نفســـه، ص٣٦٥ ، وقـــد أخبرني بعض المختصين في تاريخ المغرب والأندلس ، فذكـــر أن مـــثل هـــذه العادة كانت ولا زالت عند بعض المغاربة ، وبخاصة في المغرب الأقصى .

٥٣ ـــ انظر الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٧٧ ـــ ٢٧٩ .

٥٤ ـــ المصدر نفسه ، ص٢٧٩ .

٥٥ ـــ المصدر نفسه ، ص٢٦٢ .

٥٦ ـــ المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ ، ٣٠٢ .

٥٧ ـــ المصدر نفسه ، ص٢٦٢ .

٥٨ ـــ المصدر نفسه ، ص٢٦١ .

٥٩ ـــ مـــن يلاحظ الآبار والمدرجات الزراعية ببلاد السراة ، في يومنا هذا يلاحظ الجهد الكبير الذي بذل في بناء مدرجات عالية الارتفاع ، لكي تحافظ على تربة المزرعة ، وكذلك آبار بعيـــدة العمق ، والتي بعضها حفرت في صخور صماء ، وبأدوات يدوية قديمة . حبذا لو خـــرج أحد أبناء السراة بدراسة علمية جادة تتبع فيها متى وكيف عملت تلك المدرجات الزراعية ، التي نلاحظها في طول وعرض البلاد ، وكذلك تلك الآبار الكثيرة والتي يظهر على بعضها قدم العهد .

٦٠ ـــ المصدر نفسه ، ص٢٢٦ ، ٣٠١ .

٦١ ـــ يعتبر الدينوري من أفضل من كتب عن النباتات وبخاصة في بلاد السراة من بلاد الجزيرة العـــربية ، ومـــن كتبه التي وصلتنا عن النباتات مايلي : كتاب النبات ، الجزءان الأول والثاني ، تحقيق محمد حميد الله ، نشر المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة ، عام ١٩٧٣م ، والجزء الثالث ، والنصف الأول من الجزء الخامس ، شرح وتحقيق المستشرق برنهارد لفين ، بألمانيا عام ١٣٩٤هـــ /١٩٧٤م .

٦٢ ـــ وقد جاء بعد الدينوري والهمداني بعض الجغرافيين واللغويين فذكروا أسماء عديدة للأشجار والنباتات الموجودة ببلاد السراة ، ومن أولئك العلماء على سبيل المثال لا الحصر، عرام بن الأصبغ السلمي ، في كتابه : أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه ؛ والبكري في كتابه ، معجم ما استعجم؛ وياقوت الحموي ، في كتابه معجم البلدان ، وفي بعض المعاجم اللغوية ، كالقاموس المحيط للفيروز آبادي ، ولسان العرب ، لابن منظور ، وتاج العروس ، للزبيدي .

٦٣ ـــ للمزيد من التفصيلات عن مهنة الدباغة ، كيفيتها ، وأساليب مزاولتها ، والمواد الأساسية في ممارستها . انظر " باب الدباغ " المذكور في كتاب النبات ، للدينوري ، تحقيق المستشرق برنهاردلفين ، ص ١٠٤ ـــ ١٢١ ، أيضاً انظر ، كتاب المخصص ، لابن سيدة (مطبعة بولاق بالقاهرة ، ١٣١٦هـــ /١٨٩٨م) جـــ٤ ، ص١٠٤ ـــ ١١٦ .

٦٤ ـــ ولمعرفة بعض التوضيحات عن المهن والحرف بشكل عام خلال القرون الإسلامية الأولى ، وبخاصـــة في المـــناطق المجاورة لبلاد السراة كحواضر الحجاز واليمن. انظر ، عبدالعزيز

إبراهـــيم العُمــري . الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول (ﷺ) (الدوحة : مركــز الــتراث الشعبي ، ١٩٨٥م) ص ٤٧ وما بعدها ؛ عبدالله محمد السيف . الحياة الاقتصـــادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـــ /١٩٨٣م) ص ١٥١ ــ ١٦٨ ؛ جميل حرب محمود . الحجاز واليمن في العصر الأيوبي (جدة : دار تهامة للنشر ، ١٤٠٥هــ /١٩٨٥م) ص ١٢٦ ــ ١٢٨ ، ١٤٨ ــ ١٥٠ ؛ غيثان علي جريس " أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة " مجلة المنهل عدد (٤٩٢) مج٥٣ (١٤١٢هــ) ص ٨٢ ــ ٩٦ .

٦٥ ــ لمزيد من التفصيل عن النشاط التجاري في حواضر اليمن والحجاز خلال العصر الإسلامي الوسيطي . انظر ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٤ وما بعدها ؛ ابن جبير ، الرحلة ، ص٩٦ ومــا بعدهــا ، الزيلعي . مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٥٥ وما بعدها ، جميل حرب ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١١٧ ــ ١٥٩ .

Patricia crone. **Meccan Trade and the Rise of Islam** (Oxford) : Basil Blackwell Ltd ., 1987) ; Abdullah Alwi Hassan . “ The Arabian Commercial Background . **Islamic Culture** (Vol . LXI . No .2. April , 1987 , pp. 70 - 83 .

٦٦ ــ حول شرح الهمداني لأطوال تلك الطريق التي تربط بين صنعاء والطائف مروراً بالسراة ، انظر ، صفة جزيرة العرب ، ص٣٣٨ ــ ٣٤٠ . لم يكن الهمداني هو الوحيد الذي ذكر تلك الطريق، وإنما بعض الجغرافيين الأوائل أشاروا إليها أيضاً مثل : اليعقوبي ، البلدان ، ص٣١٤ وما بعدها ، عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبه . المسالك والممالك تحقيق، أم . دي غـــوي (ليـــدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هــ /١٨٨٩م) ص ١٣٣ وما بعدها ، وضمن هـــذا الكـــتاب ، كتاب الخراج وصنعة الكتابة . لأبي الفرج قدامة بن جعفر، الذي أشار أيضـــاً إلى ما أشار إليه اليعقوبي وابن خرداذبة ، ص١٩١ وما بعدها ، انظر أيضاً ، الإمام أبو إسحاق الحربي ، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر (الرياض : منشورات دار اليمامة ١٤٠١هــ/١٩٨١م) ص٦٤٣ ــ ٦٤٩ .

٦٧ ــ الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ ــ ٣٤٣ .

٦٨ ــ انظــر تلك الأشعار في كتاب ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٧٨ ــ ٣٨٤ ، وأيضاً انظر تفصـــيلات أكـــثر في مقالـــة عـــبد الله الناصر الوهيبي " تحديد الشعراء العرب للمواقع

الجغرافية " .بحث مقدم في الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، (١٣٩٧هـ /١٩٧٧م) جـ١ ، ص ٣٦٣ ــ ٣٧٥ .

٦٩ ــ الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٨١ ــ ٣٨٢ .

٧٠ ــ المصدر نفسه ، ص ٣٧٨ .

الدراسة الخامسة :

بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيون المسلمون الأوائل ق٣هـ - ق٨هـ (*)

إعداد

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية

كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية

جامعة الملك خالد

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(*) هذه الدراسة منشورة في **مجلة المؤرخ العربي** ، العدد الثاني ، المجلد الأول /مارس/ ١٩٩٤م) ص ٧٣ ــ ١٠٠ ، ثم أعيد نشرها مع بعض الإضافات في **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي** ، عدد (٢٩) محرم/١٤٢١هــ/٢٠٠٠م) ص ٦٣ - ٩٤

محتويات الدراسة الخامسة

بلاد تهامة والسراة
كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل (ق٣ هـ - ق ٨هـ)

بلاد تهامة والسراة
كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل
(ق٣هـ - ق ٨ هـ)

أولاً : مقدمة :

عندما نذكر بلاد تهامة والسراة يتبادر إلى أذهاننا أماكن عدة في شبه الجزيرة العـــربية ، ولكن ما نريده من هذه الدراسة السهول التهامية والجبال السروية الواقعة بـــين نجران وجازان جنوباً ومكة المكرمة والطائف شمالاً ، والسبب الذي جعلنا نقتصر حديثـــنا عـــلى هذه المنطقة دون غيرها هو : أن مدن الحجاز الكبرى (مكة المكرمة والمديـــنة المنورة وما حولهما) ومدن اليمن مثل : صنعاء وصعدة وزبيد وعدن نالت اهـــتماماً كـــبيراً مـــن المؤلفين الأوائل في التراث الإسلامي ، و بخاصة من الجغرافيين والرحالةَ .

أما المنطقة الواقعة بين الجزئين السابقي الذكر ، والتي أطلقنا عليها اسم تهامة والسراة ، بقيت ولا زالت مجهولة على مر التاريخ ، فلم يكن المؤلفون والرواة الأوائل يـــتحدثون عنها في مؤلفاتهم ، وإذا ورد ذكرها أو ذكر جزء منها لا يرد إلا لماما ، إذا مـــا قيـــس بمـــا دون عن الحواضر الكبرى في الجزيرة العربية ، لهذا السبب رأينا من الضـــروري إعطاء هذه المنطقة حقها من البحث والدراسة مستعينين بكتب الجغرافيا والـــرحلات الـــتي دونـــت في العصر الإسلامي الوسيط ، وما الجغرافيون والرحالة المسلمون إلا رافداً من الروافد التي أثرت التراث الإسلامي ، حيث قضوا جل حياتهم في الـــترحال والتجوال في مختلف أقطار العالم الإسلامي ، فكتبوا عن سهوله وجباله ، وأوديته وأنهاره ، وطرقه البرية والبحرية ، وأجناسه ، وعناصره ، وعاداته ، وتقاليده ،

وعـــن ســـكانه ومـــا ينتجون من محاصيل وثمار ، وما يصدرون بواسطة الطرق البرية والبحرية ، إلى الأسواق الخارجية أو المحلية .

وحظيـــت الجزيرة العربية أكثر من غيرها بوفود عدد كبير من الرحالة إليها قصد الحج وزيارة قبر الرسول (ﷺ) ، وهم في العادة يدونون ما يشاهدون في رحلاتهم أثناء ذهابهم أو إيابهم لأداء فريضة الحج ، وزيارة قبر الرسول (ﷺ) حيث كانوا يأتون مـــن كل فج وصقع من الجهات الغربية للدولة الإسلامية كالمغرب والأندلس ، ومن الجهات الشرقية ، كالعراق وبلاد فارس ، وكذلك من بلاد الشام (١) . وكان ممن نال نزراً بسيطا من التدوين بلاد السراة ، حيث كان للرواة من رجالها دور كبير في تدوين بعض المعلومات عنها ، وقد يقوم بعض الرحالة في الذهاب إلى بعض الأجزاء التهامية والســـروية للمشاهدة والمعاينة على أرضها ، وربما شاهدوا بعض التهاميين والسرويين عند قدومهم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، حيث كانوا يميزون هيئاتهم وألبستهم . وكـــان لاتجاه الرحالة أثر كبير في تدوين رحلاتهم ، فابن بطوطة ، على سبيل المثال ، خـــرج من جزيرة سواكن على شاطئ السودان ، متجهاً نحو اليمن ، ماراً ببعض المدن الساحلية الشرقية على البحر الأحمر فدون عنها معلومات لا بأس بها (٢) ، ومنهم من تـــنقل بـــين مـــدن اليمن والحجاز عبر بلاد السراة كالهمداني الذي دوّن هو الآخر معلومات قيّمة ، عن بعض الأجزاء السروية وما جاورها من المناطق ، قد لا نجدها عند غيره من الجغرافيين والرحالة السابقين واللاحقين (٣) .

ثانياً : بلاد تهامة والسراة كما رواها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل (ق ٣هـ - ق ٨ هـ) :

وفي هذه الدراسة سوف يقتصر حديثنا على الجغرافيين والرحالة الذي ذكروا بـــلاد تهامـــة والســـراة في مدوناتهم في الفترة الواقعة ما بين القرن الثالث إلى الثامن الهجريين ، والسبب الذي جعلنا لم نتطرق للفترة التي سبقت القرن الثالث ، هو عدم

وجود الكتب والمؤلفات التي دونها الجغرافيون المسلمون أثناء رحلاتهم إلى هذه الديار قبل ذلك الوقت ، فلم تظهر بعض المؤلفات ظهوراً واضحاً إلاّ في العصر العباسي الثاني، وعلى وجه التحديد في أوائل القرن الثالث الهجري ، على أن تلك المؤلفات عنيت في المرتبة الأولى بوصف أجزاء وأقاليم الدولة الإسلامية وما يجاورها من البلاد ، أما باقي أخبار رحلاتهم فكانت تتضمن أموراً سياسية واجتماعية وفكرية واقتصادية ومعلومات متممة للحديث عن البلد أو المنطقة التي يدونون لها في مؤلفاتهم .

وتجدر الإشارة إلى أن الرحالة والجغرافيين الأوائل لم يرد في مؤلفاتهم ما أوردناه عنواناً لبحثنا "**بلاد تهامة والسراة** .... " وإنما أشاروا إليها كمنطقتين منفصلتين ، وذهب بعض الجغرافيين إلى أن الأجزاء الجبلية الممتدة من الطائف إلى نجران جزء من سلسلة جبال السروات أو جبال الحجاز الفاصلة ما بين الأغوار التهامية الساحلية في الغرب وما بين الأجزاء الشرقية النجدية في الشرق [٤] .

وتبدأ جبال الحجاز أو السراة عند الكثير من الجغرافيين من فلسطين شمالاً إلى صنعاء جنوباً ، وهناك وجهات نظر متباينة حول طولها وعرضها ، وعن حدود الحجاز شمالاً وجنوباً ، لكن الشيء الثابت أن جبال السراة لا تتوقف من جهة الجنوب في نجران أو صعدة وإنما تمتد إلى أقصى بلاد اليمن [٥] ، ولكن ما يهمنا هو دراسة الجزء الواقع بين المنطقتين السابق ذكرهما (الحجاز واليمن) والذي سميناه (بلاد تهامة والسراة) لظننا بأن هذا الجزء لم يأخذ حقه في التدوين ، ولم يأخذ أيضاً نصيبه في البحث عند المعاصرين ، لهذا قمنا ــ بعد التوكل على الله ــ ببذل الجهد ــ لنعمل ما في وسعنا على إبراز صورة عن السراة وتهامة ، وإن اختلفت مواقع الحواضر في تلك المنطقتين حسب ما ورد عند الجغرافيين ، فالبعض منهم يرى أن جميع ما يقع غرب السراة يسمى "تهامة" [٦] ، وإذا أخذنا بوجهة النظر الثانية ، فإن الأجزاء الغربية من

بلاد السراة الممتدة على ساحل البحر الأحمر تعد جزءا من تهامة ، لهذا أسميناها بتهامة تمييزاً لها عن المناطق الجبلية من السراة .

وممـن تحدث عن بلاد السراة ابن الفقيه في كتابه البلدان الذي ألفه في القرن الـرابع الهجري حيث يقول : " .... **سراة بين تهامة ونجد أدناها بالطائف ، وأقصاها قرب صنعاء ، والسروات أرض عالية ، وجبال مشرفة على البحر من الغرب وعلى نجد من الشرق ، والطائف من سراة بني ثقيف ، وهو أدنى السروات إلى مكة ، ومعدن البرم هي السراة الثانية ، بلاد عدوان في برية العرب وبها معدن البلور** ... "(٧) ويذكر ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) معلومات جيدة ، ومكملة لما ذكره ابن الفقيه فيقول " ... **والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر الأحمر من الغرب وعلى نجد من الشرق ، وسراة بني شبابه** (٨) ... " ، ثم يشير إلى بعض الأجـزاء الواقعة إلى الغرب من السروات فيورد " ... **وبأسفل السروات أودية تصب إلى البحر الأحمر منها : الليث ، وقنونا ، والحسبة ، وضنكان ، وعشم ، وبيش ، ومركوب ، وعليب** (٩) " . ويتفق كل من القزويني وياقوت الحموي على أن أهل السراة القاطنين من الطائف شمالاً حتى صعدة جنوبـاً مـن أفصـح الناس لغة ، وأكثر ممن اتسمت ألسنتهم ببلاغة القول ، كهذيل القاطنة بجوار الطائف ، وبجيلة وثقيف والأزد وسط السراة (١٠) . وزيادة في القول يضيف المقدسي ، من أبناء القرن الرابع الهجري، معـلومات أكثر تفصيلاً من سابقيه ، فيذكر أسماء بعض المواقع ما بين صعدة ونجران جـنوباً والطـائف شمالاً ، حيث يقول : " **القبائل تأخذ من السروات نحو أهل الشام فتقع في أرض الأغّر بن هيثم ، ثم تخرج إلى ديار يعلى بن أبي يعلى ، ثم إلى سردد ، ثم إلى ديار عنز بن وائل في بني غزية ، ثم تقع في ديار جرش ، والعتل وجلاجل ، ثم إلى ديار الشقرة بها خثعم ، ثم في ديار الحارث .... ثم في شكر وعامر ، ثم في بجيلة ، ثم في فهم ، ثم في بني عاصم ، ثم في عدوان ، ثم في بني سلول ، ثم في مطار** (١١) ...." ويستدل مما ذكره المقدسي أنه ربط ما بين ذكر الأماكن الواقعة ما بين صعدة والطائف والقبائل القاطنة لها .

ويشير ابن المجاور ، من مؤرخي القرن السابع الهجري ، إلى معلومات تختص بالنواحي الحضارية لأهل تهامة والسراة ، لا نجدها عند غيره ، فيقول : « **فأمّا السرو فإنها قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان بل مشائخ منهم ، وفيهم بطون متفرقون ....** »[١٢] .

وفي مكان آخر يتحدث عن المناطق الواقعة بين صعدة والطائف ، وبخاصة الأجزاء السروية فيذكر أن جميع تلك المناطق قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر ، ثم أن كل قرية مقيمة بأهلها ، وكل فخذ أو بطن من البدو في قرية ، ومن جورهم لا يسكن قراهم ولا يترلها أحد سواهم[١٣] ، ثم يواصل حديثه عن تلك الأجزاء السروية وأهلها فيقول « **وقد بني في كل قرية قصر من حجر وجص وكل واحد من أهل القرية له مخزن في القصر يخزن فيه جميع ما يكون له من حوزه وملكه ، ولا يأخذ منه إلا قوت يوم بيوم**[١٤] ، **ويكون أهل القرية محيطين بالقصر من أربع ترابيعه ، ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها كبير القدر والسن ذو عقل وفطنة ، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم**[١٥] ، **وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان ، ولا يؤدون خراجا ، ولا يسلمون قطعة وكل واحد منهم مع هوى نفسه ، وبهذا لا يزال القتال دأبهم ويتغلب بعضهم على مال بعض ، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو ، وهم طول الدهر على هذا الفن ، وجميع زرعهم الحنطة والشعير وشجرهم الكروم والرمان واللوز ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات ، وأكلهم السمن والعسل ، وهم في دعة الله وأمانه ، وهم فخوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنساب ....** »[١٦] .

وقد أورد لنا ابن المجاور ، من رحالة القرن السابع ، نصاً يؤكد ما تحويه منطقة السراة من حصون ومخازن لغرض الحرب وتخزين المواد الغذائية عند الحاجة ، وما نشاهده الآن ما هو إلا رموز تدل على صحة الروايات السابقة ، وقد تبين لنا في مقابلاتنا مع كبار السن في عدة أماكن من تهامة والسراة حول الحصون ومهامها فاتضح لنا أن لها مهمّتين ، الأولى مهمة حربية ، والثانية تعد مستودعات لخزن

الحبوب ، كما تبين لنا من الأقوال والمشاهدة بأن البنية الاجتماعية في تلك المناطق تعتمد على القبيلة التي تعد الوحدة الأساسية في المجتمع ، ويعد شيخ القبيلة هو السيد الحاكم لا ينازعه أحد في سلطان ، وهو الذي يعلن الحرب ، وهو الذي يطفئها مع المشائخ الآخرين ، ولهذا ينعم بقية الأفراد في المجتمع القبلي بالأمن بمقدار ما يمنحه الشيخ لهم ، ويصحب المعارك عادة السلب والنهب ، وتسود شريعة الغاب ، فالقوة هي الحق ، وليس الحق هو القوة .

وينتقل ابن المجاور في حديثه عن بلاد السراة إلى ذكر بعض الأجزاء التهامية ، فيذكر ميناء السرين [١٧] ، ويسميه بناية الفرس على ساحل البحر الأحمر [١٨] ، ولا ندري لماذا وصفه بهذه الصفة ، هل لأن عمارته وبعض سكانه كانوا من الفرس ، أم ماذا ؟ ويشير أيضاً إلى بلدة حلي [١٩] ، وهي تقع إلى الجنوب من السرين فيقول عنها هي « **بلد فيه جامع ومنارة ، وأول من أخربها غازي بن متكلان من بني حارث الكردي في أيام دولة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب** [٢٠] ، **وبقي المكان على حاله إلى أن أعاد بناءه موسى بن علي بن عطية ، وهو إلى الآن مالكها ، وجميع هذه الأعمال لبني كنانة ...** » [٢١] . ولم يكن ابن المجاور هو الوحيد الذي انفرد بالحديث عن السرين وحلي وإنما أشار المقدسي إلى هاتين البلدتين وأضاف إليهما بلدتي بيش وعثر ، ثم ذكر عن السرين بأنها بلدة صغيرة لها حصن وبها جامع ثم قال عن علاقتها ببلاد السراة بأنها « **فرضة السروات ، والسروات معدن الحبوب والخيرات والتمور والعسل الكثير** » ثم قال عن ديار السراة « **ولا أدري هي مدن أم قرى لأني ما دخلتها** » [٢٢] ، وأشار إلى حلي في عهده بأنها مدينة ساحلية عامرة [٢٣] ، أما بيش فوصفها بطيب الهواء وعذوبة الماء ، وأشار إلى أن السلطان يقتني بها بيتاً إلى جانب الجامع [٢٤] ، ويذكر (عثر) فيقول : هي « **ناحية جليلة عليها سلطان يرأسها ، ومدنها نفيسة ، وهي مدينة كبيرة طيبة مذكورة لأنها قصبة الناحية وفرضة صنعاء وصعدة ، بها سوق حسن وجامع عامر يحمل إليهم الماء من بعد ...** » [٢٥] ويبدو أن المقدسي يمتاز بدقة المشاهدة والأمانة في

القول بدليل ما ذكر عن بلاد السراة عندما قال : لا أدري هي مدن أم قرى لأني ما دخلتها .

وفي النصف الأول من القرن الخامس الهجري يبرز أحد الرحالة الكبار ممن ذاع صيتهم ، وهو ناصر خسرو الفارسي الذي حج أربع مرات ما بين (٤٣٨ — ٤٤١هـ)، ثم كتب رحلته المعروفة بـ (رحلة ناصر خسرو) الذي ذكر فيها بعض المعلومات عن بلاد تهامة والسراة ، نقلاً من بعض الرواة ، لأنه لم يغادر مكة المكرمة والطائف صوب الجنوب فقال عنها " **إذا غادرت مكة وسرت جنوباً ، وصلت بعد مرحلة واحدة اليمن ، وجل السواحل الواقعة على الساحل الجنوبي هي من أرض اليمن ، وأرض الحجاز وأرض اليمن متصلتان ، وأهل الحجاز واليمن لسانهم العربية ، وتسمى أرض اليمن حمير ، وأرض الحجاز أرض العرب** " ثم يقول في مكان آخر " **وأرض العرب تمتد من الكوفة إلى مكة ، أما من مكة إلى عدن فيسمى أرض حمير** " (٢٦) .

وفي إشارة جديدة مما دونه ناصر خسرو عن هذه البلاد ، ذكر بأن أرض حمير تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول : تهامة ويتضمن ساحل بحر القلزم ، ويقع هذا الجزء في الناحية الغربية من أرض حمير . والقسم الثاني من تهامة سماه نجداً ، ويذكر أن بهذا الجزء مناطق شديدة البرودة ، ومضائق جبلية ، وحصوناً محكمة . أما القسم الثالث من تهامة ، فعلى حد قوله ، يقع إلى الشرق من الجزئين الأولين ، ثم يذكر بعض حواضر ذلك الجزء مثل نجران وبيشة ، بل ويذكر أن بهذا الجزء قرى كثيرة ، وبوادي شاسعة ، كما أن في كل بادية حاكماً مستبداً لا يخضع لأي سلطة مركزية ، ثم يشير إلى أن مساحة هذا الجزء من تهامة مائتا فرسخ طولاً في مائة وخمسين فرسخاً عرضا ، ثم يقول " **ويكثر السكان في هذا الجزء الشرقي من تهامة** " (٢٧) .

وقول ناصر خسرو ، اليمن وموقعها ، فلعله يقصد حدودها من جهة الشمال على بعد مرحلة واحدة من مكة المكرمة صوب الجنوب ، ومسمى اليمن فهذه نقطة

خلافية عند الجغرافيين الأوائل ، حيث يرى غير ناصر خسرو أن المقصود باليمن اليمن السعيد الذي يعود باسمه إلى كثرة إنتاجه ، وهو يضم الحواضر الكبرى في اليمن ، كصنعاء ، وصعدة ، وزبيد وغيرها ، وقد قال بعض الجغرافيين بأن كل ما يقع جنوب الكعبة فهو يمن ، ولكن الرحالة ناصر خسرو لم يكن يقول بهذا القول فقط ، وإنما أردف تسمية أخرى لليمن زيادة في الإيضاح ، فسمى كل ما يقع جنوب مكة ببلاد حمير ، وسمى أرض الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) بأرض العرب ، وهذا رأي لا نتفق معه فيه ، لأن حمير جزء من العرب ، ثم أن في عهده بعض قبائل حمير كانت تقطن المناطق الواقعة ما بين صنعاء ونجران وربما إلى بيشة ، أما غالبية المنطقة الممتدة من مكة المكرمة والطائف شمالاً وحتى جازان ونجران وصعدة جنوباً فمعظم سكانها من القبائل العربية الأزدية المختلفة في البطون والعشائر إلى جانب قبائل عربية مضرية نزحت من المراكز والمناطق الواقعة في شمال الجزيرة العربية ووسطها والممتدة إلى جنوبها .

أما أرض حمير ، في رأي ناصر خسرو ، فتقسم إلى ثلاثة أقسام ، وهذه الأقسام الثلاثة هي المسماة عنده بتهامة ، وحقيقة القول ، أن اسم تهامة لا يشمل إلا الجزء الأول ، أما القسمان الآخران فهما من بلاد السراة ، وبخاصة الثاني . أما الثالث فهو منطقة النجود والبوادي الواقعة في الأجزاء الشرقية من بلاد السراة ، وإشارة خسرو إلى كثرة القرى بالأجزاء الشرقية ، وإلى استبداد شيوخ القبائل في ذلك الجزء فهو يؤيد ما أشار إليه ابن المجاور في أوائل القرن السابع الهجري .

ويشير بعض الجغرافيين إلى الحياة الاجتماعية عند بعض سكان الأجزاء السروية أو التهامية فيذكر ابن المجاور عن لباس النساء في بلدتي السرين وحلي وما حولهما ، فيقول " **ليس يلبس نساؤهم إلا الأدم ، وذلك أن المرأة تأخذ طاقتين من أديم تخيط بعضه إلى بعض ثم تلبسه** " (٢٨) . ويذكر في مكان آخر عن نساء

الأجـزاء الـتهامية الساحلية ، فيشير إلى أن مصاغهم الصفر (النحاس) والرصاص وجواهـرهم الـودع [٢٩] ، بـل إن المرأة تطيل شعرها ، وتدهنه بالدهن ، وتغسله بالسدر، فإذا طال ضفرته إلى ضفيرتين طويلتين [٣٠] . ولكثرة الجلود ودباغتها في كل من صعدة ونجران وجرش ، كانت تستخدم لباساً للجسد ، أو غطاء أثناء الليل ، بل وتصـنع منها النعل وأدوات أخرى عديدة [٣١] . ومن الألبسة التي كان يلبسها أهل تهامـة والسـراة بعض الملاحف ، والأقنعة ، والجباب والبرد التي كانوا يجلبونها من الأسـواق الكبيرة في حواضر الحجاز واليمن [٣٢] ، كما يلبس الرجال والنساء ألبسة سميكة خاصة في الحواضر الجبلية ذات المناخ البارد ، حيث يؤتى بهذه الألبسة من عدن أو من بعض المراكز الحضارية في بلاد مصر أو الشام أو بلاد فارس والعراق .

ويذكـر ابن المجاور بعض العادات التي كانت جارية بين أهل تهامة والسراة ، حيـث كان الرجال يخضبون أيديهم وأرجلهم مثلهم مثل النساء في مناسبات الأعياد والزواج وغيرها [٣٣] . كما ذكر عن السرويين بعض العادات في الجنائز فقـال : « **وأهل السراة يرثون البنت عند الموت ... وللقوم عصبية عظيمة إذا مات أحد لا يحمل جنازته إلا الشبان ، ومع ذلك يقولون : سلّم سلمك الله هذا ما وعد الله نعم القاضي ! وهم يتداولون بالنعش إلى المقبرة ، وهم الذي يحفرون القبر....** » [٣٤] .
ومن أطعمتهم اللحم ، والسمن، والخبز ، ومن أكثر الأسماء شيوعاً بينهم سالم ، وغانم، وقاسم ، ومفرج ، ومفرح ، وراشد ، وناجي ، وجابر ، ولاحق ، وصابر ، وسعيد ، ومساعد ، وظافر ، وفاتك ، ومالك وغيرها أسماء كثيرة [٣٥] . ومن حسن اهتمامهم بالضيف ، إذا أطعم لصّ أو قاتل ، طعام صاحب البيت ، فإنه لا يقتل إلا بعد خروجه من البيت ، وبعد مدة من الزمن حتى ينتهي مفعول الطعام الذي أكله [٣٦] ، ويشير ابن المجاور إلى بعض عادات السرويين في الكرم ، خاصة ممن تغلب عليهم البدواة ، حيث يؤخـرون الغداء أو العشاء من أجل ضيف يقدم عليهم ، فإن حصل ذلك ، ينحر له

عـــلى قدر مكانته ، فقد ينحر له جمل ، ويقدم له رأس الجمل ، وإن كان عابر سبيل يذبح له شاه ، ويكسر صاحب الدار الرغيف إلى ثلاث أو أربع كسرات يضعهن أما الضـــيف تكريماً له ، ثم يقدم له اللحم المطبوخ بعد أن يثرد عليه الخبز ، ويهرق عليه السمـــن أو المرق ، فيشرب بادئ الأمر المشروب ، ثم يوزع اللحم على الثريد ، وقد يطلق ، أحياناً ، على هذا الصنف من الطعام اسم العربية [٣٧] . ومن عادات السرويين أيضـــاً أن يكـــون في مخـــازنهم صنفان من الحبوب ، ذرة وقمح ، يقدم خبز القمح للضـــيف، وخـــبز الذرة للأسرة ، وهذا السلوك ينم عن إيثار الضيف وتقديمه على الأهل. وما قصة الرجل الذي ينحر بعيره لضيوفه ، أو يقدم لهم أفضل ما لديه وهو في حالة الفقر إلا دليل واضح على أعلى مراتب الإيثار ، وفي هذا يقول :

الجود طبعي ولكن ليس لي مال ... وكيف يصنع من بالقوت يحتـــال
فهاك خطب إلى أيام ميسرتي ... دينا علي ولي في الغيب آمـــال

وإشـــارة ابـــن المجاور وناصر خسرو إلى أن بلاد تهامة والسراة كانت تحكم بشـــيوخ القـــبائل المستقلين بسلطتهم في ديارهم ، فهذا قول نوافقهما عليه من حيث المـــبدأ ، ومـــن حيث المركز الاجتماعي الذي عرف لشيوخ القبائل العربية على مر التاريخ قبل الإسلام وبعده [٣٨] ، ولكن فيما عرف في ظل الدولة الإسلامية ، وبخاصة بعد انتقال الخلافة من الحجاز إلى بلاد الشام ثم العراق في العهدين الأموي ثم العباسي، أن شبه الجزيرة العربية تحولت إلى عدة ولايات تابعة لمركز الخلافة ، ومن أكبر ولايات شـــبه الجزيرة منطقتي الحجاز واليمن ، وبخاصة الأجزاء التي تشمل الحواضر الحجازية واليمـــنية الكـــبرى ، وبقيت المنطقة الواقعة بين المنطقتين السابقتين ، والتي هي محور دراســـتنا في هـــذا البحث ، تابعة في أغلب الأحيان لوالي الحجاز ، الذي يتخذ مكة المكرمة أو المدينة المنورة مقراً له [٣٩] . ومن الواضح في بعض كتب التراث الإسلامي ، وبخاصة كتب الجغرافيا والرحلات ، أن منطقة تهامة والسراة كانت مقسمة إلى مناطق

أو مراكز حضارية ، ويطلق على كل قسم إما مخلاف ، أو عمل جمع أعمال أو كورة جمع كور [٤٠] . فاليعقوبي تحت عنوان سماه (مكة وأعمالها) قام بتعديد أجزاء عديدة تابعة من الناحية الإدارية إلى والي مكة المكرمة ، ومن تلك الأعمال الواقعة إلى الجنوب من مكة والطائف ذكر مايلي في الأجزاء السروية : « **تبالة وأهلها خثعم ، ونجران لبني الحارث بن كعب كانت منازلهم في الجاهلية ، والسراة وأهلها من الأزد** » [٤١] . وفي الأجزاء التهامية أشار إلى عشم ، وذكر أنها معدن الذهب ، وبيش، والسرين ، والحسبة ، وعثر ، وكل هذه المناطق تقع على ساحل البحر الأحمر ما بين مكة المكرمة شمالاً وجازان جنوباً [٤٢] . وفي موضع آخر ذكر أن لليمن أربعة وثمانين مخلافاً ، وأغلبها حول حواضر اليمن الكبرى ، ولكنه أورد بعض الأجزاء التي تقع ضمن مساحة دراستنا ، كجرش في بلاد السراة ، وبيش ، وقنونا ، ويبه ، وضنكان ، والعرش من جازان في الأجزاء التهامية [٤٣] . ويورد ابن خرداذبة بعض الإيضاحات عن مخاليف مكة المكرمة ، فيذكر أن الطائف ، وعكاظ ، وبيشة ، وتبالة ، وجرش ، والسراة ، ونجران في الأجزاء السروية ، وضنكان ، وعشم ، وبيش في الأجزاء التهامية ، وجميعها تابعة لإمارة مكة المكرمة أو الحجاز بشكل عام[٤٤] . ويخالف المقدسي اليعقوبي وابن خرداذبة في بعض ما ذكر حيث يورد أن نجران ، وجرش ، وتربة ، والسراة في الأجزاء الجبلية ، وبيش ، وعثر ، وحلي ، والسرين من مخاليف اليمن [٤٥] . ولكن الإدريسي يخالف المقدسي ويتفق مع اليعقوبي وابن خرداذبة فيقول عن بعض مخاليف مكة ، وبخاصة الواقعة بين الطائف ونجران « **ولمكة مخاليف وهي الحصون فمنها بنجد الطائف ونجران ... وتربة وبيشة وجرش والسراة** » ثم يضيف ضنكان ، والسرين ، وعشم ، وبيش في الأجزاء التهامية [٤٦] . وبهذه الأقوال نستطيع القول بأن بلاد تهامة والسراة كانت في الغالب تابعة لولاية مكة المكرمة ، بل وأثبتت بعض الروايات التاريخية ، أنَّ والي الحجاز كان في بعض الأحيان يمنح تعييناً من

الخليفة يتضمن ولايته على الحجاز واليمن معاً ، وأحياناً أخرى تضاف له ولاية بلاد اليمامة إلى جانب المنطقتين السابقتين [٤٧] . أما المنطقة التي تقع بين الحجاز واليمن، والتي أطلقنا عليها اسم (تهامة والسراة) فبدون شك أنها كانت تتبع إدارياً والي مكة المكرمة من حيث دفع الزكاة إلى بيت مال المسلمين ، وبالتالي الولاء للخلافة الإسلامية ، لكن الذي لا شك فيه أن ما أشار إليه ابن المجاور وناصر خسرو من حيث اضطراب الأمن وانتشار الفوضى بين أهل هذه البلاد كان مستفحلاً بين سكانها ، بل أن شيوخ القبائل كانوا هم أقوى عنصر في المجتمع فكانوا أصحاب الحل والعقد ، بل وإليهم تؤول الأمور الخاصة بأبناء مجتمعاتهم ، والخاصة بالعلاقات الخارجية بينهم وبين غيرهم من خارج حدود منطقتهم .

ولم يكن سكان أهل تهامة والسراة منغلقين على أنفسهم ، بل كان بعضهم يسافر إلى حواضر شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة مدن الحجاز الكبرى ، فيعملون بالتجارة ، ويؤدون الحج والعمرة ، بل ويمتلك بعضهم الدور والعقار [٤٨] . وقد حفظ لنا الجغرافيون والرحالة المسلمون الأوائل بعض المعلومات القيّمة التي تؤكد ذهاب أعداد كبيرة من السرويين إلى مكة المكرمة من أجل أداء واجباتهم الدينية ، والمتاجرة في بعض سلعهم التي يجلبونها معهم من بلادهم إلى أسواق مكة أثناء مواسم العمرة في رجب ورمضان وفي موسم الحج ، وأول من شاهدهم ودون لنا ملاحظاته عنهم في أسواق مكة المكرمة ، الرحالة الفارسي ناصر خسرو خلال القرن الخامس الهجري ، حيث أشار إلى كثرتهم في مكة في أول رجب من كل سنة ، وفي عيد الفطر ، وفي موسم الحج [٤٩] . وفي القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع يزور مكة المكرمة رحالة أندلسي ، هو محمد بن جبير ، فيصف أحوال السرويين الذين يأتون من بلاد السراة إلى مكة المكرمة ومعهم قوافل الأرزاق ، والفواكه ، والسّمن ، فأبدى سروره وإعجابه بذلك ، ووصف أولئك القوم البسطاء ، حسب ما شاهدهم ، بالشجاعة ،

والنجدة ، والمروءة [٥٠] . ويؤكد الرحالة ابن المجاور على ما ذكر كل من ناصر خسرو وابن جبير ، فيشير إلى أن السرويين إذا دخلوا مكة المكرمة ملاؤها من الحنطقة ، والشعير ، والسويق ، والعسل ، والذرة ، والدخن ، والزبيب ، واللوز ، وما يشابه ذلك ، ولذلك يقول : « **أهل مكة حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب ، والسرو أمنا نكسب منه القوت** » [٥١] . وعندما زار ابن بطوطة مكة المكرمة في القرن الثامن للهجرة ، شاهد السرويين في أسواقها يبيعون ويشترون ، وشاهدهم يطوفون حول الكعبة يؤدون الحج أو العمرة ، وقد أورد في رحلته نبذا مما شاهده في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، فقال : « .... **ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب واللوز فترخص الأسعار بمكة ، ويرغد عيش أهلها وتعمهم المرافق . ولولا أهل هذه البلاد ـ ويقصد أهل السراة ـ لكان أهل مكة في شظف من العيش. ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم ، ولم يأتوا بهذه الميرة أجدبت بلادهم ، ووقع الموت في مواشيهم ، ومتى أوصلوا الميرة أخصبت بلادهم ، وظهرت فيهم البركة ونمت أموالهم . فهم إذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها ، اجتمعت نساؤهم فأخرجتهم ، وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الأمين . وبلاد السرو مخصبة كثيرة الأعناب وافرة الغلات ، وأهلها فصحاء الألسن لهم صدق نية وحسن اعتقاد . وهم إذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها لائذين بجوارها ، متعلقين بأستارها ، داعين بأدعية تتصدع لرقتها القلوب ، وتدمع العيون الجامدة فترى الناس حولها باسطي أيديهم ، مؤمّنين على أدعيتهم ، ولا يمكن غيرهم الطواف معهم ، ولا استلام الحجر لتزاحمهم على ذلك . وهم شجعان أنجاد ولباسهم الجلود ، وإذا وردوا مكة هابت أعراب الطرق مقدمهم، وتجنبوا اعتراضهم ، ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم** » [٥٢] . وليس ابن بطوطة هو الذي انفرد بهذه التفصيلات بل ذكرها بعض المؤرخين والجغرافيين والرحالة ، فأثنوا على خصوبة تربة السراة وكثرة خيراتها ، وعلى ما تحلى به أهلها من السلوك الجيد والقيم الطيبة [٥٣] . كما أشار إلى فصاحة ألسنتهم وخلوها من اللحن كل من الهمداني وابن جبير والقزويني [٥٤] .

وكـــانت الصـــلات فيما بين أهل تهامة والسراة مع جيرانهم مستمرة ودائمة لوجـــود الطـــرق الـــتي تربط حواضر اليمن (صنعاء ، وصعدة ، وزبيد ، وغيرها) بحواضر الحجاز (مكة المكرمة ، والطائف ، وجدة ، والمدينة المنورة) . ومن المعلوم أن تلك الطرق الواصلة بين اليمن والحجاز كانت تمر بمحطات ومراكز حضارية في منطقة تهامـــة والســـراة المعـــنية في هذه الدراسة ، وبعد البحث في كتب الرحالة الجغرافيين الأوائـــل ، وجدنا غالبيتهم تشير إلى طريقين أساسيين ، الأولى الطريق التي تخرج من مكـــة المكرمة حتى الطائف ، ثم تأتي عبر الأجزاء الشرقية لبلاد السراة حتى تصل إلى صـــعدة ثم صـــنعاء ، والـــثانية تخرج من مكة المكرمة عبر الساحل حتى تصل إلى بلد العـــرش في جازان ، ثم تواصل السير إلى بلدة زبيد في اليمن . ومن الجغرافيين الذين أشـــاروا إلى هذيـــن الطريقين ، وبخاصة الطريق الجبلية السروية ، ابن خرداذبة (٥٥) ، وقدامة(٥٦) والحربي(٥٧) واليعقوبي(٥٨)، والهمداني (٥٩) ،والمقدسي(٦٠) ،والإدريسي (٦١) ، وجميـــع كتـــبهم أجمعت على أسماء أغلب المحطات التجارية الهامة والواقعة بين صعدة والطـــائف في الأجزاء السروية ، ونوعاً ما على المحطات الواقعة على الطريق الساحلي بين مكة المكرمة وجازان (٦٢) ، ولهذا آثرنا الاعتماد على كتاب الهمداني : صفة جزيرة العرب ، لنذكر المحطات على تلك الطريقين مع إرفاق رسم بياني بهما ، والسبب الذي جعلـــنا نعتمد على الهمداني دون غيره من المصادر التي ذكرنا والتي أشارت إلى هذين الطريقين ، هو معرفته القوية ببلاد شبه الجزيرة العربية ، فلقد ولد وعاش أغلب حياته في بـــلاد اليمن ، ثم إنّه سافر لعدة مرات من حواضر اليمن إلى حواضر الحجاز ، بل وكـــانت مهنـــته في شبابه جمّالاً يذهب مع التجار الذين كانوا يذهبون ويأتون ما بين الحجـــاز والـــيمن ، ولهـــذا لا بد أن يكون أكثر الجغرافيين والرحالة معرفة بأحوال ومحطـــات وأطـــوال الطرق الواصلة بين مدن الحجاز ومدن اليمن والمارة ببلاد تهامة والسراة ، إلى جانب أنه الجغرافي الوحيد الذي رسم لنا طول الطريق الجبلي الذي يأتي

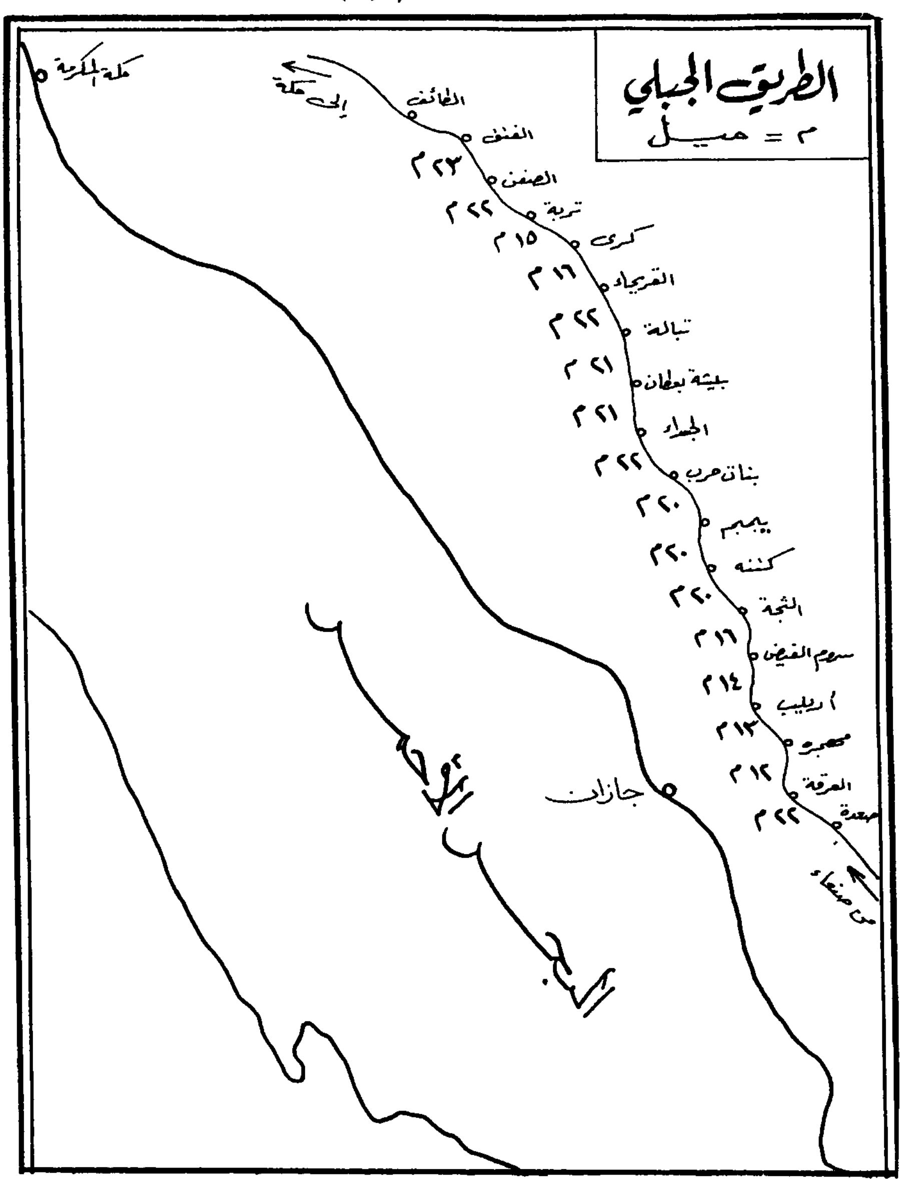
من صنعاء إلى الطائف ثم مكة المكرمة ، فذكر المسافات بين كل مرحلة وأخرى بالأميال ، ومثل هذه الأسباب تجعلنا في عداد المنصفين إذا اعتمدنا على كتابه صفة جزيرة العرب في ذكر محطات تلك الطريقين الواصلة بين الحجاز واليمن ، مع العلم أننا لن ننسى ما ذكره الجغرافيون الآخرون عن رخاء بعض المحطات التي كانت على طول الطريقين .

ويشير الهمداني إلى خروج الطريق الجبلي من صنعاء إلى صعدة مع ذكر الأطوال بين تلك المدينتين ، ثم يورد قوله : « **من صعدة إلى العرقة اثنان وعشرون ميلا، ومن العرقة إلى المهجرة اثنا عشر ميلا ، ومن المهجرة إلى أرينب ثلاثة عشر ميلا، ومن أرينب إلى سروم الفيض أربعة عشر ميلا ، ومن سروم الفيض إلى الثجة ستة عشر ميلا ، ومن الثجة إلى كتنة عشرون ميلا ، ومن كتنة إلى يبمبم عشرون ميلاً ، ومن يبمبم إلى بنات حرب عشرون ميلا ، ومن بنات حرب إلى الجسداء اثنان وعشرون ميلا ، ومن الجسداء إلى بيشة واحد وعشرون ، ومن بيشة إلى تبالة واحد وعشرون ميلا ، ومن تبالة إلى القريحاء اثنان وعشرون ميلا ، ومن القريحاء إلى كرى ستة عشر ميلا ، ومن كرى إلى تربة خمسة عشر ميلاً ، ومن تربة إلى الصفن اثنان وعشرون ميلاً، ومن الصفن إلى الفتق ثلاثة وعشرون ميلاً** » (٦٣) . (انظر الخريطة رقم ١) .

أما طريق الساحل فلم يكن الهمداني يشير إلى المسافات بين المحطات ، وإنما ذكر الطريق القادم من مدن اليمن الكبرى حتى بلد حكم في جازان ، ثم إلى الهجر ، فعثر ، فبيض ، فزنيف ، فضنكان ، فالمعقد ، فحلي ، فالجوّ ، فالجوينية ، فقنونا ، ثم دوقة ، فالسرين ، فالمعجر ، فالخيال ، فيلملم ، فملكان ، فمكة المكرمة (٦٤) (انظر الخريطة رقم ٢) .

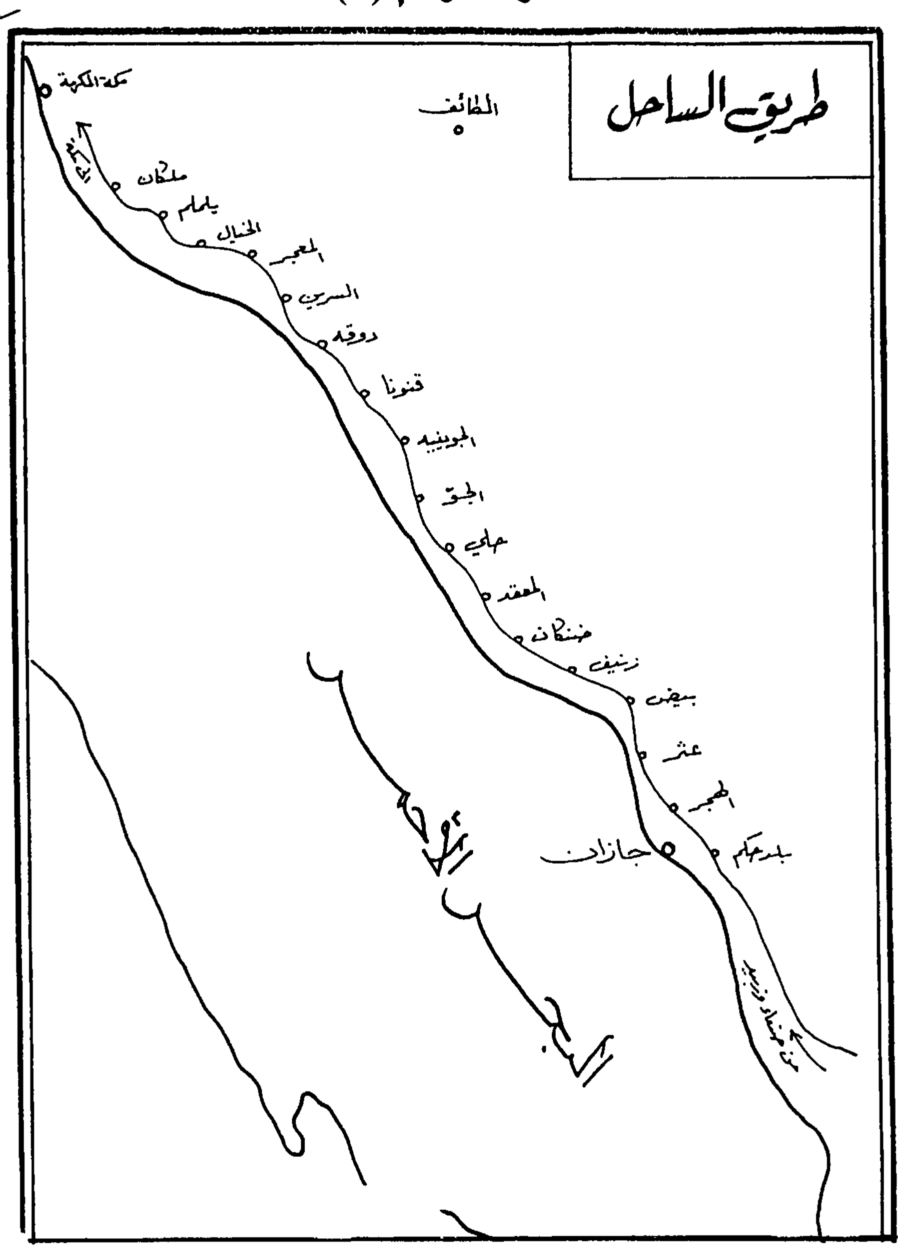
ويتحدث ابن خرداذبة ، وقدامة ، والإدريسي عن الطريق السروية التي تربط بين الطائف شمالاً وحواضر اليمن الكبرى جنوباً ، والتي كانت أنشط الطرق الواصلة بين الحجاز واليمن ، فكانت تستخدمها الجيوش أثناء ذهابها وإيابها ما بين البلاد

خارطة رقم (١)



الطريق الجبلـــــي

خارطة رقم (٢)



طريق الساحل

الحجازيـة واليمانية ، بل وكان يستخدمها التجار وموظفو الدولة ، كالأمراء ، والقضاة ، والعلماء وجباة الزكاة وغيرهم . ولهذا فقد أشاروا إلى رخاء بعض المحطات التجارية التي كانت على طول الطريق ، فابن خرداذبة أشار إلى أن الفتق وتربة قريتان كبيرتان ، أما تبالة وبيشة فذكر أنهما مدينتان كبيرتان بهما من العيون والنخيل الشيء الكثير وأورد بيت شعر عن بيشة لحميد بن ثور الهلالي حيث يقول :

إذا شئت غنتني بأجزاع بيشة ... إلى النخل من تثليث أو يبمبما

وواصل حديثه عن الجسداء وبنات حرب ، وسروم راح التي أطلق عليها الهمداني سروم الفيض ، والتي تقع إلى الشرق بثمانية أميال من جرش ، فذكر تعدد الآبار بها ، وأشار إلى أنها محطات تحتوي على قرى وسكان من عشائر مختلفة (٦٥) .

ويورد لنا قدامة معلومات أكثر دقة من ابن خرداذبة حيث عدد الأماكن التي ذكرها الهمداني ، وأعطى بعض الأوصاف الحضارية لبعض تلك المحطات فقال : « **... ومن الفتق إلى تربة ، وهي قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع ، وهي قرية خالصة مولاة المهدي، ومن تربة إلى صفر، وهي منزل فيه داران لصاحب البريد في الصحراء ، وفيه ماء عذب من بئرين ، ومن صفر إلى كرى ، منزل فيه نخل وعين عذبة ، وليس إلا منزل لصاحب البريد ، ومنزل القوافل ، وهي في بطن واد كثير النخل ، ومن كرى إلى رنية ، منزل في صحراء ، ونخل كثير ، وعين عظيمة عذبة ، والعمران حولها ، ومن رنية إلى تبالة قرية عظيمة كثيرة الأهل مضرية لقيس ، وفيها منبر وعيون وآبار ، ومن تبالة إلى بيشة ، قرية عظيمة كثيرة الأهل في بطن الوادي ، ظاهرة الماء من عيون وآبار، مضرية قيسية ، ومن بيشة إلى الجسداء ، قرية عظيمة ، منزل أعراب من قيس ، ومن جسداء إلى بنات حرب ، قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع ، ومن بنات حرب إلى يبمبم منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة ، وليس به أهل ، وحوله أعراب من خثعم ، وبينها وبين جرش نحو أربعة عشر ميلاً ، ومنه إلى كثبه قرية عظيمة ، ومنازل وقصور وآبار في صحراء بينها وبين جرش ثمانية أميال ، ومن كثبه إلى الثجة موضع البريد ، وفيه بئر ماء ، ينزله القوافل ، وهو في بلاد زبيد ، وحوله أعرابهم ، ومن الثجة إلى سروم راح ، وهي قرية عظيمة في صحراء فيها عيون كثيرة الكروم ، فيها فخذ من همدان يقال لهم جنب ، ومن سروم راح إلى المهجرة ، وهي**

قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل ، وفيما بينها وبين سروم راح شجرة تسمى طلحة الملك [٦٦] **، وهذه الشجرة حد ما بين اليمن والحجاز ، وهي شجرة تشبه شجرة الغرب ... ومن المهجرة إلى العرقة وهي أول عمل اليمن ، وهي إلى عمل صعدة ...** » [٦٧] . ويتعرض الإدريسي لنفس الطريق والمحطات التي ذكرها الهمداني ، وابن خرداذبة ، وقدامة ، ويتفق مع قدامة فيما ذكر عن شجرة (طلحة الملك) التي قيل أنها كانت الحد بين الحجاز واليمن ، ويضيف معلومات أكثر عن مدينتي تبالة وبيشة ، فيذكر تبالة وما بها من عيون كثيرة ، ونخل ومزارع ، ثم يقول : « **وهي صغيرة في منخفض أكمة** » أما بيشة فهي أيضاً مدينة صغيرة متحضرة جيدة المساكن ، حسنة البقعة ، وبها ماء ونخل كثير [٦٨] .

ويلاحظ على ما ذكر الإدريسي وقدامة وغيرها رخاء بعض المدن التي تقع على قارعة الطريق الواصل بين اليمن والحجاز ، عبر الأجزاء السروية [٦٩] ، مع العلم أن قدامة أوضح لنا نقطة مهمة ، وهي وجود محطات للبريد ، ودور خاصة بالأعمال البريدية ، ومما يؤكد قوله أن خلفاء المسلمين الأوائل ، وخاصة الأول من بني العباس ، نشطوا البريد الذي كان يربط أجزاء شبه الجزيرة العربية بعاصمتهم في مدينة بغداد ، فكانوا يأمرون بإصلاح الطرق التي يرتادها بريد الخلافة ، ويزودون عمال البريد بكل ما يحتاجون إليه من زاد ورواحل ، ووسائل بريدية أخرى [٧٠] ، ولهذا فالطريق الجبلية الواصلة بين اليمن والحجاز كانت من أهم الطرق ، بل وفي بعض الأحيان كان يطلق عليها طريق السلطان ، وبهذا فلا بد وأنها حظيت ببعض الإصلاحات لأجل استخدامها من قبل جيوش وموظفي الخلافة العباسية في بغداد [٧١] .

ويلاحظ اختلاف بسيط فيما ذكره قدامة والهمداني حيث عدّد الأخير المحطات الواقعة في الأرض السروية القريبة من الطائف،ومنها إلى جهة الجنوب ، فذكر الفتق ثم الصفن ، ثم تربة ثم القريحا ، ثم تبالة إلى أن ذكر كتنة ، فالثجة ، ثم سروم الفيض ، واستمر تعداده على باقي المحطات حتى وصل صعدة (انظر الخريطة رقم ١) .

أما قدامة فلم يسلك نفس الترتيب لذكر المحطات وإنما ذكر مدينة تربة بعد الفتق ، ثم قال : « **ومن تربة إلى صفر** » فكلمة صفر هنا ربما أنها صحفت من اسم الصفن الذي ذكـر الهمداني ، والتصحيف كثيراً ما يرد في كتب التراث أما التقديم والتأخير لذكر المحطـات فـنميل إلى قول الهمداني لنفس الأسباب التي ذكرناها سابقاً ، والتي جعلتنا نعـتمد عـلى كتابة : صفة جزيرة العرب . وذكر محطة كثبة عند قدامة وكتنة عند الهمـداني ربما نتج عن قلب التاء ثاء ، وهذا كثيراً ما يحدث عند الكتاب أو النساخ ، وسروم الفيض عند الهمداني أو سروم راح عند قدامة فهي تعني منطقة واحدة تقع إلى الجـنوب مـن محطة الثجة التي أشار إليها كل من الهمداني وقدامة . أما الإشارة إلى شـجرة طلحة الملك بأنها الحد بين أعمال الحجاز واليمن فهذا مما يؤكد على أن نفوذ الوالي في الحجاز كان يمتد جنوباً إلى المناطق القريبة من شمالي مدينتي صنعاء وصعدة .

ثالثاً : الخاتمة :

وبعد الإشارة إلى ما سبق ذكره نجد أن الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل قـد حفظوا لنا بعض المعلومات الحضارية القيمة عن بلاد تهامة والسراة ، ولكن الذي استطعنا الحصول عليه في هذه الدراسة لا يكاد يفي بالغرض ، فلا زالت أوضاع هذه المناطق المعنية مجهولة ، مع العلم أنها من أغنى أجزاء شبه الجزيرة العربية بكثافة غاباتها ، وتـنوع خيراتها ، وكثرة سكانها ، وصفاء هوائها ، وكثرة أمطارها ، إلى غير ذلك من الصفات الملائمة لوجود ظروف مناخية واجتماعية مناسبة للعيش فيها ، وقد يقيض الله من أبناء هذه البلاد،من يستكمل أو يعثر على ما لم نستطع استكماله أو العثور عليه ، أو من يصوب ما قد أخطأنا فيه ، ورغم أن جهدنا جهد المقل ، إلا أننا نرى فيه بداية عمـل لبحوث أخرى في المستقبل ، وكل ما نرجوه التوفيق والسداد ، والله من وراء القصد .

رابعاً : الملاحق :

الملحق رقم (١)

أسماء محطات الطريق الساحلي
التي وردت في أغلب المصادر التي استقينا منها بحثنا

ابن خرداذبة	ابن قدامة	الإدريسي	اليعقوبي	الهمداني
ضنكان	ضنكان	ضنكان	ضنكان	ضنكان
حلي	حلي	حلي	ـــ	حلي
قنونا	ـــ	قنونا	قنونا	قنونا
دوقه	ـــ	دوقه	ـــ	دوقه
عليب	عليب	عليب	عليب	ـــ
الليث	الليث	ـــ	الليث	ـــ
يلملم	يلملم	يلملم	يلملم	يلملم
ملكان	ملكان	ملكان	ملكان	ملكان
مكة	مكة	مكة	مكة	مكة

الملحق رقم (٢)

أسماء محطات الطريق الساحلي التي وردت في بعض المصادر دون المصادر الأخرى

ابن خرداذبة	ابن قدامة	الإدريسي	اليعقوبي	الهمداني
خولام ذي سحيم	خولان ذي سحيم	خولان ذي سحيم	—	—
—	—	—	بيش	—
—	—	—	ريم	—
—	—	بيشة يقظان	—	—
—	بيشة	—	—	—
بيشة بعطان	—	—	—	—
يبه	يبه	—	يبه	—
بيشة ابن جاوان	ابن جاوان	—	—	—
الحسبة (الأحسبة)	—	الحسبة وتسمى اليوم بالأحسبة	—	—
—	—	بيشة حاران	—	—

خامساً : الحواشي والتعليقات

١ ـ لمزيد من التفصيل عن بعض الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل ، انظر . أحمد رمضان أحمد . الرحلة والرحالة المسلمون (جدة : دار البيان العربي للطباعة والنشر ، د.ت) ؛ عبدالمجيد الذويب " الجغرافيون العرب ودورهم في التعريف بالجزيرة العربية " مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الثاني ، الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية في ٥ ـ ١٠ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ الموافق ٢٣ ـ ٢٨ أبريل ١٩٧٧م ،قسم التاريخ كلية الآداب ، جامعة الرياض ، ص٢٨٥ ـ ٢٩٨ .

٢ ـ ومن المدن التي أشار إليها ابن بطوطة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، مدينة حلي ، حيث ذكر من كان يسكنها من القبائل ، بل أشار إلى بعض العلماء الذين كانوا يسكنوها أثناء مروره بها ، كما تعرض لبعض الجوانب الاجتماعية في تلك المدينة ، كذكر بعض الأطعمة التي كان يقتاب بها السكان ، وبعض الألبسة التي كانوا يلبسون . انظر أبو عبدالله محمد بن بطوطة . رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق على المنتصر الكتاني، (بيروت : مؤسسة الرسالة،١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) جـ١ ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ ، وللمزيد من التفصيل عن مدينة حلي ، انظر ، أحمد بن عمر الزيلعي . " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي " حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت ، الحولية السابعة، الرسالة (٣٩) (١٤٠٦هـ /١٩٨٦م) ص ١١ ـ ١٩ .

٣ ـ ولأهمية ما دون الهمداني عن بلاد السراة ، وبخاصة ما ذكر في كتابه (صفة جزيرة العرب) فقد أفردنا لذلك بحثاً مستقلاً حول ما رأى وشاهد ، أثناء ذهابه وإيابه في تلك البلاد . انظر ، مجلة الدارة ، العدد (٣) س (١٩) (١٤١٤هـ) ص٧٦ - ١١١ .

٤ ـ للمزيد من التوضيحات ، انظر . عبدالله بن عبدالعزيز البكري . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، (بيروت : عالم الكتب ، ١٣٦٤هـ / ١٣٤٥هـ) مج١ ، جـ١ ، ص٤ وما بعدها ؛ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت

الحموي . معجم البلدان (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) جـ٢ ، ص٦٣ — ٦٤ ، ٢١٨ — ٢٢٠ ؛ صالح أحمد العلي " تحديد الحجاز عند المتقدمين " مجلة العرب(١٣٨٨هـ /١٩٧٨م)جـ١ ، ص١ — ٩ ؛ عبدالله الوهيبي . " الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب " مجلة كلية الآداب،جامعة الرياض(١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) جـ١ ص ٥٣ — ٧٠ .

٥ — ياقوت ، المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢١٨ — ٢٢٠ ، جـ٣ ، ص٢١٧ — ٢١٨ ، الوهيبي ، المصدر نفسه .

٦ — انظر مقالتي العلي والوهيبي السابقتي الذكر في ملاحظة (٤) .

٧ — أبو بكر أحمد بن محمد بن الفقيه . كتاب البلدان ، تحقيق ، أم دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٢هـ /١٨٨٤م) ص ٣١ — ٣٢ .

٨ — ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

٩ — المصدر نفسه .

١٠ — زكريا محمد محمود القزويني أثار البلاد وأخبار العباد(بيروت:دار بيروت،١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص ٨٩ ؛ ياقوت ، معجم ، جـ٣ ، ص٢٠٥ .

١١ — شمس الدين أبو عبدالله المقدسي . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق ، أم . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٧م) ص١٠٤ .

١٢ — جمال الدين يوسف بن المجاور . صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسمى تاريخ المستبصر ، تحقيق ، أو . لوفغرين (ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٥١ — ١٩٥٤م) جـ١ ، ص٢٦ .

١٣ — المصدر نفسه .

١٤ — يبدو أن وجود المخازن المسماة في بعض المناطق الإسلامية (بالآهرآت) أي مواضع الغلال ، هو المعمار الوحيد المنتشر في البقاع الإسلامية لهذا الغرض ، لما امتاز به من

حسـن الموقـع حيث يكون على مرتفع ، إلى جانب حسن المناخ ، والبعد عن الأماكن الرديـئة في التهوية ، ولهذا كانت الحبوب تدوم فيها مدة طويلة دون أن يصيبها العطب والفسـاد . والمـتجول في وقتنا الحالي ، بالمنطقة الواقعة بين نجران والطائف يلاحظ جميع القـرى وبهـا حصـون مختلفة الأحجام ، وأغلبها كانت تستخدم لخزن الحبوب المتنوعة لأفراد القرية ، مع العلم أن وضع هذه الحصون في يومنا هذا ، أصابها الخراب والدمار، لأنها لم تعد تستخدم ، ولم تجد أيضاً من يوليها الاهتمام ويحافظ عليها من الانهيار .

١٥ ــ لقد عمل أهل السراة بما يمليه العرف القبلي ، فكان شيخ القبيلة من كبار السن الذين يتمتعون بتجربة واسعة في الحياة ، وما المثل العربي القائل عن مثل هذه الشخصية " حلب الدهر أشطره " إلا دليل واضح على حسن الاختيار .

١٦ ــ ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، جـ١ ، ص٢٧ .

١٧ ــ ميـناء السرين من الموانئ النشيطة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، وتقع إلى الجنوب مـن مكة المكرمة بحوالي خمس مراحل . وللمزيد من التفصيل عن هذا الميناء . انظر أحمد عمـر الزيـلعي . مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١ ــ ٤٨٧هـ) . (الرياض : عمادة شؤون المكتبات ــ جامعة الرياض ، ١٩٨١م) ص ١٨٤ ــ ١٨٦ .

١٨ ــ ابن المجاور ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص٥٣ .

١٩ ــ ولـلمزيد مـن التوضيح عن مدينة حلي ، انظر . الزيلعي " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي " ص١١ وما بعدها .

٢٠ ــ لمزيد من التفصيل عن السلطان طغتكين بن أيوب ، وبخاصة عندما عين سلطاناً على بلاد الـيمن في عهد أخيه صلاح الدين الأيوبي عام (٥٧٩هـ) ، انظر . القاضي عبدالله بن عـبدالكريم الجـرافي . المقتطف من تاريخ اليمن (بيروت : منشورات العصر الحديث ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م) ص١٢٩ ــ ١٣١ ؛ محمود كامل . اليمن شماله وجنوبه ، تاريخه وعلاقاتـه الدوليـة (بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٨م) ص ١٨٠ ــ ١٨٤ .

٢١ ـ ابن المجاور ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٣ ـ ٥٤ .

٢٢ ـ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٨٦ .

٢٣ ـ المصدر نفسه .

٢٤ ـ المصدر نفسه .

٢٥ ـ المصدر نفسه .

٢٦ ـ انظر . أبو معين الدين ناصر خسرو . سفر نامه (رحلة ناصر خسرو) ترجمه من الفارسية وحققه ، أحمد خالد البدلي (الرياض : عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الملك سعود ، ١٩٨٣م) ص١٤١ ـ ١٤٢ .

٢٧ ـ المصدر نفسه .

٢٨ ـ ابن المجاور ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص٥٢ .

٢٩ ـ المصدر نفسه ، ص٥٤ .

٣٠ ـ المصدر نفسه ، ص٥٦ .

٣١ ـ انظر ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٨٧ ؛ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني . صفة جزيرة العرب ، تحقيق ، محمد بن علي الأكوع الحوالي (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م) ص ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ، ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، ٢٦٠ .

٣٢ ـ أبو الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي ملحس ، ط٤ ، (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م) جـ٢ ، ص ٢٣٩ ؛ ناصر خسرو ، الرحلة ، ص ١٣٦ ؛ ابن المجاور، المصدر السابق، جـ١ ، ص ٥ ـ ٦ .

٣٣ ـ ابن المجاور ، جـ١ ، ص٧ ، ومثل هذه العادات لا زالت مألوفة بين بعض السكان في الأجزاء التهامية والسروية ، وبخاصة عند كبار السن من الرجال .

٣٤ ـــ ابن المجاور ، جـ١ ، ص٢٥ . وهذه العادة أيضاً لا زالت تمارس عند بعض الأسر والعشائر والأفخاذ الساكنة في البلاد السروية والتهامية على وجه العموم .

٣٥ ـــ ابـن المجاور ، جـ١ ، ص٦ . ومن يتجول في بلاد السراة أو تهامة في وقتنا الحالي سيجد أسمـاء لكثير من الأسر ، وبخاصة أجدادهم الأوائل ، وسيجدها على منوال ما ذكر ابن المجاور ، بل ويجد أسماء أخرى مستمدة من أسماء الطبيعة ، كحجر ، وفارس ، وعصفور ، وريحان وغيرها من الأسماء . ويا حبذا أن يتصدى أحد الباحثين في المنطقة لمثل هذه الأسماء وغيرهـا فيدرسها مع تتبع جذورها من العهود القديمة ، ثم ايضاً يدرس علاقتها بالسكان والبيئات التي تستخدمها .

٣٦ ـــ ابن المجاور ، جـ٢ ، ص ٢٣٤ .

٣٧ ـــ المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٣٢ ، ولا زال الكرم صفة حميدة بين أهالي بلاد تهامة والسراة إلى وقتنا الحالي .

٣٨ ـــ للمزيد من التفصيل عن شيخ القبيلة ودوره في المجتمع منذ العصر الجاهلي ، انظر . جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٠م) جـ٤ ، ص٥ ـــ ٢٧١ ، جـ٥ ، ص٢٥٣ ـــ ٣٣٣ .

٣٩ ـــ للمزيد من التوضيح عن ولاة الحجاز وكيف كان بعضهم يعين من قبل الخليفة الأموي أو العباسي في كل من اليمامة والحجاز واليمن ، وأحياناً بلاد البحرين ، انظر . تقي الدين محمد الفاسي . شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق لجنة من كبار العلماء ، (بيروت : دار الكتب العلمية د.ت) جـ٢ ، ص١٦٢ وما بعدها ، انظر أيضاً G . A . Jrais " The Governorship in the Hijaz During the Early Abbasid period . Ages (العصور) PP 13-21 . Vol .(7) January, 1992 .

٤٠ ـــ والكورة ، أو المخلاف ، أو العمل جمع أعمال ، تساوي ما يسمى اليوم بالمحافظة ، أو الإمارة وكانت ولا زالت تسمى في المغرب بـ (الحوز) وفي الجزائر بـ (العمالة) .

٤١ ـــ أحمد بن يعقوب اليعقوبي . كتاب البلدان ، تحقيق ، أم . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩٢م) ص ٣١٦ .

٤٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٣١٦ ، ٣١٨ .

٤٣ ـ المصدر نفسه ، ص ٣١٧ ـ ٣١٨ .

٤٤ ـ أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبة . كتاب المسالك والممالك ، تحقيق ، أم . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ /١٨٨٩م) ص ١٣٣ .

٤٥ ـ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٦٩ ـ ٧٠ ، ٨٨ .

٤٦ ـ محمد بن محمد بن عبدالله الإدريسي . كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفات (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م) جـ١ ، ص١٤٥ .

٤٧ ـ انظر ، الفاسي ، شفاء الغرام ، جـ٢ ، ص ١٦٢ وما بعدها .

٤٨ ـ ولمزيد من التفصيلات عن اتصال أهل تهامة والسراة بأسواق مكة ، انظر . الأزرقي ، أخبار مكة ، جـ٢ ، ص٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ ؛ محمد بن أحمد بن جبير . رحلة ابن جبير (بيروت) : دار الكتب د.ت) ص ١٠٢ وما بعدها .

٤٩ ـ ناصر خسرو ، الرحلة ، ص١٣٦ .

٥٠ ـ ابن جبير ، المصدر السابق ، ص١٠٢ ـ ١٠٥ .

٥١ ـ ابن المجاور ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٧ .

٥٢ ـ انظر ابن بطوطة ، الرحلة ، جـ١ ، ص١٥٢ .

٥٣ ـ للمزيد من التفصيلات عن توافر الحبوب والخيرات في بلاد تهامة والسراة ، انظر . عرام ابن الأصبغ السلمي . كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ، تحقيق ، عبدالسلام هارون (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٤هـ /١٩٥٥م) ص ٤١٧ ، ٤٢٠ـ ٤٢١ ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص٨٩ ؛ ابن جبير ، الرحلة ، ص١٠٤ ؛ ياقوت ، معجم ، جـ٣ ، ص٢٠٥ ؛ ابن المجاور ، جـ١ ، ص٢٦ ـ ٢٧ .

٥٤ ـ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ، ابن جبير ، الرحلة ، ص١٠٤ ، القزويني ، آثار البلاد ، ص ٨٩ .

٥٥ ــ المسالك والممالك ، ص ١٣٤ ــ ١٣٦ ، ١٤٨ ــ ١٤٩ .

٥٦ ــ أبو الفرج قدامة . نبذ من كتاب الخراج ، ضمن كتاب المسالك والمملك لابن خرداذبة ، تحقيق ، أم . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ /١٨٨٩) ص ١٨٨ ــ ١٨٩ ، ١٩٢ ــ ١٩٣ .

٥٧ ــ أبو إسحاق الحربي . كتاب " المناسك " وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م) .

٥٨ ــ البلدان ، ص ٣١٧ .

٥٩ ــ صفة جزيرة العرب ، ص ٣٣٩ ــ ٣٤١ .

٦٠ ــ أحسن التقاسيم ، ص ١١١ ــ ١١٢ .

٦١ ــ نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص١٤٥ ــ ١١٢ .

٦٢ ــ أجمعت المصادر على ذكر أغلب المحطات التي تقع على الطريق الجبلي السروي ، أما الطريق الساحلي فقد ذكرته بعض المصادر ، لكن ظهر بعض الاختلاف في ذكر أسماء بعض المحطات على تلك الطريق ، ولهذا الأمر ألحقنا بالبحث ملحقين ، الأول : وضح أغلب أسماء المحطات التي وردت في المصادر التي استقينا منها بحثنا حول هذا الطريق ، والثاني : – بيّن أسماء المحطات التي وردت في بعض المصادر دون المصادر الأخرى .

٦٣ ــ الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٣٩ ــ ٣٤٠ .

٦٤ ــ المصدر نفسه ، ص ٣٤١ .

٦٥ ــ ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٣٤ ــ ١٣٥ .

٦٦ ــ وطلحة الملك لا زالت إلى يومنا هذا تعرف باسم قرية طلحة ، وتقع في الأجزاء الشرقية من ظهران الجنوب في بلاد قحطان ، وإلى الشمال من مدينة نجران .

٦٧ ــ قدامة ، المصدر السابق ، ص١٨٨ ــ ١٨٩ .

٦٨ ــ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص١٤٥ ــ ١٤٦ .

٦٩ ــ وقد يعود رخاء هذه المدن إلى موقعها التجاري ، وكثرة القادمين إليها ، لبيع سلعهم ، أو لشراء سلع منها ، أو للمبيت فيها ، والإنفاق طيلة إقامتهم بها . وبعض هذه المحطات كـ (بيشة ، ورنية ، وتربة ، وغيرها) ما زالت إلى يومنا هذا تؤدي خدماتها للمارة بها ، وكلما تحسنت خدماتها ، كلما أدى الأمر إلى ازدهارها .

٧٠ ــ للمزيد من التفصيل عن أحوال البريد خلال العصر العباسي وما جرى عليه من إصلاحات،انظر.حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية،١٩٦٤م) جـ٢ ، ص٢٦٨ ــ ٢٧١ .

٧١ ــ والأمر الذي يجعلنا نجزم بأن تلك الطريق حظيت ببعض الإصلاحات ، وبخاصة خلال العصور العباسية الأولى ، هو ما بذل خلفاء بني العباس الأوائل في إصلاحات بعض الطرق الأخرى ، كطريق العراق الحجاز ، أو طريق العراق الشام الحجاز أو غيرها ، ثم إن بلاد اليمن كانت من الأجزاء المهمة لدى خلفاء بني العباس الأول لتكون تحت حوزتهم فكانوا يرسلون إليها الولاة وغيرهم من موظفي الدولة ، بل ويسعون إلى قمع أي ثورة تظهر فيها ، وربما ذلك الاهتمام كان ناتجاً عن حرصهم على ضم شمل دولتهم ، بل وإلى معرفتهم بغناء أرض بلاد اليمن وما بها من خيرات قد تعود زكاتها وجبايتها إلى بيت مال المسلمين في بغداد .

الدراسة السادسة :

صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة(*)

إعداد

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية

كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية

جامعة الملك خالد

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(*) هـذه الدراسة قدمت في اللقاء العلمي الرابع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والمنعقدة في إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة الممتدة من (٣-٥ صفر / ١٤٢٣هـ / الموافق ١٦-١٨ إبريل / ٢٠٠٢م)

محتويات الدراسة السادسة

صور من الحياة الاجتماعيـــة فـي بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطـة

صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

أولاً : المقدمة

إذا ما تفحصنا الدراسات العلمية الأكاديمية التي نُشرت عن تاريخ وفكر وحضارة شبه الجزيرة العربية منذ العهود القديمة إلى عصرنا الحاضر ، لوجدنا تفاوتاً كبيراً من حيث الزمان والمكان ، وهذا التفاوت نستطيع أن نجمل أسبابه فيما يأتي :

١- إن الدراسات التي أجريت عن شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة تكاد تكون أكثر وأوسع انتشاراً عن تاريخ بلاد اليمن والحضارات التي خرجت فيها، وكذلك عن الأطراف الشمالية من الجزيرة وبخاصة فيما يتعلق بتاريخ وحضارة الغساسنة والمناذرة، وغيرهم من المجتمعات التي عاشت في مدائن صالح وما حولها . أما الأجزاء الوسطى الواقعة بين شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها فقد طواها الإهمال والنسيان ، اللهم إلا أرض الحرمين الشريفين وبخاصة مكة المكرمة التي عني بذكرها أصحاب المدونات القديمة لكونها بلداً حراماً[1] .

٢- استمرار هذا النسيان أيضاً إبان العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وبخاصة من بعد انتهاء عصر الخلافة الراشدة إلى القرن (١١هـ) وربما (١٢) الهجري ، فقد أغفل المؤرخون ومدونو التراث الإسلامي الحديث عن معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية فيما عدا بعض الحواضر الإسلامية الكبرى مثل مدن اليمن ومراكزها السياسية والحضارية كصنعاء، وصعدة، وزبيد ، وعدن ، أو حواضر الحجاز ذات الأهمية الدينية والصبغة التجارية مثل مكة المكرمة ،

والمدينــة المــنورة ، واليمامة في وسط شبه الجزيرة ، وكذلك أرض البحرين الواقعة في شرقها . وعلى الرغم التفات بعض المؤرخين والشعراء والأدباء في العصــور الوســطى إلى هــذه الأجزاء فيما دونوه أو نظموه إلا أن حديثهم وأشــعارهم عــن تلك الحواضر لا يقارن بما ذكروه عن الحواضر الإسلامية الكــبرى الواقعــة في بلاد الشام والعراق وفارس ، وكذلك في مصر وشمال إفريقية والأندلس[٢] .وعندما نأتي إلى أجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية – وهــي الأجزاء المعنية في هذا البحث – مثل البلاد الواقعة بين حواضر اليمن والحجــاز الكــبرى، والتي أطلقنا على المرتفعات منها **أرض السراة** أو **بلاد السراة** ، أو **السراة** . كما أطلقنا على المنخفضات من هذه البلاد اسم **تهامة** وبخاصــة المــنطقة الواقعــة بين ساحل البحر الأحمر غرباً ، وجبال السروات شرقاً ، والممتدة من الحجاز شمالاً إلى حواضر اليمن الكبرى جنوباً ، والــتي تزيد مسافتها عن ألف كيلو متر ، هذه المنطقة المتنوعة في تضاريسها ومــناخها ، وثرواتها الحيوانية والنباتية ، والمزدحمة بطاقاتها البشرية مع تنوع معايشهم وطبقاتهم الاجتماعية نجد أنها كانت من المناطق التي سادها النسيان في مصــادر الــتراث الإسلامي ، فلا نجد عنها في مختلف المصادر المبكرة إلا شــذرات متفرقة لا تكفي لتكوين دراسة علمية متكاملة عن هذه البلاد في شتى جوانبها[٣] .

ورغم إخراجنا لعدد من الأبحاث والدراسات المختلفة عن تلك البلاد المعنية بالدراسة ، إلا أننا مع هذا لازلنا نعترف بالنقص والقصور فيما كُتب عنها، وإنني– من موقعــي هذا – أناشد المتخصصين في حقل الدراسات التاريخية القديمة وعلم الآثار ، وأقول أن هذه البلاد الواقعة بين اليمن والحجاز ، والتي أسميناهــــا " **تهامة والسراة** " لازالــت أرضاً بكراً إن صح التعبير ، وفي حاجة ماسة إلى كثير من الدراسات الأثرية

المتخصصة والتي تقوم دعائمها على الحفائر والتنقيب الأثري، والتي سوف تميط اللثام بالتأكيد عن كثير من نواحي الغموض الذي يكتنف تاريخ هذه المنطقة سواء في العصور القديمة أو الإسلامية المبكرة والوسيطة وهو ما يعنينا في المقام الأول في ضوء صمت المصادر الإسلامية غالباً في الحديث عنها [٤] .

وخصوصاً بما تحتويه من نقوش وزخارف ورسوم وآثار متنوعة لا تزال مندرسة في معظم أجزائها ، وبالأخص في مراكزها الحضارية الكبرى والتي وجدنا شذرات مبعثرة عنها عبر العهود القديمة والإسلامية المبكرة والوسيطة مثل نجران، وجرش (عسير)، وبيشة، وتربة ، ورنية ، والطائف ، وجميع هذه المواقع توجد في الأجزاء الجبلية السروية، أما النواحي التهامية ، فهناك نواح وأماكن كثيرة تحتاج بدورها إلى كثير من الدراسات نذكر منها على سبيل المثال مخلاف حَكَم (جازان)، وحلي، والأحسبة ، وعشم ، والسرين ، وبارق وغيرها [٥] .

وهذه المناشدة لم تأت إلا بعد أن جبت أنحاء هذه البلاد – لأني أحد أبنائها– طولاً وعرضاً خلال الثلاثين سنة الماضية ، وكتبت ثم نشرت عدداً من الدراسات العلمية التي تناولت تاريخ وحضارة هذه البلاد ، ولكن معظم ما أصدرته من أبحاث ودراسات تكاد تكون متأخرة زمنياً وأنصبت أغلبها على **تاريخ وحضارة تهامة والسراة** خلال الثلاثة أو الأربعة القرون المتأخرة الماضية ، ولم أكن الوحيد الذي عنى بالكتابة عن هذه الفترة ، وإنما ساهم معنا آخرون كل قدر استطاعته . واهتمامي وغيري من الباحثين بالقرون الهجرية المتأخرة يعود إلى سبب أساسي هو توافر المادة العلمية الخاصة بتلك الفترة بدرجة طيبة إذا ما قورنت بالفترات الإسلامية المبكرة ، وبالتالي فقد خرجت عدد من الإسهامات العلمية التاريخية والحضارية التي تناولت هذه البلاد في تلك الفترة [٦] .

أمـــا ما قبل القرن العاشر الهجري (القرن السادس عشر الميلادي) ، فالأمر يزداد صعوبة لندرة المادة العلمية عن هذه البلاد المعنية بالدراسة ، وأعتقد – كما سبق القـــول– أن إجـــراء الدراسات الأثرية الجادة عن تلك البلاد قد تفتح آفاقاً جديدة للباحـــثين ، وبخاصـــة إذا وُجـــد أصحاب الاختصاص ومن هم اليد الطولى في الآثار ودراستها ، وهم – والحمد لله – كُثر في بلادنا ، ولقيام مثل تلك الأبحاث والدراسات الأثرية الأصيلة لابد من توفر عاملين مهمين هما التشجيع المعنوي ، والدعم المادي من جـــانب الجهات الحكومية المعنية بهذه الأمور ، وهذا ليس غريباً على ولاة أمرنا فهم أصـــحاب الأيادي البيضاء في كل جانب ومضمار يخدم الوطن والمواطن،ويعود بالنفع على الإسلام والمسلمين(٧) .

وهـــذا الـــبحث الذي بين أيدينا ، اقتصرنا في دراسته على إلقاء الضوء على بعـــض جوانـــب مـــن الحياة الاجتماعية في بلاد السراة الممتدة من نجران جنوباً حتى الطـــائف شمالاً ، ويظهر ذلك من عنوانه الموسوم بـــ " **صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة** " . ولا ندعي الكمال فيما دون على صفحات هذه الدراسة ولكننا نزعم أنها دراسة جديدة في تناولها وطريقة طرحها ، وأرجو أن تضيف جديداً للمكتبة التاريخية العربية ، وتسد نقصاً في جانب من الجوانب الحضـــارية لهـــذه البلاد، وما سوف نتطرق إليه في هذه الدراسة يشمل الحديث عن طـــبقات المجتمع السروي والذي تشكل من العناصر العربية الأصيلة ، والعناصر غير العـــربية التي وفدت إليه وانتجعت أنحاء متفرقة من هذه البلاد للعمل في شتى الحرف والفنون الصناعية المعروفة في ذلك الوقت ، كما تطرقنا للحديث عن نظام الأسرة في المجتمع السروي وألقينا الضوء على بعض العادات والتقاليد في البيت السروي. كما تـــناولت بالدراسة بعض مظاهر العمران وركزت الحديث عن العمران المدني والحربي وبعـــض الأبنية ذات الصبغة الدينية ومنها المقابر وغيرها. واختتمنا الدراسة بالحديث

عـــن الأطعمة والأشربة التي اعتادها أفراد المجتمع السروي في فترة البحث وأوضحت كيف اعتمد أبناء المجتمع السروي في معيشتهم على بيئتهم المحلية ومنتجاقا في حياقم اليومية .

وهـــذه العناصر في اعتقادي تمثل بعض المظاهر الحضارية في هذه البلاد والتي تعكس لنا الواقع الاجتماعي لأهل السراة في العصر الإسلامي ، من خلال رصد بعض مظاهر الحياة اليومية وكيف كانوا يمارسونها ويتعايشون من خلالها .

ثانياً :طبقات المجتمع السروي

كـــان هـــذا المجـــتمع يتكون في أغلبه الأعم من طبقتين متباينتين الأولى هي العناصر العربية الأصيلة من سكان هذه المناطق والثانية هي العناصر الوافدة على البلاد مـــن خارجهـــا وسوف نحاول إلقاء الضوء على بعض مميزات كل طبقة ودورها الذي قامت به في المجتمع السروي .

أ ـ العناصر العربيـة :

يغـــلب الطابع القبلي على مجتمع بلاد السراة ، وقد لمسنا ذلك من خلال ما ورد في المصـــادر عـــن أحداث عام الوفود [٨] ، حيث وفدت القبائل على رسول الله (صـــلى الله عـــليه وسلم) في السنتين التاسعة والعاشرة للهجرة ، فكان الوفد يأتي إلى المدينة ويقابل أعضاؤه الرسول (ﷺ) ، وأول ما يسألهم (النبي الكريم) مّمن القوم؟ ففي الغالب يرد الوفد قائلاً :(نحن من كذا وكذا ...) ، ويذكر المتحدث اسم قبيلتهم أو عشـــيرتهم [٩] . وجميـــع وفود قبائل السراة كانت في الغالب أزدية قحطانية،وإن كـــانت لا تخـــلو أحياناً من بعض القبائل والعشائر المضرية العدنانية [١٠].ويظهر ، مما سبق ، أن طبيعة قبائل السراة في العصور المبكرة والوسيطة كانت مستقلة بعضها عن بعض ، بل ربما كانت لا تدين بالولاء الفعلي لسلطة الخلافة الإسلامية ، يوم كانت في

الشـــام للأمويـــين (٤٠-١٣٢هـــ) ، أو في العراق للعباسيين (١٣٢-٦٥٦هـــ) . ولقد أكد هذا القول الرحالة ناصر خسرو (في القرن الخامس الهجري ، القرن الحادي عشـــر الميلادي)، وابن المجاور في أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) عـــندما أشارا إلى كثرة مواطن السرويين ببلاد السراة [١١] .ثم استطرد الرحالة ناصر خسرو فذكر أن على كل موطن من تلك المواطن "حاكم مستبد لا يخضع لأي سلطة مركـــزية " [١٢] ، ويؤكد كل من خسرو وابن المجاور على تعدد عشائر وبطون القبائل العـــربية في أرض السراة [١٣] . ويضيف ابن المجاور بعض التفصيلات عن مشيخات قبائل السراة ، الممتدة من صنعاء وصعدة جنوباً إلى الطائف شمالاً ، ويمدنا بلمحة عن الأوضـــاع الإدارية والسياسية المحلية لتلك القبائل فيقول : " **يحكم على كل قرية شيخ من مشائخها، كبير القدر والسن ، ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولم يخالفه أحد فيما يشيره عليهم ، ويحكم فيهم ، وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان ، ولا يؤدون خراجاً ، ولا يسلمون قطعة ، إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه ، بهذا لا يزال القتال دأبهم، ويتغلب بعضهم على مال بعض ، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو ، وهم طول الدهر على هذا الفن .. وهم في دعة الله وأمانه ، وهم فخوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنســـــاب** "[١٤] . ويذكر أيضاً " **أما السرو فإنهم قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان ، بل مشائخ منهم وفيهم وهم بطون متفرقون** " [١٥] .

وتنقســـم بلاد السراة إلى بوادي وحواضر ، وهذه القسمة تحدث في العشيرة أو القبيـــلة الواحـــدة ، فـــأهل البادية ينتقلون من مكان لآخر بحثاً عن الماء والمرعى لمواشـــيهم ، أمـــا أهل الحواضر فيستقرون في قراهم أو مدنهم ، وأحياناً تكون هناك علاقات دم بين أهل البادية وأهل الحضر، وبالتالي تكون مشيختهم ورابطتهم واحدة، إلا أنهـــم مـــع ذلك لازالوا مستقلين عن غيرهم من القبائل والمشيخات المحلية [١٦]. ويـــورد لنا الحسن بن أحمد الهمداني معلومات عن بعض المشيخات العربية المحلية ببلاد الســـراة ، فيذكـــر مديـــنة جـــرش وحكامهـــا خلال القرن الرابع الهجري (العاشر

الميلادي)[١٧] ، فيقول: "**جرش هي كورة نجد العليا ، وهي من ديار عنز ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير**" [١٨] ، ويتحدث عن بعض مدن وقرى سراة الحجر كمدينة الجهوه وغيرها[١٩] ، فيقول : " **الجهوة مدينة السراة أكبر من جرش وصاحبها الجابر بن الضحاك الربعي بن نصر بن ربيعة بن الحجر**" [٢٠] و "**زنامة العرق وهي لجابر بن الضحاك قرية فيها زروع ، ثم بعدها أيد " صدريد "** [٢١] **، وادفيه نبذ من قرى وزروع**[٢٢] ...." ثم يذكر قرى وأرياف وبوادٍ عديدة في السروات ، ويذكر أهلها ، وأحياناً يذكر أسماء شيوخها ورؤوساء العشائر فيها [٢٣] .

ويتمتع شيوخ القبائل السروية ، منذ العهد الجاهلي حتى القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) بسلطة كبيرة في قبائلهم ، فهم أصحاب الحل والعقد في جمع أمور قبائلهم [٢٤] .وتؤيدنا في ذلك بعض المصادر المحلية المتأخرة ، فيذكر شعيب بن عبد الحميد الدوسري في سنة (١١٦٥هـ / ١٧٥١م) عدداً من مشائخ أهل السراة أثناء حديثه عن الأمير / مرعي بن محمد [٢٥] ، فيقول : "**وقد اصطحب معه من وجهاء قحطان ، ويام ، وعسير ...**" [٢٦] ، كما يذكر كل من أحمد بن حسن النعمي في كتابه : <u>عسير في مذكرات سليمان الكمالي</u> ، ومحمود شاكر في كتاب : <u>عسير</u> عدداً من أسماء ومشائخ بلاد السراة خلال القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)[٢٧] .

وليس كل ما ذكرته المصادر المتقدمة زمنياً أو المتأخرة عن القبائل وأسماء مشائخها في بلاد السراة يُعد إلماماً كاملاً بكل المشيخات التي ظهرت في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية الوسيطة ، وأوائل العصر الحديث ، وإنما هي نماذج توضح أن الطابع القبلي وعلى رأسه شيخ القبيلة هو الأساس في التركيبة الاجتماعية لبلاد السراة ، طوال عصور طويلة مرت وحتى فترة قريبة من واقعنا المعاصر [٢٨] .

ب- العناصر غير العربية :

لم يخـــل مجتمع بلاد السراة من عناصر غير عربية قامت على خدمة العناصر العـــربية لاســـيما في مجال الحرف اليدوية والفنون الصناعية التي لا يمتهنها العرب ولا يقبلون عليها فوجد إلى جانب العناصر العربية بعض الموالي الذين امتهنوا بعض الحرف اليدويـــة وغيرهـــا من الفنون الصناعية ، ويؤكد ذلك عدداً من الإشارات الواردة في المصادر الأولية التي نُوهتْ عن وجود عناصر غير عربية من الفرس والأفارقة في الكثير من المواقع ببلاد السراة خلال القرنين الأول والثاني للهجرة (السابع والثامن للميلاد)[٢٩]، كذلـــك يذكر الهمداني وهو من رجال (ق٤هـــ /ق١٠م) أثناء حديثه عن جرش فيقول: "**وفي شق قرية جرش فرقة من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش**"[٣٠]، ويتحدث أيضاً عن المعادن في جزيرة العرب فيذكر غزارة الإنتاج في معدن الرضراض القريب من مدينة نجران[٣١] ، ثم يؤكد على أن أغلب العمال فيه من الفرس[٣٢]. ولا يســـتبعد وجـــود كثير من العناصر غير العربية والذين كانوا يعملون في مهن وحرف متعددة في بلاد السراة ، وذلك لوفرة المهن والصناعات اليدوية،والموجودة بالبلاد منذ عهود قديمة حـــــتى الآن[٣٣] .

وربمـــا كان بعض من تلك العناصر في بلاد السراة قد أصبحوا من أصحاب الوجاهة والمكانة الاجتماعية الرفيعة بفضل ما أصابوه من ثراء من وراء احتكار العمل في بعـــض هذه المهن ، لاسيما التجارة ، ويؤيدنا في ذلك عدة إشارات وردت صريحة في بعض المصادر الإسلامية المبكرة، فقدامة يتحدث عن قرية تربة[٣٤]، فيقول :" **تربة قـــرية عظـيمة بها عيون جارية وزروع ، وهي قرية خالصة مولاة المهدي** "[٣٥] . كما نجد مصـــادر أخـــرى عديـــدة ، وبخاصة مؤلفات الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل ، وكذلـــك بعض كتب التاريخ الحولي والسير تشير إلى بعض الموالي (الفرس)، وكذلك الـــزنوج الأفارقة وأحياناً الأتراك كانوا يعملون في الزراعة، والتجارة ، ومزاولة بعض

الصناعات اليدوية في كل من نجران[٣٦]،وبيشة[٣٧]،وتبالة [٣٨] ، ورنية[٣٩] ، والطائف ، وجميع هذه المناطق تأتي على الطريق التجاري الشرقي الذي يربط بلاد اليمن بالحجاز[٤٠] . ولا يستبعد أن تكون تلك العناصر وغيرها قد وجدت أيضاً في أجزاء داخلية من بلاد السراة ، وبخاصة المرتفعات منها والتي يوجد فيها الآن أهم وأنشط المراكز الحضارية مثل : ظهران الجنوب من الناحية الشمالية لمدينة نجران[٤١] ، يليه نحو الشمال سراة عبيدة ، وأحد رفيدة، وتثليث، وطريب في بلاد قحطان[٤٢] ، ثم خميس مشيط ، ثم أبها حاضرة عسير[٤٣] ، ثم بلدة صبح في بلاد بللحمر، ثم اثنين بللسمر، ثم تنومة، فالنماص وبلاد بني عمرو[٤٤] ، ثم سبت العلاية ، وباشوث ، والبشائر ، وبلاد خثعم ، وبلجرشي ، والباحة ، وبلاد بجيلة بني مالك وغيرها من المراكز الواقعة على الطريق الرئيسي الواصل من نجران جنوباً حتى الطائف شمالاً[٤٥] .

علاوة على أن موقع بلاد السراة بين اليمن والحجاز يمثل عامل جذب لعدد من العناصر غير العربية للإقامة بين جنباها ، لأنها تُعد ممراً مهماً للتجارة والتجار الذين يرتادون اليمن قادمين من الحجاز ، وأحياناً كان يأتي إليها التجار من اليمامة والبحرين، وربما كان بعض أولئك التجار قادمين من بلاد فارس والعراق والشام وغيرها، وقد أكد ذلك ابن المجاور عندما أشار إلى أن تجار البصرة كانوا هم الوسطاء في نقل بعض المصنوعات الجلدية من نجران وجرش إلى نواحٍ عديدة خارج شبه الجزيرة العربية[٤٦]. كما كانت كثير من الجيوش العسكرية تعبر بلاد السراة من الحجاز إلى اليمن أو العكس ، ومن يستقرئ التاريخ السياسي لكل من اليمن والحجاز يتأكد من كثرة العناصر غير العربية بهما[٤٧] ، وبخاصة الفرس والأتراك ، ومثل هؤلاء ربما عبروا بلاد السراة ، وربما استقر بعضهم بها وانضم إلى بعض القبائل العربية الرئيسة في بلاد السراة[٤٨] .

كذلك كان العبيد من العناصر غير العربية والذين جلبوا إلى بلاد السراة ، إما عـــن طريق الشراء من أجل الخدمة في بعض المهن الاقتصادية المحلية الخاصة، أو العمل في بيوتات الطبقة الراقية من أهل السراة (٤٩) .

ومن يتجول في طول وعرض بلاد السراة اليوم يلاحظ بعض العناصر البشرية الـــتي يظهر من أشكال بشرتها، وهيئة شعورهم وتقسيمات وجوههم إنهم يعودون إلى ســـلالات أفريقية أو تركية وغيرها ، وعندما نسأل عن أصولهم نجدهم قد قدموا إلى بلاد السراة منذ مئات السنين ، ومثل هؤلاء لا يستبعد أنهم قدموا إليها في هيئة عبيد ثم اعـــتقوا وانتموا للعشائر التي عاشوا وتربوا بين أهلها (٥٠) . كما نجد عدة مصادر تشير إلى أن بعض خلفاء بني أمية والخلفاء الأول من بني العباس وبعض مواليهم كانوا يمتلكون عقارات وملكيات زراعية في الطائف ، وبعض المدن الرئيسة في بلاد السراة مثل : الطائف، وتربة ، ورنية ، وبيشة ، وجرش ، ونجران ، وصعدة ، وصنعاء (٥١) ، وبالـــتالي كـــانوا يرسلون من عبيدهم من يتولى صيانتها والقيام عليها . كما أشارت مصـــادر أخـــرى إلى أن عدداً من أشراف مكة خلال العصور الوسطى كانوا يملكون عقارات وأراضٍ زراعية في بيشة ، ورنية ، وتبالة، والباحة ، والنماص ، وأبها ، وسراة عبيدة ، ونجران، ومدن وقرى أخرى في أرض السراة (٥٢). وكانوا لا يأتون إليها إلا في أوقـــات مـــتفاوتة في حـــين أن خدمهم وعبيدهم كانوا هم القائمين عليها طوال العـــــام (٥٣) .

ثالثاً : الأسرة في المجتمع السروي

سبق القول بأن الطابع القبلي كان غالباً على المجتمع السروي ، وكانت جميع القبائل والعشائر والأفخاذ تتكون من قرى وبوادٍ ومنازل مختلفة ، والقاسم المشترك في هـــذا كله أنهم جميعاً يتكونون في الأساس من أفراد وأسر تتفاوت في الكبر والصغر ،

ولكـــن الغـــالب عـــلى نظام الأسرة في بلاد السراة خلال العهود الإسلامية المبكرة والوســـيطة وكذلك أوائل العصر الحديث أن جميع أفرادها يعيشون في منزل واحد ، يـــبدأ بالجد إن كان على قيد الحياة ، وينتهي بالأبناء والبنات والزوجات والأحفاد ، وتقوم حياتهم على أساس من الترابط والتعاون في ممارسة أعمالهم وكسب معيشتهم من خـــلال المهن التي يمارسونها سواء كانت رعياً ، أو صيداً ، أو زراعة ، أو حرفاً مهنية يدوية ، أو تجارة وغيرها (٥٤) .

وكمـــا كان لكل قبيلة أو عشيرة من بلاد السراة شيخ أو مشيخة فإن لكل أســـرة أيضاً شيخاً أو رئيساً ، أو ما يسمى بـــ (كبير الأسرة) أو (عميدها) ، وبالتالي يكـــون مسؤولاً عمَّا يحدث أو يراد عمله في الأسرة ، فلا يستطيع أي فرد من أفراد الأســـرة عمل أي شيء إلا بعد مشاورة كبير الأسرة فيما يرغب القيام بعمله ، وكان لكبير الأسرة هيبة واحترامُ بين أفراد أسرته ربما تضاهي الهيبة والتقدير الذي يحظى به شيوخ القبائل بين أفراد قبائلهم وعشائرهم (٥٥) .

رابعاً : أفراح وأتراح أهل السراة :

إذا مـــا حاولـــنا العـــثور على تفصيلات دقيقة عن حفلات ومناسبات أهل الســـراة، وكذلـــك مـــآتمهم وأتراحهم وأحزانهم ، فإننا نجد صعوبة بالغة فيما يتعلق بالقـــرون الإسلامية الأولى والوسيطة ، وذلك لأن معظم المصادر التي نوهت عن بلاد السراة في أي جانب من جوانب الحياة تكاد تكون صامتة في هذا المجال، وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك أعراف وتقاليد وقيم وفنون شعبية وحفلات ومناسبات مختلفة ، وإنما نؤكـــد عـــلى وجود مثل هذه النشاطات بين أهل السراة منذ العصور الجاهلية وحتى يومنا هذا ، ودليلنا على ذلك يعود إلى عدة أسباب رئيسة هي :

أ- أن استقراء ما كُتب وحفظته لنا المصادر الأولية عن بعض الجوانب الاجتماعية في كل من صنعاء ، وصعدة باليمن ، والمخلاف السليماني ، وحلي بن يعقوب ، وعشم ، والسرين ببلاد تهامة ، وكذلك الطائف ، ومكة المكرمة ، وجدة ، والمدينة المنورة في الحجاز ، وكذلك اليمامة في نجد يجد أنها أشارت إلى توافر عادات وتقاليد عديدة مثل : مراسيم الخطوبة والزواج ، وعادات الجنائز والمآتم، وكذلك صفات أخرى عديدة، كالكرم ، والشجاعة، والتعاون ، والتكافل ، والصلح ، وأحلاف الجوار وغيرها من العادات والتقاليد المتنوعة والتي ذكرها جواد علي مفصلة في كتابه : **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام** [٥٦] ، كما ناقشناها أيضاً خلال القرون المتأخرة الماضية في أجزاء عديدة من بلاد السراة ، ونشرناها ضمن كتابنا: **عسير، دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٠-١٩٨٠م)** [٥٧] . ووجود مثل هذه النشاطات الاجتماعية في العصور الجاهلية، وكذلك في العهود الحديثة وبأجزاء مختلفة من بلاد اليمن ، أو الحجاز ، أو حتى تهامة والسراة وغيرها من بلاد شبه الجزيرة المجاورة والمحيطة بأرض السراة يؤكد على وجودها القديم بين أهل السراة منذ عهود ما قبل الإسلام واستمرارها عبر العصور الإسلامية حتى الآن [٥٨].

ب- المتجول في أرض السراة الممتدة من صنعاء إلى الطائف يجد آثار التراث الشعبي الحضاري متمثلاً في طباع أهل هذه البلاد، وفي أناشيدهم ، وأغانيهم الشعبية ورقصاتهم ، وأهازيجهم ، وكذلك في رواياتهم وأقاصيصهم الشعبية التي تناقلوها عن آبائهم وأجدادهم . بل إن كثرة العشائر والقبائل والطاقات البشرية بهذه الأرض لدليل آخر على غناء تراثهم الشعبي ، وعلى أنه من

الطبيعي أن يكون بينهم تعايش وتعاون في ممارسة عدد من النشاطات الاجتماعية ، كالبيع والشراء ، والحرث والزراعة ، وممارسة أنواع عديدة من الرقصات ، والرياضات ووسائل التسلية البريئة ، والزيارات الأسرية والتعاون ومشاركة بعضهم بعضاً في الأفراح والأحزان وحفلات الزواج، والختان ، والأعياد، وكذلك في الجنائز والمآتم وغيرها من كوارث ومصائب الزمان (٥٩) .

جـ- إن المتمعن للنقوش والآثار والرسوم المتناثرة بأرض السراة، الممتدة من قاع اليمن إلى الحجاز ، يزيد تأكده من وجود حَشْدٍ هائل في جميع مجالات الحياة الاجتماعية بهذه البلاد، فهذا النوع من المصادر أو الأدلة المادية يمدنا بمادة علمية طيبة قد تفيد الباحث لو وجدت من يجمعها ويفحصها ويحللها، ثم يجعلها بين أيدي القارئ كي يستفيد منها ويعرف كيف كان يعيش أولئك الأقوام مع ما كان يقابلهم من صعوبات وشظف للعيش في شتى مجالات الحياة (٦٠) .

خامساً : العمران في بلاد السراة :

تنوع العمران في بلاد السراة ، واختلف من مكان لآخر ، فحفلت البلاد بعديد من المنشآت المدنية والعسكرية والدينية في الفترة موضوع البحث ، وهذا التنوع والاختلاف يعود في الأساس إلى إمكانات أهل السراة من ناحية ، وإلى طبيعة المنطقة ذات التباين الواضح في التضاريس من ناحية أخرى . فهناك النواحي، والمخاليف، والمدن ، والقرى ، والأودية، والبوادي التي تسكنها الأسر، وما يتبع تلك المواطن من أبنية ومرافق متعددة لخدمتهم ، وهناك أيضاً منشآت عمرانية أخرى سوف نأتي للحديث عنها في صفحات تالية من هذا العنصر (٦١) .

أما الشيء الغالب على أرض السراة في العصور المبكرة والوسيطة ، أنه يوجد بها كثير من المدن والقرى الحضارية ، وغالباً ما كانت تلك المراكز العمرانية تقع على الطــريق التجاري الواصل بين صعده ونجران في الجنوب ، وبين الطائف ومكة المكرمة في الشــمال ، أو في مرتفعات السروات الجبلية الممتدة من نجران إلى الطائف (٦٢) . والجغــرافيون والــرحالة المســلمون الأوائل أفضل من دون لنا معلومات عن أسماء ومواطن تلك المراكز الحضارية ، وبخاصة الواقعة على الطريق التجاري الذي يصل بين الطــائف وصــعدة ، ومــن أهم تلك المدن والقرى:الطائف،وتربة ، ورنية ، وتبالة ، وبيشة، وجرش ، ونجران ، وصعدة (٦٣) .

أما القرى والمدن الحضارية الواقعة بالمرتفعات الجبلية في السروات ، فالهمداني خــير من حفظ لنا معلومات عن تلك النواحي ، فأشار إلى كثير من أسماء المواطن مع ذكر أسماء القبائل والعشائر التي كانت تسكنها في عصره ، وأحياناً يذكر حجم الموطن الذي أشار إليه ، فيوضح هل هو مدينة أو قرية ، أو وادي ، أو ناحية فيقول عن شيبه بــن عتر ، الساكنين ببلاد القرعاء في سراة عسير **"ولهـم قــرية كبيرة ذات مسجد جامع يقال له المسقى..."** (٦٤) ، وعن مواقع أخرى في سراة الحجر يقول : **" سلوان واد فيه قــرية يقــال لهــا رحب "** (٦٥) ، ويقول أيضاً **" تنومة وأد فيه ستون قــرية .. ثم الأشجان قــرية كـبيرة ليـس في الســراة قــرية أكـبر مـنها بعـد الجهـوة ... ثم نحيان واد مستقبل القبلـــة "** (٦٦) ، ويضيف أيضاً أن **" الجهوة مدينة السراة أكبر من جرش "** (٦٧) ، ويتابع الهمداني إشاراته على هذا المنوال إلى عديد من القرى والمدن والمواطن المنتشرة في بلاد السراة (٦٨) .

وفي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) يشير ابن المجاور إلى وضع مواطن بلاد السروات من الطائف إلى نجران فيقول : **"جميـع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضـها مـن بعض في الكبر والصغر ، وكل قــرية منها مقيمة بأهلها، كل فخذ من فخوذ العرب،**

وبطن من بطون البدو في قرية ، ومن جاورهم لا يشاركهم في نزلها وسكنها أحد سواهم ..." [٦٩] .

ومن يشاهد القرى القديمة ببلاد السراة يلاحظ صحة ما ذكر ابن المجاور، بل يشاهد أموراً أخرى تتمثل فيما يلي :

أ- تراكم منازل القرية الواحدة بعضها فوق بعض مع وجود ممرات ضيقة جداً فيما بينها، وهذا التخطيط في اندماج وتقارب بيوت سكان القرية ، ربما كان ناتجاً عن الخوف الذي كان يسود الناس في الماضي ، لانتشار الفوضى وتعدد حالات السلب والنهب ، بالإضافة إلى ما شاع آنذاك من غارات القبائل على بعضها طلباً للقوت ، مما استلزم تقارب أفراد القبيلة أو القرية الواحدة في مساكنها حتى يتكاتفوا في صد أي عدوان خارجي يهاجم مضاربهم [٧٠] .

ب- يظهر على كثير من القرى القديمة أنها توجد حول المناطق الزراعية ، أو بعض الأماكن الرعوية المتوافرة فيها الماء والكلأ ، أو أنها توجد حول أسواق تجارية أسبوعية مرتبطة مع عددٍ من الطرق التجارية البرية ، وبهذا فمواقع القرى ببلاد السراة كانت متأثرة بالحياة المعيشية ، وبما يعود على أفراد القرية أو العشيرة الواحدة من دخل وتحسين لمستوى معيشتهم ، وممارسة لمهنهم التي يقتاتون منها [٧١] .

جـ- تظهر آثار بعض الأسوار التي كانت تحيط في الماضي ببعض القرى ، مثل بيشة، وتبالة ، ورنية ، وجرش ، وكذلك الجهوة بسراة الحجر [٧٢] ولا نستبعد أن كثيراً من المدن والقرى الكبيرة في بلاد السراة كانت محاطة بأسوار لحمايتها من أي هجوم خارجي [٧٣] . وتؤكد المصادر المبكرة على أن مدينة الطائف كانت محاطة بسور أثناء محاصرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

لأهلها في السنة الثامنة للهجرة ، وبالتالي فقد استعصى على المسلمين فتحها لحصـــانة أسوارها، فلم يدخلوها إلا بعد أن دخل أهلها الإسلام(٧٤) . وما نجده في المصادر عن قصة دخول الأزديين الإسلام ، فقد كانت مدينة جُرش يحيط بها سور حصين ، ولم تستسلم هذه المدينة لقائد الجيش الإسلامي ، صرد بن عبد الله الأزدي ، إلا بالحيلة والخديعة (٧٥).

كما نشاهد كثيراً من الحصون القديمة في أغلب قرى وحواضر بلاد السراة، ونلاحـــظ أن هذه الحصون تنقسم إلى نوعين : منها ما هو داخلي للدفاع عن القرية وســـكانها ، وهـــذه توجد في داخل القرى، ومنها الحصون الخارجية والأبراج البرانية وتوجد في الأودية وقريبة من الأراضي الزراعية ، وأخرى نشاهدها في رؤوس الهضاب والجبال (٧٦) . وقد أمدنا ابن المجاور ببعض المعلومات عن قصور وحصون السروات ، فذكـــر المـــواد المستخدمة في بنائها كالحجر والجص ، كما أشار إلى استخدام سكان القـــرى الأدوار السفلية في الحصون والقصور مخازن للحبوب يقتاتون منها في أوقات الحصار الطويل ،كما يتولون أو يتناوبون حراسة الحصن من كل جهاته فيقول:".. **وقد بني في كل قرية قصر من حجر وجص ، وكل من هؤلاء ساكن في القرية له مخزن في القصر، يخـزن في المخـزن جميـع مـا يكـون له مـن حوزه وملكه ، وما يؤخذ منه إلا قوت يوم بيوم ، ويكون أهل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترابيعه** "(٧٧) .

وهذا النوع من القصور أو الحصون التي أوردها ابن المجاور وتستخدم ، كما أوضحنا ، مستودعات لأهل القرية يخزنون فيها حبوبهم ، وما يتم إنتاجه من مزارعهم كـــان أمـــراً شائعاً عند معظم سكان السروات حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري (العشـــرين الميلادي) ، ولا زالت معظم الحصون التي كانت تستخدم من قبل سكان القرى ماثلة للعيان ، مع العلم أنه بدأ يظهر على كثير منها علامات الهدم والخراب ، حيـــث تشـــلمت واندرســـت أجزاء كثيرة منهـــا (٧٨) . كذلك لازلنا نشاهد قصوراً

وحصوناً أخرى في بلاد السراة ، ومنها ما هو داخل القرى ، وأخرى خارجها . فأما القصور التي داخل القرى ، غير التي ذكرها ابن المجاور،فربما استخدمت للسكن الخاص من قبل أهلها، وفي الغالب لا يمتلك مثل هذه القصور إلا شيوخ القبائل وأعيانها . وهذه القصور كانت أيضاً غاية في الحصانة والمنعة لتصمد أمام الهجمات الخارجية وفترات الحصار،حيث اعتادت القبائل الإغارة على بعضها بعضاً (٧٩) .

أما الحصون الواقعة على قمم الجبال أو في بطون الأودية ، فكانت تستخدم في المقام الأول للأغراض العسكرية من قبل رجال القرية أو العشيرة المالكة لمثل هذا النوع من الحصون ، حيث يستخدمونها في حروبهم ودفاعهم عن مضاربهم وأموالهم من أي عدو يداهمهم (٨٠) .

وجميع القرى والمدن الموجودة في بلاد السراة خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة مبنية من الحجارة ، أو من الطين ، أو بهما معاً . وهذه المواد الأساسية في البناء كانت محلية ، إلا أن بناء البيوت والقصور وملحقاتها تختلف من بناء إلى آخر من حيث ضخامتها ، وتعدد طوابقها ، وسعة بنيانها ، وذلك الاختلاف يعود إلى مكانة صاحب البيت الاجتماعية وقدرته المادية فالأغنياء، وشيوخ القبائل وأعيانها عادة يمتلكون بيوتاً واسعة وكبيرة .

ونرجح من خلال إشارات قليلة أمدتنا بها المصادر التاريخية وبعض المعالم الأثرية أن دور أهل الوجاهة تتميز بالحصانة وارتفاع أسوارها الخارجية ، وتستخدم الأحجار بشكل أساسي في بنائها ويظهر الإتقان والوثاقة بشكل واضح في البناء الخارجي ، علاوة على الاهتمام بالزخرفة الداخلية لدور هؤلاء الوجهاء وإبراز مدى ثرائهم من خلال هذا التأنق في الفرش والأثاث ، وغالباً ما كانت دور أهل الطبقة الراقية تنقسم من الداخل إلى قسمين أحدهما خاص بحريم الدار وهي الغرف الداخلية ،

بينما الأجزاء الخارجية منه تخصص لاستقبالات رجال الدار لضيوفهم وعقد مجالسهم ومسامراقم[٨١] .

أما الفقراء وعامة الناس فقد لا يمتلكون إلا غرفة أو غرفتين وربما ثلاثاً وهي تكفيهم سكناً مع مواشيهم وجميع أغراضهم . والمصادر المبكرة لا تفصل لنا الحديث عن طبيعة وأحجام البيوت في بلاد السراة ، لكن بعضها أشارت إلى تعدد طوابق البيوت في كل من صنعاء ومكة المكرمة والمدينة المنورة ، وإلى استخدام الآجر والجص، وكذلك اللبن والطين ، كما كانت أغلب البيوت تفرش بالبسط والفرش ، والتي كانت في الغالب من الصوف أو الشعر والأدم [٨٢] .

وأشار الأزرقي إلى أن أهل مكة كانوا يتخذون صفائح من الحجارة تكون أشبه بالرفوف وتستخدم في وضع متاعهم وحاجاقم عليها ، وقل أن يخلو بيت من تلك الرفوف [٨٣]. ونستطيع القول بأن بلاد السراة وخصوصاً المراكز الحضارية فيها، لا تختلف كثيراً في بنياها عما كان سائداً في حواضر الحجاز واليمن ، وذلك لأسباب عدة منها:

أ- وقوع بلاد السراة بين اليمن والحجاز ، وبالتالي فالسرويين كانوا على احتكاك دائم مع أهل وتجار اليمن والحجاز ، بل كان بعض السرويين ، كما أشار الأزرقي وغيره ، يمتلكون بيوتاً وعقارات في مكة المكرمة وما حولها[٨٤]، ولهذا فليس بغريب على أهل السراة أن يقلدوا الحجازيين في بناء منازلهم .

ب- وفرة مواد البناء الأساسية في بلاد السراة ، فالطبيعة الجغرافية لأراضي السراة حيث تتوفر بها الحجارة الصالحة للبناء ، وكذلك الأخشاب وما شابهها من المواد اللازمة للتشييد والبناء[٨٥] .

جـ- إن حسن جو بلاد السراة ، وخاصة في فصل الصيف ، جعل بعض أهل مكة المكرمة وجدة يمتلكون دوراً وعقارات في بعض النواحي السروية القريبة من الطائف ، بل كان بعض خلفاء وأمراء بني أمية وبني العباس – كما سبق القول – يمتلكون بيوتاً وبساتين في الطائف ، وتربة، وبيشة، وجرش،ونجران ، وصعدة ، وصنعاء (٨٦) ، بل كان بعض أمراء الأشراف ، في العصور الإسلامية الوسيطة ، وكذلك وجهاء وأغنياء مكة المكرمة يمتلكون هم أيضاً دوراً وعقاراً وبساتين في أرض السراة . وأصحاب تلك الملكيات جميعهم كانوا يبنون ويمتلكون بيوتاً جيدة تتشابه مع دورهم وبساتينهم المقامة في الحجاز ، والشام ، والعراق ، ومصر وغيرها (٨٧) .

د- الإشارات المتواترة في بعض كتب الرحلات المتأخرة زمنياً عن فترة البحث والتي تعالج في أغلبها القرون الهجرية الثلاثة الماضية وتتحدث عن مستوى الناحية العمرانية في أرض السراة ، نلاحظ من خلال ما أوردته أن تفصيلات العمران السروي لا تختلف كثيراً عن طبيعة العمران التي كانت سائدة في تلك المجتمعات خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وبخاصة فيما يتعلق بالمواد الأساسية المستخدمة في البناء، وحجم المباني ، فنجد على سبيل المثال الرحالة الفرنسي موريس تاميزيه الذي زار تلك المناطق في العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) يذكر بعض المواقع في بلاد السراة ، وعَدَّد قراها فذكر عن بيشة أن فيها نحو ستين قرية أكبرها نمران ، والرُوشن الكبير والروشن الصغير (٨٨) ، وهذه القرى مبنية بالطين ويستعمل أهلها في البناء جذوع النخيل ويختلف الناس إليها من بابين ، أو ثلاثة أبواب تغلق في أيام الحرب ، وجدران بيوتها متلاحمة،فهي مثل السور في وجه العدو،ومعظمها تتكون من طابق واحد فقط (٨٩) .

ويأتي إلى بلاد السراة،قبل الحرب العالمية الأولى،رحالة إنجليزي يدعى السير كيناهان كورنواليس (Sir Kinahan Cornwallis) فيشير إلى مواقع عديدة في الأراضي السروية مثل : بلدة النماص بسراة الحجر ، وقرية الشعبين في بلدة رجال ألمع ، وسراة عبيدة في بلاد قحطان ، وقرية الظفير في سراة غامد وزهران ، ثم يصف طبيعة البيوت في تلك المواطن ، والطريقة والمواد المستخدمة في عملية البناء(٩٠) . والجيد في ملاحظات هذا الرحالة أنه ذكر شيوع استخدام الحجارة في بناء عدد من المنازل ببعض تلك المواقع، مما يؤكد المكانة الاجتماعية المتميزة لغالبية أهلها وثرائهم ، فقال عن قرية الظفير "... **هي قرية كبيرة ، وفيها حوالي " ٤٠٠ " بيت من الحجر ... وهي بلدة السوق الرئيسي**" (٩١) . كما أشار أيضاً إلى مثل ذلك في النماص والشعبين وسراة عبيدة (٩٢) ، ويشير سليمان شفيق باشا الكمالي (٩٣) ، إلى طبيعة بعض القرى الواقعة في سراتي عسير وشهران (مخلاف جرش قديماً) مثل : قرى القرعا والمسقى وما حولها ، فيشير إلى استخدام الحجارة في بناء معظم منازل القرية ، التي تتصف باتصالها وتلاصقها بحيث تشكل سوراً أو خطاً دفاعياً ، ويكمل من حصانة هذه القرى أزقتها الضيقة الملتوية (٩٤) ، وهي بهذا الوصف لا تختلف كثيراً عن غيرها من المدن والحواضر الإسلامية التي قام على إنشائها المسلمون الفاتحون في شتى الأمصار الإسلامية حيث كانت تتسم بهذه الصفات المعمارية (٩٥). كما تابع وصفه لقرى عديدة بأرض السراة، فذكر أن أغلب منازلها تتكون في الغالب من طابقين أو ثلاثة وتتميز بالبساطة في شكلها الخارجي، بينما تأنق البناؤون في زخرفتها من الداخل ، وهذه الصفات من مميزات العمارة الإسلامية على امتداد العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والمتأخرة زمنياً (٩٦) ، فيقول : "... **وقرى هذه الجهات – ويقصد بلاد السراة – مبنية بالحجارة ، وفيها أزقة ضيقة ، ومنازل متصلة ، بحيث تشبه القرية قلعة قائمة بذاتها، ومنازل القرى ذات طابقين أو ثلاثة طوابق ، وهي مطلية من داخلها بالجير ، وذات منظر جميل** " (٩٧) .

ويأتي الشريف البركاتي ، وكان معاصراً لكل من الرحالة الإنجليزي كورنواليس (Cornwallis) ، وسليمان باشا الكمالي فيصف بعض القرى في الأجزاء السروية مثل أبها وبيشة وتنومة ، ويأتي وصفه متفقاً مع ما أورده كورنواليس والكمالي من حيث ضيق وتراكم منازل القرية بعضها على بعض ، ومن حيث عدد طوابق المترل الواحد ، والمواد المستخدمة في بنائه [(٩٨)] .ويضيف بعض التفاصيل الأخرى عن بلاد بارق الواقعة في الأجزاء التهامية فيشير إلى تأسيس منازلها بالحجر المنحوت وارتفاع طوابقها إلى ثلاثة أدوار فيقول : " **وقرى وادي بارق تبلغ خمسين قرية كلها مبنية بالحجر المنحوت الجميل والدور فيها من طابقين إلى ثلاثة** " [(٩٩)] .

ويظهر رحالة متأخر في نهاية القرن الهجري الماضي ، من أحد أبناء سراة عسير [(١٠٠)] ، فيصف بعض القرى والمنازل في بلاد السراة فلا يذهب بعيداً عما ذكره المؤلفون السابقون على امتداد العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة، ولكنه أفاض الحديث عن بعض القرى ، فأمدنا بتفصيلات كثيرة جديدة عنها مثل ما أورد عن بلدة النماص وما حولها من القرى الواقعة في سراة الحجر ببلاد بني شهر فقال : " **ويحيط بالنماص حوالي ثلاثين قرية .. ويلاحظ وجود قلاع وحصون منيعة في معظم القرى الواقعة في منطقة النماص ، وطريقة البناء في كل المنطقة بالحجارة ، فلا ترى بيتاً باللبن ، أو بالطوب ، بل جميع هذه بالحجارة ما عدا بعض البيوت الواقعة في بلاد بني الأحمر (بللحمر) فإن أسفلها (قواعدها) بالحجارة ، وأعلاها باللبن ، كما أن متانة البناء وقوته في بيوت النماص وما جاورها من القرى مدهشة وعجيبة في نفس الوقت ، إذ أنهم يستعملون في بنيانها صخوراً كبيرة قل إن يحمل الصخرة الواحدة خمسة من الرجال ...** " [(١٠١)] .

وكل ما أشار إليه الرحالة المتأخرون السابقو الذكر ربما يقرب لنا الصورة نوعاً ما عن طبيعة القرى والمدن الموجودة في بلاد السراة ، منذ فجر الإسلام حتى العصور الوسطى ، مع العلم أنه من الصعب علينا في الوقت الحاضر أن نرسم صورة

واضـــحة عــــن تــــلك المـــدن والقرى من حيث هندستها وتخطيطها ، وطراز أبنيتها وارتفاعاتهـــا ، أو عن مساحتها ومرافقها ، وذلك لندرة ما تضمنته المصادر المعاصرة زمـــنياً أو المـــتأخرة من معلومات عن العمران السروي ، بالإضافة لانعدام التنقيبات الأثــرية العـــلمية في هذه المنطقة ، ونحن واثقون لو هُيأ الأمر لإيفاد بعثات أثرية لهذه الـــبلاد السروية ، وتكون على شاكلة البعثات العلمية الأكاديمية التي تقصد الفاو أو الـــربذة في الجزيرة العربية ، أو التي تقصد العراق ، وإيران ، وبلاد الشام ، ومصر ، وغيرها من البلاد العربية لتوافرت لدينا مادة علمية غزيرة تكشف كثيراً من الغموض الذي يلف تاريخ حواضر ومواطن السرويين في العهد الإسلامي بصفة عامة ، والقرون الأولى مـــنه عـــلى وجـــه الخصوص،ويكمل ما توصلنا إليه من خلال صفحات هذا البـــحث (١٠٢).

ومـــن الأنماط المعمارية أيضاً التي عرفتها بلاد السراة العمران الديني والمتمثل بصفة أساسية في بناء المساجد، فلا تخلو قرية من قرى السراة من وجود مسجد يصلِّي فيه أهل القرية ، ويتدارسون فيه أمور دينهم ، وتقام فيه حلق تدريس القرآن،وأحياناً يجـــتمع فيـــه رجـــال القـــرية أو العشيرة للتشاور فيما يتعلق ببعض شؤونهم الحياتية والدنيويـــــــــــــة (١٠٣). ولسنا في هذه الدراسة بصدد الحديث عن المسجد ودوره في الحيـــاة الديـــنية، والعلمية ، والدنيوية لأن هناك عشرات الكتب والدراسات التي تعرضت لهذا الجانب، ثم إننا أشرنا أيضاً إلى شذرات عن أهمية المسجد عند أهل تهامة والسراة في بحثنا الموسوم بـــ " **ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة** " .

ولكـــن ما يهمنا هو نمط مساجد السراة من الناحية المعمارية ، ومن يعود إلى كـــتب التراث الإسلامي المبكرة تجدها تخلو من الإشارة إلى هذه الناحية ، ولكن ظهر

بعض الباحثين المتأخرين خلال القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر الهجريين (العشرين الميلادي) فذكروا أسماء عدد من المساجد في بلاد السراة وذكروا تواريخ بعضها التي تعود إلى القرون الهجرية الأولى[١٠٤] ، بل بعضهم أشار إلى تواريخ تشييد مساجد أخرى خلال القرون الإسلامية الوسيطة وأوائل العصر الحديث[١٠٥] . ولكوني من أبناء بلاد السراة فقد ذهبت إلى بعض المساجد التي ذكرها هؤلاء الباحثون فلم أجد أثراً للتواريخ التي ذكروها في مدوناتهم ، بل سألت بعض سكان القرى القريبة المجاورة لبعض تلك المساجد فتجدهم لا يعرفون تاريخاً دقيقاً لتلك المساجد ، وإنما بعضهم يقول لقد سمعنا من الأوائل إلى أن هذا المسجد قد تم تشييده عام كذا وكذا ، ولهذا فإنني أخشى أن هؤلاء الباحثين ، وبخاصة من ذكر تواريخ بناء مساجد في القرون الهجرية الثلاثة الأولى قد دونوا معلوماتهم بناء على ما سمعوا من رواة لا يعرفون الحقيقة بسبب عامل البعد الزمني بين القرون الهجرية الأولى وبين القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين[١٠٦] . كما أنني قد شاهدت أثناء تجوالي في المنطقة عدة أمور تتعلق بالمساجد من الناحية المعمارية تكاد تجزم بعودة بعضها إلى العصور الإسلامية الوسيطة وذلك من خلال دراسة الكتلة المعمارية للمسجد وموقعه من المدينة والقرية وتوافق ذلك مع عدد من المساجد التي أقيمت في حواضر إسلامية عديدة في العصور الوسطى فعلى سبيل المثال :

أ- لا تكاد قرية من القرى القديمة في بلاد السراة تخلو من مسجد يتوسط القرية، فتحيط به المنازل من كل ناحية ، وتؤدي إليه الطرق من كل مكان، وغالباً يكون أمام المسجد فناء أو ميدان فسيح حسب مساحة القرية يخرج إليه المصلون بعد صلاتهم ، وقد يستخدم هذا الفناء لاجتماعات رجال القرية والتشاور فيما بينهم بخصوص حل مشكلاتهم وإصلاح أمورهم . وهذه الهيئة التي رأينا عليها المساجد في السراة هي الطريقة نفسها التي ذكرتها المصادر

الإســـلامية المبكرة في الأمصار والمدن والقرى الإسلامية الأخرى داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها [١٠٧] .

ب- جميـــع المساجد القديمة التي شاهدناها تتكون من دور واحد فقط ، ولا يوجد بها مئذنة ، وغالباً يوجد بجانب بعضها ، وضمن بناية المسجد ، غرفة صغيرة قد تستخدم لأغراض عديدة في خدمة المسجد مثل : استخدامها سكناً للغرباء المســـافرين الذين قد يتوقفون في القرية للحصول على بعض الزاد والراحة ، وأحيانـــاً كـــان يوضع بها بعض الأغراض الخاصة بالمسجد . كما أن بعض المساجد التي شاهدناها في بلاد قحطان، وعسير ، وشهران ، ورجال الحجر ، وغـــامد وزهـــران توجد بها آثار مكان يجمع فيه الماء ليستخدمه بعض رجال القرية أو المسافرين للوضوء أثناء الصلاة ، وهذه الأماكن يطلق عليها أحياناً " بركة وجمعها بـــــــرك " [١٠٨] .

جـ- يظهـــر أن مـــواد بـــناء المسجد كان من نفس مواد بناء الحصون والقصور والمـــنازل الأخـــرى ، لكـــن شاهدنا في بعض بلاد قحطان وشهران وعسير اســـتخدام الطـــين في البـــناء ، وأحياناً تستخدم الحجارة والطين ، فالأجزاء السفلية من البناء تشيد من الحجارة ، وتستكمل الأجزاء العلوية من الطين. أمـــا ســـروات الحجر ، وبلقرن ، وشمران ، وغامد وزهران فمعظم المساجد وغيرها من الأبنية من الحجارة ، وذلك يعود إلى توفر الحجارة بجميع أنواعها في بلادهـــم وهـــذا النمط من البناء قديم واستمر ومعمولٌ به حتى عهـــــد قريب [١٠٩] .

د- معظـــم المساجد القديمة التي شاهدناها صغيرة الحجم ، فلم أر مسجداً تصل مســـاحته إلى أربعمائـــة مـــتر مع العلم أنني قد رصدت مشاهدتي لأكثر من

أربعمائة مسجد في المنطقة الممتدة من بلاد قحطان جنوباً حتى بلاد زهران شمالاً ، وجميع المساجد التي شاهدناها تتراوح مساحتها من (٣٠م²) تقريباً إلى (٢٠٠م²) وربما (٢٥٠م²) على أكثر تقدير (١١٠) .

أما عن عمران البادية فالمعروف أن أهل السراة من سكان البادية كانوا يعيشون حياة بسيطة ، ولا يمتلكون بيوتاً مشيدة من الحجارة والطين ، كما هو الحال عند أهل الحواضر ، كما أسلفنا القول في الصفحات السابقة ، وإنما بيوتهم كانت عبارة عن خيام من الشعر يقومون بنسجها من أصواف مواشيهم ، وينقلونها معهم عند تجوالهم أو ترحالهم من مكان لآخر بحثاً عن العشب والماء الذي تعيش عليه أغنامهم وبهائمهم (١١١) .

ومن الأبنية الأخرى في بلاد السراة ،تلك المدرجات الزراعية، التي نشاهدها في طول وعرض البلاد ، فلا نكاد نرى مواطن زراعية إلا ويحيط بها من معظم الجهات أسوار مبنية بطريقة جميلة وجيدة . وقد يرجع تاريخ بعض تلك الأسوار إلى مئات السنين،وتتفاوت في الارتفاع ما بين النصف متر والمترين ، وربما بلغ ارتفاع بعضها ثمانية أو عشرة أمتار (١١٢) .والفوائد التي يمكن استخلاصها من تعمير مثل هذه المدرجات ،هي: أن المنطقة تحكي عن وجود حضارة قديمة ، صنعتها سواعد أقوام أقوياء استطاعوا التكيف والتغلب على ما كان يقابلهم من مشكلات طبيعية أو بشرية أو غيرها . كما أن بناء مثل هذه المدرجات يساعد على حفظ تربة المزارع من الضياع والاندثار ، إلى جانب الحفاظ على كل قطعة زراعية بمعالم وحدود معينة تفصلها عن المزارع الأخرى المجاورة لها (١١٣) .

وهناك أسوار أخرى نشاهد بقاياها على بعض الأحمية (١١٤) في رؤوس الجبال وقيعان الأودية وأصحاب الحمى الواحد كانوا يحيطون حماهم بأسوار يبلغ ارتفاعها ما

بـــين المـــتر والمترين . وهناك أسوار أخرى كانت تبنى لبعض الأسر ، أو القرى ، أو العشائر ، لتكون معالم حدود بين منطقتين والمميز في طبيعة هذه الأسوار، أنها بسيطة في بـــنائها وتشـــكيلها، وغالباً تبني بالحجارة فقط دون أن يخلط معها التراب أو الطين ، خلاف ما يحدث في بناء المنازل ، والحصون ، والمدرجات الزراعية (١١٥) .

ومـــن المعالم العمرانية الأخرى ، **حفر الآبار** التي يصل عمق بعضها إلى خمسين مـــتراً وأكـــثر ، علماً أنه لم يكن لدى الأوائل أجهزة وآلات تساعدهم في الحفر كما نشـــاهد في وقتـــنا الحاضر ، وإنما أدوات حفرهم كانت بسيطة وبدائية في قدرتها وفي طريقة تصنيعها . وعند الانتهاء من حفر أي بئر ، يطوى جزؤها العلوي ببناء يكسبها شـــكلاً جماليـــاً جيداً ، ويحفظها من الأوساخ والأتربة والحجارة التي قد تتساقط من أطرافها العلوية(١١٦) .

ومن خلال جولاتي الميدانية في أجزاء عديدة من بلاد السراة، خلال العشرين عامـــاً الماضية ، شاهدت بعض القبور المبنية فوق سطح الأرض ، والتي يصل ارتفاع بعضـــها إلى ثلاثة وأربعة أمتار تقريباً ، وأكثر ما رأيت هذا النوع من القبور في بعض الأجـــزاء الشرقية من سراتي قحطان وشهران (١١٧) . وفي وادي عياء (١١٨)، ووادي ترج ، ومنطقة الحدب من سروات بلاد الحجر (١١٩) .

والملاحظ على بعض تلك القبور جمال بنائها ، وأحياناً نقشها بالجص أو حجر المـــرو ، وإلى جـــانب هذه القبور السطحية هناك قبور أخرى مدفونة تحت الأرض ، وكثير منها على غير اتجاه القبلة . وقد لاحظنا على القبور الواقعة في وادي عياء ببلاد بللحمر ، ووادي ترج ببلاد بني شهر كثرة عددية لتلك القبور، والشيء الغريب أني لم أجد في المصادر التاريخية المبكرة أي إشارة لمثل هذا النوع من القبور في بلاد السراة ، وحاولت أن أعرف تاريخاً لها من بعض المسنين في تلك المناطق ، فلم أجد إجابة شافية

أستطيع الاعتماد عليها ، علماً بأن بعضهم ، يعتقدون وبدون دليل ، أنه حدثت هناك حــروب دامية اقتتل فيها أعداد كثيرة من الناس ، ثم تم دفن من مات منهم في تلك الأماكن ، ولكن لو سلمنا جدلاً بهذا القول ، فما هي الأسباب التي جعلتهم يتقاتلون ، وفي أي زمــن كان قتالهم ، ومن هم أولئك المتقاتلون؟ ولو وجدنا إجابة لهذه الأسئلة لربما صَدّقنا هذه الرواية، وإذا اعتقدنا بصحة هذا القول مثلاً ، حتى ولو لم نجد إجابة للأســئلة الســابقة ، فمتى حصل الوقت الكافي لمن بقي حياً فيشيد مثل تلك القبور السطحية، يعمل بعضها بالجص ، أو ينقشها بالمرو الأبيض حتى تصبح في هذا الشكل المعماري الجميل (١٢٠) .

والشيء الذي لا أستطيع الجزم به ، هو هل من الممكن أن مثل هذا النوع من القــبور بني قبل ظهور الإسلام ؟ بدليل أن بعضها لم يكن على اتجاه القبلة ، وهذا أمر محــتمل فيه الخطأ والصواب علماً بأن أقسام الآثار والمتخصصين في هذا المجال بها في المملــكة العــربية السعودية هم المنوط بهم العمل على تحديد تاريخ مثل هذه المقابر، وإجراء الدراسات الأثرية الدقيقة لها وبخاصة أنه لازال في بعض القبور السطحية الكثير مــن رفات الموتى والتي عن طريق فحصها فحصاً علمياً معملياً يمكن تحديد تاريخها ، وإن قلــنا أن تاريخهــا ربمــا كان في العهود الإسلامية المبكرة فهذا قول يحتمل الخطأ والصــواب أيضاً ، لأن بناءها أو حفرها على غير جهة القبلة ليس دليلاً قاطعاً، فلربما من بناها ودفن الموتى بها كان جاهلاً بدفن المسلم ، فلم يكن يفكر في وضعه على اتجاه القبــلة ، ولم يفكر أيضاً في عدم شرعية بناء القبور فوق سطح الأرض ، أو في حرمة نقشــها وتزييــنها ، ومن المحتمل أن بناء وتشييد مثل هذه القبور حدث في القرون الإســلامية الوسيطة ، وبخاصة إذا علمنا ما ساد أجزاء عديدة في العالم الإسلامي من الفوضى والتخلف والجهل بأمور الدين الإسلامي (١٢١).

سادساً : الأطعمة والأشربة :

تختلف وتتنوع الأطعمة والأشربة التي اعتاد أهل السراة على تناولها قديماً ، باختلاف مناطقها ، ومستوى دخل كل أسرة عن غيرها ، ووفقاً لما يتوافر من منتجات زراعية وغيرها بكل منطقة ، كذلك كان لأهل الثراء منهم تأنق في ألوان الأطعمة التي يتناولونها وتختلف عما يتناوله الفقراء الذين يأكلون ما تيسر لهم حسب أرزاقهم ، كما أن الطبيعة ومصادرها ليست عند كل الناس سواء ، فالعاملون في مهنة الرعي مثلاً أغلب أطعمتهم وأشربتهم من منتجات ما يمتلكون من حيوانات ولهذا شاعت في طعامهم الألبان وبخاصة الرائب منها، والذي يتميز بلذة الطعم ولطف الرائحة (١٢٢) . والزبد فهو بمنزلة الجبن الرطب في غيرها من الأقطار ، بينما أصحاب المزارع والبساتين يكون جل قوتهم مما تنتجه حقولهم وبساتينهم ، والحرفيون والتجار في الحواضر والقرى الكبيرة يعتمدون في مأكلهم ومشربهم على ما يقومون بشرائه من المواد الغذائية المتوافرة في الأسواق المحيطة بهم (١٢٣) .

كذلك تتنوع الأطعمة تبعاً للمناطق التي تتوفر فيها ومن يسكنها من أهل البداوة أو أهل الحضر ، فالمناطق البدوية كما هو معروف يغلب على طعامها اللحم والثريد والعصيد ، بينما يغلب على سكان الريف حيث المزارع والبساتين تناول الخبز من البُر أو الدُخن والذرة مصحوباً بأدام السمن أو اللبن (١٢٤) .

وتشير بعض المصادر التاريخية المبكرة إلى بعض الأطعمة الرئيسة في بلاد السراة ، فالأزرقي ، والهمداني ، وابن المجاور ذكروا توفر حبوب الحنطة ، والدخن، والشعير ، والذرة ، وأنواع أخرى من الحبوب في أغلب نواحي السراة (١٢٥) . ومن هذه الحبوب كان يعمل أهل السراة عدداً من الأطعمة التي تختلف في الإعداد والصُنع، فمنها ما كان على هيئة خبز ، أو هريس ، أو عصيد (١٢٦) .

وأحياناً يضاف إلى تلك الأطعمة البسيطة،بعض الأشربة المحلية التي يتم الحصول عليها من الحيوانات الأليفة، كالأبقار والماعز ، والضأن ، مثل الزبد ، واللبن والسمن ، أو من عصير بعض الأشجار ، كالزيتون ، والسمسم وغيره ، وإذا كانت الأطعمة الرئيسة عند أهل السراة لا تخرج عن الحيوانات المحلية ومشتقاتها الرئيسة ، أو من المحاصيل الزراعية ، كالحبوب بجميع أنواعها ، فإن هناك أيضاً أطعمة عديدة كانت متوفرة لدى السرويين مثل الفواكه والخضروات ، والهمداني ، وابن المجاور أفضل من أشارا إلى أنواع كثيرة من الفواكه والخضروات التي كانت منتشرة في أنحاء بلاد السراة (١٢٧) ، كذلك ابن جبير ، وابن بطوطة ، والقلقشندي أشاروا إلى كثرة الخيرات ببلاد السراة ، حتى إن السرويين أنفسهم كانوا يصدرون منتوجات مزارعهم وحيواناتهم الكثيرة إلى أسواق الطائف ومكة (١٢٨)، فيرغد أهل الحجاز بما جاءهم من خيرات السراة(١٢٩) . وقد استمرت بلاد السراة ترفد بلاد الحجاز بخيراتها إلى وقت قريب ، ويشيرالأستاذ /حمد الجاسر إلى ذلك بقوله "... **لقد كانت أسواق مكة وأسواق الطائف إلى ما قبل عشرين سنة تمتلئ بحاصلات بلاد السراة من البر واللوز والعسل، أما الفواكه فقد كانت وسائل النقل في ذلك العهد لا تتمكن من نقل الفواكه وهي صالحة إلى البلاد الأخرى ، فكانت هناك تبلغ درجة من الوفرة بحيث كان كثير منها لا يباع بيعاً ، بل يتناول منه كل من أراد التناول بدون ثمن** " (١٣٠) .

ويذكر أبو حنيفة الدينوري ، من أهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أن "التين أجناسه كثيرة برية وريفية وسهلية وجبلية، وهو كثير بأرض العرب: وأخبرني رجل من أعراب السراة ، وهم أهل تين قال : التين بالسراة كثير مباح ، ونأكله رطباً، ونزببه وندخره (١٣١) ، وقال أبو حنيفة – أيضاً – :استعمل أعرابي من السراة الزبيب للتين فقال :الفيلحاني تين شديد السواد ، جيد للزبيب (١٣٢) .

أما العنب فإنه يجود في السراة ، ويعظم شجره ، بحيث تتخذ الصحاف منه على ما نقل أبو حنيفة في كتابه (١٣٣) .

وقـــال أبو حنيفة أيضاً : وأخبرني بعض الأعراب أنه ينحت بالسراة صحاف مـــن سيقان الكرم ، ومن عُجَرٍ تظهر فيها فتجئ خلنجاً موشاة حساناً جياداً ، والكرم تغلظ ساقه عندهم غلظاً شديداً (١٣٤) .

وأمـــا العسل في السراة فيعتبر من أجود الأنواع . قال الدينوري " (حِداب بـــني شبابة: جبال من السراة يترلها بنو شبابة من فهم بن مالك من الأزد وليسوا من فهـــم عدوان ، وهذه الحداب وراء شيحاط ، وشيحاط من الطائف وواحد الحداب حدبـــة ، وحداب بني شبابة أكثر السراة عسلاً وأجوده والغالب على عسلهم عسل الضـــرم، وكذلـــك أخـــبرني بعض الأزد ، أن العسل قرى أضيافهم لكثرته عندهم ، والســـراة أكـــثر أرض العـــرب عســـلاً وعنباً وتيناً ورباً وأنشدني في عسل الضُّرم والنـــدغ (١٣٥) :

كَأَنَّ فَاهَا بَعْدَ نَومِ الَـــــهادي ... مَا تَجْمعُ النَّحْلُ مِن الشِّهـــــادِ

مِنْ ثَمَرِ الضَهْيَاءِ وَاَلَقْتَـــــادِ ... والضَّرِمِ النَّضْر وَنَدْغٍ ثَاد (١٣٦) .

وقال ويسمى العسل الذَّوْب ، قال الجعدي في وصف إمرأة :

وَكَأَّن فَاهَا بَاتَ مُغْتَبقَـــــــــاً ... بَعْدَ الْكَرَى مِنْ طَيِّبِ الخَمْـــــــــرِ

شِرْكَاً بِمَاءِ الذَّوْبِ تَجْمَعــــــهُ ... فِي طَوْدِ أَيْمَنَ ، مْن قُرىَ قَسْـــرِ (١٣٧) .

الطـــود الجـــبل : يعني جبل السراة ، ويريد بأيمن : اليمن ، وقرى قسر من الســـراة وكـــان المثل يضرب بحلاوة عسل بني شبابه ففي سجعات " أساس البلاغة " للزمخشـــري : (كـــان عصر شبابي ، أحلى من العسل الشبابي) (١٣٨) .وقال الهمداني وبســـراة الحجـــر : الـــبر والشعير والبلس والعتر واللوبياء، واللوز والتفاح والخوخ والكمثرى والأجاص ، والعسل في غربيها (١٣٩) .

ويجب ألا يغيب عن الذهن أن سيول السراة تنحدر عنها منجدة ومتهمة ولا يبقى منها سوى ما تختزنه أغوار الأودية في ظاهرها أو في جوفها ، فيتكون من الأول مياه تجري غيلاً طوال العام وقد تبقى أعواماً ، وهي أكثر ما يستفيد منه السكان ، أما المياه الجوفية فهي قليلة إذ طبيعة أرض السراة صخرية فلا تختزن مياهاً كثيرة إلا في سفوحها، ولهذا فإن الزراعة فيها تكون عثرية – أي بدون سقي – (١٤٠) .

ويقول عرام السلمي : " **وكل هذه الجبال تنبت القرظ ، وهي جبال متقاودة بينها فتوق، وفي جبال السراة الأعناب وقصب السُّكَّر والقرظ والإسحل وفي كل هذه الجبال نبات وشجر من الغرب والبشام** " (١٤١) .

ومن حاصلات السراة البر والذرة والعدس ويسمونه البلسن وهي تسمية فصيحة ، والشعير ، والبن واللوز البجلي ، وتجود فيها الفواكه ، كالعنب والرمان والخوخ والمشمش والتين والموز ، وتزرع فيها الخضروات كالعنب وتختلف تلك الحاصلات والمزروعات باختلاف جهات السراة ، فتجود في ناحية دون أخرى ، حسب التربة وتوفر الماء وصلاح المناخ(١٤٢).

وفي السراة أنواع من الشجر والنباتات الأخرى ، تجود في المنخفضات وجوانب الأودية ، وقد تغطي بعض الجبال (١٤٣) .

ولقد كان سكان السراة يعتمدون على أشجار بلادهم ونباتاها في أكثر ما يحتاجون إليه في شؤون حياهم ، فمن بعض ثمار الأشجار يأكلون ، ومن تلك الأشجار يتخذون أسلحتهم كالقسي والنبال وأواني أكلهم وشربهم ورحالهم وسقوف بيوهم ومن ورقها وقشور جذوعها ما يصلحون به قربهم وأنحاءهم ، ومن نباتاها ما يتخذون منه أدوية لمرضاهم،أو سماً لقتل أعدائهم من الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة(١٤٤).

سابعاً : الخاتمـــة

وخلاصـــة القـــول أن بلاد السراة يوجد بها كثافة سكانية عالية من العهود الجاهـــلية حـــتى العصور الحديثة ، كما أن مقومات الحياة البشرية متوفرة بها ، حيث تـــنوع تضاريسها، وخصوبة أرضها ، وتوفر المياه بها ، كما أن موقعها الجغرافي زادها أهميـــة لأنها حلقة الوصل بين بلاد اليمن والحجاز ناهيك على إنها تصل ما بين الشرق عبر بلاد اليمامة والبحرين ، كما تصل إلى البحر الأحمر عبر أرض تهامة الواقعة غرب جبال السروات . كل هذه المميزات جعلت بلاد السراة تحتوي على أنماط اجتماعية عديـــدة عالجنا بعضها في هذه الدراسة ، ولكن لازالت هذه البلاد بحاجة إلى دراسات عـــلمية عميقـــة متخذة من الدراسات الأثرية مصادرها الرئيسة لمعرفة أوضاع الناس الذين كانوا يعيشون بها ومظاهر حياتهم عبر عصور التاريخ .

وإنـــني أهيب بأقسام الآثار في المملكة العربية السعودية وكذلك المؤسسات العلمية المختلفة أن تولي التنقيب والدراسات الأثرية في المملكة العربية السعودية قدراً مـــن الأهميـــة حـــتى تميـــط اللثام لنا عما غمض من تاريخنا وحضارتنا التي لم نستطع الاســـتدلال على كل تفصيلاتها من خلال المصادر والمراجع التقليدية المعروفة . وإنني في هـــذه الورقـــة لا أدعي الكمال ولكن أسعى إلى المساهمة ولو بنصيب يسير لإلقاء الضوء على تاريخ وتراث حضارة بلاد السراة التي عشت وتربيت في أحضانها ومحاولة حفـــظ هذا التراث من الاندراس ، والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصيـــر .

ثامناً : الحواشي والتعليقات

١- انظر جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٠م)جـ٤، ص١٢٨ وما بعدها ؛ أحمد السباعي ، تاريخ مكة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران (مطبوعات نادي مكة الثقافي: دار مكة للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م) ص١٧ وما بعدها ، انظر أيضاً ، مجموعة أبحاث علمية منشورة في كتاب : دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، جـ١ ، منشورات جامعة الرياض سابقاً (الملك سعود حالياً) (الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص١٣ وما بعدها .

٢- بعد خروج الخلافة الإسلامية من أرض الحجاز إلى الشام ثم العراق ، بدأ أرباب القلم وأهل الفكر والثقافة يتجهون نحو مراكز السلطة الإدارية ، سواء كانت في الشام أو العراق أو مصر وغيرها ، وبالتالي لحق بشبه الجزيرة الإهمال والنسيان من قبل مدوني التراث ، فلم تحظ بالرعاية والاهتمام مثلما حظيت به غيرها من الأمصار الإسلامية . وللمزيد من التفصيلات انظر : صالح بن سليمان الناصر الوشمي ، ولاية اليمامة دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث الهجري (الرياض : مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز ، ١٤١٢هـ) ص١٠١ وما بعدها؛عصام الدين عبد الرؤوف الفقي. اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول (القاهرة : دار الفكر العربي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ص٥٠ وما بعدها ، وللمزيد أيضاً انظر مجموعة أبحاث علمية نشرت في كتاب : دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثالث ، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين ، الجزء الأول (الرياض : مطابع جامعة الملك سعود ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) ص١٣٥ وما بعدها .

٣- لمزيد من التفصيلات انظر غيثان بن علي بن جريس . "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " مجلة الداره ، ربيع الآخر والجماديان ، العدد الثالث ، السنة (١٩) (١٤١٤هـ)ص٧٦ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه " بلاد تهامة والسراة كما

وصـــفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل " • مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثاني ، المجلد الأول ، مـــــارس (١٩٩٤م) ص٧٣ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه "تاريخ مخلاف جرش خـــلال القرون الإسلامية الأولـــى" • مجلة العصـــور • المجلد (٩) جـــ١ (١٤١٤هـــ / ١٩٩٤م) ص٦٣ وما بعدها •

٤- إن الآثاريين عليهم مسئولية كبيرة في دراسة هذه المنطقة المعنية بالدراسة، وكذلك غيرها من المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية حيث يوجد بها كثير من الكنوز التاريخية ولا يمكن العثور عليها إلا عن طريق التنقيب والدراسات الآثارية العلمية الجادة •

٥- وهـــناك بعض الدراسات الآثارية التي خرجت عن مناطق عديدة في بلاد تهامة ، أما بلاد الســـروات فـــلا زالت بحاجة إلى دراسة علمية آثارية ، وفي أثناء جولاتي المتعددة بأرض الســـراة شـــاهدت النقوش والرسوم والآثار المتنوعة منتشرة ببلاد السروات الممتدة من صـــنعاء وصـــعده ونجـــران جنوباً إلى الطائف ومكة المكرمة شمالاً • وللمزيد عن بعض المـــراجع والمصادر التي خرجت عن نقوش وآثار تهامة انظر : أحمد عمر الزيلعي "مدينة جازان الآثارية في ضوء نقش مؤرخ سنة "٨٦٨هـــ / ١٤٦٤هـــ" مجلة الدارة ع٢ ، س (٢٠) (المحرم، صفر ، ربيع الأول ، ١٤١٥هـــ) ص٩٦ وما بعدها ، وللمؤلف نفســـه " المواقـــع الإسلامية المندثرة في وادي حلى (ق ٣-٩هـــ / ٩-١٥م)" حوليات كلية الآداب بجامعـــة الكويـــت، الحولية السابعة،الرسالة (٣٩) (١٤٠٦هـــ/ ١٩٨٦م) ، وللمؤلف نفســـه ، الخُلُف والخَليف آثارهما ونقوشهما الإسلامية (الرياض: مطابع الخالد للأوفست، ١٤١٧هـــ) ص١١ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه "فخار القنفذه أهلني للدكتوراه " جريدة عكاظ ،ع [٣٧]، ١١، س (٣٩) المحرم (١٤١٨هـــ)ص٢٦ •

٦- يوجـــد بالمكتبة العربية عدد من الدراسات التي تناولت بعض القرون الماضية المتأخرة ، وشمـــلت الحديث عن مناطق جازان وعسير ونجران وما جاورها ، وأكثر من كتب عن هـــذه المـــناطق محمد أحمد العقيلي ، ومحمد بن عبد الله آل زلفة ، وعبد الله بن محمد أبو داهش ، وعلي أحمد عسيري ، وإسماعيل بن محمد البشري ، وعمر بن غرامة العمروي ، بالإضافة إلى صاحب هذه الدراسة •

٧- وفي اعتقادي لو تقدم بعض الآثاريين في المملكة العربية السعودية بمشروع مفصل إلى ولاة الأمر والمسئولين في الدولة لدراسة الآثار في المملكة العربية السعودية بما فيها بلاد تهامة والسراة فإنهم (بإذن الله) سوف يجدون الدعم والتشجيع لتحقيق أهدافهم العلمية المنشودة . ونحن نشاهد اليوم وكالة الآثار بوزارة المعارف وكذلك الهيئة العليا للسياحة تبذلان قصارى جهودهما لدراسة الآثار والتنقيب عنها ، ولكن الطريق لا زالت أمامهما طويلة ، ولا زالوا يحتاجون إلى الدعم المعنوي والمادي وسوف يجدونه (بإذن الله) من الحكومة وفقها الله تعالى، وكذلك من رجال الأعمال والمقتدرين مالياً في البلاد وهم ولله الحمد كثر .

٨- ولمزيد من التفصيلات عن عام الوفود وأسماء القبائل والعشائر التي قدمت على الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة المنورة لتقديم إسلامها بين يديه انظر ، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت :دار صادر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) جـ١ ، ص٣٢١ وما بعدها ، محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ، ص٧٥ وما بعدها ، غيثان بن علي بن جريس "بلاد تهامة والسراة منذ فجر الدعوة الإسلامية حتى عهد حروب الردة " مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد (٣٨) العام (١٩٩١-١٩٩٥م) ص٤١ وما بعدها .

٩- المصادر نفسها .

١٠- المصدر نفسه ، ومن يتجول في بلاد تهامة والسراة يشاهد عدداً من الأسر والأفخاذ القبلية المنتشرة في هذه البلاد وهي من أصول مضرية عدنانية ، وللمزيد من التفصيلات انظر عز الدين بن عبد العزيز بن فهد الهاشمي . غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام . تحقيق فهيم شلتوت (مكة المكرمة : مطابع شركة مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) جـ٢ ، ص٢٧٥، ٤٨٣، جـ٣ ، ١٢٠ ، عبد الملك بن حسين العصامي المكي . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (القاهرة : المطابع السلفية ،د. ت) جـ٤ ، ص٣٦٧- ٣٦٩ ، ٣٨٤ ، ٤٠٢ ، ٤١٣، ٤٩٢ ، ٥٠٩ ، ٥٢٦ ، يحيى الحسين ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني . تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ/١٩٨٦م) جـ٢ ، ص٨٢٩ ، عمر

غـــرامة العمروي • قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام (مطبوعات نادي أبها الأدبي ، ١٤١١هـــ / ١٩٩١م) جزءان •

١١- انظر أبو معين الدين ناصر خسرو • سفرنامة (رحلة ناصر خسرو) ترجمة من الفارسية إلى العربية وحققه أحمد خالد البدلي (الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعـــود (١٩٨٣م) ص١٤٢،جمال الدين يوسف بن المجاور •صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المســـمى تاريخ المستبصر ، تحقيق لوفغرين (ليدن: مطبعة بريل،١٩٥١- ١٩٥٤م)جـــ١ ص٣٧-٣٨ •

١٢- ناصر خسرو ، ص١٤٢ •

١٣- ناصر خسرو ، ص١٤٢ ، ابن المجاور ، جـــ١ ٣٧-٣٨ •

١٤- ابن المجاور ، جـــ١ ص٣٧ وما بعدها •

١٥- المصدر نفسه ، جـــ١ ، ص٢٦ •

١٦- ومـــن يـــتجول الآن بين قبائل السراة يجد لها فروعاً في السهول التهامية ، وفي البوادي الشرقية، وجميع تلك الأصول والفروع تعود إلى مشيخة ورابطة واحدة • وللمزيد من التوضـــيحات انظر الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني • صفة جزيرة العرب • تحقيق محمـــد بـــن عـــلي الأكوع (الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـــــ/ ١٩٧٧م) ص٦٥ ومـــا بعدها • ابن جريس "بلاد السراة من خلال صفة جزيرة العرب ..." ص٧٧ وما بعدها، جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، جـــ٤ ، ص ٤١٤ وما بعدها •

١٧- الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢٥٥ •

١٨- المصدر نفسه ، وانظر عبد الله بن عبد العزيز البكري • معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع • تحقيق مصطفى السقا (بيروت :عالم الكتب، ١٤٠٣هـــ / ١٩٨٣م) مج١، جـــــ ١-٢ ، ص٣٧٦ ، حمد الجاسر "جرش قاعدة الأزد " مجلة العرب جـــ٧ ، س (٥) (محرم / ١٣٩١هـــ) ص٥٩٣ وما بعدها •

١٩- مديـــنة الجهـــوة الـــتي ذكرها الهمداني أحد المواطن الواقعة في بلاد بني شهر ، بمحافظة الـــنماص ، وهـــي تقـــع ضمن قرى عشائر بني بكر التي تجاور بلدة النماص من الجهة

الجنوبية الشرقية ، وللمزيد انظر غيثان بن جريس "بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط" مجلة العرب ، جـ٩-١٠ س (٢٧) الربيعان (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ص٦٠٧ وما بعدها.

٢٠- الهمداني صفة جزيرة العرب ، ٢٦١ ، ابن جريس " بلاد بني شهر وبني عمرو ..." ص ٦٠٩ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه انظر "تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى " مجلة العصور . مج (٩) ، جـ١ (رجب /١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص٦٣ وما بعدها .

٢١- (أيد) قديماً و (صدريد) حالياً وأدي صغير يوجد به قرية يطلق عليها هذا الاسم (صدريد) ، وهي على الطريق الرئيسي الذاهب إلى الطائف وتبعد عن وسط مدينة النماص نحو الشمال بحوالي (٤-٥ كيلاً ، وتتبع هذه القرية قبيلة كعب أحد القبائل الرئيسة في بلاد بني عمرو بمنطقة رجال الحجر في بلاد عسير .

٢٢- الهمداني صفة ، ٢٦١ .

٢٣- المصدر نفسه ، ٢٥٥ وما بعدها .

٢٤- انظر جواد علي ، المفصل ، جـ٤، ص٤١٤ وما بعدها ، أبو محمد سعيد بن عوض آل رداد الأسمري . تاريخ رجال الحجر ، المسمى نافذة الفكر على وطن ونسب رجال الحجر (جدة : مطابع التوفيق ، ١٤١٧هـ) ص٢٣ وما بعدها ، عبد الله بن محمد أبو داهش. أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠-١٢٠٠هـ) (مطبوعات نادي أبها الأدبي، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م) ص٢٩ وما بعدها .

٢٥- الأمير مرعي بن محمد تولى الإمارة على منطقة عسير ، وقد اتسع نفوذه حتى شمل نجران وهمدان جنوباً وبيشة ورنية وبلاد غامد وزهران شمالاً ، وذلك خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) .للمزيد من التفصيلات انظر شعيب ابن عبد الحميد بن سالم الدوسري . إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر (مصر : دار النصر للطباعة الإسلامية ، ١٣٦٥هـ) ص٧٧ وما بعدها .

٢٦- المصدر نفسه ، ٨٠ ، وقد ذكر صاحب هذا المصدر حوالي ثلاثين شيخاً من وجهاء وأعيان بلاد عسير ، وشهران ، وقحطان ، ويام ، ورجال الحجر ، وشمران وغيرها .

٢٧- ولـلمزيد انظر أحمد بن عبد الله النعمي • عسير في مذكرات سليمان الكمالي (القاهرة : المطـابع الحديـثة ، د •ت) ٨٢ ، محمود شاكر • شبه جزيرة العرب : عسير (بيروت : المكتبة الإسلامية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ط٣ ، ص١٤٦ وما بعدها •

٢٨- هـناك مـئات الوثـائق التي بحوزة الباحث ، وتؤكد على أن القبائل العربية هي الطبقة الرئيسـة في تكويـن مجتمع شبه الجزيرة العربي وبلاد السراة من الأجزاء الأساسية في الجزيـرة العـربية ، فكـانت ولازالـت مطبوعة بالطابع القبلي ، ولكن سطوة القبيلة وشـيوخها خفـت كثيراً في هذا العصر ، وذلك بسبب قيام مؤسسات حكومية حديثة تشرف على شؤون البلاد وتقوم على تنظيمها من أجل نشر الأمن والرخاء بين الناس ، وأن يكـون الـولاء لـلدولة وليس للقبيلة كما كان في العصور الإسلامية المبكـرة والوسـيطـة • لمزيد من التفصيلات انظر ، الأسمري ، تـاريخ رجال الحجر ، ص٢٩ ، غيـثان بـن علي بن جريس • بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشـر الهجريين (أبها : مطابع مازن ، ١٤١٣هـ) ص١٦ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه ، صـفحات من تاريخ عسير (جدة : دار البلاد للطباعة والنشـر ، ١٤١٣هـ) جـ١ ، ص١٥ وما بعدها •

٢٩- عـبد الـرحمن عـبد الواحد الشجاع • اليمن في صدر الإسلام (دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) ص١٣٩ وما بعدها ، أحمد عبد الله السومحي • أدب اليمن في القـرنين الأول والثاني الهجري (جدة : د•ن ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) جـ١ ، ص٢١ وما بعدها •

٣٠- الهمداني ، صفة ، ص٢٥٥ •

٣١- الحسن بن أحمد الهمداني • كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء • تحقيق ونشر كرستوفرتـول (السويد : ابسالا ، ١٩٦٨م) ص١٤٥ •

٣٢- ويذكـر الهمـداني أنه كان يُطلق على أولئك الفرس الذين يعملون في معدن الرضراض باسم "فرس المعدن" ، انظر كتاب الجوهرتين ، ص١٤٧،١٤٥ •

٣٣- إن الـرجل العربي كان يتجنب العمل في المهن والحرف اليدوية ، بل كان يطلق على من يمتهن المهنة أو الحرف اسم "القين" أو "العبد" وهذا الإرث الثقافي عرف عند العرب من

قبل الإسلام واستمر على مر العصور الإسلامية المختلفة للمزيد من التفصيلات انظر جواد علي، المفصل ، جـ٧ ، ٤٥٣ ، ٥٠٥ ، ٥٤٣ غيثان بن علي بن جريس • عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ - ١٤٠٠هـ / ١٦٨٨ - ١٩٨٠م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) ص١٤٧ وما بعدها •

٣٤- بلدة تربة تقع على الطريق الرئيسي المتجه من الطائف نحو الجنوب وتبعد عن مدينة الطائف بحوالي (١٠٠) كيلاً ، وقد ورد ذكرها في كثير من المصادر المتقدمة والمتأخرة ، وهي غنية بمزارعها ووفرة المياه بها •زيارة الباحث لهذه البلدة في صيف عام (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)•

٣٥- للمزيد من التفصيلات انظر أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي • نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة • مطبوع ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (ليدن: مطبعة بريل، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م) ص١٨٨ ، ١٨٩ •

٣٦- المصدر نفسه ، ص١٨٨ وما بعدها ، حسين علي المسري "نجران ودورها السياسي والاقتصادي " مجلة المؤرخ المصري (جامعة القاهرة : كلية الآداب ، العدد (٩) (يوليو / ١٩٩٢م) ص٤٦ وما بعدها •

٣٧- المصادر نفسها •

٣٨- المصادر نفسها •

٣٩- المصادر نفسها •

٤٠- لمزيد من التفصيلات عن هذه الطريق الشرقية انظر ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٣٤ وما بعدها ، قدامة ، كتاب الخرج ، ص١٨٨-١٩٠ ، غيثان بن علي بن جريس ، " ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة " • بحث منشور في ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ ، (اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) حصاد (٨) ص١٦٥ -١٧١ •

٤١- ظهران الجنوب إحدى المحافظات الرئيسة في منطقة عسير ، وتبعد عن مدينة أبها حاضرة منطقة عسير حوالي (١٥٠) كيلاً ، ويوجد بها جميع المؤسسات الإدارية • لمزيد من

التفصـــيلات انظر أحمد حسين الوادعي • ظهران الجنوب دراسة تاريخية جغرافية • بحث تـــاريخي (غـــير منشور) لنيل درجة البكالوريوس من قسم التاريخ، كلية التربية ، فرع جامعة الملك سعود بأبها (١٤١٥هـــ) ، يوجد منه نسخة ضمن مكتبة الباحث تحت رقم (١٧) •

٤٢- جميع هذه المدن "ســراة عبيدة ، وأحد رفيدة ، وتثليث ، وطريب" توجد ضمن إمارة منطقة عســير ، ويوجــد عنها عدد من الأبحاث العلمية ضمن مكتبة الباحث ، كان قد أنجزها طــلاب قسم التاريخ في كلية التربية فرع جامعة الملك سعود بأبها خلال الأعــــوام (١٤١٤هـــ - ١٤٢٠هـــ) •

٤٣- غيثان بن علي بن جريس • أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) الرياض : مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـــ / ١٩٩٧م) ص١٤ وما بعدها •

٤٤- الهمداني ، صفة ، ص٢٦٠ وما بعدها ، ابن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص١٦ وما بعدها •

٤٥- الهمـــداني ،صـــفة ، ص٢٦٠ ، عاتق بن غيث البلادي• بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٢هـــ / ١٩٨٢م) ص١١ وما بعدها •

٤٦- ابـــن المجـــاور ، تاريخ المستبصر ، جـــ١ ، ص٩٧ ، وللمزيد انظر ابن جريس " ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة " ص١٥٨ وما بعدها ، حسين السري " نجران .. " ، ص٤١ وما بعدها •

٤٧- والمصـــادر والمراجع الخاصة بتاريخ اليمن والحجاز مليئة بالتفصيلات التي تناقش طبقات المجـــتمع وأنسابهم وأعمالهم ، ثم إن العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كانت نشـــطة بـــين الناحيتين (الحجاز واليمن) متخذة بلاد السراة معبراً رئيساً بينهما • انظر القاضـــي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي • المقتطف في تاريخ اليمن (بيروت : منشورات العصر الحديث، ١٤٠٧هـــ /١٩٨٧م) ص٩٧ وما بعدها، جميل حرب محمود حسين• الحجاز واليمن في العصر الأيوبي (جدة : تهامة للطباعة والنشـــر ، ١٤٠٥هـــ/ ١٩٨٥م) ص٢٥ وما بعدها ، ريتشارد مورتيل • الأحوال السياسية والاقتصادية في العصر المملوكي

الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م) ص١٧٣ وما بعدها ، غيثان بن علي بن جريس . بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر (جدة : دار العويفي للإعلان ، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ص١٢٨ وما بعدها .

٤٨- المصادر نفسها .

٤٩- وكان العبيد يعملون في بعض بيوت الوجهاء والأعيان ببلاد السراة إلى العقد الثامن من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ثم تم إعتاقهم تدريجياً حتى تم إلغاء الرق تماماً في المملكة العربية السعودية خلال عهد الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود (يرحمه الله) .

٥٠- جولات الباحث الميدانية خلال السنوات الثلاث الماضية (١٤٢٠-١٤٢٢هـ) ومشاهداته للعديد من مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية في جنوبي البلاد السعودية .

٥١- قدامه ، كتاب الخرج ، ص١٨٨ ، ١٨٩ ، محمد بن سلام الجمحي . طبقات فحول الشعراء . قراءة وشرح محمود محمد شاكر (القاهرة : مطبعة المدني ، د.ت) جـ٢ ، ص٥٨٥ ، ٥٩٣ ، ٦١٥ ، ٦٢٥ ، أبو الفرج الاصفهاني. كتاب الأغاني (طبعة بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) جـ١٣ ، ص٦٤ وما بعدها .

٥٢- لمزيد من التوضيح انظر ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ، جـ٤ ، ص٣٦٧ ، ٢٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤٩٢ ، ٥٠٩ ، يحي بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ٢ ، ص٨٢٩ ، أبو داهش ، أهل السراة ، ص٥١ وما بعدها .

٥٣- المصادر نفسها التي وردت في حاشيتي (٥١ ، ٥٢) .

٥٤- هكذا كان الوضع الاجتماعي السائد عند سكان السراة وجميع سكان شبه الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة . أما في عصرنا الحالي فقد تغيرت الأحوال لدى الناس ، وتلاشى الترابط والتعاون الذي كان سائداً بين الناس قديماً ، والسبب في ذلك يعود إلى وفرة المال في أيدي الناس، وإلى الرخاء الذي تعيشه البلاد ، وبالتالي أصبح أفراد المجتمعات لا يحتاجون بعضهم بعضاً كما كانوا في السابق . وللمزيد من التفصيلات عن الفرق بين الماضي والحاضر انظر ، سعيد أطلس " الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع الهجري " مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد : مطبعة

المجمـــع العلمي العراقي ، ١٣٧١هـــ / ١٩٥١م) مج٢ ، ص٢٧٣ -٣٠٠ ، عبد الله الحامد " الحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية خلال قرنين من الزمان (١١٥٠-١٣٥٠)"مجلة العـــرب ، جـــ٣-٤ (سنة/١٤) (١٣٩٩هـــ/ ١٩٧٩م) ص٢٠٠ وما بعدها ، ابن جريس ، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـــ) ، ص٣٥ وما بعدهـــــا ،

M . M Ahsan . Social life Under the Abbasids 170 –289 A. H/ 786-902 A.D. (London , 1979) pp . 29 ff , Ghithan A . Jrais . The Social Industrial and Commercial History of the Hejaz Under the Early Abbasids 132 - 233 A . H \ 749 – 847 A.D (Unpablished Thesis, Victoria University of Manchester, 1989) pp . 28 ff .

٥٥-المصـــادر نفسها ، بالإضافة إلى محمد علي مغربي • ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري • (جدة :دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـــ / ١٩٨٤م) ص٥٤ وما بعدها •

٥٦- جـــ٤ ، ص٢٧١ وما بعدها •

٥٧- انظر الصفحات التالية (٧٤ -١٠١) •

٥٨- المصادر نفسها الواردة في حاشيتي (٥٦ ، ٥٧) •

٥٩- وصل الباحث إلى هذه الأراء بعد تجواله في جميع أنحاء بلاد تهامة والسراة ، وشاهد غناء تـــراثهم الفكري والحضاري، والذي لا زال بحاجة إلى دراسة علمية جادة معتمدة على جميع المصادر المتنوعة والمختلفة في مادتها العلمية وفي طرق الحصول عليها •

٦٠- المصدر نفسه •

٦١- ســـوف نـــورد في الصفحات التالية بعض التفصيلات عن النواحي المعمارية التي عرفتها بـــلاد الســـراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة حتى النصف الثاني من القرن الـــرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ، والتي لازال بعضها ماثلاً للعيان مهجوراً من الاستخدام •

٦٢- الهمـــداني ، صفة ، ص٢٤٨ وما بعدها ، ابن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب "ص٧٦- ١٠٤ •

٦٣- لمزيد من التفصيلات انظر المصادر التالية: أبو بكر أحمد بن محمد الفقيه • كتاب البلدان • تحقيـــق أم • دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ،١٣٠٢هـــ / ١٨٨٤م) ص٣١ - ٣٢،

أبو علي أحمد بن عمر بن رسته ، المجلد السابع من كتاب الإعلام النفيسة ، وملحق به كتاب البلدان ، لأحمد بن أبي يعقوب ، (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م) ، ص١٨٤ ، ٣١٧ – ٣١٩، ابن خرداذبة ، المسالك ، ص١٣٣ –١٣٥ ، قدامه ، الخراج، ص١٨٨، ١٨٩، البكري ، معجم ما استعجم جـ١، ص٢٩٣ ، ابن جريس "بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون .." ص٧٣ وما بعدها •

٦٤– الهمداني ، صفة ، ٢٥٧، والمسقي احدى القرى الواقعة في شعف شهران بمنطقة عسير اليوم، ولا زال يوجد بها عددٌ من النقوش والرسوم والآثار التي تحتاج إلى دراسة علمية جادة ، حتى يتضح لنا تاريخ وحضارة هذه البلدة عبر العصور الإسلامية المختلفة •

٦٥– الهمداني ، صفة ، ص٢٦١ •

٦٦– المصدر نفسه •

٦٧– المصدر نفسه •

٦٨– المصدر نفسه ، ص٢٥٥ وما بعدها•

٦٩– ابن المجاور ، جـ١ ، ص٣٧ –٣٨ ، ناصر خسرو ، ص١٤٢ •

٧٠– مشاهدات وانطباعات الباحث في بلاد السراة أثناء تجواله في مناطقها خلال العام الهجري (١٤٢٠هـ/١٩٩٩–٢٠٠٠م)•

٧١– المصدر نفسه •

٧٢– المصدر نفسه •

٧٣– المصدر نفسه •

٧٤– عبد الملك بن هشام • السيرة النبوية ، حققه وشرحه مصطفى السقا وآخرون (بيروت : دار القلم ، د•ت) جـ٤، ص١٢٥ ، محمد عمر الواقدي • كتاب المغازي ، تحقيق مارسدن جونس (بيروت : عالم الكتب ، د •ت) جـ٣ ، ص٩٢٤ •

٧٥– ابن هشام ، السيرة ، جـ٤ ، ص٢٣٣ ، ٢٣٤ ، اليعقوبي ، البلدان، ص٣١٤ وما بعدها ، ابن جريس " تاريخ مخلاف جرش .." ص٦٣ وما بعدها •

٧٦– لمزيد من التفصيلات عن هذه الحصون القديمة في بلاد السراة انظر غيثان بن علي بن جريس " العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية) " مجلة

المنهل ، العدد (٥٧١) المجلد (٦١) العام (٦٦) شوال – ذو القعدة (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) ص٢٦ –٤٩ ٠

٧٧- ابن المجاور ، جـ١ ، ص٣٧ –٣٨ ٠

٧٨- مشاهدات الباحث وانطباعاته في بلاد السراة خلال الأعوام التالية (١٤١٢-١٤١٧هـ)، وانظر أيضاً ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠هـ ، ص٥٣-٥٥ ٠

٧٩- المصادر نفسها ٠

٨٠- المصادر نفسها ، بالإضافة إلى جمع الباحث لعدد كبير من الصور الفوتوغرافية لبعض هذه الحصون ، أيضاً قابل عدداً من كبار السن في بلاد السراة خلال الأعوام (١٤١٥-١٤١٧هـ)وسمع منهم بعض التفصيلات عن أهمية هذه الحصون خلال القرون الماضية٠

٨١- من يتجول في المنطقة الممتدة من نجران إلى الطائف يشاهد كثيراً من القصور القديمة ، الخاصة بشيوخ وأعيان القبائل ، ويلاحظ أن أغلبها أصبح مهجوراً ٠ مشاهدات الباحث خلال الأعوام (١٤١٢-١٤١٧هـ) وللمزيد من التفصيلات عن الحصون والقصور القديمة في بلاد السراة ، انظر ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ ، ص٥٣ وما بعدها، عبد المنعم عبد العزيز رسلان "بعض استحكامات منطقة عسير الحربية في العهد العثماني" مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي بجامعة أم القرى ٠ س (٥) عدد (٥) (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ص٣٧٩ – ٤٢٨ ٠

٨٢- لمزيد من التفصيلات انظر ، محمد بن سعد ٠ كتاب الطبقات (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٢٢هـ) جـ٥ ، ص١٨٩ ، كتاب الإمامة والسياسة ، المنسوب لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (القاهرة:دار المعارف،١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م) جـ١ ، ص١٨٢ ، أحمد اليعقوبي مشاكل الناس لزمانهم (بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٢م) ص١٢، ١٤ ، ابن المجاور ، المستبصر، جـ١ ، ص١٧٢ وما بعدها ٠

٨٣- محمد بن عبد الله الأزرقي٠أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) جـ٢ ، ص٢٠٠ ٠

٨٤- المصادر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٤٩ ، ٢٦٠ ٠

٨٥- أبو حنيفة الدينوري من علماء القرن الثالث الهجري ، دون كتاباً كبيراً جداً عن النبات، ومعظم المعلومات المدونة بهذا الكتاب تخص شبه الجزيرة العربية، وبخاصة بلاد تهامة والسراة، حيث ذكر جميع النباتات والأشجار الموجودة بهذه البلاد ، ووضح أسماءها وفوائدها وأماكن وجودها ، وقد نشر من هذا المؤلف حوالي ثلاثة أجزاء والباقي منه لازال مفقوداً فلم يُعثر عليه حتى الآن .

٨٦- انظر الأزرقي ، جـ٢ ، ص٢٤٩ ، ٢٦٠ ، قدامة ، الخرج ص١٨٨ ، الواقدي ، المغازي ، جـ٣ ، ص٩٢٤ .

٨٧- المصادر نفسها ، بالإضافة إلى ابن فهد ، غاية المرام ،جـ٢ ، ص٢٧٥ ، ٤٨٣ ، ٥١٥ ، العصامي،جـ٤ ، ص٢٧٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩، ٣٨٤ ، ٣٨٥، ٥٢٥،٥٢٦ .

٨٨- وتعد نمران والروشن من المراكز الرئيسة في منطقة بيشة ، وبها أسواق أسبوعية نشطة ذكرهما المصادر والوثائق الخاصة بالقرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين) .

٨٩- انظر "رحلة تاميزية إلى الجزيرة العربية" ترجمة يوسف شلحد ، مجلة العرب، جـ٩ -١٠ (س/٢٤/ الربيعان/١٤١٠هـ /١٩٨٩م) ص٦٦٢ .

٩٠- **Sir Kinahan Cornwallis. Asir Befor world War. I. (New York, 1976) pp. 32ff .**

٩١- المصدر نفسه ، **P . 45** .

٩٢- المصدر نفسه ، **PP . 49, 60, 61, 75** .

٩٣- سليمان شفيق باشا كان يتولى متصرفية عسير في الفترة من ١٣٢٦- ١٣٣١هـ / ١٩٠٨-١٩١٢م) ، ثم انتقل بعد ذلك للعمل بسوريا ، ثم أصبح والياً على البصرة ، وأخيراً تسلم وزارة الحربية في تركيا . انظر ، مذكرات سليمان شفيق باشا جمع / محمد أحمد العقيلي (أبها : النادي الأدبي ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م) ص٧ وما بعدها .

٩٤- المصدر نفسه ، ص٩٢ ، ٩٦ .

٩٥- لمزيد من التفصيلات عن فن العمارة في بعض الأمصار الإسلامية انظر ، حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٤م) جـ٣ ، ص٤٥٥ - ٤٦٩ .

٩٦- المصادر نفسها التي وردت في حاشيتي (٩٤، ٩٥) بالإضافة إلى يوسف حسن العارف . أضـــواء على مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا (أبها : النادي الأدبـــــي، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م) ص٦٠-٦١ .

٩٧- المصادر نفسها .

٩٨- شـــرف بـــن عبد المحسن البركاتي. الرحلة اليمانية ، (بيروت: المكتب الإسلامــــي ، ١٣٨٤هـ) ص١٣٢ .

٩٩- المصدر نفسه ، ص٧٨ .

١٠٠- وهـــو يحي بن إبراهيم الألمعي ، الذي دون عدة مواضيع عن منطقة عسير ، وجمعها في كـــتاب أطلق عليه اسم : رحلات في عسير ، نصوص ، انطباعات ، وصف ، مشاهدات (معلومات النشر غير مدونة) .

١٠١- المصـــدر نفسه، ص١٠٦- ١٠٧،كما انظر ابن جريس. بلاد بني شهر وبني عمرو في القرنين ١٣/١٤هـ ، ص٧٥ - ٧٧ .

١٠٢- ومن يتجول الآن في بلاد السراة يرى مئات القرى القديمة المهجورة والمندثرة ، وقد يلاحـــظ على قرب منها قرى وبيوتاً جديدة تم بناؤها بالخرسانة المسلحة . وحبذا لو وجدتْ بعض تلك القرى القديمة الرعاية والصيانة والترميم الأثري السليم حتى تبقى متماســـكة ســـالمة من الاندثار لكونها تعكس تاريخ وحضارة أقوام عاشوا في العهود الماضـــية، وكان لهم تراثهم الحضاري الخاص بهم ، والذي يشكل لبنة هامة في تاريخ الحضارة الإسلامية لشبه الجزيرة العربية .

١٠٣- مشـــاهدات الباحث وانطباعاته أثناء تنقلاته ورحلاته في بلاد السراة خلال السنوات الماضية ، وخاصة في الأعوام التالية (١٤١٢- ١٤٢٠هـ) .

١٠٤- انظر عمر العمروي ، قبائل إقليم عسير ، جـ١ ص٢٧٥ وما بعدها ، النعمي ، عسير في مذكرات سليمان الكمالي ،ص٤٨ وما بعدها، أبو داهش، أهل السراة ، ص١٢٠ - ١٢١ .

١٠٥- المصادر نفسها .

١٠٦- مشاهدات الباحث خلال الأعوام الماضية المتأخرة (١٤١٥-١٤٢٠هـ) .

١٠٧- لمزيد من التفصيلات عن تاريخ المساجد الإسلامية في بعض الأمصار الإسلامية خلال القرون الإسلامية المختلفة، انظر أبو صالح الألفي • الفن الإسلامي (القاهرة: دار المعارف ، د • ت) ص١٨٨ وما بعدها ، سعيد عبد الفتاح عاشور • بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته (القاهرة : عالم الكتب ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٧م) ص٢٠١ وما بعدها ، محمد بن عثمان الحشائشي • تاريخ جامع الزيتونة (تونس : د•ت ، ١٩٧٤م) ص١٢ وما بعدها •

١٠٨- مشاهدات ورحلات الباحث خلال الأعوام التالية (١٤١٥-١٤٢٠هـ)•

١٠٩- المصدر نفسه •

١١٠- المصدر نفسه •

١١١- ناصر خسرو ، ص١٤٢ ، جواد علي ، المفصل ، جـ٥ ، ص٦-٨ ، مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال الأعوام (١٤١٥-١٤٢٠هـ) •

١١٢- ولا زلنا نشاهد معظم مزارع بلاد السراة محاطة بهذه المدرجات التي عرفها سكان جنوب شبه الجزيرة العربية منذ عهود سابقة للإسلام، وللمزيد من التفصيلات انظر صالح بن علي بن عبد الرحمن الشمراني • أشكال المدرجات الزراعية وتوزيعها السكاني ، وأهميتها في إقليم عسير جنوب غرب المملكة العربية السعودية (مكة المكرمة : مركز بحوث العلوم الاجتماعية ، بجامعة أم القرى ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) ص١٧ وما بعدها •

١١٣- المصدر نفسه •

١١٤- أحمية ومفردها (حمى) وهي المواقع التي يحميها بعض الأسر ، أو الأفخاذ ، أو العشائر من أجل استخدامها للرعي وقت الجدب وعدم نزول الغيث • وفي المصادر الإسلامية الأولى نجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين حموا بعض المواقع القريبة من المدينة المنورة، لكي ترعى فيها خيول ومواشي المسلمين ، وإلى وقت قريب كان عدد من العشائر والبطون السروية تقوم على حماية بعض مواطنها أما في الوقت الحاضر فصارت هذه الظاهرة شبه معدومة، وللمزيد عن طبيعة الحمى في الإسلام• انظر ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص٣٠ ، البكري معجم ما استعجم ، جـ٣ ، ص٨٦٠،

صـــالح أحمد العلي " الحمى في القرن الأول الهجري" مجلة العرب، جـ٧ (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ص٥٩٤ - ٥٩٥ .

١١٥- لـــدى الباحث عدد من الوثائق التي تنص على أسماء وأحجام حدود وأسوار بين بعض الأســـر والعشائر والأفخاد في بلاد السراة ، ومثل هذه الوثائق كثيرة بين يدي رجال أهل السراة وغيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية، وذلك لحفظ حقوقهم وأملاكهم بمثل هذه المستندات والوثائق .

١١٦- مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال الأعوام (١٤١٥-١٤٢٠هـ .

١١٧- المصدر نفسه .

١١٨- يقـــع وادي عياء في الجهة الشرقية من بلاد بللحمر وبللسمر بسروات الحجر ، ويعد مـــن روافـــد وادي بيشـــه ، يحده من الشرق وادي بن هشبل وقبائل شهران ، ومن الغـــرب خارف ببلاد بللسمر ، ومن الشمال بلاد بني أثلة من سراة بني شهر ، ومن الجـــنوب المـــاوين وصبح ببلاد بللحمر . ويوجد بهذا الوادي حصون عديدة يرتفع بعضها إلى خمسة وستة طوابق، كما يوجد به عدد من الآبار والأبنية الأثرية التي تحتاج لدراسات علمية أثرية متخصصة . للمزيد من التفصيلات عن هذا الوادي ، انظر . رشـــاد عـــبد الله الشـــهري . آثار وادي عياء . بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بقسم التاريخ ، كلية التربية، جامعة الملك سعود فرع أبها (١٤١٣هـ) ص٦ وما بعدها ، علي آل عمر عسيري " في وادي عياء آثار شاهدة لأجيال بائدة " مجلة الجـــنوب ع (٤٧) س (٤) (ذو القعدة / ١٤٠٧هـ) ص٢٩ وما بعدها ، مشاهدات الباحث لمعالم وآثار وادي عياء في فصل الصيف عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) .

١١٩- مشاهدات الباحث وانطباعاته عام ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، أيضاً انظر ابن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين ١٣/١٤هـ ، ص١٤٨ وما بعدها .

١٢٠- مشاهدات الباحث وانطباعاته عام (١٤١٢هـ /١٩٩٢م) .

١٢١- إن شـــبه الجزيرة العربية سادها الإهمال والنسيان خلال العصور الإسلامية الوسيطة ، وخصوصـــاً بعـــد أن استقرت الخلافة الإسلامية في كل من العراق ومصر، وبالتالي

نـتجت كثير من الخرافات والفوضى القبلية التي أثرت فعلاً على سلامة العقيدة عند أهل البلادوأصبحوا يجهلون كثيراً من أمور دينهم.

١٢٢- الهمداني ، صفة ، ص٣٤٠ ، ٣٥٦ ، ابن جريس. عسيـر ١١٠٠ - ١٤٠٠هـ ، ص ٥٨ وما بعدها .

١٢٣- المصادر نفسها .

١٢٤- المصادر نفسها .

١٢٥- الأزرقي ،جـ١ ، ص١٢٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، الهمداني صفة ،٣٤٠، ٣٥٦، ٣٦٠ ، ابن المجاور، جـ١ ، ٢٥، ٨٧ ، ١٨٥ .

١٢٦- وهـذه الأطعمـة كـانت تُصـنع بشكل واسع إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ، ثم بدأت تقل تدريجياً ، لكنها لازالت تُصنع عند بعض الأسر في الريف والمدينة على حد سواء .

١٢٧- الهمـداني ، صـفة ، ص٢٦١ ، ابن المجاور ، جـ١ ، ص١٨٥ ، ابن جريس "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب .." ص٩٧-٩٩ ، ومن يتجول اليوم في بلاد السراة يلاحظ عشرات الأنواع من الفواكه والخضروات التي تنبت محلياً ، والتي لا تسد حاجة أهلها فقط ، وإنما امتلأت الأسواق اليومية والأسبوعية بهذه المنتوجات الزراعية .

١٢٨- محمد بن أحمد بن جبير . رحلة بن جبير (بيروت : دار الكتب ، د.ت) ص١٠٢ وما بعدهـا ، محمد بن عبد الله اللواتي (ابن بطوطة) . رحلة ابن بطوطة:المسماة تحفة النظار في غـرائب الأمصار وعجائب الأسفار . تحقيق علي المنتصر الكتاني (بيروت: مؤسسة الرسـالة،١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) جـ١، ص١٨٣ ، أبو العباس أحمد القلقشندي . قلائـد الجمان في التعريف بقبائل وعرب الزمان .تحقيق إبراهيم الأبياري (القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٣م) ص١٠٤، حمد الجاسر . في سراة غامد وزهران ، نصوص ، مشـاهدات ، انطـباعات (الرياض منشورات دار اليمامة للطباعة والترجمة والنشر ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ص٣٦٩ .

١٢٩- المصادر نفسها .

١٣٠- الجاسر ، في سراة غامد وزهران ،ص٣٦٩ .

١٣١- المصدر نفسه ، بالإضافة إلى أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري . كتاب النبات (الجزء الثالث ، والنصف الأول من الجزء الخامس)، تحقيق برنهاردلفين (ألمانيا : بفيسبادن، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص٤ وما بعدها .

١٣٢- المصادر نفسها .

١٣٣- المصادر نفسها .

١٣٤- الدينوري ، النبات ، ص٢٥٧ وما بعدها .

١٣٥- وقد أفرد الدينوري فصلاً كاملاً عن العسل وأنواعه وأماكن وجوده ، وذكر أن بلاد السراة تأتي في مقدمة مواطن شبه الجزيرة المشهورة بالعسل الجيد في نوعه ومذاقه ، انظر كتابه النبات ، ص٢٥٧ -٢٩٤ .

١٣٦- المصدر نفسه ، ص٢٦٢ .

١٣٧- المصدر نفسه .

١٣٨- المصدر نفسه .

١٣٩- الهمداني ، صفة ، ص٢٦٢ .

١٤٠- الجاسر ، في سراة غامد وزهران ، ص٣٧١ وما بعدها .

١٤١- عرام بن الأصبغ السلمي . كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه. تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٤هـ /١٩٥٥م) ، ص٤١٣ ، ٤١٧ .

١٤٢- المصادر نفسها التي وردت في حواشي (١٣٩، ١٤٠، ١٤١) .

١٤٣- المصادر نفسها .

١٤٤- المصادر نفسها ، وللمزيد من التفصيلات عن نباتات بلاد السراة انظر "أهمية النباتات في الغذاء والدواء ببلاد السراة من خلال بعض كتب التراث الإسلامي"بحث منشور في كتاب صفحات تاريخ عسير ، جـ١ "، ص٣١-٤٤ .

الدراسة السابعـــة :

ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (*)

إعداد
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية
كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية
جامعة الملك خالد
١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(*) هذه الدراسة قدمت في ندوة " **إتحـاد المؤرخين العرب** " بالقاهرة ، والتي عقدت خلال الفترة من (١٣-١٥/شعبان/١٤٢٢هـ الموافق ٣٠/أكتوبر – أول نوفمبر/٢٠٠١م) ٠ وقد نشرت هذه الدراسة مع غيرها من الأبحاث التي قدمت في تلك الندوة ضمن كتاب : " **المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور** " ٠ **حصاد رقم (٩)** (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ٠

محتويات الدراسة السابعة

ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة.



تابع : محتويات الدراسة السابعة

ملامح الحياة العلمية فـي بلاد تهامـة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطـــة

أولاً :ـ تمهيد تاريخي وجغرافي :

عندما نقول تهامة والسراة فإننا نقصد البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة شمالاً إلى جازان (المخلاف السليماني) ونجران جنوباً. وهذه البلاد جميعها تقع اليوم ضمن حكومة المملكة العربية السعودية، وتصل في طولها من الشمال إلى الجنوب قرابة الألف كيلو متر، في حين أن عرضها من ساحل البحر الأحمر غرباً إلى أطراف بوادي نجد من الغرب ما بين (٣٠٠- ٤٠٠كم)[1]. وهذه البلاد الواسعة مأهولة بالسكان منذ العهود الجاهلية ، كما تتوافر بها مقومات الحياة من رعي وصيد وزراعة وتجارة وحرف صناعية وغيرها من الركائز لقيام المدن والقرى والهجر[2].

وعندما نعود إلى مصادر التراث الإسلامي بأنواعه من تاريخ، وأدب ، ومعاجم لغوية ، وطبقات وتراجم ، ورحلات ، وأنساب، ومعاجم جغرافية وغيرها نجدها تذكر المواطن المرتفعة في هذه المنطقة المعنية بالدراسة باسم السراة ، أو السروات ، وبعضها يفصّل الحديث عن مواقع وأماكن محددة يذكرها باسمها :- كنجران ، وجرش ، وبيشة ، والحجر، والجهوة ، ورنية ، وتبالة ، وتربة وغيرها[3]. وقد تذكر اسم العشيرة أو القبيلة وأحياناً تنسب القبيلة إلى اسم السراة فيقال :- سراة الطائف، وسراة فهم وعدوان، وسراة بجيلة ، وسراة غامد ودوس، وسراة خثعم، وسراة الحجر، وسراة عنز (عسير حالياً) وسراة جنب أو مذحج (بلاد قحطان حالياً) وغيرها[4].

أما تهامة فهي المناطق السهلية المنخفضة الواقعة بين ساحل البحر الأحمر وسفوح جبال السروات. وهذه البلاد لاتقل عن بلاد السراة من حيث استيطان السكان ، لكنها تختلف عن السروات من حيث سهولة تضاريسها ومعالمها الجغرافية، ومما يميزها أيضاً أنها تطل على ساحل البحر الأحمر الشرقي. وفي منطقة تهامة والسراة

معاً تنتشر الطرق والأسواق التجارية ، كما أنها تعتبر حلقة وصل ما بين مدن الحجاز واليمن الكبرى ، فهي المعبر الوحيد الذي يربط بين تلك المنطقتين(٥).

ومن يتجول في هذه البلاد اليوم يشاهد آثار وحضارة العصور التاريخية السابقة لازالت متمثلة في كثير من معالمها الطبيعية ، كالطرق التجارية ، والمساجد والجوامع، والقرى والآبار والحصون القديمة ، وكذلك في المقابر وأدوات التراث القديم المتنوعة(٦). ورغم ماآلت إليه هذه الأجزاء وغيرها من البلاد السعودية من رغد العيش لما نالها من التطور والنمو الحضاري، إلاّ أنها لازالت بحاجة ماسة لدراسة تاريخها وحضارتها القديمة، فهي وإن كانت حلقة وصل بين الحجاز واليمن فإنه قد نالها الكثير من النسيان من قبل مدوني التراث الإسلامي، لأنهم كانوا إذا تعرضوا لتاريخ وفكر وحضارة شبه الجزيرة العربية فإنهم يركزون على الحواضر الكبرى مثل :- مدن اليمن والحجاز، وتنسى الأجزاء الأخرى، وبلاد تهامة والسراة من البلاد التي سادها النسيان وعدم الاهتمام من قبل علماء وأدباء العهود الماضية وهذا ما جعلني أبذل غاية لجهد منذ عدة سنوات في جمع كل ما أجده حول هذه البلاد، بل واسعى إلى تدوينه ثم نشره في المجلات العلمية والأدبية وكذلك تقديمه في بعض المؤتمرات والندوات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. ولازلت مستمراً في الدراسة والتنقيب عن تاريخ وأدب وفكر وحضارة هذه البلاد، وذلك ليس من باب التحيز أو التعصب ولكنه من باب خدمة بلادي وأهلي كوني أحد أبناء هذه البلاد التي أعطتني الكثير والكثير، فكان من الواجب رد الجميل فأسعى إلى تسجيل كل ما يتصل بتاريخها وحضارتها ، محاولاً إزالة غبار النسيان عنها. وإن كنت قد قدمت عدة دراسات علمية متنوعة عن تاريخ وحضارة هذه البلاد، إلاّ أن الحياة العلمية والفكرية لازالت بحاجة إلى التعرض لها، وإلقاء الضوء عليها لاسيما خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، وهذا هو الهدف الأساسي الذي بُنيت عليه هذه الدراسة.

وطبقاً للمادة العلمية التي وفقنا في الحصول عليها من مظان متعددة فسوف نتناول ملامح الحياة العلمية لهذه البلاد منذ فجر الإسلام وحتى (ق٤هـ/١٠م)، ثم نتعرض بعد ذلك بنوع من الإيجاز إلى إلقاء أضواء جديدة على الحياة العلمية في بلاد تهامة حتى(ق١٠هـ/١٦م)، وإثر الانتهاء من ذلك نعرج للحديث عن بلاد السراة، وإبراز الومضات العلمية والفكرية التي ظهرت بها وذلك أيضاً خلال فترة العصور الإسلامية الوسيطة (من ق٤: ق١٠هـ) والله الموفق والمستعان .

ثانياً:ـ ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة في عصر النبوة وصدر الإسلام :ـ

تقاس حضارة الأمم بما لها من ثقافة، وبما أنتجت من فكر، وبما أبدعت من فن، وأهل تهامة والسراة في تقديري كان لهم شيء من ذلك بما قدموا من مساهمات في نشر الدين الإسلامي في بلادهم أثناء ظهور الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وبما قدموه من جهود في محاربة الشرك وأهله، وبما ساهموا به في الفتوحات الإسلامية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها[٧] . ولم تكن مشاركاتهم في الجوانب الحربية فحسب، بل كان لهم خلال ذلك أعمال جليلة تطرقت إلى النواحي الاجتماعية والتجارية والفكرية والثقافية[٨]، فلقد هاجر بعضهم إلى بلدان ومدن أخرى فأثروا وتأثروا في عاداتهم وتقاليدهم وغير ذلك من مناحي الحضارة ، بل كان بينهم من يذهب ويعود في التجارة إلى أجزاء عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها . ومن المؤكد أن ذهابهم وإيابهم يولد اقتباس عادات وأعراف وعلوم وثقافات مختلفة ممن يحتك بهم في المواطن والمجتمعات الأخرى[٩] .

أما تأثيرهم في الحياة العلمية والفكرية والثقافية فذلك يعود إلى أيام ترحيب بعضهم بالدين الإسلامي في عهد الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) حين كان

يعيش بين ظهراني قريش في فترة الدعوة المكية، فتذكر لنا المصادر التاريخية المبكرة أنه دخل الإسلام في تلك الفترة بعض السرويين، والتهاميين ، أمثال : ضماد الأزدي، والطفيل بن عمرو الدوسي، وغيرهما، فلقد كانا من علية قومهما في بلاد تهامة والسراة، وكانا يجيدان بعض العلوم والمعارف، فالطفيل كان شاعراً مصقعاً[10]، وضماد كانت لديه معرفة بعلم الطب[11].

وإذا كان الطفيل وضماد، وقد يكون لهما شركاء لم يذكرهم التاريخ، قد هاجروا من أوطانهم في بلاد تهامة والسراة، والتقوا بالرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) لكي يتعلموا منه شرائع الإسلام، ولكي يلقوا بالجهل وراء ظهورهم ، ويدخلوا من أوسع أبواب المعرفة بعد جلوسهم للتعلم بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كل هذا في الفترة المبكرة لظهور الإسلام، أي قبل هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن تعاليم الإسلام، ورُسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد وصلت إلى الأجزاء الجنوبية من مكة المكرمة مثل بلاد الطائف، وبيشة ،وتباله، وجرش ، ونجران، وجازان، وحلي، وعشم، السرين وغيرها مما ساهم في نشر الإسلام وتعاليمه بين السرويين والتهاميين وبدأ في الارتقاء بحياتهم الفكرية ، فالطفيل وضماد من أوائل رُسل النبي (صلى الله عليه وسلم) الذين عادوا إلى أقوامهم لتعليمهم ونشر الإسلام بينهم، ومحاربة الشرك وعبادة الأوثان وغيرها. ولم تأت السنة السابعة بعد الهجرة إلاّ والطفيل بن عمرو الدوسي يقدم على الرسول (صلى الله عليه وسلم)[12] ومعه ثمانون بيتاً من المسلمين الذين دعاهم من قومه ، وهذا الأمر لم يحدث إلاّ بتوفيق الله أولاً ، ثم بالجهود العظيمة التي بذلها الطفيل ومن أسلم معه في نشر العلم الشرعي بين أولئك المسلمين الذين وفدوا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وبعد فتح مكة المكرمة، وفي السنتين الثامنة والتاسعة للهجرة نجد الوفود الإسلامية من أنحاء شبه الجزيرة العربية تقدم على الرسول الكريم في المدينة المنورة، لكي تعلن إسلامها، وتتلمذ على يد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم تعود لنشر ما تعلمت منه بين أقوامها، ومن بين تلك الوفود جاءت وفود عديدة من بلاد تهامة والسراة مثل وفد دوس الذي قدم به الطفيل بن عمرو الدوسي، والذي سبق ذكره، ووفد ثقيف من الطائف، ووفد ثمالة من النواحي الجنوبية لتهامة وسراة الطائف، ووفد بجيلة ببلاد بني مالك جنوبي الطائف، ووفد غامد بزعامة أبي ظبيان الأزدي الغامدي ، ووفد سلامان من تهامة وسراة الحجر، ووفد بارق من تهامة عسير، ووفد خثعم ، ووفد زُبيد من بلاد تثليث وما حولها بزعامة عمرو بن معدي كرب الزُبيدي ، ووفود أخرى من منطقة بيشة ، ووفد الأزد من بلاد جرش (عسير) بزعامة صرد بن عبد الله الأزدي[١٣]، وغيرها وفود ورد ذكرها في كتب السيروالتراجم وماشابهها .

وكل هذه الوفود لم تظهر من فراغ، وإنما نتجت بجهود المسلمين الأوائل أمثال الطفيل وضماد وغيرهما، وكذلك صدى دعوة الإسلام وانتشارها في أنحاء شبه الجزيرة العربية عن طريق رسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكذلك عن طريق الحجاج والتجار الذين كانوا يأتون إلى مكة المكرمة فيشاهدون الأحوال السياسية بها[١٤] وانهيار حرب الشرك، وصعود حزب الرحمن الذي كان قائده وقدوته الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

وقد ترتب على إسلام تلك الوفود التي كان يقودها شيوخهم وأعيانهم، أن بدأت الثقافة الإسلامية تصل إلى مواطنهم الأصلية، إما عن طريق أولئك الوفود التي قدمت على الرسول الكريم فتعلمت على يديه شرائع الدين ثم عادت إلى بلادها لنشر ما تعلمت بين أهلهم وذويهم[١٥]، أو عن طريق رسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذين أرسلهم إلى جميع أنحاء بلاد تهامة والسراة وإلى بلاد اليمن عامة أمثال : معاذ بن

جبل، وأبي موسى الأشعري، ووبر بن يحنس، وعلي بن أبي طالب، وزياد بن لبيد البياضي وجرير بن عبد الله البجلي وغيرهم . فقد كان الرسول الكريم يبعثهم على الصدقات مرشدين وهادين ودعاة إلى الإسلام، ونحن نعرف بدون شك دور هؤلاء الصحابة الأجلاء في الإسلام ، ومعاصرتهم وتلقيهم على رسول الهدى، ثم فيضهم من هذا التلقي الثقافي على أهل البلاد التي مروا عليها منذ خروجهم من مكة المكرمة والطائف حتى وصلوا مدن اليمن الكبرى، ومما لاشك فيه أن أهل هذه البلاد قد نالهم حظ وافر من إرشاد وتعليم أولئك الصحابة (رضي الله عنهم)[١٦]، مما أثر في حياتهم الفكرية تأثيراً ملحوظاً، ولعل كتب الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى بعض سكان تهامة والسراة دليل واضح على بذر ثم ازدهار الثقافة الإسلامية في تلك النواحي، ومن أمثلة تلك الكتب ، كتاب كتبه الرسول (صلى الله عليه وسلم) لوفد بارق عندما قدموا عليه في المدينة لإعلان إسلامهم في السنة العاشرة للهجرة، قال فيه " **هذا كتاب من محمد رسول الله ، لاتجز ثمارهم، ولا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلاّ بمسألة من بارق، ومن مر بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام، وإذا أينعت ثمارهم فلا بن السبيل اللقاط يوسع بطنه من غير أن يقتتم" وشهد على هذا الكتاب أبو عبيدة بن الجراح، وحذيفة بن اليمان، وكاتبه للرسول (صلى الله عليه وسلم) أبي بن كعب[١٧]. وكتب الرسول (صلى الله عليه وسلم) كتاباً آخر لمطرف بن الكاهن الباهلي الذي قدم عليه من بلاد بيشة بعد فتح مكة المكرمة، قال فيه : " هذا كتاب من محمد رسول الله لمطرف بن الكاهن ولمن سكن بيشة من باهلة ، إن من أحيا أرضاً مواتاً بيضاء فيها منافع الأنعام ومراح فهي له وعليهم في كل ثلاثين من البقر فارض، وفي كل أربعين من الغنم شاه ، وفي كل خمسين من الإبل ثاغية مسنة، وليس للمصدق أن يصدقها إلاّ في مراعيها وهم آمنون بأمان الله "**[١٨]. وكتاب آخر من الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى نهشل بن مالك من باهلة بيشة قال فيه: " **باسم الله هذا كتاب من محمد رسول الله لنهشل بن مالك ومن معه من بني وائل، لمن اسلم ، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة ، وأطاع الله ورسوله، وأعطى من المغنم خمس الله وسهم**

النبي، وأشهد على إسلامه ، وفارق المشركين، فإنه آمن بأمان الله ، وبرى إليه محمد من الظلم كله ، وأن لهم أن لا يحشروا ولا يعشروا، وعاملهم من أنفسهم..."[١٩] وفي كتاب آخر لقبائل خثعم ببلاد بيشة قال فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم): " **هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضر بيشة وباديتها، إن كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خيار أو عرار تسقيه السماء... فله نشره وأكله ، وعليهم في كل سيح العشر، وكل غرب نصف العشر مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً وأصدقه لقاء، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانة ، أنتم مني وأنا منكم، وجعل شعارهم مبروراً وحمى لهم حميّ حول قريتهم على أعلام معلومة...**"[٢٠]. كماَ علمَّ (صلى الله عليه وسلم) الطفيل بن عمرو الدوسي بعض الوصايا التي يتبعها عندما أرسله من الطائف مع بعض قومه لهدم بعض الأصنام في بلاد دوس وخثعم وبيشة وغيرها في السنة الثامنة للهجرة ، فقال له : "...**افش السلام، وابذل الطعام، واستحي من الله كما يستحي الرجل ذو الهيئة من أهله**[٢١]، **إذا أسأت فأحسن، إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين...**"[٢٢].

كل هذه الكتب الآنفة الذكر، والكلمات والأقوال التي قالها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) إلى أولئك الصحابة (رضوان الله عليهم) أو إلى تلك الأقوام التي خاطبها في بارق، أو بيشة، أو خثعم ، أو دوس، أو جرش أو نجران، أو بلاد حكم وغيرها ، ليست إلاَّ جزءاً بسيطاً مما حدث من صلات وعلاقات بين الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وبين أهل تهامة والسراة. وليس المهم في هذه الدراسة تتبع الصلات والمكاتبات والعلاقات ، لأنها -سوف تخرج في دراسة مستقبلية بإذن الله- ولكن الأهم هو التأثير العلمي الفكري الثقافي على سكان تهامة والسراة، ويظهر جليا من عبارات الرسول (صلى الله عليه وسلم) في بعض الكتب السابقة أنه كان يكتب ويخاطب أناساً ربما أصبح بعضهم قادراً على معرفة المسائل الفقهية التي كان ينبههم إليها، بل من المؤكد أن بينهم من تعلم شرائع الإسلام على يد الرسول (صلى الله عليه

وسلم)، ثم إن كتابة الكتب من قبل الرسول وإعطاءها للوفود التي تقدم عليه لدليل أن بينهم أو في ديارهم من يستطيع قراءتها وتفسيرها وشرحها لأهلهم وذويهم. كما أن ثناءه (صلى الله عليه وسلم) على صرد بن عبد الله الأزدي ووفده الذين قدموا من ديار جرش (عسير) عندما استقبلهم استقبالاً حسناً وقال لهم : " **مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً، وأصدقه لقاء، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانة ، أنتم مني وأنا منكم...**" لم يكن ينتج من فراغ، فلو لم يلمس الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) إيماناً صادقاً، وأخلاقاً حميدة، وبياناً رفيعاً، وثقافة إسلامية صحيحة لما قال هذا القول الطيب الجميل. ومما يزيدنا يقينا على رسوخ التعاليم الإسلامية عند سكان تهامة والسراة منذ السنوات الأولى لظهور الرسول (صلى الله عليه وسلم) قول جرير بن عبد الله البجلي للرسول (صلى الله عليه وسلم) في السنة العاشرة للهجرة، عندما سأله (صلى الله عليه وسلم) عن أحوال الإسلام ببلاد تهامة والسراة قال : " **يا رسول الله قد أظهر الله الإسلام، وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاتهم، وهدمت القبائل أصنامهم التي تعبـــد...**"[٢٣]. هذا القول من صحابي جليل من أهل السراة رأى وشاهد وعاصر عصري الجاهلية والإسلام بتلك البلاد، بل كان من صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذين عملوا جاهدين في محاربة الشرك وتعليم شرائع الإسلام في طول البلاد وعرضها التي تمتد من مكة المكرمة والطائف إلى حواضر اليمن الكبرى[٢٤]. ثم إن شهادته هذه وقوله عن بلاد السراة في تلك الفترة المبكرة يدل على رقي الوعي الديني في تلك النواحي حتى أنه أصبح لهم مساجد يرفعون فيها الآذان، ويقيمون فيها الصلوات ، بل وصل بهم الإدراك إلى إخلاص العبادة لله وحده وهدم الأصنام والأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله. ومثل هذا الإنجاز العظيم لايتم إلاّ بوعي ثقافي علمي فكري يقوم عليه رجال تعلموا القواعد الأساسية الشرعية الإسلامية من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن صحابته المقربين إليه ، أمثال أبي بكر الصديق،

وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين). ولم تصل أحوال المجتمع في بلاد تهامة والسراة إلى ما وصف جرير البجلي للرسول (صلى الله عليه وسلم) إلاّ بجهود فقهاء وعلماء وطلبة علم تخرجوا من مدرسة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم ذهبوا في أنحاء عديدة من شبه الجزيرة العربية لينشروا الدين الإسلامي وما يتصل به من علوم وشرائع، ويحاربون ما لا يضر ولا ينفع من أصنام وفجور وطغيان، وهكذا وصلت أحوال الناس في تلك البلاد في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم).

وعندما جاء عصر الخلفاء الراشدين، كانت العلوم والثقافة الإسلامية قد زرعت في قلوب السرويين والتهاميين وأثمرت، فأصبح يعيش بين ظهرانيهم العلماء والفقهاء الذين يتقنون العلوم الشرعية واللغوية المختلفة ، والذين يسعون إلى محاربة الكفر، وتعليم الناس ما يجب عليهم ، مستمدين أقوالهم وأحاديثهم من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وأكبر دليل على ذلك موقف سكان بلاد تهامة والسراة من حروب الردة التي ظهرت في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق حيث لم يشارك في الارتداد منهم إلاّ أقوام قليلة، أما السواد الأعظم فبقوا متمسكين بالشريعة الإسلامية التي تعلموها من الرسول (صلى الله عليه وسلم)[٢٥]. وهذا لايحدث إلاّ بوجود تربة إسلامية صالحة، وعلماء وفقهاء ورجال علم يبينون للناس ما جهلوه ، ويحذروهم من خطورة الارتداد الذي شارك فيه المنافقون أو من في قلبه مرض ولم يثبت الإيمان في فؤاده.

وبدأت حواضر الحجاز، مكة المكرمة والمدينة المنورة، تزخر بالعلماء والفقهاء وطلبة العلم، وخاصة في الفترة الأولى من صدر الإسلام يوم كانت المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية. وبدأ طلبة العلم يهاجرون من أوطانهم الأصلية وافدين على حلقات التعليم والذكر في الحرمين الشريفين ولم تكن تقتصر هجرتهم عند حد التعليم

في مدن الحجاز، ولكن البعض منهم كان يذهب للدراسة والتعليم ثم ينخرط في سلك الجهاد في سبيل الله ، فيخرجون مع الجيوش الإسلامية إلى كل من بلاد العراق وفارس، والشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس، وكثير من مصادر التاريخ الإسلامي المبكرة تورد روايات متعددة عن جهود أهل تهامة والسراة الذين قدموا من بلادهم للاستزادة من العلوم الشرعية والفقهية ، ثم انخرطوا في الجيوش الإسلامية للجهاد في سبيل الله ونشر الدين الإسلامي خارج شبه الجزيرة العربية[٢٦].

والمجاهدون من بلاد تهامة والسراة في الفتوحات الإسلامية المبكرة كثيرون، وبعضهم كان من طبقة المتعلمين وأصحاب الفكر والبيان، بل كان فيهم من يقرض الشعر ويعد من فحول الشعراء. وعمر بن معدي كرب الزُبيدي أفضل مثال على ذلك[٢٧]، حيث كان من كبار مستشاري سعد بن أبي وقاص في القادسية، ومن أقواله التي قدمها لسعد بعد معركة القادسية قوله : "... **أيها الأمير لانحب أن تتقي علينا فإن الذي نصرنا عليهم بالأمس، هو الذي ينصرنا عليهم اليوم... وقد علمنا أن الله عز وجل إذا كتب على قوم القتل فلابد لهم مما كتب لهم.. فلسنا نشك أن القتل في سبيل الله أفضل من الموت على وثير الفرش فطوبى لمن قتل في سبيل الله صابراً يريد بذلك ما عند الله من الثواب الجزيل...**" [٢٨] وعمرو بن معدي كرب كان أيضاً من الخطباء الجيدين، بل كان له مشاركات خطابية في معركة القادسية يهدف من ورائها إلى حث المسلمين على الجهاد ورفع معنوياتهم ، **فيذكر من خطبه أنه قال في أحد أيام القادسية مع الفرس "... يا معشر المسلمين ! لعله قد هالتكم هذه الكتيبة ؟ قالوا : نعم والله يا أبا ثور لقد هالتنا ! وذلك أنك تعلم أنا نقاتل هؤلاء القوم من وقت بزوغ الشمس إلى وقتنا هذا، فقد تعبنا وكلت أيدينا ودوابنا، وكاعت رجالنا ، وقد والله خشينا أن نعجز عن هذه الكتيبة ، إلاّ أن يأتينا الله بغياث من عنده، أو نرزق عليهم قوة ونصراً ، فقال عمرو يا هؤلاء إنكم إنما تقاتلون عن دينكم وتذبون عن حريمكم، وتدفعون عن حوزة الإسلام ، فصفوا خيولكم بعضها إلى بعض ، وانزلوا عنها، والزموا الأرض واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا، فإنكم بحمد الله صبراء**

في اللقاء ليوث عند الوغي، وهذا يوم كبعض أيامكم التي سلفت، والله إني لأرجو أن يعز الله بكم دينه ، ويكبت بكم عدوه..[٢٩]. ثم ترجل عن فرسه وجاهد الكفار وهو يقـول :

لقـــد عَلمـــتْ أقيـــالُ مذحَـــجَ أنَّنـــي
أنــا الفارسُ الحامـــي إذا القـــوم أضجـروا
صـــبرتْ لأهـــل القادسيـــة معلمـــاً
ومثلـــي إذا لـــم تصـــبر الناس يصبر
وطاعَنتهُـــم بالرُّمْـــح حتـــى تبـــددُوا
وضاربْتهـــم بالسيـــف حتـــى تكسَّرُوا
بذلـــك أوصانـــي أبـــي وأبـــوُ أبـــي
بذلـــك أوصانـــي فلســـت أقصّرُ
حمـــدتْ إلهـــي إذ هدانـــي لدينـــه
فللـــه أسعـــى مـــا حييـــت وأشكـــر[٣٠]

وهذه الأقوال والعبارات والأشعار التي قالها عمرو بن معدي كرب لاتخرج إلاّ من رجل صاحب فكر وثقافة ، بل عاش في بيئة ذات تربة فكرية وثقافية. والأهم في معانيه وألفاظه أنها تصدر من شاعر وقائد ومستشار عسكري امتلأ قلبه بالإيمان الصادق بالله، ويفضل الشهادة في سبيل الله بدلاً من الموت على وثير الفراش.

ومن أشباه عمرو بن معدي كرب الزبيدي كثير ، وخاصة الذين تركوا مواطنهم الأصلية وشاركوا في جبهات الفتوحات الإسلامية المبكرة، ثم استقروا في الأمصار الإسلامية وعملوا على نشر الثقافة والفكر العربي الإسلامي بين سكان تلك الأقوام وإنا لنجد كتب التراث الإسلامي تذكر العديد من أسماء الأعلام الذين قدموا من بلاد الحجاز، أو تهامة والسراة ، أو اليمن ، أو أجزاء أخرى في شبه الجزيرة

العربية، ثم برزوا في معارف وعلوم مختلفة، حتى إن بعضهم صار من كبار المفسرين أو الفقهاء أو المحدثين أو اللغويين وغيرهم، وهناك أيضاً من برز في سلم السياسة أو التجارة أو نواح حضارية أخرى مهمة[٣١].

والسؤال الذي يفرض نفسه هو ، ما مستوى وطبيعة الحياة العلمية والفكرية والثقافية في بلاد تهامة والسراة بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم)؟ والإجابة عن هذا السؤال ليست سهلة يسيرة لأن الأمر يتعلق بمنطقة صعبة التضاريس، بل بعيدة بعض الشيء عن المراكز الحضارية والثقافية الكبرى، وقبل أن نتكلم عن منطقة تهامة والسراة فإنه من الأجدر التعرض للأحوال الفكرية والعلمية في حواضر شبه الجزيرة العربية أمثال : مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وصنعاء وغيرها.

وعندما كانت الحجاز محط أنظار المسلمين ، والمدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية في عهدي الرسول الكريم والخلفاء الراشدين، كانت جميع النواحي الحضارية مزدهرة في جميع حواضر شبه الجزيرة العربية. ومع انتقال عاصمة الخلافة الإسلامية من الحجاز إلى الشام في عهد دولة بني أمية، ثم إلى العراق في عهد دولة بني العباس تبدلت الأحوال في جزيرة العرب وصارت من حسن إلى سيِّيء، ونشطت الهجرات منها متجهة إلى حواضر العالم الإسلامي الكبرى، ومن أهم الأصناف المهاجرة آنذاك أرباب العلم من العلماء والفقهاء والمحدثين واللغويين وغيرهم ، ومثل هؤلاء لا يلامون على تركهم أوطانهم وهجرتهم إلى المراكز الحضارية والثقافية الكبرى مثل : بغداد ، وفارس ، ودمشق ، والقاهرة، وفاس ، وقرطبة وغيرها، وذلك لسهولة العيش هناك ، ثم توفر الحماية والرعاية لهم، إلى جانب توفر حياة فكرية وثقافية نشيطة.

أما حواضر شبه الجزيرة العربية الكبرى ، فلم تخل من النشاط الفكري والعلمي ، وأفضلها مدن الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) فقد نالت حظاً لا بأس

به من العلم والعلماء، ولم تتأثر كثيراً من الناحية العلمية بعد انتقال العاصمة الإسلامية مـــنها، وذلك لوجود الحرمين الشريفين بها، ولأداء مناسك الحج بها سنوياً ، ولوجود مسجد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بها . كل هذه الأسباب جعلت لها منزلة فـــريدة ومميزة عند جميع المسلمين ، وخاصة عند رجال السياسة ورجال العلم، فنجد الخلفاء والأمراء كانوا حريصين على زيارة الحجاز والتودد إلى أهله وقضاء حوائجهم، والصـــرف على مشاريعهم، والتقرب من علمائهم . أما العلماء وأرباب القلم فكانوا يحرصـــون على زيارة أرض الحجاز لأداء مناسك الحج وزيارة مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وكذلك للاتصال ببعض علماء مكة والمدينة، ومنهم من كان يفضل المجاورة للكعبة الشريفة أو لقبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم عقد حلقات العلوم الشرعية في رحاب الحرمين الشريفين وأحياناً كان يقوم بعضهم بتدوين بعض المعارف المختـــلفة عن الحجاز بشكل خاص أو عن جزيرة العرب بشكل عام . وهذا مما جعل مـــدن الحجـــاز تحـــتفظ بـــبعض النشاط العلمي والفكري خلال العصور الإسلامية المختلفـــة(٣٢) .

والنشاط الفكري والعلمي الذي كان في رحاب الحرمين الشريفين خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة أثر على الحواضر الكبرى في شبه الجزيرة العربية أمثال : صنعاء وصعدة في اليمن، واليمامة في نجد ، والإحساء وغيرها في بلاد البحرين، وذلك بهجرة بعض طلبة العلم من تلك الحواضر إلى مدن الحجاز لكي يؤدوا مناسك الحج والعمرة، ثم يتلقوا بعض العلوم على أيدي علمائها، وأحياناً على أيدي بعض العلماء المشاهير الوافدين إلى الحرمين الشريفين، والذين كان لهم حلقات درس في مكة أو المدينة .

وطلـــبة العلم من اليمن وعلماؤه أنشط الفئات الذين لهم علاقات مستمرة ومتصلة بعلماء الحجاز أو بالعلماء الوافدين إلى الحرمين من المراكز الحضارية في العالم

الإســـلامي آنـــذاك. وإنا لنجد بعض المصادر التاريخية المبكرة وكذلك الدراسات الأثــرية ، تذكر أسماء كثيرة من علماء اليمن الذين كانوا يأتون إلى الحرمين الشريفين للـــتدريس فيهما ، ثم العودة إلى بلادهم لقضاء بعض الوقت بين أهلهم وذويهم، وفئة مـــنهم كـــانت لاتـــتوقف إقامتهم في الحجاز وإنما يذهبون إلى الشام والعراق ومصر والمغرب والأندلس لكي يعلموا ويتعلموا هناك[٣٣]. كما أن بعض علماء المسلمين في العـــراق أو الشام ومصر أو الحجاز كانوا يهاجرون إلى بلاد اليمن لكي يلتقوا ببعض العـــلماء المشـــاهير هناك فيتعلموا على أيديهم بعض العلوم المختلفة، وكذلك الأدباء والشعراء كانوا يخرجون من بلاد اليمن حتى يقدموا على خلفاء بني أمية وبني العباس فـــيمدحوهم لكـــي يحصلوا على رضائهم وأعطياهم [٣٤]. وقد لايتوقف الأمر عند خروج الشعراء من اليمن أو بلاد تهامة والسراة ، وإنما بعض الشعراء المشاهير في العالم الإســـلامي كـــانوا على علم بمستوى أدب اليمن وشعر شعرائه، مما ينهض دليلاً على التواصل العلمي بين الأقطار الإسلامية.

وهذا الهمداني يحدثنا عن منزلة الشاعر بكر بن مرداس اليمني بقوله: [٣٥]

" فخبرني ابن مرزا الأبناوي عن بعض من حدثه من أهل صنعاء عن أبيه قال : وافيت الحج فرأيت في الطواف فتى ظريفاً خفيف الروح يعصب به جماعة حتى قضى طوافه وصلاته فقلت : من هذا؟ فقيل أبو نواس الحسن بن هاني فسلمت عليه وفاوضته وأخبرته بنفاق أشعاره بصنعاء وسألته شيئاً منه فقال : تطلبني مثل هذا وعندكم بكر بن مرداس قال : قلت وأنه عندك بهذه المنزلة ؟ فقال : أما هو القائل :

يـا إخوتـــي إن الطبيـــب الـــــذي

تـرجون أن يبرئني مسقمـــــــــي

...إلخ القصيدة "

ومثل هذا الحديث يدلنا على معرفة أبي نواس وربما غيره بأحوال الشعر في اليمن، وكذلك علو منزلة الشعراء في اليمن حتى صار كبار الشعراء في العراق وغيرها يحفظون ويرددون أشعارهم.

وسقنا الحديث السابق عن أحوال الحجاز واليمن الفكرية والعلمية لكون بلاد تهامة والسراة تقع بينهما، ومن البديهي أن تنال هذه البلاد المتوسطة الموقع قسطاً من العلم سواء من علماء اليمن أو علماء الحجاز، خاصة وأنها معبر لأهل اليمن أثناء توجههم لمكة المكرمة والمدينة المنورة. والقارىء لكتب التراجم وغيرها من كتب الأولين، ككتاب الطبقات لابن سعد، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، والإصابة في تمييز الصحابة ،وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، وطبقات فقهاء اليمن لعمر بن سمرة الجعدي، والعقد الثمين للفاسي، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وبهجة المجالس للقرطبي . كل هذه الكتب وغيرها يجد فيها القارئ معلومات قيمة عن علماء وفقهاء ، وشعراء وأدباء، وأرباب سيف وغيرهم ، عاشوا في حواضر هذين القطرين (اليمن والحجاز) ، وفي غيرهما من حواضر العالم الإسلامي،كالكوفة ، والبصرة ، ودمشق ، وبغداد ، والقاهرة وقرطبة وغيرها ، وبعضهم كانوا تهاميين وسرويِّي المولد ، وبعضهم الآخر حجازيون ، أو يمنيون ، أو كوفيون ، أو بغداديون أو دمشقيون أو قرطبيون مستقراً ومقاماً[٣٦]، ولكن مع الأسف لم نجد لهذه المنطقة (تهامة والسراة) ذكراً واسعاً وصريحاً في مثل هذا المجال . ولعل السبب في ذلك يعود إلى اهتمام المؤرخين والمؤلفين بشكل عام بالمراكز الحضارية الشهيرة في العالم الإسلامي ، أكثر من اهتمامهم بالمناطق المغمورة ، والواقع أن منطقة تهامة والسراة الواقعة بين اليمن والحجاز ظلت منسية ، ردحاً من الزمن ، ولهذا وجب

علينا أن نقوم بالبحث عن المصادر التي تعرضت لها ، لكي نظهرها للوجود حتى تكون غذاء دسماً وضرورياً للأجيال القادمة .

ونجـد أن المصـادر الأولية تمدنا ببعض المعلومات اليسيرة عن بعض الأدباء والشعراء، خلال القرنين الأول والثاني للهجرة ، وكانوا يذهبون ويروحون ما بين بلاد تهامـة والسراة وغيرها من الحواضر الإسلامية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها ، ومن أولئك الشعراء:-

١- **ابـن الدمينة** ، وهو عبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر بن تيم الله بن مبشر بـن أكـلب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وهو خثعم بن أنمار بن إراش بـن عمـرو بـن الغوث بن ثبت بن مالك وقيل أكلب بن ربيعة بن نـزار[٣٧] • لم يعرف تاريخ ولادته ووفاته وإنما عاش ومات خلال النصف الأول من القرن الثانى الهجرى متنقلاً في أرض الجزيرة العربية من بلاد السراة إلى صنعاء والشام وبغداد، ومن أسماء الأماكن في السروات والتي وردت في قصائده وتدل على انتمائه إليها قوله في بيشة ممتدحاً (معن بن زائدة)[٣٨] :

لولا رجاؤك لم أسر من بيشـة

عرض العراق بفتيه ورواحـل[٣٩]

وذكر في أبيات أخرى أسماء المواقع في بلاد قحطان وشهران والحجر، كما ذكر أبياتاً كثيرة يفتخر بقومه خثعم ، فيقول :

وخثعم قومي ما من الناس معشر

أعم ندى منهم وأنجى لخائـف[٤٠]

ويقول :

وأنك إن فخرت بغير شيء ترد به حديث المبطلينـــــا

فإن لختعم آيات نعمـــى إمارات الهدى نوراً أمبينـــا[41]

ولـــه قصائد وأشعار عديدة جمعت في ديوان من قبل الأستاذ (أحمد راتـــب النفاخ) ، وقد صدر هذا الديوان عام ١٣٧٨هــ بمقدمة الأستاذ/ محمود محمد شاكر في سلسلة (كنوز العرب)[42] .

٢- **أحمد بن يزيد بن عمرو القشيبي**[43] ، وهذا الشاعر ينتهي نسبه إلى حمير، ثم يعرب بن قحطان، وكان يسكن بصعدة مع صديقه الشاعر محمد بن أبان الخنفري[44] ، في عهد الدولة الأموية ، وكان صديقاً وحليفاً وصهراً له ، فقد تزوج من أخته الفارعة ابنة أبان .

ولما نشبت الحرب بين الربيعة والسعديين قام القشيبي مع ابن أبان في هذه الحرب وأفرى في السعديين وذلك على حد المصاهرة والحميرية كما يقول الهمداني إذ لم يكن للشاعر شأن بهذه الحرب .

ولما اصطلح الحيان وعادت بعض بطون السعديين وأحس أنه قد أوجع القوم في حرب لم يكن طرفاً فيها خاف على عقبه من بني سعد بن سعد فارتحل إلى نجد وحالف بعض القبائل اليمينة كزبيد ونهد وجنب حتى يعز بهم ويقوى ثم تقدم فترل رياض تنادح (ببلاد شهران حالياً) في جمع من أهل بيته وخدمه وحشمه ومن رغب الظعن معه من قومه[45] .

ولما طال المكث به وتمادى في المقام اجتمعت إليه قبائل عتر (عسير) وكلمته في الترول بأرضها وأحميتها فسألهم المهلة حتى يعود رواده الذين بعثهم إلى نواحي الطائف وأنه لمرتحل . ولكن عتراً رأت ذلك مماطلة ومدافعة منه ، وألحت عليه في طلب الارتحال، وكره سرعة الرحيل ، وجرت بينه وبين القوم مشادة وملاحاة حتى

فزع كل فريق إلى سلاحه، وبعث الشاعر الصريخ يستنجد بأحلافه زبيد وجنب ونهد وكان منهم حلال بالقرب منه فأنجدوه واقتتل الفريقان قتالاً شديداً انهزمت بعده عنز بعد أن قتل جمعاً من أشرافها ورؤسائها . وبعدها ارتفع الشاعر من رياض تنادح إلى قرية جرش حتى يكون قريباً من أحلافه واستوطنها ، ولكن الحرب لم تنته بل ظلت مشتعلة بين الحيين . وكانت له أشعار ومناقضات مع محمد بن أبان في تلك الحرب وكان يبعث بها إليه في صعدة(٤٦) .

ولم يحدد الهمداني الذي أورد أخباره مكان وزمان وفاته، ولم تذكر المصادر الأخرى شيئاً عنه ، ومن ثم ستظل وفاته مجهولة لنا إلى أن تكشف كتب التراث هذا المجهول .

وشعر أحمد بن يزيد قوي الأسلوب فخم التعبير يمثل العصبية القبلية عامة والعصبية اليمينة خاصة . ولعلنا نلمس هذه الشدة في اللفظ والمعنى في قصيدته التي بعث بها إلى محمد بن أبان يصور فيها بلاءه وبلاء أحلافه حيث يقول :

لقد لفلفت عنز علينا وأجلبت ودبت الينا في كتائبها تســـــــري
وساقت علينا من معد قبائــــلا تبختر في الماذى في الحلق الخضـــــــر
فقالت معد ارحلوا من سيوفنـــا وخلوا بلاد الأكرمين ذوى الفخـــــــر
فسارت إلينا من زبيد عصابــــة وقالوا لنا بالجد منهم والنصــــــــر
وجاءت بنو نهد بن زيد بعــارض من المزن وانى الرعد منبجس القطــر
واردف من يام وحى عديـــــــة فوارس ليسوا الميل في ساعة الكـــــر
وغورى جنب في عرين حبيضــــة يرن عزيف الجن في شاهق وعـــــــر

ويمضي على هذا النحو إلى آخر القصيدة التي تبلغ أربعة وعشرين بيتا ينتقل من معنى إلى معنى في قوة الفارس، وصلابة المحارب(٤٧) .

٣- **جعفر الحارثي** ، وهو جعفر بن علبة بن ربيعة بن عبد يغوث بن معاوية بن صلاءة بن المُعَقَّل بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد المدان ينتهى نسبه إلى مذحج ثم إلى كهلان فيعرب بن قحطان . ويكنى بأبي عارم وهو ابنه وفيه يقول : عند مقتله[٤٨] .

أوصيكم إن مت يوما بعارم ليغنى شيئاً أو يكون مكانيا

ولد هذا الشاعر ونشأ بنجران بلاد بني الحارث بن كعب، وكان فارس قومه وشاعرهم، كما كان أبوه شاعراً أيضاً . وكغيره من شعراء عصره لم نجد تحديداً لميلاده أو أخباراً عن نشأته الأولى ، وكل ما نعرفه من أخبار هذا الشاعر تلك الحادثة التى أودت بحياته ، ولكنها حفظت لنا بعض أخباره ، وهي حادثة قتله لأحد العقيليين ، ورفع أمره لوالي مكة ثم حبسه والقود منه بقتله ، وقد اضطربت الروايات واختلفت حول مقتله . ولعل أبا الفرج الأصفهانى خير من يعطينا صورة لهذا الاضطراب وذاك الاختلاف حيث يقول : **((وكان جعفر قتل رجلاً من بني عقيل: قيل : إنه قتله في شأن أمة كانا يزورانها فتغايرا عليها. وقيل : بل في غارة أغارها عليهم . وقيل : بل كان يحدث نساءهم فنهوه فلم ينته ، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقتل منهم رجلاً فاستعدوا عليه السلطان فأقاد منه))**[٤٩] .

ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف فان الشاعر قد رفع من نجران وحبس بمكة[٥٠] في القرن الثاني للهجرة ، وتردد الوالي في قتله لخؤولة أبي جعفر المنصور في بني الحارث بن كعب ، ولكن العقيليين أقاموا القسامة عليه وهددوا الوالي إن لم ينصفهم ليقدمن على الخليفة المنصور، ويجيب الوالي بعد هذا التردد فيقيد لهم منه بقتله .

وكما اختلفت الروايات في تحديد أسباب الحادثة التي أدت إلى مقتل الشاعر اختلفت في تحديد زمان ومكان القود منه، فبينما نجد أبا الفرج الأصفهاني يذكر أن

الحادثة كانت في عهد أبي جعفر المنصور وأن الوالي على مكة كان السرى بن عبد الله الهاشمي وأنه نسخ ذلك من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني بأثره عن أبيه[٥١]، إذ به ينقل عن أبي الكلبي أن الحادثة كانت في عهد إبراهيم بن هشام المخزومى ، ومن ثم فإن الرواية تقرر أنه قتل في عهد هشام بن عبد الملك بن مروان. وإذ به يعود وينسخ من كتاب للنضر بن حديد يقرر فيه أنه قتل في عهد المنصور وأن الوالي على مكة كان السرى بن عبد الله الهاشمي. وبعد نقل صاحب الأغانى لهذه الروايات نجد التبريزي في شرحه على حماسة أبي تمام يقرر وبدون تردد أن القتل كان على عهد الوالي إبراهيم بن هشام المخزومي[٥٢] .

ويبقى بعد ذلك أن نقف عاجزين عن تحديد السنة التي قتل فيها الشاعر ، فلم يذكر أحد ممن ترجموا له تحديداً لهذه السنة ، وقد حزن عليه أبوه حزناً شديداً ، بل نجران كلها بكت مقتله ، فيذكر أبو الفرج أن أباه عندما علم بمقتله عمد إلى كل ناقة وإلى كل شاه ونعجة فذبح ابنها ورماه أمامها وقال : ابكين معنا على جعفر[٥٣] .

وقد وصف أبو الفرج جعفر بن علبة بأنه شاعر مقل غزل فارس مذكور في قومه ، وهذه الصفات في الواقع تنطبق على الشاعر ، فأما كونه غزلاً فله أبيات في غاية الجودة ، وحادثة قتله ربما أفصحت عن هذه الصفة ، وأما كونه فارساً مذكوراً في قومه فيظهر ذلك من خلال شعره ، وتبقى صفة القلة في شعره فهذا مالا نستطيع أن نثبته أو ننفيه، لانستطيع أن ننفيه لأن ما بين أيدينا من شعره قليل ولا نستطيع أن نثبته لأن شعر أهل السراة وبلاد اليمن في هذه المدة قد أصيب بالإهمال وعدم التسجيل .

ومهما يكن من الأمر فإن الذي نلاحظه على شخصية الشاعر هو أنه كان مستهتراً رقيق الدين ، يظهر لنا ذلك من حادثة قتله كما يظهر لنا من شربه الخمر ،

فقد ذكر أبو الفرج أن جعفر بن علبة شرب خمراً حتى سكر فأخذه السلطان وحبسه فأنشأ يقول :

لقد زعموا أني سكرت وربمـــــا ... يكون الفتى سكران وهو حليـــم

لعمرك ما بالسكر عار على الفتـــى ... ولكن عارا أن يقال لئيـــــــم

وإن فتى دامت مواثيق عهـــــده ... على دون ما لاقيته لكريـــــــم[٥٤]

فهو يقرر هنا أن العار ليس في السكر ، وإنما في اللؤم ، ويظهر لنا في هذه الأبيات شخصية أخرى فيها الوفاء، وفيها الكرم والرجولة والكبرياء . وهذا الكبرياء يبرز في موقف القود منه قال أبو الفرج :

((فلما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه : أسقيك شربة من ماء بارد؟ فقال له: أسكت لا أم لك ، إنِّي إذا لمهياف . وانقطع شسع نعله فوقف فأصلحه ، فقال له رجل : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

أشد قبال نعلى أن يراني ... عدوى للحوادث مستكينا[٥٥]

لم يصلنا من شعر جعفر بن علبة إلاَّ ما كان مرتبطاً بحادثة قتله للعقيلي والقود منه ومن المؤكد أنه قد قال شعرا خلاف ذلك ، فقد ذكرت له بعض الأبيات في الغزل تشهد ببراعته في هذا المجال .

وعلى كل حال فان شعر جعفر– كما يبدو لنا – ينقسم إلى قسمين : – قسم غزلي وآخر حماسي . وقد تميز شعر الغزل برقة الألفاظ وسهولتها كما تلمس فيه حرارة العاطفة . ولعل ما يمثل هذه السمات قوله :

أشارت لنا بالكف وهى حزينـــــة ... تودعنا إذ لم يودع سلامتهـــا

وما أنسى م الأشياء ما أنسى قولهـــا ... وقد زل عن غرا الثنايا لثامها

أما من فراقى اليوم بدولا النـــوى　　　بمجتمع الا لشحط لمامهــــــا

أما شعر الحماسة ، فهو يمتاز بقوة الألفاظ ، وجزالة الأسلوب وجودة المعنى ، كما في قوله :

لا يكشف الغماء إلاّ ابن حـرة　　　يرى غمرات الموت ثم يزورهـا

نقاسمهم أسيافنا شر قسمـــة　　　ففينا غواشيها وفيهم صدورها[٥٦]

٤- **العجير السلولي** ، شاعر عاش في بلاد السراة خلال العصر الأموي ، وله قصة مع الخليفة هشام بن عبد الملك ، فتذكر المصادر الأولية أنه كان في بيشة مكان يسمى (**المعمل**)، وهو عبارة عن قرية من أعمال مكة في أرض السراة لبني هاشم ، وكان أول أمر (المعمل) أنه كان بين سلول وخثعم ، فيحفر السلوليون به ويضعون فسيل النخل فيأتي الخثعميون وينتزعون الفسيل ويهدمون ما حفر السلوليون ، ثم يفعل الخثعميون مثلما يفعل السلوليون ، ولايزال بينهم قتال وحروب دائمة حتى صار يطلق على ذلك المكان اسم "**مطلوب**" وعندما رأى ذلك العجير شاعر بني سلول تخوف أن يقع بين الناس شر أخطر من ذلك فأخذ من هذا المكان طيناً وماءً عذباً وذهب به إلى الشام ليعرضه على الخليفة هشام بن عبد الملك، ويخبره ما يدور في ذلك المكان من حروب ونزاعات، وعندما قابل الخليفة وأخبره ، قال هشام بن عبد الملك : كم بين الشمس وبين هذا الماء ؟ فقال: أبعد ما يكون بعده. قال : ما بين الطين؟ قال: في الماء ، ثم أخبر العجير الخليفة بما في بيشة من أودية ومياه عذبة، كما أخبره بجودة وخصوبة أرض بيشة ، فأرسل الخليفة إلى أمير مكة المكرمة وأمره أن يشترى مائتي زنجى ويجعل مع كل رجل امراته ثم يحملهم حتى يضعهم بمطلوب في بيشة للزراعة به، فلما رأى الناس ذلك قالوا أن

مطلوباً معمل يعمل فيه فذهب اسمه المعمل إلى يومنا الحالي[٥٧]. وقال العجير السلولي.

لا نوم للعين إلا وهي ساهــــــرة	**حتى أصيب بغيظ أهل مطلـوب**
ان تشتمونى فقد بركت أيكتكــم	**زرق الدجاج وتجفاف اليعاقيـب**
قد كنت أخبرتكم أن سوف يعمرهـا	**بنو أمية وعداً غير مكــذوب**[٥٨]

ثالـثاً: ملامـح الحيـاة العـلمية في بـلاد تهامـة والسـراة خـلال القـرنين الثالث والرابع الهجريين:-

ويأتي بعد ذلك الحسن بن أحمد الهمداني - يرحمه الله - فيدون لنا بعض المعلومات عن الحياة العلمية والفكرية في بلاد السراة الممتدة من نجران جنوباً حتى الطائف شمالاً ، ويشير إلى الجانب اللغوي عند سكان تلك البلاد في عصره، ثم يقارنه بالجوانب اللغوية الأخرى عند أهل اليمن والكثير من مناطق شبه الجزيرة العربية[٥٩]. ويخلص إلى أن أهل السراة أكثر فصاحة في القول، وسلامة في اللغة حيث يقول : "... **الفصاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد ، فبني الحارث مما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام، فأرض سنحان، فأرض نهد وبني أسامة فعنز، فخثعم فهلال فعامر بن ربيعة ، فسراة الحجر (بلاد بللحمر، وبللسمر ، وبنو شهر ، وبنو عمرو) فدوس، فغامد، فشكر، ففهم ، فثقيف ، فبجيلة ، فبني علي، غير أن أسافل سروات هذه القبائل ما بين سروات خولان والطائف دون أعاليها في الفصاحة...**"[٦٠].

ورغم ماذكره الهمداني من معلومات جيدة عن رقي المستوى اللغوي لأهل تهامة والسراه خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) ، إلاّ أنه للأسف لم يدون لنا شيئاً يذكر عن نشاطهم العلمي والفكري في بلادهم بصفته عالماً يمنياً كان يمر عبر بلادهم ذاهباً آيباً ما بين صنعاء ومكة المكرمة، ولكن في اعتقادنا أنهم لم يصلوا إلى المستوى اللغوي الذي ذكرهم به إلاّ ولديهم نشاط علمي وفكري،

ونجزم أنه كان بينهم علماء وفقهاء وقضاة وشعراء وغيرهم من أرباب العلم ودليلنا على ذلك ما ذكرناه سلفاً عن نشاط الثقافة الإسلامية في بلادهم منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) فكان أهل البلاد يفدون على الرسول الكريم في المدينة المنورة ليتعلموا ويتفقهوا على يديه ثم يعودون إلى أوطانهم ليعلموا أهلها ما تعلموا من شرائع الإسلام، بل كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) شديد الحرص على إرسال بعض كبار صحابته (رضوان الله عليهم) إلى أهل تهامة والسراة واليمن ليفقهوهم ويعلموهم شرائع الدين. وجاء من بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) الخلفاء الراشدون فساروا على نهجه في إرسال العلماء والفقهاء والولاة والقضاة ورجال الحسبة إلى كل جزء من أجزاء الدولة الإسلامية، وبالتالي فبلاد تهامة والسراة لابد أنها نالت قسطاً من الحياة العلمية والفكرية في عهد الخلفاء الراشدين، وفي عهد دولتي بني أمية وبني العباس، ولو أن المصادر التاريخية المبكرة لا توضح لنا ذلك، والسبب كما ذكرنا سابقاً، هو عدم اهتمام المؤلفين الأوائل بالكتابة عن الأجزاء النائية والبعيدة عن المراكز الحضارية الكبيرة في العالم الإسلامي، ومنطقة السراة وتهامة إحدى هذه الديار النائية والمعزولة.

ورغم هذا القصور من جانب الهمداني ، إلاَّ أنه يُعد أفضل من أشار إلى أحوال السراة في عصره، حيث ذكر ظهور بعض الشعراء والأدباء أيضاً ببلاد تهامة والسراة وأورد أن بعضهم كانوا يذهبون إلى حواضر الحجاز الكبرى ليلتقوا ببعض الأدباء والشعراء هناك فيتسامرون ويتبارون معهم في قرض الشعر، ومن أبرز الشعراء الذين عرفناهم من الهمداني الشاعر أبو الحياش الحجري الذي ينتسب إلى الحجر بن الهنو ببلاد سراة الحجر والذي ورد ذكره أثناء تجمع بعض الشعراء من نجد والحجاز والسراة في مكة المكرمة، وكان أبو الحياش يمثل أهل السراة، عندما طغى على الناس القحط وقلة الأمطار، فأنشد الشعراء قصائد شعرية ليتوسلوا فيها إلى الله جل جلاله

طالبين الرحمة والغيث، وقد ذكر الهمداني بعض تلك القصائد التي قالها الشعراء المختلفون في مكة المكرمة[٦١]. وأورد القصيدة التي قالها أبو الحياش، فقال في مطلعها:

رب ما خاب من دعاك ولايحـــ ... ـــجب ياذا الجلال عنك الدعاءُ
لم يخب للنبي يعقوب ياذا الـــــــ ... ـــعرش فيما دعا لديك الرجاءُ
رب أنت الذي رددت عليـــــه ... بصراً كان قد محاه البكـــــــاء

ثم جاء إلى وصف الأرض التي عمها القحط فكان أغلب ماذكر مواطن ببلاد تهامة والسراة ، فقال :

رحمة منك هب لنا إننا نحـــــــــــ ... ـــن لك – الله – أعبدّ وإماءُ
ان هاتا لأزمة عمت النـــــــــــا ... ـــس ومستهُمُ لها البأســـــــاء
ولكم ثم كم سقيت لنــــــــا الأر ... ـــض غيوثاً أتت بها الأنـــــواء
سقيت برهة قرى خلب منــــــــــــ ... ــــــها فجازان تلك فالصبيـــاء
فقرى بيش ، فالدويمات فالبــــــــر ... ـــــك فحلي ممطورة غينـــــاء
ومن الطود فالزتامات خضـــــــــر ... رويت فالتنومة الزهـــــــــراء
فقرى الحجر جهوة الزرع والضرع ... فأشجاها الحنا فالجبـــــــــاء
فجبال السراة فالفرع الوســـــــــ ... ـــطي حكين الجنات فالحيفـــاء
فالذري من سراة غامد فالنمـــــــــ ... ــــــر فأجبال دوسها طخيـــاء
فقرى الدارتين أرض علـــــــــــى ... سهلها والجبال منها المـــــــاء
فقنونا فأرض دوقة فالليـــــــــــث ... ـــث فعشم السرين فالسراء[٦٢]

ويستنتج القارىء الكريم من قراءته لهذه الأبيات حرص الشاعر أبي الحياش على ذكر أسماء بعض الأماكن والمواقع في بلاده (أرض تهامة والسراة) وقد حاول عد بعضها مثل : تنومة، والجهوة ، والأشجان ، التي تقع ببلاد بني شهر (أرض رجال الحجر) وهي مسقط رأس الشاعر، كذلك ذكر مواقع أخرى عديدة في تهامة والسراة، مثل بيش، والبرك ، وحلي، وجازان، وصبياء ، وقنونا، ودوقة، والليث، وعشم ، والسرين، وسراة غامد وغيرها . وذكر هذه الأماكن يدل على معرفة الشاعر بتلك الأماكن، وعلى حرصه وصبغ عاطفته عليها راجياً من الله أن يشملها برحمته بنزول الغيث والخير عليها، كما يستخلص أيضاً من مشاركة الشاعر أبي الحياش مع غيره من شعراء شبه الجزيرة العربية أن بلاده خاصة وبلاد تهامة والسراة عامة كانت غير خالية من العلماء والأدباء والشعراء، ولو لم يكن ذلك لما كان هذا الشاعر السروي قام وأخذ نصيب المشاركة مع غيره من الشعراء ، وبخاصة في حاضرة مكة المكرمة التي عرف عنها النشاط الفكري والثقافي منذ عهود قديمة .

رابعاً :ـ ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة من ق ٤: ق١٠هـ

١ ـ **البلاد التهامية** :ـ أما الفترة الزمنية التالية لعصر الهمداني ونعني بها الفترة الممتدة من أواخر (ق٤هـ وحتى نهاية ق١٠هـ)، فنلاحظ أن المنطقة موضوع البحث قد اعتراها النسيان، وصارت المصادر الإسلامية الوسيطة لاتذكرها إلاّ لماماً، ورغم هذا التجاهل إلاّ أننا قد تمكنا من العثور على بعض الشذرات المتناثرة من المادة العلمية في بطون المصادر على اختلافها – لاسيما كتب التراجم والطبقات وبعض الكتب المحلية لكل من اليمن والحجاز– وهي تساعدنا في إلقاء بعض الأضواء على طبيعة الحياة الفكرية لأهل تهامة والسراة آنذاك .

أ- البيوتات العلمية في المخلاف السليماني (جازان)

فتشير بعض المصادر التي تناولت بالحديث المنطقة التهامية الممتدة من جازان حتى مكة المكرمة إلى عدد من البلدان والمواقع وتذكر ما كان بها من نشاط علمي وفكري، ويأتي في مقدمة تلك المواقع بلاد المخلاف السليماني وأحوازها، ومخلاف حلي ابن يعقوب وما يحيط به من أحواز، وكما نعلم فإن هاتين المنطقتين تقعان في المنطقة السهلية من تهامة، وكل منهما تضم بين جنباتها العديد من الأحواز والقرى والمدن. وقد أفاضت كتب التراجم على وجه الخصوص والمصادر الأدبية بعامة في ذكر من ظهر بهما من العلماء والفقهاء وإن كانت تفاصيلها عن حياة هؤلاء العلماء وتأثيرهم الفكري تكاد تكون معروفة في كثير من الأحيان ، كذلك عددّت لنا بعض البيوتات العلمية الشهيرة في تلك النواحي، والتي حمل أفرادها مشعل العلم في تلك المناطق مما ينهض دليلاً على ازدهار النشاط الفكري في بلاد تهامة والسراة خلال الفترة موضوع البحث، وجدير بالذكر أن بعض هذه الأسر العلمية لازال العلم في أفرادها حتى اليـــوم. ولعل من أشهر علماء هذه المنطقة وكذا البيوتات العلمية التي ظهرت على سبيل المثال لا الحصر ماكان في المخلاف السليماني الذي عُرفت فيه عدة أسر علمية يأتي في مقدمتها أسرة آل الحكمي ، وأسرة الأسدى ، والديباجي، وآل شافع ، والضمدي، وآل معافي، وآل النعمان، وآل النعمي، وآل النمازي، وغيرها، ونظراً لضآلة المادة العلمية التي بين أيدينـــا، فسوف نتناول بإيجاز الحديث عن بعض علماء هذه البيوتات محاولين إلقاء الضوء على دورهم الفاعل في إثراء الحياة العلمية في البلاد التهامية والسروية وخاصة ما يتصل بالعلوم الدينية المختلفة من فقه وحديث وقراءات وغيرها والتي كانت أكثر شهرة من غيرها من العلوم في تلك البلاد، وأولى هذه البيوتات التي عُرفت بالعلم في المخلاف السليماني.

١ـ أسرة آل الحكمي :ـ

ومن أشهر علماء هذه الأسرة الفقيه صديق بن علي بن أبي بكر الحكمـــي (٠٠٠/ت٧٨٦هـ)، ويُعد من أوائل الشخصيات العلمية المنتسبة لهذه الأسرة، وينسب إليه تأسيس أحد المساجد الجامعة بأبي عريش(٦٣)، كذلك أمدتنا كتب التراجم بأسماء شخصيات أخرى من أبناء الأسرة لعبوا دوراً بارزاً في الحياة العلمية بالمخلاف السليماني سواء في الإفتاء أو التدريس وغير ذلك من ضروب العلوم الفقهية المختلفة؛ ومنهم الشيخ الفقيه إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عيسى الحكمـــي (٠٠٠/ت ٨٨٠هـ)، وترجم له السخاوي دليلاً على شهرته العلمية فذكر أنه عُرف " بابن مطير من بيت شهير(٦٤)، وقد توفى بجدة ودفن بمقبرة المعلاه في مكة(٦٥)، والشيخ أبو القاسم بن علي بن بكر الحكمي (٠٠٠/ت٨٩٢) وكان مشهوراً بالولاية والفضل ، والصلاح والسعي في قضاء حوائج الناس(٦٦)، والفقيه عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن مطير الحكمي (٠٠٠/ت٩١٥هـ) الذي نعتته المصادر بالعلم والصلاح ونقاء السريرة(٦٧) ، والشيخ الطاهر بن أبي القاسم بن علي بن أبي بكر الحكمي (٠٠٠/٩٢٢هـ)(٦٨) وكان شيخاً كاملاً في الحقيقة والطريقة، وله كرامات مشهورة؛ وهناك أيضاً العالم السهل بن صديق بن علي بن أبي بكر الحكمي(٠٠٠/ ٩٢٥هـ) " ذو الكرامات الخارقة والأحوال الصادقة " (٦٩)، والشيخ الهادي بن أبي القاسم بن علي بن أبي بكر الحكمي (٠٠٠/٩٣٧هـ) الذي ذكر عنه علو هيبته في العلم فلقب بـ (الشيخ الشهير والولي الكبير)(٧٠) والشيخ جمال الدين المقبول بن صديق الحكمي (٠٠٠/٩٤٨هـ) ، الذي وصفته احدى المصادر بأنه " كان من العلماء المحققين الفصحاء المبرزين عالماً بالفقه والعربية وعلمي المعاني والبيان، وعلم البديع"(٧١) والعالم جمال الدين محمد بن الطاهر بن أبي القاسم الحكمـــي(٠٠٠/ت ٩٥٠هـ) الذي ذكر عنه أنه كان من الفقهاء المشهورين(٧٢). والشيخ أحمد بن أبي

الفتح الحكمي (٠٠٠/ت ٩٥١هـ) الذي " انتهت إليه رتبة الفتوى والتدريس بأبي عريش"[٧٣]، والشيخ صديق بن الدهل الحكمي ، وكان من أعلام بيت آل الحكمي علماً وسيادة[٧٤] ، والفقيه أحمد بن الدهل بن صديق الحكمي (٠٠٠/ت٩٥٦هـ) ، وكان من أكابر القراء ويمتاز بصوت حسن يمتع به السامعين[٧٥]، والشيخ الصديق بن الطاهر الحكمي (٩٦١/٠٠٠هـ) الذي " انتهت إليه الفتوى والرياسة لتدريس الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة"[٧٦]، والشيخ محمد بن صديق بن أبي الفتح الحكمي (٩٢٦-٩٧٧هـ) الذي انتهت إليه رياسة التدريس والإفتاء في زمنه[٧٧]، والشيخ/ علي بن صديق الحكمي (٩٨١/٠٠٠هـ) الذي يعد من فقهاء عصره[٧٨]، وآخر من ترجمت له المصادر من علماء آل الحكمي هو الشيخ/ عمر بن عبد القادر الحكمي (٩٥٣-٩٨١هـ) الذي اسندت إليه رياسة التدريس والإفتاء في عصـــــره[٧٩].

٢- أسرة آل الأسدي :

وهي بدورها من الأسرات التي نالت حظاً موفوراً في المخلاف السليماني من الشهرة العلمية في العلوم الدينية المختلفة ويأتي على رأس علماء هذه الأسرة البلاع الأسدي[٨٠] (٠٠٠-٨٩٣هـ)[٨١] ، والشيخ مقبول بن عمر الأســـدي (٠٠٠/ ٩٣٨هـ) الذي يذكر أنه تولى منصب القضاء في بلدة أبو عريش[٨٢]، والشيخ سراج الدين صديق بن محمد بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن عمر الأســـــدي (٠٠٠/ ٩٣٩هـ) الذي عمل في القضاء أيضاً ببلدة أبي عريش مع عمه القاضي مقبول بن عمر، ثم مع ابن عمه عمر بن المقبول (٩٤١/٠٠٠هـ)[٨٣] ، وهناك أيضاً من علماء القراءات بالمخلاف الفقيه محمد بن صديق الخراز الأسدي (٩٦٠/٠٠٠هـ) الذي تخرج علي يديه العديد من مشاهير القراء في المخلاف[٨٤].

ومن أبناء هذه الأسرة أيضاً من اشتغل بالقضاء واتسمت أحكامه بالعدل وذاع صيته في هذا المجال، وقد أمدتنا المصادر بأسماء عدد منهم نذكر على سبيل المثال: القاضي الشيخ/أحمد بن مقبول بن عمر الأسدي (ت/٩٦٢هـ)، والذي كانت له مشاركاته العلمية في علوم القرآن والسنة إلى جانب العمل بالقضاء[٨٥]. وهناك أيضاً القاضي مقبول بن عمر المثنى الأسدي (ت/٩٨٢هـ) ، وتولى منصب القضاء في بلدة أبي عريش وكان مثالاً للورع والتقوى[٨٦]. والفقيه أحمد بن محمد القيراط الحراز الأسدى (ت/٩٩٧هـ) وذاعت شهرته في علوم القراءات وما يتصل بها من التفسير والتجويد[٨٧].

٣- أسرتا آل الديباجي وآل شافع :

وهما من أُسَر المخلاف السليماني أيضاً التي طار صيتها العلمي في البلاد التهامية والسروية وبخاصة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين؛ ومن أبرز علمائهما في تلك الفترة والذين عرفوا بالصلاح والتقوى والمكانة العلمية المتميزة مما أهلهم للجلوس للإفتاء والتدريس العالم الشهير فخر الدين صديق بن موسى بن أحمد الديباجي (٨٦٢-٩٤١هـ) وكان يلي منصب الإفتاء بأبي عريش[٨٨].

ومن أسرة آل شافع ببلدة صبيا أمدتنا المصادر بترجمة للفقيه الزين بن الأمين شافع (ت٩٥١هـ)، وذكر عنه جلوسه للإفتاء[٨٩] والتدريس بأحدى مناطق مدينة صبيا من أرض المخلاف السليماني والشيخ الحسين بن محمد شافع (ت ٩٦٨هـ)، وتولى بدوره القضاء والإفتاء في صبيا وقد سار فيهما سيرة حميدة، ومُدحت طريقته في القضاء وإصدار الأحكام[٩٠]، والفقيه المهدي بن الزين بن الأمين شافع (٠٠٠/٩٧٩هـ) الذي اشتغل بالوعظ والتدريس بذات البلدة السابقة ، والشيخ حاتم بن محمد شافع (٠٠٠/٩٨٧هـ) الذي اعتلى منصب القضاء بصبيا كما جلس للإفتاء والتدريس بجامعها[٩١].

٤- أسرة الضمدي :-

وهي نسبة إلى وادي ضمد، وقد أمدتنا كتب التراجم بسير عدد من أشهر علمائها منهم الفقيه محمد بن علي بن عمر الضمدي (٨٣٣-٩٩٠هـ) الذي وصف بأنه " إمام المحققين في عصره[٩٢]"، وأنه " من أئمة المعقول والمنقول، أوحد زمانه في الفروع والأصول"[٩٣] " في جميع الفنون "[٩٤] " ، وكان فيه من مكارم الأخلاق ما يبهر العقول"[٩٥]، و "ما لا تسعه الأوراق،وفيه من السخاء ما لا يوجد في غيـــــره[٩٦]"وقد عرف بحبه للأعمال الصالحة[٩٧]، والشيخ محمد بن علي الضمدي (٠٠٠/٩٨٨هـ)[٩٨].

٥- أسرة آل معافي :

وهي من أُسَر المخلاف السليماني أيضاً، وقد اشتهر العديد من أبنائها بالعلم وقرض الشعر، نذكر منهم الشيخ/ أحمد بن علي المعافي الذي ترك أهله وعشيرته وجاور الأشراف الحوازم في بلدة صلهبة عام (٩٦٦هـ)[٩٩] على أثر فتنة وقعت بين الأشراف المعافين في بلدته، وقد سجل هذه الأحداث في أشعار صدرها إلى صديقه الفقيه محمد بن علي بن عمر الضمدي السابق ذكره (٨٣٣-٩٩٠هـ)[١٠٠] وفيها يقول :-

اطمأنت بآل حـــازم داري ... وأساءت بنو معافا جـــواري
وإلى الله أشكر المحسن البـــر ... واشكو إساءة الأشـــــــرار
فأعن يا أخي أخاك سريعـــاً ... بدعاء تتلوه في الأسحـــــــار
قد وعدنا على الدعاء جواباً ... وأصح الوعود وعد الباري[١٠١]

وقد أجابه الفقيه ابن عمر شعراً أيضاً فقال :-

ربِّ ألّف شملاً لآل معافـــــــا ... بددته منهم أمور طـــــــــواري

فلقد خالفوا الصواب، ولكـــــن مادروا بالذي به أنـــــــت داري
يا أخي قومك الأقارب فاحفظهم وإن ضيعوا حقوق الجـــــــوار
فكما قيل في التولـــي التقالـــي والجواري كما علمت جـــــواري
فاعف عمن عصاك منهم وعـــا ملهم بصفح عن ذنبهم واغتفار(١٠٢)

٦- **أسرة آل النعمان** :

وتنتمي هذه الأسرة إلى بلدتي الشقيري وضمد من بلاد المخلاف السليماني، وقد اشتهر فيها غير ذي واحد خلال القرن العاشر الهجري بصفة خاصة نذكر منهم الشيخ/ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يحيى النعمان (٠٠٠/٩١٠هـ)الذي ذكر عنه بأنه " كان فقيهاً عالماً"(١٠٣)، والشيخ محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم النعمـــان (٠٠٠/٩٩٩هـ) وكان من أكابر العلماء وتروي المصادر التي ترجمت له أنه انقطع في آخر حياته ببلدة ضمد، حيث عكف على العبادة والوعظ ولازم التدريس(١٠٤).

ونختتم حديثنا عن البيوتات العلمية ببلاد المخلاف السليماني ودورها في ازدهار الحركة العلمية ببلاد تهامة والسراة بلمحة موجزة عن أسرتي آل النعمي وآل النمازي : وهما من الأسر التي توارث بعض أفرادها المناصب العلمية بأرض المخلاف ونعموا بمكانة مرموقة في حقل الإفتاء والتدريس سواء بمواطنهم الأصلية، أو في البلاد التي استقروا للعمل بها.

ومن أبرز علماء أسرة آل النعمي الشيخ/ محمد بن الحسن النعمـــي (ت ٩٩٩هـ)، وقد أطنبت المصادر في وصف صلاحه وتقواه وعلو كعبه في العلوم الدينية(١٠٥). أما فقهاء علماء آل النماري وكان موطنهم الأصلي بلدة صبيا فقد أشتُهر منهم العديد نذكر على سبيل المثال القاضي نور الدين أبو الحسن صالح بن صديق بن علي النمازي (ت ٩٦٥هـ)، وتولى مناصب الإفتاء والتدريس ، وكانت له مدوناته في العلوم الدينية وظل عاكفاً على العلم حتى وافته المنية(١٠٦). وهناك الشيخ

يعقوب بن علي النمازي (ت ٩٧٩هـ)، وذكرت المصادر أنه هاجر لليمن في طلب العلم واستقر هناك مزاولاً العمل بالتدريس فترة من الوقت ثم عاد إلى موطنه الأصلي بصبيا[١٠٧] ، حيث داوم على التدريس والإفتاء بمراكزها العلمية، علاوة على الوعظ والإرشاد، وحاز مكانة إجتماعية بارزة يدلنا على ذلك ما ذكرته المصادر عنه من أنه كان " مقبول الشفاعة،نافذ الكلمة، يصدع بالحق، ويقابل بالامتثال"[١٠٨] .وبالإضافة إلى الدور الفكري الذي لعبته البيوتات العلمية السابق ذكرها في ازدهار الحياة الفكرية ببلاد تهامة والسراة، شهدت بلاد المخلاف السليماني أيضاً عدداً آخر من العلماء والفقهاء من خارج تلك البيوتات اسهموا بدورهم بنصيب وافر في الحركة العلمية نذكر منهم :- الشريف علي بن عيسى بن حمزه بن وهاس بن أبي الطيب السليماني (٠٠٠/٥٠٦هـ) الذي كان " إمام الزيدية بمكة"[١٠٩] والشيخ أبو محمد سعيد بن أسعد بن علي الحراري (٠٠٠/٦٧٨هـ) الذي ترجم له الخزرجي فذكر أن " أصل بلده قرية المراح في رأس وادي نخلان، وكان حافظاً لكتاب الله[١١٠]، والفقيه محمد بن أحمد بن علي بن وهاس (٠٠٠/٧٩٢هـ) الذي قيل عنه أنه " كان عالماً عابداً صواماً قواماً" [١١١] والفقيه عمر بن عقيل (٩٥٦هـ) الذي لازم التدريس بأبي عريش، كما كان حافظاً ومجوداً للقرآن الكريم"[١١٢]، والشيخ أحمد بن حسن بن أحمد بن إبراهيم شهاب الدين الحزيمي الكناني الجازاني (٨٦٤هـ/٠٠٠) وهو من أبناء بلدة أبي عريش أيضاً من منطقة المخلاف السليماني، ونشأ بها وحفظ القرآن،[١١٣] والشيخ محمد بن المحبوب الوليدي (ت١٠٠٠هـ)، الذي يُعد من مشاهير العلماء في عصره، وينتمي بدوره إلى أبي عريش[١١٤].

ب- البيوتات العلمية في مخلاف حلي بن يعقوب وأحوازها :-

ويقع هذا المخلاف بدوره في البلاد التهامية ، وإلى الشمال من المخلاف السليماني، وقد ظهر به أيضاً عدد من العلماء والفقهاء على مدار العصور الإسلامية الوسيطة، ينتمون إلى بعض البيوتات التي توارث أفرادها العلم والعمل بالتدريس والإفتاء والقضاء. ونلاحظ أن هذه البيوتات العلمية تتوزع في أنحاء المخلاف المختلفة من أحواز ومدن وقرى، ولعل من أشهر مناطق المخلاف التي ساهمت في إثراء الحركة العلمية بفضل من أنجبتهم من علماء وفقهاء ضمتهم هذه الأسر العلمية مناطق السرين، وعشم والقنفذة، وقنونا ، والأحسبة، ووادي حلي وأحوازه، وهذا الوادي الأخير ضم بين جنباته العديد من هذه الأسر العلمية مثل :-

١- أسرة آل الطواشي :

وترجع أصولهم إلى قبائل الأزد، وأصل بلدهم بلدة عثر الواقعة بساحل بيش في المخلاف السليماني، وجَدّ هذه الأسرة ويدعى الشيخ/ علي بن عبد الله الطواشي قد هاجر من عثر إلى حلي في آواخر (ق٧هـ/١٣م)[١١٥]. ثم انتشرت الأسرة بحلى وكثرت ذراريها، ويعلق على ذلك أحد الباحثين المعاصرين بقوله " **أن لهم ذرية كبيرة في قرية القوز من أحواز مخلاف حلى، ولهم وجاهة عند العرب والأشراف وأخلاق جميلة** "[١١٦].

ومن أبرز علماء هذه الأسرة الشيخ/ نور الدين علي بن عبد الله الطواشي (٠٠٠/ت٧٤٨هـ) الذي وصف بأنه صاحب حلي[١١٧]،وأنه " كان شيخاً كبيراً عارفاً ولياً كاملاً ، جليل القدر مشهور الذكر[١١٨]، قال عنه اليافعي " الطواشي نسباً، الشافعي الصوفي مذهباً"[١١٩] اشتغل بفنون من العلم حتى علم الطب، وأكثر إشتغاله بالفقه[١٢٠]، وقد امتدحه تلميذه اليافعي ذاكراً فضله وكرمه بقصيدة شعرية منها :-

تخلفت يوم البين عنهم بجثتي — وراحوا بقلبي يوم بانوا أحبتي

وناديت والركب اليماني راحـــــــل ... وعندي مقيم في الحشا حر لوعـتـــي
خليلي سيرا بلغا لي تحيتـــــــي ... إلى عند سكان الربوع البهيـــــة
إذا جئتما حلي ابن يعقوب يمنـــا ... قليلاً حيث السعادات حلـــــت
وبثّا غرامي في الربوع وقبّــــلا ... رباها وصبا دمعة بعد دمعـــــة
له أسفرت بيض العلا عن محاســـن ... وقالت له : بشراك بشرى برويتـــي
سقى الله أياماً خلوت بسيـــــد ... بها ،هل تراها سامحات بعـــودة
فكنا بها في طيب جمع بها الهنـــا ... وعيش صفا من قبل تكدير فرقـــة
ولاسيما يوماً أغر مباركــــــاً ... به اليمن والبشرى تبليغ منيتـــي(١٢١)

وقد أنجب الشيخ/ نور الدين عدداً من الأبناء شهروا بالعبادة والتفقه في علوم الدين هم على التوالي : عبد الله ومحمد وابو بكر وإبراهيم (١٢٢) وقد انجبوا بدورهم العديد من الأبناء نهجوا جميعاً نهج آبائهم وجدهم نور الدين في العمل بالعلم ونشره بين أهل مخلاف حلي(١٢٣) وأثروا الحركة العلمية به .

٢- أسرتا بني الوكيل والعقابية :

وظهـــرت الأسرة الأولى في مخلاف حلي خلال القرن الثامن الهجري/ القرن الرابع عشر الميلادي، وكان لعلمائها الكثير من المناظرات واللقاءات العلمية مع فقهاء أســـرة آل الطواشي السابق ذكرها(١٢٤) . أما أسرة العقابية والتي ترجع في أصولها إلى قبيـــلة كـــنانة فهي من الأسر العلمية المهاجرة من بلدة حلي في القرن العاشر الهجري (الســـادس عشـــر الميـــلادي) واســـتقرت بـــلدة أبي عـــريش في منطقة المخلاف السليمـــــاني(١٢٥)، وعمل بعض أفرادها بالقضاء في نواحي المخلاف يؤيدنا في ذلك صاحب كتاب العقيق اليماني فيقول : "والعقابية من كنانة أهل حلي بن يعقوب ، إلاّ

أن القاسم عقيبي والد القاضي علي بن أبي القاسم العقيبي وصل إلى أبي عريش واستوطنها..."[126] .

وعلاوة على الأسر العلمية السابق الحديث عنها، حفظت لنا المصادر والمراجع أسماء العديد من الفقهاء والعلماء من أبناء مخلاف حلي بن يعقوب وكانت لهم إسهاماتهم العلمية والفكرية مثل : العالم أبو هارون موسى بن محمد بن محمد بن كثير السِّرِّيِّني (٥٠٦-٥٦٢هـ) وورد ذكره عند السمعاني[127] والشيخ قبولة الهندي (كان حياً سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م) وقابله الرحالة ابن بطوطة عندما حل زائراً لمدينة حلي، واستمتع بصحبته، وقال عنه أنه " الشيخ الصالح العابد الزاهد " وذكر أنه كان من كبار الصالحين[128]، والقاضي أمين الدين مفلح[129] " كان حياً عام (٨١٧هـ/١٤١٤م)[129] ،والفقيه أبو بكر بن محمد بن يعقوب الشقَّاني الذي وصفه ابن حجر بأنه " كان فقيهاً عارفاً فاضلاً زاهداً صاحب كرامات شهيرة ببلاده"[130] . وحسين بن محمد بن حسين بن العليف الذي قال عنه السخاوي "الحلوي نسبة إلى مدينة حلي "[131]،والشيخ قيس بن عامر الشهابي المعروف في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)[132] .

جـ- علوم اللغة والأدب :-

ولم تقتصر شهرة البلاد التهامية العلمية على علمائها الذين نبغوا في العلوم الشرعية المختلفة بل ظهر فيها أيضاً العديد من الأدباء والشعراء الذين ساهموا في ازدهار علوم اللغة والأدب وكانت لهم مساهماتهم الواضحة في هذا المجال ومن يطالع العديد من المصادر والمراجع التاريخية والأدبية التي تناولت منطقة جازان (المخلاف السليماني) يجد فيها ذكر العديد من الأدباء والشعراء وأمثلة متعددة من إنتاجهم الأدبي وما جادت به قرائحهم من أشعار. وسوف نقتصر هنا على أسماء أبرز هؤلاء الأدباء

والشــعراء والفــترة الزمنية التي ظهر فيها كل واحد منهم دون الاستغراق في دراسة إنــتاجهم الأدبي والمستوى الذي بلغه هذا الإنتاج فهذا محله دراسة أخرى متخصصة ليس هنا مجالها ، ومن أبرز هؤلاء الشعراء التهاميين في القرن الخامس الهجري (الحادي عشــر الميلادي) الشاعر الشريف علي بن عيسى بن حمزه بن وهاس السليماني (ت: ٥٠٦هــــ)[١٣٣]، وأحمــد بن علي التهامي[١٣٤]، ومدبر الحكمي[١٣٥]. ومن شعراء المخــلاف أيضاً في القرن السادس الهجري (الثالث عشر الميلادي) عمارة بن علي بن زيدان بن أحمد بن محمد الحكمي (ت٥٦٩هــ)، والشاعر دهمش بن وهاس بن عثور ابــن حــازم بــن وهاس الحسين السليماني[١٣٦]. ومن شعراء القرون التالية للقرن الســادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، الشاعر الأمير القاسم بن علي بن محمد بن غــانم الــذروي[١٣٧]، والشاعر القاسم بن علي بن هتيمل، وكلاهما من شعراء القرن الســابع الهجري[١٣٨] ، والشاعر منصور بن عيسى بن سحبان الضمــدي (٠٠٠/ ٧٢٥هــــ)[١٣٩]، والفقيه علي بن يحيى بن إبراهيم الهذلي الضمدي الموصوف بابن أبي الــرجال مــن أهل القرن التاسع الهجري[١٤٠]، وشعراء آخرون معاصرون لابن أبي الــرجال أمثال :- محمد بن علي بن عمر الضمدي (٨٨٣-٩٩٦هــ)، والمقبول بن صديق بن الدهل بن صديق الحكمي (٠٠/ت ٩٤٩هــ)، وشمس الدين أحمد بن علي المعافي الحسني (٠٠٠/ت٩٩٩هــ)، وصديق بن الدهل الحكمي (٠٠٠/ت٩٥٢هــ) وعمــر بن عبد القادر الحكمي (٩٥٣-٩٨١هــ) ومحمد بن الحسين النعمــي (ت: ٩٩٩هــ)[١٤١].

وظهر أيضاً في مخلاف حلي بن يعقوب وأعماله عدد من الشعراء والأدباء، وقد دونت المصادر والمراجع التي بين أيدينا بعضاً منهم كما قدمت لنا نماذج من إنتاجهم الأدبي ولاسيما- الأشعار-، ونلاحظ أن ما قدموه لنا من إنتاج يقل في مستواه وأهميته البلاغية والأدبية عما قدمه أدباء المخلاف السليماني.

ومن أوائل شعراء مخلاف حلي الشاعر محمد بن سعيد العشمي (عاش في ق ٥هـ/ق١١م)[١٤٢] وورد ذكره عند ياقوت الحموي ، حيث ذكر أنه من " شعراء جنوبي الجزيرة العربية المعاصرين للدولة الصيلحية[١٤٣] .

وأورد لنا بعضاً من شعره وفيه يقول :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة

بتعشر بين الأثل والركوان[١٤٤].

وكذلك الشاعر أبو الحسن علي بن عبد الله الطواشي (٠٠٠/ت٧٤٨هـ) الذي أفاض في مدحه تلميذه اليافعي فقال " ومنهم في حلي بن يعقوب : شيخنا وبركتنا الكبير صاحب القلب المنير نور الدين علي المعروف بالطواشي...[١٤٥]" . وقد أورد اليافعي شيئاً من شعره وقال أنه " نظم رائق "[١٤٦] ومنه قوله :

أسفي من هجر سكان الحمى	**تركوني من هواهم في عمى**
كلما قدمت يوماً قدماً	**نحوهم أخرت عنهم قدما**
صرت مما فاتني من وصلهم	**أقرع السن عليهم ندما**
ليتهم إذ هجروا لم يتلفوا	**بالضنا صباً معنىّ مغرما**
فعسى الدهر يوصل منهم	**يسعف الصب ويشفى السقما**
قد جعلت الدمع مني شافعاً	**ورجائي وانكساري سلّماً[١٤٧]**

كذلك ظهر في مخلاف حلي أسرة نبغ غير واحد من أبنائها في نظم الشعر وتعرف باسم أسرة آل العليف، وذكر أحد الباحثين المعاصرين أنه برز منها عدد لابأس به من الأدباء والشعراء كان لهم نصيب وافر في رقي الحركة الأدبية بالمخلاف [١٤٨] ومن أشهر أبناء تلك الأسرة الشاعر جمال الدين محمد بن حسن بن عيسى بن محمد بن أحمد بن مسلم بن يحيى جمال الدين المكي الحلوي بن العليف

(٧٤٢-٨١٥هـ)، الذي ارتحل إلى مكة لطلب العلم بها ثم هاجر إلى كثير من البلدان لنفس الغرض[١٤٩]. وقد أورد له بعض مؤرخي مكة نماذج من أشعاره وقصائده التي مدح بها بعض أمراء مكة في عصره[١٥٠] ، ومنهم أحمد بن الحسين بن محمد بن العليف (٨٥١-٩٢٦هـ)، وأحمد بن محمد بن حسن العليف (٧٩٤-٨٥٦هـ)، وعلي بن محمد بن حسن العليف[١٥١] ، ومن شعراء هذه الأسرة أيضاً وأدبائها بدر الدين حسين ابن محمد العليف المكي، الذي كان يرتاد مكة المكرمة ويمدح أمراءَها، ففي عام (٨١٩هـ) امتدح الأمير حسن بن عجلان بقصيدة سماها (الدرة الثمينة) وذلك عندما أعيد إلى إمارة مكة المكرمة[١٥٢].

د- الحلقات العلمية وأثرها الفكري في بلاد تهامة :-

ومن خلال استعراضنا السابق لأبرز البيوتات العلمية في منطقة تهامة، وبخاصة في المخلاف السليماني ، يتبين لنا تواجد نشاط علمي وفكري ملحوظ ، وإن كان يأتي في المرتبة الثانية بعد حواضر الحجاز واليمن الكبرى والتي كانت أكثر صيتاً وشهرة في المصادر والمراجع التي عالجت تاريخ وتراث شبه الجزيرة العربية في العصور الإسلامية الوسيطة.

ونلاحظ من خلال نشاطات تلك البيوتات والأسر العلمية أنها تنوعت تنوعاً ملموساً بما يخدم حياة الناس والمجتمعات التهامية ، فكان هناك من علماء تلك الأسر من يقوم على التدريس وتعليم الناس أمور دينهم وغير ذلك من العلوم المعروفة آنذاك، وهناك من جمع إلى جانب التدريس العمل بالإفتاء والقضاء وتقسيم المواريث وغيرها من الأحكام الشرعية ، كما لم تخل أنشطتهم العلمية من عقد الحلقات أو المناظرات الفقهية والعلمية سواء كان ذلك في المساجد أو في منازلهم. وكان علماء وفقهاء المخلاف السليماني (جازان) أكثر نشاطاً من غيرهم في عقد هذه الحلقات، فتذكر لنا

العديد من المصادر بعض حلقات التعليم في كل من أبي عريش، وصبيا، وضمد وغيرها من مراكز هذا المخلاف مثل :- حلقة الشيخ الهادي بن أبي القاسم بن علي بن أبي بكر الحكمي (ت٩٣٧هـ) والتي استمرت في آداء رسالتها التعليمية طوال حياة هذا الفقيه، ولفترة طويلة بعد وفاته، حيث ذكرت المصادر التي اعتمدنا عليها في التأريخ لذلك استمرار عقدها إلى ما بعد عام ١٠٣٦هـ[١٥٣]، وهذا الاستمرار يشير إلى اهتمام أبناء وأحفاد هذا الشيخ من أسرة آل الحكمي بالنشاط العلمي والعمل به والمداومة عليه، وجدير بالذكر أن هذه الحلقة التدريسية كغيرها من حلقات العلم في ذلك الزمان ، كانت تفتتح كل صباح بالذكر وتلاوة القرآن الكريم[١٥٤]. وحلقة الفقيه صديق بن موسى بن أحمد بن يوسف بن محمد بن حسن الديباجي الجازاني العريشي (٨٦٢/٠٠٠) واهتم فيها بالقاء دروسه الدينية على الطلاب بموطنه لفترة من الزمن[١٥٥]. والشيخ صديق بن أبي بكر الحكمي (ت:٨٧٣هـ) الذي أسس الجامع بمدينة أبي عريش فكان محط رحال طلاب العلم[١٥٦] ، والشيخ محمد بن صديق الحراز الأسدي (٠٠٠/ت٩٦٠هـ) الذي رجع من رحلته العلمية إلى بلدة أبي عريش فتصدر للتدريس [١٥٧] ، وقصده الطلاب فتخرج على يديه جيل من القراء والمتخصصين في علوم القرآن [١٥٨] ، والشيخ الصديق بن الطاهر بن أبي القاسم بن علي بن أبي بكر الحكمي (ت:٩٦٦هـ) الذي انتهت إليه رئاسة التدريس في الفقه، والحساب والفرائض، والمساحة، والجبر، والمقابلة[١٥٩] .كما كان المسجد الجامع في ضمد من المراكز العلمية الهامة التي تعقد بها الحلقات الدراسية التي يؤمها طلاب العلم، وينسب تأسيس هذا المسجد إلى محمد بن علي بن عمر الضمدي (٨٨٣-٩٩٠هـ) ، الذي كان له حلقة علمية مشهورة ، وتخرج فيها على يديه عدد من علماء وفقهاء عصره، وقد ذاعت شهرة ضمد حتى صارت بفضل هؤلاء العلماء وتلك الحلقات من مراكز الفكر المشهورة بمنطقة تهامة[١٦٠].

كذلك كانت حلقة الشيخ نور الدين أبي الحسن صالح بن صديق النمازي الصبياني (ت/٩٧٥هـ) من الحلقات العلمية المشهورة بتهامة[١٦١]، وحلقة الشيخ عيسى بن يوسف الظفاري (ت/٩٥٦هـ) والتي داوم على عقدها في مسجد الصدر أبي القاسم بمدينة أبي عريش[١٦٢].

ويذكر الأستاذ/ محمد أحمد العقيلي وجود ثلاث مدارس فكرية علمية شهيرة بمنطقة جازان (المخلاف السليماني) كان لها أثر كبير في نشر الوعي والثقافة بين النـــاس. وأولها مدرسة آل شافع في وادي صبيا، وكانت مدرسة سنية تقوم على تدريس ومناقشة الكتب والأشعار المنبثقة من المذهب السني[١٦٣]. والمدرسة الثانية مدرسة ضمد وقد وصفها العقيلي بأنها " كانت من أنشط المدارس وأفضلها بالعلم والأدب... وأهم مواد تدريسها فقه مذهب الإمام زيد، وعلم الكلام ، واللغة، والحديث، والأدب، وعلم أصول الفقه، وعلم الفرائض، والعروض، والجبر، والمقابلة، وعلم المساحة، وعلم القراءات"[١٦٤]. والمدرسة الثالثة مدرسة أبي عريش، أو مدرسة آل الحكمي" التي تعتبر امتداداً لمدرسة آل شافع، وقد تأسست في القرن الثامن الهجري(الرابع عشر الميلادي) ، وهي مدرسة نشيطة اشتملت على تدريس مواد:- الفقـــه، والحديث، وعلم القراءات السبع، والفرائض، والحساب ، وعلم المساحة، والجبر ، والمقابلة، والأدب ، والعروض، والنحو، والصرف[١٦٥].

ونستطيع القول أن المخلاف السليماني كان أكثر نشاطاً من غيره في بلاد تهامة من حيث كثرة من أنجبتهم من العلماء والفقهاء والأدباء الذين اضطلعوا بنشر الوعي والثقافة بين أفراد مجتمعاتهم سواء عن طريق الوعظ والارشاد والتدريس في كتاتيبه ومساجده وحلقاته العلمية ، ورغم هذا الدور الفاعل للمخلاف السليماني الذي غطى على كثير من المناطق التهامية الأخرى إلاّ أنه لاينفي وجود نشاط فكري علمي ظهر في قرى وأحواز أخرى من بلاد تهامة لاسيما ما يتعلق بالحلقات التعليمية

والتي لاتكاد تخلو منها قرية أو جزء من مسجد أو جامع تقام فيه الجمع والجماعات إلى جانب ما يتبع ذلك من وعظ وإرشاد وتفقيه في الدين ، وبخاصة المراكز التجارية التي تقع على طول طرق التجار والحجاج ما بين مكة ومدن اليمن عبر الساحل ،فكانت لاتخلو من العلماء والفقهاء الذين يرتادونها في ذهابهم وإيابهم مابين الحجاز واليمن، وهؤلاء الأخرون بدون شك ، كان لهم دور في أقامة الصلوات في الجوامع والمساجد التي يمرون بها وكذلك من المحتمل أن البعض منهم أقام في بعض تلك المراكز لبعض الوقت ، إما للتجارة أو لطلب العلم، أو للتدريس وتعليم من يرتادهم من طلاب العلم، كما أن علماء تهامة وخاصة من عاش في المخلاف السليماني، أو حلي بن يعقوب، أو البرك، والسرين، وعشم وغيرها كانوا لايستقرون في أوطانهم ، وإنما البعض منهم كان يرحل من بلده لطلب العلم وغالباً ماكانوا ييممون شطر الحجاز أو اليمن ، بينما اتجه بعضهم خارج شبه الجزيرة العربية في رحلة علمية تجول فيها بين الأمصار الإسلامية المختلفة للاستزادة من العلوم الشرعية واللغوية وغيرها على أيدي مشاهير علماء تلك الأمصار، وقد عاد بعضهم من تلك الرحلة العلمية إلى أوطانهم ، حيث لازموا التدريس والتعليم لأبناء بلادهم مؤدين بذلك رسالتهم العلمية والتعليمية على أكمل وجه، بينما استقر آخرون لأداء الرسالة نفسها في المدن والأمصار التي رحلوا إليها[١٦٦].

هـ- أشهر المصنفات العلمية التي دونها علماء وأدباء البلاد التهامية :-

كانت المصادر والمراجع التي تناولت بالحديث البلاد التهامية والسروية في العصور الإسلامية شحيحة كعادتها في معلوماتها عن تلك المناطق، فإذا ما حاولنا التعرف على مدونات علماء تهامة ونشاطهم في التأليف في العصور الإسلامية الوسيطة وحتى القرن العاشر الهجري، لاتمدنا تلك المصادر سوى بشذرات متناثرة عبر صفحاتها، ومن هذه النتف الضئيلة نحاول إلقاء الضوء والتعرف على بعض المصنفات

التي ألفها ودونها علماء ذلك العصر وخاصة من عاش منهم في منطقة المخلاف السليماني الأوفر حظاً وشهرة في الجانب العلمي من بلاد تهامة.

ويأتي في مقدمة هؤلاء العلماء والفقهاء أصحاب التصانيف العلمية الشيخ أحمد بن مقبول بن عمر الأسدي (ت٩٦٢هـ)[١٦٧]، والذي ينسب إليه تأليف كتاب " الجواهر الحسان في تاريخ أبي عريش وجازان"، وأرجوزة في فرض الكفاية[١٦٨]. كذلك شُهر غير واحد من علماء بلدة ضمد وأحوازها بتآليفهم في مختلف فروع العلوم المعروفة آنذاك لاسيما ما يتصل بالتاريخ وعلوم الأدب ومن أبرز المؤلفات في هذا المضمار، كتاب الوافي للضمدي ،المتوفي عام ٨٧٤هـ[١٦٩] وكتاب " التحذير من الظلم " للعالم محمد بن علي بن عمر الضمدي (٨٨٣-٩٩٠هـ)[١٧٠]؛ وهناك أيضاً الشيخ أبي الحسن صالح بن صديق النمازي (ت٩٧٥هـ)، وهو أحد علماء أسرة آل النمازي بصبيا، وقد أمدتنا المصادر بترجمة وافية له واشهر مدوناته ونلاحظ تنوعها ما بين علوم التاريخ والنحو وغير ذلك من علوم العربية منها " السلاف في تاريخ صبيا والمخلاف"، و"شرح على ألفية ابن مالك" و" منظومة الأنوار الساطعة" وهي أرجوزة فريدة جامعة صدرها بقوله :-

قال النمازي الفقير صالح   **أحمد ربي الله فهو الفاتح**

وختمها بالصلاة والسلام على رسولنا الكريم فيقول :-

على النبي المصطفى محمد   **وآله أهل التقي والســؤدد**[١٧١]

و - مكتبات البلاد التهامية :-

أما عن مكتبات تهامة وما كانت تضمه من مدونات خلال الفترة موضوع البحث، فأغلب الظن أن العديد من مدن وقرى تهامة قد ضمت بين منشآتها التعليمية وبخاصة المساجد والجوامع عدداً من المكتبات ضمت بدورها مؤلفات متنوعة في مادتها العلمية، لاسيما التفاسير وكتب الفقه والتي كانت توضع على صورة أوقاف وأحباس

في المساجد لانتفاع طلاب العلم بها ، أما معظم العلماء والفقهاء، وخاصة الكبار منهم، فبدون شك كانوا يقتنون مكتبات خاصة يطالعونها ويعودون إليها عندما يريدون التأليف أو التدريس أو وعظ الناس وإرشادهم، أو العمل في مهام القضاء والفصل بين الناس في الخصومات. ومما يؤكد قولنا ماذكرته بعض المصادر عندما تعرضت لأحداث عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧هـ) يوم وقعت حرب شديدة الوطأة بين الشريف أحمد بن دريب صاحب جازان، والشريف محمد بن بركات صاحب مكة انهزم على أثرها صاحب جازان، ((**وقتل من أصحابه جم غفير، وانتهكت الحرمات، وانكشفت العورات... ونهبت خزانته، وما فيها من الكتب النفيسة... وهدمت دور الخلافة، وأصبحت البلاد خاوية على عروشها**))[١٧٢] .

ويتضح من النص السابق اهتمام حكام البلاد في جازان وأعيانها بالكتب والمؤلفات القيمة، والحرص عليها بدليل أنها كانت من محتويات خزائنهم الخاصة، وإذا كان هذا حال الحكام، فمن باب أولى أن يكون نفس الاهتمام وبشكل أكثر متواجد عند علماء البلاد التهامية وأسرها العلمية، فيحرصون بدورهم على اقتناء مكتبات عامرة بالمصادر القيمة في المعارف والعلوم المختلفة[١٧٣] ويدفعنا ذلك للقول بأن المكتبات الخاصة على اختلافها وتفاوتها في الأحجام وما تحويه من مصنفات كان موجوداً على امتداد البلاد التهامية ، مما ينهض دليلاً على وجود حركة علمية وأدبية وفكرية نشطة خلال العصر موضوع الدراسة.

٢- **البلاد السروية** :-

لعل أول ما يلاحظه الباحث عن ملامح النشاط العلمي والحركة الفكرية بتلك البلاد، هو ضآلة هذا النشاط مقارنة بما لمسناه عن الحياة العلمية في البلاد التهامية، وبصفة خاصة في الفترة الزمنية التالية للقرن الرابع الهجري وحتى نهاية القرون الإسلامية الوسيطة، ويرجع ذلك في اعتقادنا إلى عدة أسباب جعلت بدورها

المصادر والمدونات الإسلامية تغفل التعرض لهذه البلاد في كثير من الأحيان ويأتي في مقدمة هذه الأسباب :-

١- صعوبة تضاريس بلاد السراة الممتدة من نجران حتى الطائف، وتتمثل هذه الصعوبة في الارتفاع الشاهق لجبالها، فضلاً عن وعورة مسالكها، الأمر الذي جعل معظم أرباب العلم والقلم يحجمون عن ارتياد هذه المناطق والإقامة فيها، وإن تصادف ووصل بعضهم إلى بعض أنحائها، فهم لم يكونوا سوى عابري سبيل في طريقهم إلى الحجاز أو اليمن سالكين الطريق التجاري القديم الذي يربط بين حواضر الحجاز واليمن عبر الأجزاء الشرقية من بلاد السراه[١٧٤].

٢ - كثرة الصراعات القبلية في هذه البلاد والتي استمرت عبر العصور الإسلامية، وحتى وقت قريب من عصرنا الحالي، يؤكد ذلك العديد من الوثائق التي ترجع إلى فترة زمنية حديثة، وخاصة تلك التي تعالج أحوال ونظم حياة القبائل في شبه الجزيرة العربية ، يلاحظ انتشار الصراعات القبلية بصورة كبيرة نظراً لانعدام السلطة المركزية القوية، وقد استمر الأمر على هذه الحالة، حتى نجح الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل - رحمه الله - في توحيد البلاد تحت قيادته[١٧٥] .

٣ - صارت بلاد السراة طاردة للسكان، حيث نشطت حركة الهجرة منها إلى الكثير من الحواضر الآمنة بالحجاز واليمن، رغم توافر مقومات الحياة في بعض أجزائها، ويرجع ذلك بالإضافة للأسباب السابق الحديث عنها (من صعوبة التضاريس - وعدم الأمان) إلى كثرة الكوارث الطبيعية التي ألمت بالبلاد وتواليها لاسيما موجات القحط والغلاء، وما يعقب ذلك من تفشي الأوبئة التي تحصد أرواح الآلاف من سكان السراة ، ومن يتبقى منهم قيد الحياة يؤثر

السلامة بالهجرة إلى حيث الأمن والسلامة، وتؤكد لنا ما سبق العديد من المصادر الإسلامية التي أفاضت الحديث عن مثل تلك الأحداث، فعلى سبيل المثال يذكر ابن كثير في حوادث عام ٥٩٧هـ، فيقول :- " **وقع وباء شديد ببلاد عنزة بين الحجاز واليمن، وكانوا عشرين قرية، فبادت منها ثماني عشرة لم يبق فيها ديار ولا نافخ نار**" [١٧٦] ويذكر ابن فهد أنه في أحداث سنة (٨٤٣هـ) " وقع بالطائف ووج، وليه[١٧٧]، وباء عظيم، هلك فيه من ثقيف وغيرهم من العربان عالم لايحصيهم إلاّ الله، بحيث صارت أموالهم ونعمهم لا مالك لها، واستولى عليها سواهم، وامتد هذا الوباء إلى نخلـة . . . "[١٧٨].

ولمثل هذه الأسباب ضعف التطور الحضاري لبلاد السراة، بما فيه الحياة الفكرية والنشاط العلمي في الفترة موضوع الدراسة، ورغم ذلك الضعف إلاّ أننا لانعدم عدة إشارات أفادت بوجود بعض ملامح للحياة العلمية في البلاد السروية مثال ذلك :-

١ – ظهور عدد من الأسر والبيوتات العلمية في أنحاء متفرقة من البلاد، وبخاصة في القرون الثلاثة الماضية واشتُهر غير واحد من أبنائها بالتفقه والعمل بالعلوم الشرعية والأدبية وغيرها، وقد لازموا التدريس والوعظ والارشاد، وعمل البعض منهم في القضاء والإفتاء[١٧٩]. ونلاحظ من دراستنا لتراجم هؤلاء العلماء أن بعضهم قد رحل في طلب العلم إلى العديد من المراكز والحواضر العلمية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، ثم عادوا إلى بلادهم للمساهمة في إثرائها علمياً، والتدريس لبني جلدهم. وقد اقتنى أغلبهم مكتبات قيمة عامرة بالمدونات في المعارف المختلفة والمتداولة آنذاك [١٨٠]. وهذا المثال يؤكد ما ذهبنا إليه من وجود نشاط فكري في البلاد السروية ورغم أنه خارج

الفترة الزمنية موضوع البحث، إلاّ أنه ينهض دليلاً على وجود مقومات لحياة فكرية جيدة، وبيئات مساعدة لنمو النشاط الفكري في تلك البلاد، لأنه من غير المعقول أن تظهر بيوتات علمية وأدبية فجأة دون أية مقدمات تشير إلى تربة صالحة لنشأة مثل تلك النشاطات.

٢ - العثور على بعض المخطوطات والمدونات علاوة على عدة مصاحف في أنحاء متفرقة من البلاد السروية، وكلها يعود تاريخ تدوينها لما قبل القرن العاشر الهجري، وإذا ما سلمنا بما يراه بعض الباحثين من أنها لم تدون في بلاد السراة، فهي على الأقل قد وصلت إليها من بعض المراكز الحضارية المجاورة[١٨١]. مما يقطع بوجوده حياة علمية على قدر من النشاط في تلك البلاد الأمر الذي دفع أناساً لحمل هذا التراث الفكري لينتفع به أهل السراة على اختلافهم[١٨٢].

٣ - وجود المساجد الأثرية القديمة بأنحاء متفرقة من البلاد السروية، وكذلك المحطات التجارية، وما يعلو بعض واجهات هذه المباني المختلفة وجدرانها من نقوش وزخارف كتابية ينهض بدوره دليلاً على وجود بعض ملامح الحياة العلمية بتلك المناطق[١٨٣].

كذلك مما يجعلنا نعتقد بوجود هذا النشاط العلمي والفكري في بلاد السراة- وإن كان محدوداً مقارنة بالبلاد التهامية - ماورد في المصادر وكتب التراث الإسلامي من إشارات عن المراكز الحضارية السروية الواقعة على طول الطريق بين الحجاز واليمن، ومنها نجران ، وجرش ،و بيشه ،و تبالة ،و تربه ،وغيرها. وجميعها كانت محطات عامرة بالحركة التجارية، والمساجد الجامعة[١٨٤] مما يجعلنا نقول بأنها شهدت أيضاً نوعاً من الحياة الفكرية والعلمية بحكم القرب من المراكز العلمية المتألقة في تهامة

واليمن وبحكم استمرارية الحياة والحركة التجارية على هذه المحطات، وإن لم تتحدث المصادر صراحة على ذلك- وأقمنا هذا الترجيح على بعض الأسباب- التي نراها وجيهة إلى حد ما- مثل :-

١ - أن تلك المحطات - حسبما ورد في المصادر- كانت نشيطة اقتصاديا ً، وغالباً ما يتبع ازدهار النشاط الاقتصادي والثراء رقياً في الحركة التعليمية والفكرية(١٨٥).

٢ - وقوع بعض هذه المحطات التجارية على الطريق الرئيس للتجارة والسفر وهو المعروف بطريق السلطان أو الجادة السلطانية والتي كانت محل اهتمام الولاة والحكام وعنايتهم لمرورهم عبرها(١٨٦)، ولعل ذلك الأمن وتلك الحماية كانت دافعاً للعديد من العلماء إلى اتخاذها سبيلاً للمجاز عبرها إلى اليمن أو حواضر الحجاز، ولما كانت الرحلة سواء للحج أو التجارة أو طلب العلم تستغرق عشرات الأيام، الأمر الذي يدفعهم للاستقرار بعض الوقت أثناء رحلتهم في بعض المناطق السروية التماساً للراحة، فلا نستبعد أن بعضاً من هؤلاء العلماء قد انتفع بهم أهل السراة علمياً عندما حلوا بمساجدهم بعقدهم في تلك الفترات حلقات للعلم والتدريس والوعظ والإرشاد والإفتاء مما ساهم في إيجاد نوع من النشاط الفكري في تلك البلاد ذات الطبيعة الجبلية الوعرة(١٨٧) .

كذلك الحال إذا ما انتقلنا إلى الجهات الغربية من بلاد السراة نجد العديد من المراكز الحضارية والتي ورد أغلبها عند الهمداني في مؤلفه الشهير " صفة جزيرة العرب" ونلاحظ أنه أطلق على تلك المراكز العلمية أسماء قبائلها وعشائرها القاطنين بها(١٨٨). وبعضها الآخر لم يرد ذكره عند الهمداني مما يجعلنا نرجح أنها لم تكن موجودة

في زمنه (القرن الرابع الهجري)، أو لم يصله عنها شيء من أخبارها فلم يذكرها ولكنها لاتزال قائمة في أعالي وسفوح بلاد السراة الغربية والمعروفة باسم " الأصدار".

ومن أبرز تلك المراكز الواقعة أعالي السروات من الجنوب إلى الشمال سراة عبيدة وبها بلدة الحرجة(١٨٩) ، وأحد رفيدة، وخميس مشيط ، وأبها، وتنومة، والنماص، والباحة وغيرها(١٩٠)؛ أما المراكز الواقعة في منطقة الأصدار أو عند سفوح جبال السروات فمن أشهرها بيش، والشقيق ، ورجال ألمع، ومحائل، وبارق، والمخواة وغيرها(١٩١). وهذه المراكز وغيرها كثير قد نوه بذكرها الهمداني، وإن لم يسهب بكثير من المعلومات عنها. ولكننا نلاحظ من خلال تجوالنا في تلك المناطق على مدار العقود الثلاثة الماضية أن تلك الأنحاء السروية لاتزال عامرة بالكثير من الشواهد الأثرية كالمساجد والأسواق وبقايا مقابر وحصون قديمة يرجع تاريخ بعضها للعصور الإسلامية الوسيطة(١٩٢) مما ينهض دليلاً على أنها كانت فيما مضى مراكز حضارية متألقة ويؤيدنا في ذلك أيضاً تلك الأخبار والروايات الشفوية المتداولة بين سكان هذه المناطق، والتي تتضمن أحداث وأسماء مواقع وأشخاص وأسر عاشوا في تلك المراكز، وتعود هذه الروايات إلى قرون عديدة ماضية(١٩٣).

أ- التواصل العلمي بين بلاد السراة والحجاز :-

تشير المصادر الإسلامية على تنوعها واختلافها إلى وجود علاقة قوية وطيدة ربطت فيما بين بلاد السراة والحرمين الشريفين، فكان أهل السراة يترددون بكثرة على الحجاز وبخاصة مكة المكرمة ، وقد تنوعت أغراضهم التي من أجلها قدموا فإما للحج والعمرة أو لطلب العلم، أو للتبادل التجاري.

ومن أشهر الذين ذكروا ذلك ابن جبير في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، وابن بطوطة في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، حيث سجل كل منهما مشاهداته لأهل السراة أثناء تأديتهم مناسك الحج والعمرة. وقد

أفاض ابن جبير الحديث عن فصاحتهم، وقوقم البدنية، وصدق نيتهم في أداء المناسك فيقول :- " **والقوم عرب صرحاء فصحاء حُفاه أصحاء، لم تغذهم الرقه الحضرية، ولا هذبتهم السير المدنية ولا سددت مقاصدهم السنن الشرعية، فلا تجد لديهم من أعمال العبادات سوى صدق النيه، فهم إذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها تطارح البنين علـى الأم المشفقة لائذين بجوارها متعلقين بأستارها فحيثما علقت أيديهم منها تمزق لشـدة اجتذابهم لها وانكبابهم عليها، وفي أثناء ذلك تصدع السنتهم بادعية تتصدع لها القلوب وتتفجر بها الأعين الجوامد، فترى الناس حولهم باسطي أيديهم مؤمنين على أدعيتهم متلقين لها من السنتهم**"[١٩٤] ويؤيد ابن بطوطه سابقه بقوله :- " **لهم صدق نية وحسن اعتقادلله ثم يستطرد قائلاً :- فتراهم لله داعين بأدعية تتصدع لرقتها القلوب، وتدمع العيون الجوامد، [و] الناس حولهم باسطي أيديهم مؤمنين على أدعيتهم**"[١٩٥].

ومن النصين السابقين نلاحظ أن ابن جبير وابن بطوطة قد اتفقا مع الهمداني على فصاحة أهل السراة، والتي كانت تظهر بوضوح في ألفاظ أدعيتهم، فتجعل من يسمعهم في الحرم المكي الشريف ينصت إليهم، ويؤمن على أدعيتهم، بل ويسوق ابن جبير دليلاً على صحة كلامه مؤكداً على صدق نيتهم وخشوعهم في الدعاء أن عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، كان ينتظر مجيئهم إلى مكة المكرمة وطوافهم، ثم يدخل في جملتهم تبركاً بأدعيتهم[١٩٦].

وتبرز العلاقات العلمية بين أهل السراة والحجاز واضحة في حرص السرويين على طلب العلم وتلقي العلوم الدينية بخاصة في الحرم المكي على مشايخه ومشاهير علمائه، وقد تجلى هذا الحرص في إرسال الأباء من السرويين أولادهم إلى مكة بغية حفظ القرآن والاستزاده من علومه، ويؤكد لنا ابن جبير ذلك من واقع مشاهداته والتي خرج منها بانطباع سبق الحديث عنه وهو الفصاحة التي فطر عليها أهل السراة فيذكر أنه شاهد صبياً سروياً في حجر الكعبة قد جلس لأحد الفقهاء يعلمه فاتحة

الكتاب وسورة الإخلاص، ويظهر الرحالة تعجبه لطريقة تعلم ذلك الصبي، ومقدار الجهد الذي بذله المعلم في تعليمه فيقول كان المعلم يقول له " " قل هو الله أحد " فيقول الصبي " هو الله أحد" فيعيد عليه المعلم ، فيقول له :- " ألم تأمرني بأن أقول : هو الله أحد؟ قد قلت . . . وكان يقول له " بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين، فيقول الصبي " بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين " فيعيد عليه المعلم، ويقول له لاتقل :- والحمد لله، انما قل الحمد لله، فيقول الصبي " إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم، أقول والحمد لله للاتصال، وإذا لم أقل بسم الله وبدأت قلت ، الحمد لله"(١٩٧) ثم يقول ابن جبير " فعجبنا من أمره ومن معرفته طبعاً بصلة الكلام وفصله دون تعلم"(١٩٨) .

ولانستغرب على أهل السراة صلاتهم الجيدة بالحجاز وأهله فهي مهبط الوحي وبها قبلة المسلمين ومحط رجالات العلم والفقه، وبالتالي آثر العديد من السرويين البقاء والمجاورة لبيت الله الحرام ، ودليلنا على ذلك من يطالع مدونات مؤرخي مكة والمترجمين لأعيانها يلاحظ أنهم قد حفظوا لنا أسماء العديد من السرويين الذين استقر بهم المقام في مكة وماتوا بها، ودفنوا في مقابرها، ولعل من أبرز من حفظ لنا تلك الأسماء ، تقي الدين الفاسي والذي استدل على مواطنهم الأصلية من ألقابهم، حيث ألحق كل واحد ممن ترجم له بنسبته الأصلية إلى عشيرته أو قبيلته ، كالزهراني، أو الغامدي أو الحجري، أو الخثعمي ، أو البيشي ، أو المذحجي، أو القحطاني ، وغيرها، وقد وردت معظم هذه الأسماء السروية في كتابه العقد الثمين، وجمعها من شواهد القبور الموجودة على أضرحتهم في مقابر عديدة من مكة وخاصة مقبرة المعلاة(١٩٩) .

وكون مدونو التراث الإسلامي من الأمصار الإسلامية كانوا يرتادون مكة ويلتقون بأهل السراة وربما سألوهم عن أوطانهم وما بها من نشاطات سياسية وحضاريـــة . ومن يدقق النظر في كثير من التواريخ المحلية عن مكة المكرمة، وكذلك

الدواوين الشعرية القديمة وبعض كتب الأدب مثل : كتاب الأغاني، والعقد الفريد، وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، وخلاصة الأثر للمحبي وغيرها[٢٠٠] يجدها تحتوي على أسماء عديدة لرواة وفقهاء وعلماء سرويين كانوا يقيمون بأرض السراة ، وقد يروحون ويفدون ما بين الحجاز وبلاد السراة. وقد احتفظت لنا المصادر بأسماء بعض هؤلاء العلماء والفقهاء السرويين الذين عاشوا في العصور الإسلامية الوسيطة وإن لم تمدنا بمعلومات مستفيضة عن آثارهم العلمية ونتاجهم الفكري ، ومن أشهرهم على سبيل المثال :- محرز بن عبد الله من أهل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، ويذكر عنه أنه كان " رجلاً مؤمناً من أهل ترج"[٢٠١]، وإسماعيل بن أحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عطيه النجراني من علماء القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)[٢٠٢]، وأفضل بن محمود بن محمد السروي، ويقول عنه الفاسى " هكذا وجدته مذكور في حجر قبره بالمعلاه" ووصفه " بالشيخ الصالح العابد الزاهد العالم الكامل العارف بالله ، توفي بمنى في أيام التشريق سنة سبع وعشرين وسبعمائة للهجـــــرة"[٢٠٣]. وخلف بن حسن بن ناصر بن مقدم القحطاني[٢٠٤] ، والفقيه الدوسري المعروف سنة (٩٣٢هـ/١٥٢٥م)[٢٠٥]، وأبو عمرو عثمان بن هاشم الحجر، الذي قال عنه الشرجي و"أظن أصله من الجبل[٢٠٦]، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جميع الملقب بالسني، قال عنه الشرجي، هو " صاحب الخليف، وهي قرية قريبة من قرية الخلف، وهما من الحجاز ممايلي اليمن[٢٠٧]، ومحمد بن عبد الهادي بن بكري، وهو عالم " أهل الحجاز المتصل بطور السراة من جهة اليمن"[٢٠٨]، ومحمد بن عمر الحجري المتوفي عام (٧٠٧هـ/١٣٠٧م)[٢٠٩] ، ومحمد بن عيسى بن سالم بن علي بن محمد الأزدي الدوسي (٦٠١هـ/١٢٠٤م-٦٧٤هـ/١٢٧٥م)[٢١٠]، وأبو عمران السروي الزهراني (ت:٧٥٣هـ/١٣٥٢م)[٢١١] والفقيه موسى القرشي[٢١٢]،

ويحيى البجلي الذي أصله من بجيلة زهران من ضواحي مكة المكرمة، ويذكر عنه، أنه أقام بمكة يتعبد حتى ذاع صيته وتوفي سنة (٨٢٠هـ/١٤١٧م)[٢١٣].

ب - الحياة الأدبية في بلاد السراة :

ومعلوماتنا عن الحياة الأدبية عند السرويين ضئيلة للغاية، في ضوء أن المصادر الإسلامية المبكرة لاتسعفنا بمعلومات نتوصل عن طريقها للتعرف على مستوى الأدب والأدباء السرويين وبخاصة ما يتعلق بالشعر العربي الفصيح، أما ما يتصل بشعراء العامية وأشعارهم فمعلوماتنا عنهم تأتي بصورة أوضح وأكثر تفصيلاً، حيث نسمع بعض المقاطع من الشعر العامي يرددها الرواة في بلاد السراة، ويذكرون أنهم حفظوها وتناقلوها شفوياً وتنسب لشعراء عاميين كانوا يقطنون بلاد عسير خلال القرون الماضية[٢١٤].

كذلك شاعت الأمثال الشعبية والحكم، والكنايات العامية والقصص والحكايات، وتعد من أكثر الألوان الأدبية شيوعاً عند أهل السراة، ولاغرابة في ذلك، حيث يصاحبها الترويح والفكاهة علاوة على عدم التزامها بالقواعد اللغوية العربية وما تضفيه على سامعها ورواتها من أنس ومتعة[٢١٥].

أما شعراء الفصحى، فمعلوماتنا عنهم مستقاة من بعض المصادر المتأخرة زمنياً عن الفترة موضوع البحث[٢١٦]، حيث حفظت لنا أسماء بعض الشعراء السرويين الذين عاشوا في العصور الإسلامية الوسيطة، كما ألحقت بتراجمهم نماذج من إنتاجهم الشعري، ومن أهم هؤلاء الشعراء : محمد بن عبد الله بن سعيد بن هشام (ت: ٤٤٠هـ/١٠٤٧م)[٢١٧]، ومحمد بن علي بن سعيد بن هشام (ت:٤٥١هـ/ ١٠٥٩م)[٢١٨]،وموسى بن محمد بن عبد الله اليزيدي(ت:٤٧٤هـ/١٠٩٥م)[٢١٩]، وخالد بن عبد الله (ت:٥٥١هـ/ ١١٥٦م)[٢٢٠]، وسدير بن عامر الوادعي

(ت : ٧٨٧هـ/١٣٨٥م)[٢٢١]، ويزيد بن عبد الرحمن الأموي (ت٧٨٧هـ/١٣٨٥م)[٢٢٢]، وثابت بن سعيد بن زاهر آل محظي الوادعي (ت: ٩٢٠هـ/١٥١٤م)[٢٢٣].

والدارس للقصائد الشعرية التي جادت بها قرائح هؤلاء الشعراء وأوردها أصحاب المصنفات السابقة، يلاحظ أنها تمتاز بالحبكة اللفظية الجيدة، وطريقة نظمها وصياغتها توحي للقارئ أن ناظمها شخص واحد[٢٢٤]، الأمر الذي جعل كثير من الدارسين المعاصرين يشككون فيها، مما يجعلنا نقترح بوضعها تحت الدراسة الأكاديمية الدقيقة للوقوف على قائلها الحقيقي أو مجموعة ناظميها، وإذا تأكدت مصداقيتها ونسبتها إلى هؤلاء الشعراء على اختلافهم، فقد يغير هذا الأمر من الرأي القائل بتواضع مستوى الحياة الأدبية في بلاد السراة، وتظهر دراسات ووجهات نظر جديدة تقول بخلاف ما طرحناه عن بساطة الحياة العلمية في تلك البلاد.

جـ- المصنفات والتآليف العلمية والأدبية لعلماء وأدباء وفقهاء السراة

أما من ناحية التدوين والتآليف في بلاد السراة، فقد عرف عند السرويين بعض الكتب والمدونات التي يرجع إليها طلبة العلم في بلادهم، وقد تكون تلك الكتب مجلوبة من الحجاز واليمن وتهامة وغيرها، لكن العكوف على التآليف والتدوين فلانجد المصادر المبكرة تذكر لنا هذا الأمر صراحة، وربما عائد ذلك إلى عدم وجود من كان يقوم بهذه المهام من الفقهاء والعلماء بهذه البلاد ، بل أن تواضع الحياة العلمية والفكرية بهذه المنطقة ربما كان سبباً رئيساً في عدم وجود علماء كبار يستطيعون البحث والتأليف في بعض العلوم والمعارف. ومع هذا فإننا نجد بعض المراجع والمؤلفات المتأخرة والتي ظهرت في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) تذكر لنا العديد من المؤلفات التي يدعى أصحابها أنها من مدونات وتأليف بعض علماء

وأدباء بلاد السراة، مع أنها لم تذكر ولم يرد اسمها عند أصحاب المدونات ومؤلفات العصور الإسلامية الوسيطة ، ومن تلك المؤلفات مايلي :-

١ - النجوم اللوامع من مختصر التواريخ الجوامع، للمقداد الحرجي(٢٢٥).

٢ - المذكرات في مختصر مسيرة أمراء عسير، لجعفر الحفظي (٢٢٦).

٣ - المروج الحسان في تراجم الأمراء والأعيان، للخنطلي(٢٢٧).

٤ - القول الجلي في تاريخ أمراء حلي ، لأبي شهاب الحربي(٢٢٨).

٥ - الوش المحبوك ، لزين العابدين بن إبراهيم(٢٢٩) .

٦ - طبقات العلماء ، للشيخ موسى بن جعفر الذي اختصر فيه " تراجم علماء منطقة عسير من بيشة حتى صعدة ، وكذلك الأفلاج، ووادي الدواسر، ونجران ، وتهامة عسير من الليث حتى ميدي(٢٣٠).

ومن عناوين هذه المؤلفات الآنفة الذكر نلاحظ :-

أن هذه المؤلفات ، ومن عناوينها، ندرك أنها تناقش قضايا تتعلق ببلاد السراة، وخاصة منطقة عسير خلال القرون الماضية المتأخرة، وفي اعتقادنا أنها لاترجع في تفصيلاتها إلى تاريخ بلاد السراة قبل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. وهذا القول يأتي تحت مظلة الظن والاعتقاد، وخاصة إذا كانت هذه المراجع فعلاً قد دونت وظهرت تحت هذه المسميات لأننا لم نسمع عنها إلاّ في وقتنا الحاضر ولانجد مصادر مبكرة تذكرها، ولازلنا نجهل كل شيء عنها وعن محتوياتها لأنه لم يظهر لنا إلاّ عناوينها فقط، ولانستطيع الجزم بعدم وجودها ولكن أملنا كبير أن نراها تخرج إلى حيز الوجود فقد نجد فيها مادة علمية قيمة توضح لنا بعض الجوانب التاريخية والحضارية التي تميط اللثام عن دور هذه المنطقة الحضاري في العصور الإسلامية

الوسيطة، والتي نعتقد أنها كانت فعلاً فقيرة في حياتها العلمية حتى خيم عليها الإهمال والنسيان، وهذا مايؤكده أحد الدارسين المعاصرين عندما تحدث عن تاريخ بلاد الحجر من أرض السراة فقال " **لعل سبب إهمال نسب وتاريخ رجال الحجر هو عدم بروز أحد أبناء تلك القبائل في قديم الزمان بالعلم الكثير والإطلاع الغزير الذي يؤهله إلى الكتابة عن أرضه ونسبه، وأن وجد منهم علماء في العصر الإسلامي لكن علمهم مقتصر على التفقه في الدين، وتوحيد رب العالمين، ونعم العلم هو، غير أنهم غفلوا عن تاريخهم وماضيهم، كما أن من يوجد منهم في أقطار المعمورة، فهم حجريون نسباً، ولا تهمهم صلتهم بأصولهم، وأرضهم لبعد المسافة بين السراة والأقطار التي نزحوا إليها كمصر ، والشام، والعراق، ولعلهم أخذوا بمنطوق الآية الكريمة { إن أكرمكم عند الله أتقاكم }** "(٢٣١) .

خامساً : الخاتمة :

وخلاصة القول : إن بلاد تهامة والسراة من خلال هذا العرض قد عاشت في الفترة موضوع الدراسة حياة لاتخلو من نشاط فكري متنوع وخاصة البلاد التهامية ممثلة في المخلاف السليماني ، ومخلاف حلي بن يعقوب وأحوازه، وتأتي مرتبة تلك البلاد العلمية في اعتقادنا تالية مباشرة للمراكز العلمية الحضارية في بلاد اليمن والحجاز، فقد ظهر بها عدد لابأس به من العلماء والأدباء وأرباب القلم حملوا مشعل الثقافة والتنوير في العصور الإسلامية الوسيطة، ودفعوا عن بلادهم الإهمال والنسيان الذي لحقهم، أما بلاد السراة فكانت مقارنة بتهامة تعيش حياة علمية وفكرية بسيطة متواضعة، رغم ما فطر عليه أهلها من بيان وفصاحة ويرجع ذلك لصعوبة تضاريسها الأمر الذي ساعد على انعزالها وتقوقعها على نفسها، فلم تشهد من التألق العلمي ما شهدته البلاد التهامية .

والله من وراء القصد ...

سادسا :الحواشي والتعليقات

١ - مشاهدات الباحث وجولاته في هذه المنطقة خلال الثلاثين سنة الماضية كونه أحد أبنائها، فقد ولد ولازال يعيش فيها حتى الآن.

٢ - للمزيد من التفصيلات انظر : عاتق بن غيث البلادي. بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات. (مكة المكرمة:دار مكة للنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ص٧ ومابعدها؛ عبد الواحد محمد راغب دلال. البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران. الجزء الأول (العصر الجاهلي حتى الدولة العثمانية) (القاهرة: مطابع دار التعاون للطبع والنشر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، ص١٧ ومابعدها؛ غيثان بن علي بن جريس. عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م) (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ص٣٣ ومابعدها.

٣ - انظر الحسن بن أحمد الهمداني. صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد على الأكوع الحوالي (الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ، ص١٠٥ ومابعدها، حمد الجاسر. في سراة غامد وزهران ، نصوص ، مشاهدات ، انطباعات. (الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ص٣٥٣ ومابعدها.

٤ - المصادر والمراجع نفسها، ولمزيد من التفصيلات انظر : عاتق بن غيث البلادي. بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص ١٣ ومابعدها؛ غيثان بن علي بن جريس. "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" مجلة الدارة، ربيع الآخر والجماديان (١٤١٤هـ) عدد (٣) السنة (١٩)، ص ٧٦ ومابعدها.

٥ - انظر عاتق البلادي. بين مكة واليمن ، ص١٤ ومابعدها، وعن أهمية بلاد تهامة والسراة اقتصادياً وتجارياً انظر : بحثنا الموسوم بـ " ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة " تم تقديمه في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، في الفترة

الممتدة من (٢٥-٢٧/٨/١٤٢١هـ/٢١-٢٣/ نوفمبر/٢٠٠٠م)، وقد نشر هذا البحث ضمن أعمال تلك الندوة في كتاب تحت عنوان : طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ "حصاد رقم (٨)" (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) ص١٥٧-٢٢٢.

٦ - لمزيد من التوضيحات، انظر : أحمد بن عمر الزيلعي، الخلف والخليف آثارهما ونقوشهما الإسلامية (الرياض:مطابع الخالد، ١٤١٧هـ) ص٣٧ وما بعدها، وللمؤلف نفسه. نقوش إسلامية من حمدانه بوادي عليب (الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ص١١ ومابعدها ؛ أبو محمد سعيد بن عوض آل رداد الأسمري. تاريخ رجال الحجر، المسمى نافذة الفكر على وطن ونسب رجال الحجر (جدة : مطابع التوفيق ، ١٤١٧هـ) ، ص٤٥ ومابعدها. بالإضافة إلى انطباعات ومشاهدات الباحث أثناء تجواله ورحلاته المتعددة في المنطقة موضوع الدراسة.

٧ - لاشك أن بلاد تهامة والسراة، الأجزاء الواقعة بين مدن اليمن والحجاز الكبرى كانت من المواطن الهامة في فجر الإسلام، وذلك لما تتمتع به من موقع جغرافي إستراتيجي حيث تربط بين المراكز الحضارية الكبرى في كل من الحجاز واليمن، وكذلك كثافتها السكانية، حيث كانت من المناطق الهامة التي شارك أعداد كبيرة من رجالها في اعتناق الإسلام في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ثم انخراطهم في ميادين الجهاد ومد الفتوحات الإسلامية في كل من بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس والعراق وبلاد فارس والهند والسند وغيرها من أجزاء العالم الإسلامي آنذاك. وإنا لنجد مصادر التاريخ الإسلامي المبكرة ملأى بأخبارهم ومشاركاتهم في نواح عديدة خلال العهود الإسلامية المبكرة وللمزيد من التفصيلات انظر، محمد بن حبيب البغدادي. كتاب المنمق في أخبار قريش. تحقيق خورشيد أحمد فاروق (بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٩٩ ومابعدها، الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص٣٥٦ ومابعدها، وللمؤلف نفسه. الأكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير. تحقيق محب الدين الخطيب (بيروت : دار المناهل ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص٢٥ ومابعدها. أحمد بن يحيى البلاذري. فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص١٢٨

ومابعدها، عز الدين أبو الحسن بن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت : دار إحياء التراث العربي، د.ت) جـ٣، ص٤١-٤٣، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت : دار سويدان، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) جـ٢،ص٢٣٠ ومابعدها، أحمد بن عبد ربه، العقد الفريد (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) جـ٣، ص٦٤-٦٥، ابن جريس، " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني"، ص٧٦-١١١، وللمؤلف نفسه، " دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام " مجلة الدارة العدد (٤) السنة (٢٠) رجب (١٤١٥هـ) ص ٧-٣٩ ، وللمؤلف نفسه، " بلاد تهامة والسراة منذ فجر الإسلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة " مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مج (٣٨) سنة (١٩٩١م)، وللمؤلف نفسه، "بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ،(أبها مطابع مازن، ١٤١٣هـ)، ص٤٣-٤٩ .

٨ - وللمزيد من التوضيحات ، انظر: عبد الملك بن هشام السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت : دار القلم، د.ت) جـ٢، ص٢١ ومابعدها، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري،(بيروت : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت) مج٣، جـ٥، ص١٢٣، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) جـ١، ص٣٢١-٣٥٩، شمس الدين محمد بن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب شمس الأرناؤوط وآخرين (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) جـ٣،ص٦٢٤ومابعدها، غيثان بن علي بن جريس، " تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى" مجلة العصور، مج٩، جـ١ (يناير ١٩٩٤م)، وللمؤلف نفسه، " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل " مجلة المؤرخ العربي، العدد (٢)مج١ (١٩٩٤م)، ص٧٣ -١٠٠ .

٩ - وللمزيد من التفصيلات انظر كتابنا، عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠) ص١٩ ومابعدها.

١٠- ويذكر أن الطفيل بن عمرو كان زعيماً لقبيلة دوس. وكان رجلاً شريفاً يرتاد مكة المكرمة من وقت لآخر، كان أجداده على علاقة مصاهرة مع أبي سفيان بن حرب وزعماء آخرين من قريش. وفي إحدى المرات أثناء السنة الحادية عشرة من النبوة جاء إلى مكة فاستقبله أبو سفيان وبعض طغاة قريش فحذروه من مقابلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو السماع له. ولكنه لم يصغ لتحذيرهم وقال: "... إني رجل لبيب شاعر، ما يخفي على الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل، ومايقول؟ فإن كان حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته". ثم ذهب لمقابلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فسمعه يتلو القرآن، فأعجبه ما سمع، وقال: " ما سمعت قط قولاً أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه " ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال للرسول (صلى الله عليه وسلم) : " إني مطاع في قومي وراجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام" فوافقه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ودعا له. وللمزيد من التفصيلات، انظر. محمد بن حبيب البغدادي. كتاب المنمق، ص١٩٩-٢١١، جمال الدين بن الجوزي.صفة الصفوة. تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي (حلب: دار الوعي ١٣٩٢هـ/١٩٦٩م)جـ١، ص٦٠٠-٦٠٤، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ٣،ص ٥٤-٥٥ .

١١- ضماد الأزدي من أزد شنوءه بسراة عسير، جاء إلى مكة المكرمة وكان يعالج من مرض الجن، فاستقبله طغاة قريش وحذروه من مقابلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ووصفوه بأنه ساحر مجنون ، فلم يسمع ضماد لما قالـــوا ، وقال: "...لو أني أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي" ثم لقيه (صلى الله عليه وسلم) فقال له : "... يامحمد إني أرقي من هذه الريح فهل لك...؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله " فقال ضماد : " أعد على كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ثلاث مرات فقال : لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، هات يدك أبايعاك على الإسلام" فبايعه. وللمزيد من المعلومات، انظر : ابن الجوزي، صفة الصفوة، جـ١، ص

٦٠٤ ومابعدها، صفي الرحمن المباركفوري• الرحيق المختوم (بيروت : دار القلم، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص١٣١-١٣٢ •

١٢ - يذكر أن الطفيل قدم مع قومه إلى المدينة فوجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد ذهب إلى خيبر لفتحها، فلحق به هناك• وللمزيد من التفصيل انظر: محمد بن عمر الواقدي• كتاب المغازي• تحقيق مارسدن جونس (بيروت : عالم الكتب، د•ت) جـ٢،ص ٦٨٣، ابن هشام، السيرة، جـ٢، ص٢١ ومابعدها، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، جـ٣، ص ٦٢٤ ومابعدها•

١٣ - وللمزيد من التفصيلات عن تلك الوفود، انظر:ابن سعد ، الطبقات، جـ١، ص٣٢١-٣٥٩، ابن هشام• السيرة ، جـ٤، ص٢٣٤-٢٣٠، ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، جـ٣، ص٦٢٠-٦٢١، الطبري، تاريخ ، جـ٣، ص١٣٠-١٣١، محمد حميد الله• مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ٢٤١، ٢٩٠-٢٩١ •

١٤ - وأهل تهامة والسراة كانوا على صلات اجتماعية وتجارية مع أهل مكة المكرمة من قبل الإسلام ، واستمرت هذه العلاقات ونشطت بعد ظهور الإسلام ، وعلى طول العهود الإسلامية المختلفة ، وللمزيد من التفصيلات انظر: شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي• كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق إم دي غوي (ليدن : مطبعة بريل، ١٨٧٦م) ص ٧٩ ، ٩٧، محمد بن أحمد بن جبير• رحلة ابن جبير (بيروت، معلومات النشر غير معروفة) ص٩٦ ومابعدها، ناصر الدين خسرو القبادياني المروزي • رحلة ناصر خسرو ، ترجمة وتقديم أحمد خالد البدلي (الرياض، عمادة شؤون المكتبات – جامعة الملك سعود،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص١٢١ومابعدها،غيثان بن علي بن جريس " الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة " مجلة العرب جـ٧-٨، السنة (٢٦) (١٤١٢هـ) ص٤٤٧-٤٦١، وللمؤلف نفسه• بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية ، جـ١، تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٤م) ص٤١-٥٨ • وللمؤلف

نفســـه " بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط" مجلة العـــرب ، جـ٩-١٠ سنة (٢٧) الربيعان (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ص ٦٠٧-٦٢٣ ·

١٥- وتذكر لنا بعض المصادر التاريخية حرص الكثير من الشخصيات الوافدة على الرسول الكريم على الاستماع إليه والأخذ عنه والشواهد كثيرة على ذلك فهذا فروة ابن مسيك المرادي ينزل على سعد بن عبادة بالمدينة وافداً على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكان يحضر مجلسه ويتعلم القرآن وفرائض الإسلام، وقل مثل ذلك في ضماد الأزدي، وأبي موسى الأشعري، والطفيل بن عمرو الدوسي، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وجرير بن عبد الله البجلي، وأبي ظبيان الغامدي، وأبي هرير الدوسي وغيرهم كثير· وللمزيد من التفصيلات انظر· الجاحظ، البيان والتبيين (طبعة بيروت)، جـ٣، ص٤٦١، البغدادي خزانة الأدب (طبعة بولاق)، جـ٤، ص١١٦، ابن سعد، الطبقات ،جـ١، ص٣٣٢ ومابعدها·

١٦- المصدر نفسها·

١٧- انظر ابن سعد· الطبقات، جـ١/ص٣٥٢، غيثان بن علي بن جريس· بلاد بني شهر وبني عمرو، ص٤٤ ·

١٨- هذا الكتاب ورد في جزء من طبقات ابن سعد، تم طبعه في بلدة أكبر أباد بالهند عـــام (١٣٠٨هـ) ص٣٨-٣٩، محمد حميد الله· مجموعة الوثائق، ص٢٩٢-٢٩٣ ·

١٩- المرجعان نفسهما·

٢٠- ابن سعد، الجزء المطبوع في الهند، ١٠١، ابن سعد، الطبقات، جـ١، ص٣٣٨ ، ابن هشام · السيرة جـ٤، ص٢٣٣-٢٣٤، محمد حميد الله · مجموعة الوثائـــق ، ص٢٩٠،٢٨٩ ·

٢١- أي ذو الصورة والشكل الحسن، أو ذو الوقار· وتقول هئت للأمر إهي، هيئة ،وتهيأت تهيوأ، والهيئة ، الشارة· فيقال مثلا فلان حسن الهيئة· انظر ابن منظور، لسان العرب· فعل " هيأ " جـ١٥، ص١٧٠ (طبعة بيروت)·

٢٢- الواقدي. كتاب المغازي ، جـ٣، ص٩٢٣ .

٢٣- انظر البخاري. الصحيح، مج٣،جـ٥،ص١١١-١١٢، ابن سعد، الطبقات، جـ١، ص٣٤٧-٣٤٨، محمد الأزرقي. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. تحقيق رشدي ملحس، ط٤ (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) جـ١، ص٣٨٠ .

٢٤- وللمزيد من التفصيلات عن حياة جرير بن عبد الله البجلي انظر. ابن الجوزي ، صفة الصفوة، جـ١، ص٧٤١، ابن سعد، الطبقات، جـ١، ص٣٤٧ ومابعدها.

٢٥- وللاطلاع على تفصيلات أكثر عن حروب الردة في البلاد الممتدة من مكة المكرمة إلى صنعاء وصعدة في اليمن، والتي أطلقنا عليها اسم بلاد تهامة والسراة، وكذلك الاطلاع على من لم يشارك في الارتداد بتلك البلاد، وقاموا بجهود طيبة في الدعوة والجهاد ضد المرتدين هناك. انظر: الطبري،تاريخ، جـ٣، ص٢٣٢-٣٢٢،عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون .تحقيق خليل شحادة وآخرين (بيروت:دار الفكر،١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) جـ٢، ص٤٩٣ ، علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت : دار الأندلس، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) جـ٣، ص٣٣٥، البلاذري، فتوح، ص ١٢٦،ابن عبد ربه، العقد الفريد ، جـ١،ص٣١٩،٣١٨،١٢٤، غيثان بن علي بن جريس " بلاد تهامة والسراة منذ فجر الإسلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة " مج (٣٨) سنة (١٩٩١م).

٢٦- وللاطلاع على كثير من الروايات والأخبار في المصادر التاريخية المبكرة ، وعلى دور أهل تهامة والسراة في التعليم في صدر الإسلام، ثم المشاركة في الفتوحات الإسلامية الأولى في اليرموك والقادسية واجنادين ونهاوند وغيرها، انظر محمد بن عبد الله الأزدي. تاريخ فتوح الشام.تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر (القاهرة : مطابع سجل العرب، ١٩٦٩م) ص٣ ومابعدها ، أبو عبد الله عمر الواقدي. فتوح الشام (بيروت : دار الجيل، د.ت) جـ١، ص٥ ومابعدها، أبو محمد أحمد بن أعثم.كتاب الفتوح، مصور من طبعة حيدر أباد بالهند (بيروت : دار الندوة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) جـ١، ص١٠٤ ومابعدها،

المسعودي. مروج الذهب، جـ٣،ص٣٣٥ ومابعدها، ابن خلدون، تاريخ، جـ٢، ص ٥٢٣ ، البلاذري. فتوح، ص٢٥٣ ومابعدها ، غيثان بن جريس. " دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام " مجلة الدارة ، ص٧-٣٩ .

٢٧- ولمزيد من التوضيح عن نسب وموطن وأعمال وأشعار عمرو بن معدي كرب الزبيدي، انظر. الطبري، تاريخ جـ٣،ص٥٧٦، البلاذري، فتوح، ص٢٥٧، ابن أعثم، كتاب الفتوح، جـ١، ص٢٧٠ ومابعدها، المسعودي، مروج الذهب، جـ٢، ص٣٢٤ ومابعدها، ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ١، ص١٢٤-٣١٨-٣١٩، محمد بن عبد الله بن قتيبة. الشعر والشعراء (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص ٢٤٠ -٢٤١ .

٢٨- ابن عثم. كتاب الفتوح، جت١، ص٢٧١-٢٧٢ .

٢٩- المصدر نفسه، جـ١، ص٢٧٦ .

٣٠- المصدر نفسه، جـ١، ص٢٧٧ .

٣١- وللمزيد من التفصيلات عن أولئك الرجال المشاهير يجب الاطلاع على كتب التراجم والطبقات، وخاصة المؤلفات المبكرة التي تم تأليفها في اليمن أو الحجاز أو بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس، وفي العراق وبلاد فارس، وأغلبها متوفر في مكتباتنا العربية والإسلامية.

٣٢- وللاطلاع على معلومات أكثر عن نشاط بلاد الحجاز فكرياً، ثم عن علاقة بعض الأمراء والخلفاء بها في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة، انظر. جميل حرب محمود حسين . الحجاز واليمن في العصر الأيوبي (جدة : مكتبة تهامة للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص١٦١ ومابعدها، غيثان بن علي بن جريس. بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جـ١، ص٨٩ وما بعدها، وللمؤلف نفسه." مواقف خلفاء بني العباس الخيرية تجاه أهل الحجاز ١٣٢-٢٣٢هـ" مجلة المنهل". العدد (٤٩٧) مـ ج ٥٤

(١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ص٨٢-٨٨، وللمؤلف نفسه. " علماء الحجاز وعلاقتهم بخلفاء بني العباس " مجلة المنهل". العدد (٥٠٢) مج ٥٤ (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص٢٨ ومابعدها وللمؤلف نفسه.

The Social, Industrial and Commercial History of the Hegaz Under the Early Abbasids 132-323/ 749-847. Ph.D. Thesis Victoria University of Manchester (1987) pp. 87ff.

٣٣- ولمزيد من التفصيلات عن هجرة علماء اليمن وعلاقاتهم مع أجزاء عديدة في العالم الإسلامي، انظر: عمر بن علي بن سمرة الجعدي. طبقات فقهاء اليمن. تحقيق فؤاد سيد (بيروت : دار القلم (د.ت) ص٤ ومابعدها، محمد يحي زبارة، أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة : الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ص٢٥ ومابعدها، محمد بن أحمد العقيلي. التاريخ الأدبي لمنطقة جازان (جازان :النادي الأدبي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) (جزءان الثاني والثالث).

٣٤- انظر الشريف المرتضى. أمالي المرتضى (القاهرة : الحلبي، ١٩٥٤م) جـ١، ص٢٢٤-٢٢٥، الحسن بن أحمد الهمداني. الأكليل (بغداد : مطبعة دار الحرية ، ١٩٧٧م) جـ١، ص٣١٥-٣١٦، للمؤلف نفسه. صفة جزيرة العرب، ص٨٤، أحمد عبد الله السومحي. أدب اليمن في القرنين الأول والثاني الهجري (جدة : المطبعة العربية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) جـ١، ص٢٢ ومابعدها.

٣٥- الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص٨٤ - ٨٥ .

٣٦- ونجد في كثير من كتب التراث الإسلامي، وخاصة كتب الأدب والشعراء، أقوال وأشعار وروايات كثير من الشعراء الذين قدموا من بلاد تهامة والسراة إلى بعض المراكز الحضارية الكبرى في العالم الإسلامي، وإذا بهم يحنون إلى مواطنهم الأصلية ويتذكرونها فترد في قصائدهم ورواياتهم وأشعارهم. وللمزيد من التفصيلات انظر. أحمد عبد الله السومحي. أدب اليمن في القرنين الأول والثاني الهجري (جزءان).

٣٧- لمزيد من التفصيلات انظر :- ديوان ابن الدمينه. جمع وتحقيق أحمد راتب النفاخ. تقديم ومراجعة محمود محمد شاكر(القاهرة:دار العروبة،١٣٧٨هـ)، ص١٤ومابعدها. أيضاً

انظر : عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء (بيروت:دار إحياء العلوم ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٤٩٢-٤٩٣، للمزيد أيضاً انظر : " أخبار ابن الدمينة ونسبه "، كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (طبعة بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ط٢، جـ١٧، ص٩٨-١١٢ .

٣٨- معن بن زائدة الشيباني من رجال الدولتين لأموية والعباسية ومن أجود العرب، ومن القادة المذكورين بالبأس والنجدة، وكان فارساً شجاعاً. انظر: الطبري. تاريخ، جـ٧، ص٥٠٥-٥٠٨ .

٣٩- ديوان ابن الدمينه ، ص٣٥ .

٤٠- المصدر نفسه، ص٣٧، وله أشعار عديدة في كتاب الشعر والشعراء لإبن قتيبة، ص٤٩٢ ومابعدها. وكذلك في كتاب الأغاني (طبعة بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) جـ١٧، ص٩٨ ومابعدها.

٤١- ديوان ابن الدمينة، ص٣٦ ، ٣٧ .

٤٢- المصدر نفسه (جمع وتحقيق أحمد راتب النفاخ).

٤٣- انظر لمزيد عن أخبار هذا الشاعر:- الحسن بن أحمد الهمداني. الإكليل.(القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٦م)، جـ٢، ص١٢٨ ،١٦٣-١٦٦، أحمد بن محمد الشامي. قصة الأدب في اليمن (بيروت : منشورات المكتب التجاري للطباعة،١٩٦٥م)، ص ٢٥٧- ٢٦٣ .

٤٤- ولد الشاعر بن أبان الخنفري بصعدة في خلافة الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) سنة خمسين للهجرة ، ونشأ بها ، يعود نسبه إلى يعرب بن قحطان. للمزيد انظر : أحمد الشامي قصة الأدب في اليمن، ص٢٥٧ ومابعدها.

٤٥- انظر، الهمداني، الإكليل، جـ٢، ص١٢٨، ١٦٣ ومابعدها، أحمد الشامي، قصة الأدب في اليمن، ص٢٥٨ ومابعدها.

٤٦- المصادر نفسها.

٤٧- الهمداني، الإكليل، جـ٢، ص١٦٥ ومابعدها، أحمد الشامي، قصة الأدب في اليمن، ص٢٦١ ومابعدها.

٤٨- لمزيد من التفصيلات عن هذا الشاعر انظر :- أبو الفرج الأصفهاني. كتاب الأغاني (بيروت : مؤسسة جمال للطباعة، عن طبعه دار الكتب المصرية، بدون تاريخ)، جـ١٣، ص٤٥ . " جعفر بن علبة الحارثي:- حياته وما تبقى من شعره" جمع وتحقيق ودراسة الدكتور/ شوادفي أحمد علام. مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة (جامعة الأزهر) (العدد الثاني عشر/ ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص ٣٤١-٤٢٩ .

٤٩- الأغاني، جـ١٣، ص٤٩ ومابعدها،"جعفر بن علبة الحارثي"جمع ودراسة الدكتور/ شوداقي علام، ص٣٤٦ ومابعدها.

٥٠- المصادر نفسها.

٥١- المصادر نفسها. أيضاً، انظر كتاب :- أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، لمحمد بن حبيب ، (القاهرة : طبع لجنة التأليف والترجمة، ضمن نوادر المخطوطات لعبد السلام هارون، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، جـ٢، ص ٢٠٧ .

٥٢- انظر: شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي (بيروت : عالم الكتب، تاريخ النشر غير معروف)،جـ١،ص٤٦، كما انظر : " جعفر بن علبة الحارثي" جمع ودراسة شودافي علام، ص٣٥٢ ومابعدها.

٥٣- الأغاني، جـ١٣، ص٤٦، " جعفر بن علبة الحارثي " جمع ودراسة، شودافي علام، ص ٣٥٥-٣٥٦ .

٥٤- الأغاني، جـ١٣، ص٤٥، ٥٢ . " جعفر بن علبة الحارثي " جمع ودراسة ، شودافي علام ، ص ٣٦٩-٣٧٠ .

٥٥- الأغاني، جـ١٣، ص٥٣، " جعفر بن علبة الحارثي" جمع ودراسة شودافي علام ، ص٤١٧ .

٥٦- " جعفر بن علبة الحارثي " جمع شودافي علام، ص٤١٨ .

٥٧- لمزيد من التفصيلات عن الشاعر العجير السلولي، انظر:- محمد بن سلام الجمحي. طبقات فحول الشعراء.قراءة وشرح محمود محمد شاكر (القاهرة: مطبعة المدني، تاريخ النشر بدون) جـ٢،ص٥٨٣، ٥٩٣، ٦١٥، ٦٢٥ ، وهناك روايات تقول : أن العجير السلولي عاش في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان والوليد عبد الملك- لمزيد من التفصيلات عن أخبار هذا الشاعر ونسبه، انظر:- كتاب الأغاني (طبعة بيروت)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) جـ١٣، ص ٦٤-٨٤ .

٥٨- المصدر نفسه، ص٧٤ ومابعدها.

٥٩- انظر الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص٢٧٧-٢٧٩ .

٦٠- المصدر نفسه، ص ٢٧٩ . والمتتبع والدارس للألفاظ واللهجات في يومنا الحالي بشبه الجزيرة العربية ، يجد أن بلاد السراة الممتدة من صنعاء في اليمن إلى الطائف في الحجاز لازالت من أنقى اللهجات القريبة أو النابعة من اللغة العربية الصحيحة، مع العلم أنها في الآونة الأخيرة بدأت تضعف وتتقهقر إلى الوراء، والأسباب لذلك كثيرة من أهمها : اختلاط أهل البلاد بعناصر عديدة وافدة من بلدان إسلامية وغير إسلامية، وكثير منهم لا يعرفون العربية فيبدأ سكان البلاد بتكسير لغاهم ولهجاهم حتى يفهم منهم أولئك الوافدون وبالتالي صارت تتأثر لهجات أهل البلاد بتأثيرات سلبية وخطيرة على اللغة العربية. أيضاً تدني مستوى تدريس اللغة العربية في المدارس وذلك ناتج عن عدم وجود المدرسين الأكفاء الملمين بعلوم اللغة. ومن المؤسف حقاً أنا قد نشاهد كثيراً من المعلمين المتخرجين في الجامعات، وبعضهم يحمل مؤهلات عالية، ومنهم من تخصصه اللغة العربية لايفقهون في أصول اللغة العربية شيئاً، وإن تحدثوا أو خطبوا لاحظت اللحن في حديثهم شائعاً وإن حضرت لدرس معلم في مدرسة، أو لمحاضرة أستاذ في جامعة وجدته يتحدث بلغة بعيدة عن الفصحى ، وأحياناً تكون بلهجة البلد الذي جاء منه سواء كان من داخل المملكة العربية السعودية أو من خارجها.

٦١- الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٧٨-٣٨٤، وأيضاً انظر: تفصيلات أكثر في مقالة عبد الله الناصر الوهيبي " تحديد الشعراء العرب للمواقع الجغرافية" بحث مقدم في الندوة

العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، مصادر تاريخ الجزيرة العربيـــــــــــــة (١٣٩٧هـــ- ١٩٧٧م) جــ١، ص٣٦٣-٣٧٥ ٠

٦٢- انظر: الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ٣٨١-٣٨٢، غيثان بن علي بن جريس "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني، ص٧٦-١١١ ٠

٦٣- انظر، محمد أحمد العقيلي، أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان (مكة المكرمة:مطابع دار مكة للطباعة والنشر،منشورات نادي مكة الثقافي،د٠ت)، ص١٠٥، وللمزيد من التفصيلات انظر، عبد الله محمد أبو داهش٠ أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب واحوازها في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠-١٢٠٠هـــ/١٠٠٩-١٧٨٥)(الرياض: العبيكان ، ١٤٢٠هـــ/١٩٩٩م)، ص ١٨٧ ٠

٦٤- شمس الدين محمد السخاوي٠ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة، د٠ت) جــ١، ص١٢٥ ٠

٦٥- المصدر نفسه٠

٦٦- عبد الله بن علي النعمان الضمدي٠ العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني ، لازال مخطوط، وتوجد صورة منه لدى الباحث، بدون رقم ، جــ١، ص ١٣٩، أبو داهش، أهل تهامة، ص ١٨٨ ٠

٦٧- السخاوي، الضوء اللامع، جــ٥، ص ٥ ٠

٦٨- النعمان الضمدي، العقيق اليماني، جــ٢، ص١٤٨، أبو داهش، أهل تهامة ، ص١٨٨ ٠

٦٩- النعمان الضمدي، العقيق اليماني، جــ٢، ص١٤٨ ٠

٧٠- المصدر نفسه، جــ٢، ص١٦٥، ١٦٦ ٠

٧١- العقيلي، أضواء على الأدب، ص١٠٥ ٠

٧٢- المرجع نفسه ، ص ١٠٦، أبو داهش ، أهل تهامة، ص١٨٨ ٠

٧٣- النعمان الضمدي، العقيق، جــ٢، ص٤٨٠ ٠

٧٤- العقيلي، أضواء على الأدب، ص١٠٦ ٠

٧٥- النعمان الضمدي، العقيق، جـ٢، ص٢٠٠ ٠

٧٦- العقيلي، أضواء على الأدب، ص١٠٦ ٠

٧٧- المصدر نفسه ، ص١٠٦،١٠٧ ٠

٧٨- المرجع نفسه ، ص١٠٧ ٠

٧٩- المرجع نفسه ، ص١٠٨ ٠

٨٠- المرجع نفسه، أبو داهش، أهل تهامة ، ص١٨٥ ٠

٨١- النعمان الضمدي ، العقيق ، جـ١، ص١٣٩ ٠

٨٢- العقيلي ، أضواء على الأدب ، ص ١٣٢ ٠

٨٣- النعمان الضمدي، العقيق، جـ٢، ص ١٦٥ ٠

٨٤- العقيلي ، أضواء على الأدب ، ص١٣٣ ٠

٨٥- المرجع نفسه ، ص ١٣٤ ٠

٨٦- المرجع نفسه ، ص ١٣٥ ٠

٨٧- العقيلي ، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، جـ١، ص ٣٥٦ ٠

٨٨- النعمان الضمدي، العقيق ، جـ٢، ص٤٦٥، ٤٦٦ ٠

٨٩- محمد العقيلي " آل شافع في صبيا "مجلة العرب ، جـ١، س٧ (رجب، ١٣٩٢هـ)، ص ٤٨، أبو داهش، أهل تهامة ، ص١٩٠ ٠

٩٠- المراجع نفسها٠

٩١- المراجع نفسها٠

٩٢- الحسن بن أحمد عاكش٠ عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر٠ مخطوط بجامعة الملك سعود، قسم المخطوطات تحت رقم (١٣٣٤)، ص١١، وللمزيد انظر:أبو داهش، أهل تهامة ، ص ١٩٢ ٠

٩٣- عاكش، عقود الدرر، ص١٢ ٠

٩٤- المصدر نفسه٠

٩٥- النعمان الضمدي، العقيق، جـ٣، ص٣٠٨ ٠

٩٦- المصدر نفسه .

٩٧- محمد بن علي بن عمر " لامية ابن عمر الضمدي في الاستسقاء" تحقيق عبد الله أبو داهش، ص٩ .

٩٨- أبو داهش ، أهل تهامة ، ص ١٩٢ .

٩٩- النعمان الضمدي ، العقيق ، جـ٣، ص٢٣٤،٢٣٣ .

١٠٠- المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٣٤

١٠١- المصدر نفسه.

١٠٢- المصدر نفسه.

١٠٣- المصدر نفسه، جـ٢، ص١٤٥ .

١٠٤- المصدر نفسه، جـ٣،ص٣٢٨، أبو داهش، أهل تهامة ، ص١٩٤؛ أحمد بن محمد المشني"الشقيري" ، مجلة العرب (جـ١١-١٢، سنة (٣٠) (الجماديان/ ١٤١٦هـ)، ص ٧٩٨ .

١٠٥- لمزيد من التفصيلات انظر، عبد الرحمن بن أحمد البهكلي. نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود" تحقيق محمدالعقيلي (الرياض : مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (رقم ٢٢) ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص٨٢ .

١٠٦-١٠٧- النعمان الضمدي، العقيق، جـ٢، ص٢٣٣، محمد بن علي الشوكاني. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، نسخة مصورة عن مطابع السعادة بمصر (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م) جـ١،ص٢٨٤، محمد العقيلي، التاريخ الأدبي في جازان، جـ١، ص٣٥٢، أبو داهش، أهل تهامة، ص١٩٥ .

١٠٨- المصادر والمراجع نفسها.

١٠٩- انظر لمزيد من المعلومات تقي الدين محمد الفاسي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. تحقيق فؤاد سيد (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، جـ٦، ص٢١٧، أبو داهش، أهل تهامة، ص١٩٦ .

١١٠- علي بن الحسن الخزرجي. كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (مصر: مطابع الهلال، ١٣٢٩هـ/١٩١١م) جـ١، ص ٢١٦ .

١١١- النعمان الضمدي، العقيق، جـ١، ص٧٠

١١٢- المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٠١ .

١١٣- السخاوي، الضوء اللامع، جـ١، ص٢٧٢ .

١١٤- النعمان الضمدي، العقيق، جـ٢، ص٢٣٨، أبو داهش، أهل تهامة، ص١٩٦ .

١١٥- انظر، أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف الشرجي. طبقات الخواص :- أهل الصدق والإخلاص (بيروت : دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص٢٠٢ .

١١٦- أحمد عمر الزيلعي " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي " حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية (٣) رسالة (٣٩) (١٤٠٦هـ)، ص٣٦ .

١١٧- الشرجي، طبقات الخواص، ص١٩٨، أبو داهش، أهل تهامة، ص٢١٨ .

١١٨- المصدر نفسه.

١١٩- عبد الله بن سعد اليافعي. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة المعتبر من حوادث الزمان. (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي،١٤١٣هـ/١٩٨٢م) جـ٤ ، ٣١١ .

١٢٠- المصدر نفسه، جـ٤، ٣١٤ .

١٢١- المصدر نفسه، أبو داهش، أهل تهامة، ص٢١٩ .

١٢٢- الشرجي، طبقات الخواص، ص٢٠١ ،٢٠٢، أحمد الزيلعي "المواقع الإسلامية ..." ص٣٦ .

١٢٣- الفاسي، العقد الثمين، جـ٢، ص٢٠،الزيلعي، "المواقع الإسلامية..." ص٣٦، ٣٩ .

١٢٤- الزيلعي، " المواقع الإسلامية..." ، ص٤٠ .

١٢٥- المرجع نفسه.

١٢٦- العقيلي، التاريخ الأدبي، جـ١، ص٣٥٥ ، انظر أيضاً : أبو داهش، أهل تهامة ، ص٢١٧ .

١٢٧- السمعاني، الأنساب، جـ٧، ص٧٩ ،٨٠ ، أبو داهش، أهل تهامة ، ص٢٢١ .

١٢٨- محمد بن عبد الله بن بطوطة. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. (القاهرة: مطابع وادي النيل، ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م)، ص١٤٨ .

١٢٩- عارف عبد الغني. تاريخ مكة المكرمة من ٨هـ-١٣٤٤هـ. دمشق: دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

١٣٠- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، جـ١، ص٤٨ .

١٣١- السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، ص١٥٥، أبو داهش، أهل تهامة ، ص٢٢٢ .

١٣٢- محمد بن مسلط الوصال البشري. تاريخ عسير في رسالة إبراهيم بن زين العابدين الحفظي (د.ت: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٢٩ .

١٣٣- عمارة بن علي اليمني. تاريخ اليمن المسمى:- المفيد في أخبار صنعاء وزبيد.. تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي (د.ت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٢٧٤، ٢٧٥ .

١٣٤- العقيلي، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، جـ١، ص٣٩ .

١٣٥- المرجع نفسه، جـ١، ص٤٥ .

١٣٦- الفاسي، العقد الثمين، جـ٤، ص٣٦٢ .

١٣٧- أبو داهش، أهل تهامة، ص٢٤٩ .

١٣٨- محمد أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني ، الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)جـ١، ص٢٠٦ .

١٣٩- علي بن الحسن الخزرجي . كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (القاهرة: مطابع الهلال، ١٣٢٩هـ-١٩١١م) ، جـ٢، ص٣٨؛ الفاسي، العقد الثمين، جـ٦، ص ٢٦٥، العقيلي، التاريخ الأدبي، جـ١،ص٢٧٤، أبو داهش، أهل تهامة، ص٢٧٦ .

١٤٠- عبد الله بن محمد الحبشي . " من شعراء ضمد في كتاب مطلع البدور" مجلة العـــرب، جـ١-٢ ، س (٢٤) (رجب، شعبان/١٤٠٩هـ)، ص ٨٣ ومابعدها .

١٤١- علي بن محمد أبو زيد الحازمي . من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد .(جدة : مطابع دار البلاد، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، ص٣٠ .

١٤٢- حسن إبراهيم الفقيه . مخلاف عشم (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص٦٧ .وعشم قرية شامي تهامة فيمايلي الجبل بناحية الأحسبة .

١٤٣- ياقوت الحموي . معجم البلدان (بيروت:دار صادر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، جـ٤، ص١٢٦، انظر أيضاً ، حسن الفقيه، مخلاف عشم، ص٦٧ .

١٤٤- ياقوت الحموي ، معجم ، جـ٢، ص٣٤ .

١٤٥- اليافعي، مرآة الجنان، جـ٤،ص٣٦١ .

١٤٦- المصدر نفسه، وللمزيد من التفصيلات انظـــر أبو داهش، أهل تهامة، ص٣٤٥ .

١٤٧- اليافعي، مرآة الجنان، جـ٤، ص ٣٢٦ وللمزيد من التفصيلات عن اشعار الطواشي انظر: أحمد الزيلعي " المواقع الإسلامية..."، ص ٣٨ .

١٤٨- العقيلي، التاريخ الأدبي، جـ١، ص١٩٧ .

١٤٩- ابن حجر، إنباء الغمر٠٠، جـ٧، ص٩١، السخاوي، الضوء اللامع، جـ١١ ، ص ٣٦١ ، الشوكاني، البدر الطالع، جـ٢،ص١٥٧ ، العقيلي، التاريخ الأدبي، جـ١، ص ١٩٧، أبو داهش، أهل تهامة، ص٣٤٦ ٠

١٥٠- عز الدين بن فهد٠ غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام٠ تحقيق فهيم محمد شلتوت (جدة : مطابع دار المدني، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) جـ٢، ص١٦٣، العقيلي، التاريخ الأدبي، جـ١، ص١٩٧ ٠

١٥١- العقيلي، التاريخ الأدبي، جـ١، ص١٩٨، أبو داهش ، أهل تهامة ، ص٣٤٨ ٠

١٥٢- ابن فهد، غاية المرام، جـ٢، ص٣٦٣، ٣٦٤، أبو داهش، أهل تهامة، ص٣٤٨ ٠

١٥٣- النعمان الضمدي، العقيق، جـ٢، ص١٥٤ ٠

١٥٤- المصدر نفسه، جـ٢، ص١٥١ ٠

١٥٥- السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، ص٣٢١ ٠

١٥٦- عاكش، عقود الدرر، ص٢٦، أبو داهش، أهل تهامة، ص٢٠٢ ٠

١٥٧- العقيلي، أضواء على الأدب، ص١٣٣ ٠

١٥٨- المرجع نفسه ٠

١٥٩- النعمان الضمدي، العقيق، جـ٢، ص٢٢١ ٠

١٦٠- لمزيد من التفصيلات انظر، محمد بن علي بن عمر٠ " لامية ابن عمر الضمدي٠٠٠"، ص٨، أبو داهش، أهل تهامة، ص٢٠٣ ٠

١٦١- أحمد المشني " النمازي حياته ومؤلفاته " مجلة العرب، جـ٣-٤ (سنة/٢٩) (رمضان وشوال/ ١٤١٤هـ)،ص ٢٠٩ ٠

١٦٢- العقيلي، التاريخ الأدبي، جـ١،ص ٢١٣ ٠

١٦٣- المرجع نفسه، جـ١، ص٢١٤ ٠

١٦٤- المرجع نفسه، جـ١، ص ٢١٥ ٠

١٦٥- المرجع نفسه.

١٦٦- من يستقرىء الحياة العلمية الفكرية في شبه الجزيرة العربية خلال القرون الماضية المتأخرة يجد أن الوثائق تعكس أسماء عدد كبير من طلبة العلم الذين ذهبوا إلى مواطن عديدة بهدف طلب العلم، وبعد الانتهاء من رحلاتهم يعودون إلى أوطانهم لتعليم الناس وتنويرهم في أمور دينهم. وهذا الأمر لايختلف عن منهج علماء المسلمين عبر العصور الإسلامية، فكانوا في ذهاب وآياب لمثل هذا الهدف الشريف.

١٦٧- العقيلي، أضواء على الأدب، ص ١٣٤ .

١٦٨- المرجع نفسه.

١٦٩- الشوكاني، البدر الطالع، جـ١، ص٣٩٨ .

١٧٠- علي أبو زيد الحازمي " من رجال العلم في القرن العاشر الهجري"، ص١٩ .

١٧١- أبو داهش، أهل تهامة ، ص٢١٠ .

١٧٢- عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد. تحقيق عبد الله محمد الحبشي (صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمني د.ن/د.ت)، ص١٥٥ .

١٧٣- ونلاحظ استمرار ذلك إلى العديد من البيوتات والأسر الرفيعة في هذه البلاد، وكذلك البلدان اليمانية، حيث يتوارثون هذه المصادر والمخطوطات التراثية حتى يومنا هذا. مشاهدات وإنطباعات الباحث خلال العقدين الماضية.

١٧٤- كان يطلق على هذا الطريق عدة مسميات منها :- طريق السلطان أو الجادة السلطانية، أو طريق الحج...الخ. هذه الأسماء، والتي وردت في كتب التاريخ علاوة على كتب الجغرافيا والرحلات، وظهرت بصفة خاصة عند الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل. لمزيد من التفصيلات انظر بحثنا الذي تم تقديمه ونشره في ندوة اتحاد المؤرخين العرب المنعقدة بالقاهرة في الفترة الممتدة مـــن (٢٥- ٢٧/٨/١٤٢١هـ/٢١-٢٣/ نوفمبر/ ٢٠٠٠م)، كما انظر للمؤلف نفسه" بلاد تهامة والسراة، كما وصفها الرحالة الجغرافيون

المسلمون الأوائل...." مجلة المؤرخ العربي. عدد (٢) مج (١) (١٩٩٤م)، ص ٧٣ ومابعدها.

١٧٥- انظر غيثان بن جريس. عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م)، ص ٢٨ ومابعدها.

١٧٦- لمزيد من التفصيلات انظر، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. البداية والنهاية (بيروت : مكتبة المعارف، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)،جـ١٣، ص٢٦ .

١٧٧- وهذه الأجزاء تأتي إلى الجنوب من بلدة الطائف.

١٧٨- محمد بن محمد بن فهد. إتحاف الوري بأخبار أم القرى. تحقيق عبد الكريم على بـاز ، (مكة المكرمة : مطابع شركة مكة للطباعة والنشـر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)،جـ٤ ، ص١٤٠ .

١٧٩- ولمزيد من التفصيلات انظر . غيثان بن علي بن جريس. " أسر الفقهاء ببلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرون المتأخرة الماضية " مجلة العرب، جـ٩-١٠، س(٢٦) (الربيعان/ ١٤١٢هـ/١٩٩١م) ، ص٥٩٤-٦١٠؛ هاشم بن سعيد النعمي. شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير في الفترة مابيـن (١٢١٥-١٤١٥هـ) (جدة : مطابع مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤١٥هـ)، ص ١٢ومابعدها.

١٨٠- المراجع نفسها.

١٨١- يقتني الباحث العديد من المخطوطات والوثائق التي يعود تاريخها إلى ما قبل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وقد حصل عليها من بعض الأسر العلمية الموجودة في بلاد تهامة والسراة، والتي كان البعض من أجدادهم الأوائل يعدون من طبقة الأدباء والعلماء في هذه المنطقة المعنية بالدراسة.

١٨٢- المصدر نفسه.

١٨٣- من واقع المشاهدات العينية للباحث أثناء تجواله بالعديد من البلاد السروية خلال العقدين الماضيين.

١٨٤- للمزيد انظر" ابن جريس " تاريخ مخلاف جرش..." ،ص٦٣ ومابعدها؛ وللمؤلف نفسه" بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل" ، ص٧٤ ومابعدها، كما انظر بحث المؤلف نفسه والموسوم " ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة".

١٨٥- المراجع نفسها.

١٨٦- المراجع نفسها.

١٨٧- المراجع نفسها.

١٨٨- ابن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني"، ص٨٠ ومابعدها.

١٨٩- وورد ذكرها عند بعض الرحالة والمؤرخين وحددوا موقعها مابين الحجاز وصعدة، ووصفها البعض بقولهم أنها بلدة عامر في بلاد شريف من سنحان من أرض قحطان، وقد استقر بها عدد من العلماء الوافدين من الحجاز واليمن، كما استطرد أحد الباحثين المعاصرين فذكر أنه كان بها قلعة لبني رسول اسمها القاهرة، وقد دمرها العسيريون أثناء اصطدامهم مع قوات بني رسول في النصف الثاني من القرن السابع (الثالث عشر الميلادي) انظر : شعيب بن عبد الحميد بن سالم الدوسري. إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر.(القاهرة: مطابع الحلبي، ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م)، ص٥٠ . ويتحدث باحث آخر عن بلده الحرجه، فيذكر أنه كانت قصبة منطقة قحطان في الماضي، وهي مدينة عريقة لها تاريخ حافل بأهل العلم ، وبرز فيها عدد من العلماء منهم المقداد الحرجي صاحب كتاب " النجوم اللوامع في مختصر التاريخ والجوامع" وهو من علماء القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي". انظر : أحمد بن حسن بن عبد الله النعمي. عسير في مذكرات سليمان الكمالي (القاهرة: المطابع الحديثة، د.ت)،ص ١٥، ١٤٥ .ولمزيد من التفصيلات، انظر: عبد الله أبو داهش. أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠-١٢٠٠هـ)، (إصدرات نادي أبها الأدبي/ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

١٩٠- لمزيد من التفصيلات عن هذه المراكز ، انظر : الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٦٠ ، وما بعدها ، الوصال البشري. تاريخ عسير، ص٢٧ ومابعدها، ابن جريس. بلاد بني شهر وبني عمر خلال القرنين ١٣/١٤هـ، ص١٦ ومابعدها، وللمؤلف نفسه" بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب..."، ص٨١ ومابعدها، كما انظر: بحث المؤلف نفسه " ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة" والمنشور ضمن أعمال ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ص ١٥٧-٢٢٢ .

١٩١- المصادر والمراجع نفسها.

١٩٢- مشاهدات الباحث وتنقلاته في أرجاء بلاد تهامة والسراة خلال الثلاثة عقود الماضية جعلته يلاحظ العدد الكبير من الآثار والنقوش والرسوم المتناثرة في أجزاء هذه البلاد، وهو ينادي من خلال هذه الدراسة أقسام الآثار والمؤسسات المتخصصة في المملكة العربية السعودية إلى النهوض والعمل الجاد على دراسة هذه الآثار في هذا الجزء موضوع الدراسة ، وكذلك في أجزاء عديدة من المملكة العربية السعودية، وخاصة المناطق المنسية كبلاد تهامة والسراة. وإننا نشكر وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف التي بدأت تحصر مواقع الآثار في جميع أنحاء المملكة، ونرجو لها التوفيق حتى تبدأ في المرحلة الفعلية لتكوين فرق عمل تقوم بالتنقيب ثم الدراسة لجميع هذه الآثار التي تقوم بحصرها وتصنيفها الآن.

١٩٣- من المعروف أن هذه الروايات الشفهية والأخبار المنقولة قد لاتكون دقيقة في معلوماتها، إذ أنها أحياناً لاتقوم على ثوابت وبراهين علمية، وخاصة إذا كانت منقولة عن العامة . ولكن تواترها واستمرارها يشير إلى قدم هذه المراكز مما يجعلنا لانستبعد تواجد بعض ملامح النشاط الفكري بها خلال الفترة موضوع الدراسة.

١٩٤- انظر ابن جبير، الرحلة ، ص١١١، وللمزيد من التفصيلات انظر غيثان بن جريس "بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط" .مجلة العرب، جـ(٩- ١٠) (س/٢٧/الربيعان/ ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص٦٠٧ ومابعدها، وللمؤلف نفسه.

صفحات من تاريخ عسير، (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، جـ١ .

١٩٥- ابن بطوطة، الرحلة (تحقيق علي المنتصر الكتاني/ بيروت: مؤسسةالرسالة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) جـ١، ص١٨٣ .

١٩٦- ابن جبير، الرحلة ، ص١١٢ .

١٩٧- المصدر نفسه، ص١١٣ .

١٩٨- المصدر نفسه.

١٩٩- الفاسي، العقد الثمين، جـ١ ،ص٤١٥، أبو داهش، أهل السراة، ص١٥٦ ومابعدها.

٢٠٠- لمزيد من التفصيلات انظر: نزار عبد اللطيف الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت) ، ص٣٧ ومابعدها، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، اليمن في صدر الإسلام (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)،ص١٣٩ ومابعدها؟

٢٠١- مفرح بن أحمد، سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين : القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام القاسم على العياني، تحقيق رضوان السيد وعبد الغني محمود عبد العاطي (بيروت : دار المنتخب للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص١٦ .

٢٠٢- انظر محمد محمد زيارة، ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت) جـ٢،ص٥٧ ، أبو داهش، أهل السراة، ص١٥٧ ومابعدها.

٢٠٣- الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٣،ص ٣٢٢ .

٢٠٤- السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢،ص١٨٣ .

٢٠٥- انظر: محي الدين عبد القادر العيدروسي، تاريخ النور السافر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٢٠٦- الشرجي، طبقات الخواص، ص١٩٢ .

٢٠٧- المصدر نفسه، ٣٣١ .

٢٠٨- عبد الرحمن البهكلي ، نفح العود، ص١٣١ .

٢٠٩- انظر أحمد بن القنفذ وآخرين . الف سنة من الوفيات، تحقيق محمد حجي (الرباط، د.ن، ١٣٩٦هـ/١٩٧٩م) ص٩٩ .

٢١٠- الفاسي، العقد الثمين ، جـ٢،ص٢٤٦ .

٢١١- المصدر نفسه، جـ٧، ص٣٠١، أبو داهش، أهل السراة، ص١٥٧ .

٢١٢- انظر السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٠، ص١٨٨ ، الشرجي، طبقات الخواص، ص ٣٤٧، أبو داهش.، أهل السراة، ص١٥٧ .

٢١٣- حمد الجاسر" مع الموسوي المكي في رحلته (٨) مجلة الفيصل عدد (٢٣٠) س(٣٠) (شعبان/١٤١٦هـ)، ص٣٦، أبو داهش، أهل السراة، ص١٥٧ .

٢١٤- أثناء تجوال الباحث في بلاد تهامة والسراة خلال ثلاثة العقود المنصرمة استطاع أن يجمع عدداً كبيراً من الوثائق والمخطوطات من ضمن هذه المدونات قصائد شعرية عامية يعود تاريخ بعضها إلى القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، وقد نجرى عليها بعض التحقيقات ونخرجها في المستقبل (إن شاء الله).

٢١٥- أيضاً من ضمن الوثائق التي في حوزتنا عدد لابأس به يعكس بعض الألوان الأدبية العامية مثل: القصص الشعبية ، والترف والفكاهة، والأمثال الشعبية والكنايات العامية التي كانت متداولة بين أهل السراة وكذلك أهل تهامة خلال القرون الماضية المتأخرة.

٢١٦- من أمثلة هذه المصادر والتي عاش أغلب مدونيها في القرن الرابع عشر الهجري (القرن العشرين الميلادي) كتاب : تاريخ عسير في رسالة إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي. لمؤلفه محمد بن مسلط بن عيسى الوصال البشري، وكتاب : امتاع السامر بتكملة متعة

الناظر، لشعيب الدوسري، وكتاب : عسير في مذكرات سليمان الكمالي، لأحمد بن حسن النعمي وغيرها.

٢١٧- أحمد النعمي، عسير، ص٢٨ .

٢١٨- المرجع نفسه، ص١٧ .

٢١٩- المرجع نفسه، ص ٣٦ .

٢٢٠- الوصال البشري، تاريخ عسير ، ص٣٩

٢٢١- أحمد النعمي، عسير، ص ١٥ .

٢٢٢- شعيب الدوسري، إمتاع السامر، ص٢٥، ٣٤ .

٢٢٣- المرجع نفسه ، ص ٣٩ ومابعدها.

٢٢٤- المراجع نفسها التي وردت في الهوامش السابقة رقم (٢١٧-٢٢٣).

٢٢٥- عمر غرامة العمروي. قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام. (منشورات نادي أبها الأدبي، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، جـ١، ص٦٤ .

٢٢٦- المرجع نفسه.

٢٢٧- المرجع نفسه.

٢٢٨- المرجع نفسه.

٢٢٩- الوصال البشري، تاريخ عسير، ص٢١، ٢٢ .

٢٣٠- المرجع نفسه، ص٣٣، ولمزيد من التفصيلات انظر : أبو داهش، أهل السراة ، ص١٦٠ ومابعدها.

٢٣١- سورة الحجرات، آية (١٣)، ولمزيد من التفصيلات انظر آل رداد الأسمري، تاريخ رجال الحجر، ص ٧٨، ٧٩ .

الدراسة الثامنـــة :

ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والســــــراة في العصور الإسلامية الوسيطة (*)

إعداد

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية

كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية

جامعة الملك خالد

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(*) هذه الدراسة قدمت في ندوة «**إتحاد المؤرخين العرب**» بالقاهرة ، والتي عقدت خلال الفترة من (٢٥-٢٧/شـعبان/١٤٢١هـ الموافق ٢١-٢٣/نوفمبر/٢٠٠٠م)٠وقد نشرت هذه الدراسة مـع غيرهـا من الأبحاث التي قدمت في تلك الندوة ضمن كتاب : " **طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ** " **حصاد رقم** (٨) (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ص ١٥٧-٢٢٢ .

محتويات الدراسة الثامنة

ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة

أولاً : تمهيد :

أحيطت بلاد تهامة والسراة من جهاتها الأربع بحدود جغرافية متنوعة ، فالبحر الأحمر يحدها من الغرب ، وصحارى وسط الجزيرة العربية من الشرق، والبلاد السعيدة، أرض اليمن ، من الجنوب ، ومكة المكرمة والطائف من الشمال. ولهذا فهى ترتبط بعدة مناطق لها أهميتها التاريخية والحضارية ، علاوة على ثرواتها البشرية والطبيعية، وعلى الرغم من هذا نجد ذكرها في المصادر المتقدمة قليلاً وأحياناً يكاد يكون نادراً ؛ لأن بدايات التدوين كانت منصّبة على كبريات الحواضر الإسلامية في العالم الإسلامي، فكان حديثهم عن شبه الجزيرة العربية منصباً على مدن الحجاز واليمن والبحرين واليمامة وغيرها من المدن الكبرى. وهكذا بقيت بلاد تهامة والسراة وغيرها من مثيلاتها في طي النسيان. ولهذا فإن البحث التاريخي الحضاري في جانب من جوانب هذه الأجزاء المنسية يكاد يكون صعباً، إن لم يكن شائكاً، وذلك لقلة المعلومات عنها.

واختيارنا لهذا الموضوع " **ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة** " ، يعود إلى أهميته وجدته في الوقت نفسه ، ثم إلى أهمية هذه البلاد اقتصادياً وتجارياً. وسوف نركز على عدد من العناصر لاستجلاء الحقيقة التاريخية التي توضح أهمية هذه المنطقة ، فنبدأ بأهمية الموقع الجغرافي ، ثم اهتمام الحكام والولاة بالنشاط التجاري في هذه البلاد مع الإشارة إلى بعض المقومات الأساسية لنجاح التجارة بها، وبعد ذلك نتجه إلى الحديث عن الحياة التجارية وما يتعلق بها ، فنوضح الطرق التجارية الهامة ، والأسواق التي كانت منتشرة بهذه البلاد ، مع الإشارة إلى أهم صادراتها ووارداتها، وما يمكن ذكره من سير التعامل التجاري في هذه المنطقة ، والمشاكل التي كانت تعترض هذا النشاط.

وأرجو من الله العلي القدير أن أوفق إلى الإتيان بجديد في هذه الدراسة ، وأن أفتح الباب للباحثين الراغبين في استكمال ما لم أستطع الوفاء به ، أو تصحيح ما قد أقع فيه من أخطاء.

ثانياً : الموقع الجغرافي لبلاد تهامة والسراة :-

بلاد تهامة والسراة ، التي نقصدها في هذه الدراسة ، هي المنطقة الواقعة بين اليمن جنوباً ، والحجاز شمالاً . وهذه المنطقة لا تشمل كل أرض تهامة والسراة المشار إليها في بعض كتب التراث ، والتي تجعلها تمتد شمالاً إلى المدينة المنورة، أو بلاد الشام ، وجنوباً إلى حواضر اليمن الكبرى. أما هذه الدراسة فسوف تركز على واسطة العقد، أي قلب ذلك الإقليم ووسطه.

أما بلاد تهامة ، فهي تلك الأراضي المنخفضة بين ساحل البحر الأحمر وبين جبال السروات ، وهناك عدد من المصادر اللغوية ، والجغرافية والتاريخية المبكرة أشارت إلى أن العرب أطلقوا على جبال السراة حجازاً، لأنها حجزت بين الأغوار التهامية ، وهي هابطة، وبين نجد وهو ظاهر، فصار ما خلف تلك الجبال في غربيه إلى أسياف البحر، الغور ، أو أغوار تهامة[1].

كذلك هي أرض واسعة طولها أكبر من عرضها، حيث تأتي في الوسط بين ساحل البحر الأحمر من الغرب، وسفوح جبال السروات من الشرق. أما في الطول فقد تمتد من مكة المكرمة شمالاً إلى بلاد عدن جنوباً ، ولكن ينبغي الإشارة إلى أننا لن نتعمق في الدراسة عن تهامة اليمن، وإنما سوف نقصر حديثنا جنوباً إلى المخلاف السليماني (منطقة جازان الحالية) ، وشمالاً إلى الأطراف الجنوبية لمنطقة مكة المكرمة. وهي منطقة سادها بعض الغموض والنسيان خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة، رغم أنه كان يقطنها كثير من العشائر والقبائل المتعددة ، التي كان لها دور في تاريخ

المنطقة. وقد أشار ابن حبيب ، والهمداني ، وناصر خسرو ، وابن المجاور وغيرهم إلى بعض تلك العشائر والقبائل، مع ذكر بعضٍ من مواطنهم ومراكزهم الحضارية[٢]. ومن تلك المراكز الكبرى في العصور الوسطى، بلدان المخلاف السليماني ، وهي :- من الشرجة (الموسم حالياً) جنوباً إلى حلي بن يعقوب شمالاً ، ثم يأتي بعدها في الشمال بلاد السرين ، وعشم ، والليث ، والقنفذة، ويلملم ، وهذه المواطن تشمل قرى وأحوازاً ومخاليف عديدة[٣]. ويأتي إلى الداخل من أرض تهامة، وعلى مقربة من سفوح جبال السروات ، من الجنوب إلى الشمال، صبيا وبيش ، ودرب بني شعبة ، ورجال ألمع ، وبارق ، وخاط ، والمجاردة ، وتهامة غامد وزهران وغيرها مراكز حضارية عديدة[٤].

وعن بلاد السراة ، فسراة الشيء في اللغة أعلاه ، وظهره ، ووسطه ، ويذكر عن أرض السراة ، أنها سلسلة الجبال المتصلة المشرفة على عرفة ، والتي تمتد جنوباً إلى حواضر اليمن[٥]. ويشير بعض الجغرافيين المسلمين الأوائل إلى أن تلك الجبال الممتدة من حواضر الحجاز الكبرى إلى حواضر اليمن يطلق عليها جبال السروات ، وربما أطلق عليها الحجاز[٦]. ويبدو أن حدود جبال السروات ، أو الحجاز ، صارت مثار جدل واختلاف عند الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل، والذي يهمنا في هذه الدراسة، أن بلاد السراة المعنية هنا، والمتقابلة مع الأجزاء التهامية آنفة الذكر، عرفت باسم أرض السروات ، ومفردها سراة ، لأن هذه المنطقة يوجد بها سروات كثيرة ، ومن أشهرها :- سراة الطائف، يليها نحو الجنوب سراة فهم وعدوان ، ثم سراة بني سعد وبلحارث، ثم سراة بني مالك بجيلة ، فسراة غامد وزهران ، ثم سراة خثعم وشمران وبلقرن ، فسراة الحجر (قبائل بني عمرو ، وبني شهر ، وبللسمر ، وبللحمر)، يليها سراة عسير ، التي كان يطلق عليها قديماً (سراة عنز) ، ثم سراة قحطان ، وتعرف قديماً بسراة (جنب) ، وتمتد أطرافها الجنوبية إلى بلاد نجران[٧] ،

وهذه السروات يسكنها كثير من القبائل والعشائر والأفخاذ، ولازالت تنسب كل سراة إلى العشيرة التي تقطنها ، وإن كان معظم سكان تلك السروات يسكنون في المرتفعات أو السروات التي تفصل بين الأجزاء التهامية والنجدية ، غير أن بعض الأفخاذ والعشائر كانت ترحل عن موطنها في السروات، وتنزل الأغوار التهامية في الغرب، أو الأجزاء النجدية في الشرق[8] .

وقد ضمت بلاد تهامة والسراة العديد من الظواهر التضاريسية ، والأقاليم المناخية ، فالأغوار التهامية يغلب على أرضها الاستواء، لكنها لاتخلو من الجبال والهضاب والأودية الصغيرة والكبيرة . أما بلاد السراة فيظهر بها الجبال الشاهقة والمتوسطة الارتفاع ، إلى جانب الهضاب والوهاد المتفاوتة الارتفاع ، ويظهر على قمم جبال السراة أنها تنحدر بشكل كبير تجاه الغرب ، وعند سفوحها الغربية يقل الإنحدار تدريجياً حتى تتصل بالسهول التهامية، أما انحدارها نحو الشرق فيظهر عليه التدرج نحو الهضاب الشرقية . ومن جبال السروات يظهر العديد من الأودية المنحدر بعضها نحو الشرق، وبعضها الآخر نحو الغرب. ومن أهم الأودية المنحدرة نحو الشرق ، أودية الطائف مثل :- وادي وج ، وادي ليه ، وادي السر، يليها إلى الجنوب وادي تربة ، ثم وادي رنية ، فوادي بيشة ، ثم وادي تثليث ، وغيرها أودية عديدة في بلاد قحطان ونجران[9] .

أما الأودية الغورية المتجهة من مرتفعات السراة تجاه الغرب ، فمنها إلى الشمال نحو الجنوب المتجهة، وادي نعمان حول مكة المكرمة، ثم وادي ملكان ، ووواديا أدام ويلملم ، ثم وادي الليث ، ثم أودية أخرى تأخذ مياهها من سراة غامد وزهران وخثعم مثل :- وادي الشواق، ثم أودية دوقة ، وقرماء ، والأحسبة ، ثم وادي حلي ، وبعض روافد هذا الوادي تأتي من سراة الحجر ، ثم وادي عتود الذي

يسيل من بلاد قحطان (سراة جنب) ، ثم وادي بيض، فوادي بيش ، وأخيراً واديا صبيا وجازان[١٠].

ويبدو على مناخ تهامة والسراة ، أنه ممطر في أغلب فترات العام ، وتكون الحرارة شديدة صيفاً معتدلة شتاء ، وخاصة في الأجزاء التهامية ، أما الجبال السروية ، فالحرارة معتدلة نسبياً في الصيف، شديدة البرودة في الشتاء. وهذا التنوع في المناخ والتضاريس أثر على حياة السكان ، فكثير منهم كانوا يشتغلون بالرعي ، والصيد ، والجمع والالتقاط، وخاصة أهل البوادي ، وبعض ممن كان يعمل بالرعي كان أيضاً يعمل بالزراعة. ومن يدقق النظر في بلاد تهامة والسراة يجد أن الأراضي الزراعية كثيرة بها، مع توفر المقومات الأساسية للحياة الزراعية أيضاً[١١]. أما الصناعات والحرف التقليدية والتجارية فكانت توجد بكثرة في المراكز والتجمعات السكانية الكبيرة ، كما أن أهل البوادي والأرياف كانوا لايخلون من ممارسة هذه المهن من أجل سد حاجاتهم الذاتية[١٢].

ومعظم سكان تهامة والسراة من القبائل العربية القحطانية ، إلاَّ أنهم أيضاً يختلطون بعشائر وقبائل عربية عدنانية . وإلى جانب العرب كان يعيش في هذه البلاد عديد من العناصر الأخرى مثل :- العبيد وجلهم من قارة أفريقية ، وكذلك الموالي الفرس ، والأتراك، ومعظم أعمالهم كانت في المراكز الحضارية الكبرى مثل :- نجران ، وجرش ، وبيشة ، والطائف، والمخلاف السليماني (جازان) وحلي وغيرها ، وغالباً ما كان يعملون في الزراعة، والحرف الصناعية التقليدية، والتجارة[١٣].

ثالثاً : إهتمام الحكام والولاة بالنشاط التجاري :

تأثر تاريخ وأحوال شبه الجزيرة العربية بتاريخ الدولة الإسلامية منذ ظهور الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحتى الدولة العثمانية في بداية العصر الحديث، وكان هذا التأثير يتفاوت من المدن الكبرى إلى المراكز والقرى والمواطن الصغرى، وبلاد تهامة والسراة تعد من المواقع الصغيرة إذا ما قارناها بحواضر الحجاز أو اليمن أو البحرين. ومعظم حكام العالم الإسلامي ، خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة ، كانوا يولون الحواضر الكبرى أهمية كبيرة من الناحية السياسية والحضارية ، وتأتي الحجاز ، وخاصة المدن المقدسة في مقدمة تلك الحواضر التي كانت محل اهتمامات الخلفاء والأمراء آنذاك. ويعدّ النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ثم الخلفاء الراشدون من بعده (رضي الله عنهم)، من أوائل من اهتم بالحجاز ثم اليمن ، فلو تابعنا سير أحداث التاريخ ، وانتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية لوجدنا أن سكان اليمن ، وسكان تهامة والسراة كانوا في مقدمة من اعتنق الإسلام، وقبائل الأوس والخزرج الأزدية ، ثم من جاء بعدهم من قبائل تهامة والسراة في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأكبر دليل على ذلك[١٤].

وفي عهد الخلفاء الراشدين نجد كثيراً من سكان تهامة والسراة . يتركون بلادهم ، ويشاركون في حركة الفتوحات الإسلامية[١٥]. ولم يحدث هذا إلاّ بالعناية التي أولاها الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدون من بعده لأهل تهامة والسراة ، وكثير من الرسائل التي كان يبعثها الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدون إلى بعض الصحابة في أرض تهامة والسراة، أو إلى بعض شيوخ القبائل والعشائر هناك، ويوضح لهم فيها ما يجب عليهم تجاه أنفسهم وأهليهم والناس[١٦].

واستمرت أرض الحجاز على أهميتها لخلفاء الدولة الأموية، ثم الدولة العباسية، فبحكم قرب مكة المكرمة والطائف لبلاد تهامة والسراة، وكذلك موقعها بين الحجاز واليمن، فقد حظيت ببعض الاهتمام السياسي والحضاري من خلفاء بني أمية، والخلفاء الأول من بني العباس ، حيث كانوا يرسلون من قبلهم إلى بلاد تهامة والسراة، وكذلك إلى اليمن والحجاز من يتولى الإمارة ويرسى قواعد الأمن بها ، وغالباً ما كان والي مكة المكرمة يتولى الإمارة على أرض تهامة والسراة فيرسل من قبله العمال على مناطق عديدة بها مثل:- نجران ، وجرش ، وتبالة ، وبيشة ، وتربة ، وحلي ، وعشم ، والسرين ، وضنكان، والمخلاف السليماني وغيرها[١٧]، وكان أولئك العمال يتعاونون مع أعيان وشيوخ القبائل من أجل استقرار الأمن ، وحماية الطرق والأسواق وأعراض وممتلكات المواطنين[١٨].

وتشير المصادر إلى مظاهر اهتمام الخلفاء والحكام عبر حقب التاريخ الإسلامي بالطرق التجارية المارة بأنحاء شبه الجزيرة العربية ، لاسيما جنوبها الغربي ، لكونها تخدم أغراضاً مختلفة ومتعددة يأتي على رأسها تسهيل وصول قافلة الحج اليماني عبر أرض تهامة والسراة ، وسير الجيوش من موقع إلى آخر للدفاع عن المدن والحصون، وتيسير وصول البريد من العاصمة إلى الولاة والنواب والعمال في المدن المختلفة بهذه الأرجاء، وأيضاً حرصاً على خدمة التجارة سواء الداخلية منها أو الخارجية[١٩]، ومن بين هذه الاهتمامات ، عناية الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) ببلاد السراة ، فكان يرسل بعض ولاته ومعهم أعداد من الموالي والعبيد لحراسة وحفظ مواطن المعادن في بيشة وما حولها[٢٠]، كما كان يرسل رجال الحسبة للحفاظ على حركة التجارة بالأسواق المنتشرة في أرض السراة[٢١]، إلى جانب جمعهم زكاة المال التي كانت ترسل لبيت مال المسلمين[٢٢]. كذلك تشير مصادر أخرى إلى اهتمام الخليفة المهدي العباسي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م) بالأراضي التهامية

والسروية ، وخاصة الطرق التجارية المارة بها إلى اليمن ، فيذكر عنه أنه أمر بحماية وإصلاح الطريق الشرقي الذي يخرج من الطائف إلى صعدة عبر الأجزاء الشرقية لبلاد السراة ، كما أمر بوضع محطات للبريد وعماله على تلك الطريق ، وسعى إلى بناء وإصلاح المحطات التجارية الواقعة على الطريق الواصل من صنعاء عبر الطائف إلى مكة المكرمة ومنها إلى بغداد حاضرة بني العباس(٢٣).

وتورد عدد من المصادر أن الاهتمام ببلاد تهامة والسراة لم يقتصر على خلفاء بني أمية وبني العباس وإنما امتد هذا الاهتمام أيضاً إلى صغار الأمراء وعبيد وموالي الخلفاء، حيث نجد ذكراً لخالصة مولاة الخليفة المهدي التي كانت تقتني دوراً وعيوناً ومزارع في الطائف، وتربة ، وبيشة بأرض السراة(٢٤) . ولعل الخليفة المهدي قد اهتم بأرض السراة لأن زوجته الخيزران قدمت في الأساس من تلك البلاد ، فتذكر بعض الروايات أنها بيعت في أسواق جرش (عسير حالياً) ، ثم أخذت إلى مكة المكرمة، وأخيراً استقر بها المقام في بغداد لتصبح زوجة للمهدي ، وينجب منها الخليفتين الهادي (١٦٩-١٧٠هـ/ ٧٨٥-٧٨٦م)،والرشيد(١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م)(٢٥). كما نلاحظ أيضاً اهتمامات كل من الخليفة الرشيد ، وولده الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) ببلاد تهامة والسراة ، حيث حرصا على بعث ولاتهما إليها وإلى بلاد اليمن كي يجبوا زكواتها، ويحافظوا على أسواقها، وعلى ضبط الأمن بها(٢٦). واستمر أمراء البرامكة على منهج خلفاء وأمراء بني العباس ، من حيث الاهتمام بتلك المناطق ، فكانوا يرتادونها ويقتنون ببعض مراكزها الحضارية الدرر والبساتين ، حتى إننا وجدنا بعض كتب التراث أطلقت أسماء بعض رجالات البرامكة على بعض المواقع في مكة ، والطائف ، وبيشة ، ونجران، وصعدة ، وصنعاء(٢٧)، وهذا مما يدل على أن أرض السراة كانت موضع اهتمام عند خلفاء وأمراء بني العباس الأول(٢٨).

وتواكب مع ضعف الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أن ضعفت سيطرتها على الحجاز ، وعلى بقية شبه الجزيرة العربية ، وأصبح أمراء الأشراف يتولون مقاليد الأمور في الحجاز (مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، والطائف) ، وأحياناً يمدون نفوذهم على أرض تهامة والسراة ، وفي غالب الأحيان كان حكم هذه البلاد بيد شيوخ القبائل الذين كان الواحد منهم يمثل دولة مستقلة.

وقد ذكر ذلك كل من الرحالتين ناصر خسرو وابن المجاور، فعند حديث ناصر خسرو عن بعض المراكز الحضارية الواقعة بتهامة والسراة مثل :- نجران ، وبيشة وغيرها، أشار إلى أن بهذا الجزء قرى كثيرة ، وبوادي شاسعة ثم قال :- " ... **وفي كل بادية حاكمٌ مستبد لايخضع لأية سلطة مركزية** "(٢٩)، أما ابن المجاور فيذكر تعدد القرى في أرض تهامة والسراة، ثم يقول :- " ... **ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها ، كبير القدر والسن، ذو عقل وفطنة ، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولايخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم** "(٣٠). ويتضح لنا من هذه الأقوال أن البنية الاجتماعية في بلاد تهامة والسراة ، خلال العصور الإسلامية الوسيطة ، كانت تعتمد على القبيلة التي تعد الوحدة الرئيسة في المجتمع ، ويعد شيخ القبيلة هو السيد الحاكم الذي لاينازعه أحد في سلطانه ، وهو الذي يعلن الحرب، وهو الذي يطفئها مع المشائخ الآخرين(٣١) . ولهذا فشيوخ القبائل في بلاد تهامة والسراة، وفي غيرها من شبه الجزيرة العربية كانوا حتى بداية القرن العشرين يمثلون قوة عظمى على أفراد قبائلهم ، فهم أصحاب الحل والعقد فيهم ، ولهذا فمسؤولية هؤلاء الشيوخ تمتد إلى كل مجالات الحياة في القبيلة ، فهم يسعون للحفاظ على أمن قبائلهم، وعلى سير الحياة الاجتماعية والاقتصادية لديهم. وهذا النفوذ الذي كانت تتمتع به القبائل ومشائخها، خلال العهود الإسلامية الوسيطة ، يؤكد على ضعف نفوذ الخلافة المركزية وتدهور اهتمامها ببلاد تهامة والسراة. أما طبقات الأشراف بمكة المكرمة فكانوا على صلة بأهل تهامة

والسراة ، حتى إن بعضهم كانوا يمتلكون الدور والعقار والمزارع في مواطن مختلفة هناك، بل كانوا أيضاً على علاقة مصاهرة مع بعض مشائخ القبائل التهامية والسروية ، ومثل هذه الصلات كانت ذات فائدة عظمى لهؤلاء الأشراف، لاسيما عند اندلاع الحرب بينهم على منصب الإمارة في مكة المكرمة والطائف ، فلا يتورع بعضهم من الإستجارة بأهل تهامة أو السراة ، أو طلب النجدة العسكرية من أصهارهم هناك(٣٢).

رابعاً : التجارة ومقوماتها في أرض تهامة والسراة

لاشك أن بلاد تهامة والسراة قد حباها الله بمقومات طبيعية وبشرية ساعدت على قيام نشاط تجاري متنامٍ ومزدهر بها خلال الحقبة الوسيطة من عصر الإسلام. ومن أبرز المقومات الطبيعية مايلي :-

أ – موقع بلاد تهامة والسراة الذى يربط بين منطقتي اليمن والحجاز ، وهاتان المنطقتان، كما أشارت بعض كتب التراث الإسلامي ، من أفضل مناطق شبه الجزيرة العربية ، لتميز موقعها ، وكثرة خيراتها وسلعها ، وتجارب سكانها التجارية(٣٣)، ويكفي أن الله سبحانه وتعالى ذكر رحلات أهل مكة في الشتاء والصيف، وأن بلاد اليمن كانت إحدى الجهات الرئيسة التي كان القرشيون يذهبون إليها لممارسة تجاراتهم منذ عهود ما قبل الإسلام(٣٤). ومن المؤكد أن أرض تهامة والسراة كانت حلقة الوصل التي يسلكها القرشيون في ذهابهم وإيابهم إلى اليمن(٣٥).

ب – اتساع بلاد تهامة والسراة في الجهات الأربع ، وإطلالها من الغرب على البحر الأحمر، ومن الشرق على صحارى نجد ، ثم تنوع تضاريسها ، والظروف المناخية بها، جعلها تتنوع في نشاطاتها البشرية، وفي مواردها وخيراتها الطبيعية والاقتصادية، وهذا مما أدى إلى ازدهار الحياة التجارية بها(٣٦).

جـ - توفر وسائل النقل لدى سكان هذه البلاد ، حيث كانت الجمال وسيلة النقل الرئيسة لديهم ، كما كان الحال في بلاد العرب، ومن ثم ازدهرت أهمية الجمال على إنها إحدى وسائل النقل عند سكان السراة ، والسهول التهامية القريبة من شاطيء البحر الأحمر، فكانوا يحرصون على اقتناء الجمل كي يستخدموه في نقل بضائعهم، ومحاصيلهم الزراعية، وأمتعتهم الأخرى. ولوحظ أن البوادي عند سفوح جبال السراة من الشرق كانوا أكثر من يمتلك الجمال ، فربما اقتنى الرجل الواحد منهم المائة والمائتين والخمسمائة والألف من الإبل ، وإلى جانب الجمال وجدت الحمير والبغال التي كانت تستخدم لنقل البضائع والأغراض الخفيفة، الإضافة إلى ركوبها في التنقل من مكان لآخر(٣٧).

أما المقومات البشرية فتتركز في قوة ، وعزم الرجال ، وهما صفتان مميزتان لرجال تهامة والسراة ، علاوة على قوة صبرهم وتحملهم وقناعتهم ، مما جعلهم يحرصون على كسب أرزاقهم من كّدهم ، ومما أنعم الله عليهم من خيرات شتى علاوة على مهارتهم الفائقة في التجارة، وما يتصل بها من نشاطات سواء على مستوى المواطن التي عاشوا فيها، أو على مستوى المدن ، فازدهرت تجارتهم الداخلية منها والخارجيـــــة(٣٨).

خامساً: الطرق التجارية :

توافرت لبلاد تهامة والسراة عدد من طرق التجارة البرية والبحرية ، ومن دراستنا لهذه الطرق، يمكن القول بأن الطرق البرية لبلاد تهامة والسراة اشتملت على طرق داخلية وأخرى خارجية.

فالطرق الداخلية هى التي تربط أجزاء البلاد الداخلية بعضها ببعض ، وهي كثيرة جداً، فلم تكد تخلو مدينة أو قرية من طرق تربط بعضها ببعض ، كما لاتوجد قبيلة أو عشيرة أو حتى منزل إلا ويربطه طريق، وأحياناً طرق عدة تصله بقرى أو بيوت أخرى. ومن يتجول في بلاد تهامة والسراة ، ويلاحظ القرى القديمة ، وموارد المياه ، ومواطن الرعي ، أو الأراضي الزراعية، يجد آثار كثير من الطرق القديمة التي كانت تستخدم سواء لمرور الناس ، أو لمرور المواشي والحيوانات عليها. كما سيشاهد طرقاً أخرى تربط أماكن التجمعات السكانية بالأسواق الأسبوعية ، وتربط أيضاً الأجزاء السروية بالأراضي التهامية الغربية ، أو البوادي الشرقية . ويظهر على تلك الطرق صعوبة المسالك، وذلك لصعوبة التضاريس ، وبخاصة في المنحدرات الغربية لجبال السروات ، حيث يوجد هناك كثير من العقبات التي يسلكها أهل البلاد في ذهابهم وإيابهم بين تهامة والسراة(٣٩).

أما الطرق الخارجية ، فهي تلك الطرق التي تربط أجزاء تهامة والسراة بغيرها من المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية. ومن أهم تلك الطرق :- الطريق الواصلة بين الحجاز واليمن عبر أرض تهامة والسراة ، وأهمها :-

١ - الطريق الذي يربط صنعاء وصعدة ونجران وجرش وبيشة بالطائف ومكة المكرمة عبر الأجزاء الشرقية لجبال السروات ، وهذا الطريق كان مستخدماً قبل الإسلام، فيذكر أن أبرهة الحبشي الذي خرج من اليمن إلى الحجاز عام (٥٧١م) ، بهدف هدم الكعبة ، اتخذه طريقاً له(٤٠)، كما سلكه من قبله تبان أسعد أبي كرب الملك الحميري الذي تروي كتب التاريخ القديمة خبر وصوله إلى المدينتين المقدستين (مكة المكرمة والمدينة المنورة)(٤١)، والسالك لهذا الطريق لازال يلاحظ آثار الإصلاحات القديمة بادية عليه كتذليل عقباته ، وتبليط الخشن من أرضه ، ورصف بعض مجاري الأودية التي

تعترضه. حيث جرت عادة الحكام منذ القدم ، وطوال العصور الإسلامية الوسيطة، على تعمير الطرق وتعبيدها ، وإرساء بعض مظاهر العمران بين كل محطة وأخرى ، تتمثل في إقامة الاستراحات والمساجد للمصلين ، وآبار لمياه الشرب ، وذلك ضماناً لأمن وراحة المسافرين عبرها، وتوفيراً للأغراض التي قد يحتاجها المسافر أثناء سفره عبر تلك الطرق والدروب(٤٢).

كما يلاحظ أيضاً وجود قبور بعض الذين سلكوا هذا الطريق وتوفوا ودفنوا عليه ، ويستدل من النقوش الموجودة على هذه القبور أن هؤلاء المتوفين كانوا ينتمون إلى عصور مختلفة ، فبعضهم توفوا في الجاهلية ، وبعضهم في العصر الإسلامي. كما لازلنا نسمع السكان المقيمين حول تلك الطريق ينعتونها بـــ (درب الفيل)، وأحياناً بـــ (درب أسعد الكامل)(٤٣).

ومنذ ظهور الإسلام ، نجد أنّ هذا الطريق أصبح من الطرق الرئيسة ، حيث نشطت الرحلة عبره في العصور الإسلامية الأولى ، فكان يسلكه الصحابة (رضوان الله عليهم) وهم ذاهبون آيبون من الحجاز إلى اليمن(٤٤)، كما كان يسلكه الحجاج والتجار وطلبة العلم، وبخاصة إبان فترتيّ الحكم الأموى والعباسي ، بدليل ورود ذكره كثيراً في كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين الأوائل، من أمثال :- ابن خرداذبة(٤٥)، وقدامة(٤٦)، والحربي(٤٧)، واليعقوبي(٤٨)، والهمداني(٤٩)، والمقدسي(٥٠)، والإدريسي(٥١)، وجميع كتبهم أجمعت على أسماء أغلب المحطات التجارية المهِّمة الواقعة بين صعدة والطائف في الأجزاء السروية، والتي تمر بها قوافل الحج والتجارة ، مما يشير إلى كثرة استخدامها ، ولعل ذلك كان بحكم الصلة الوثيقة التي ربطت بين ولاة اليمن والخلافة العباسية ببغداد ، ولاسيما في عصر القوة، ونعني به العصر العباسي الأول(٥٢).وقد آثرنا الاعتماد على كتاب الهمداني « **صفة جزيرة العرب** » ، لنذكر المحطات الواقعة على هذا الطريق ، والسبب الذي جعلنا نعتمد على الهمداني دون غيره من المصادر

السابق ذكرها، والتي أشارت إلى هذا الطريق، هو معرفته القوية ببلاد شبه الجزيرة العربية ، فلقد ولد وعاش أغلب حياته في بلاد اليمن ، ثم إنه سافر عدة مرات من حواضر اليمن إلى حواضر الحجاز ، بل كانت مهنته في شبابه جمالاً يذهب مع التجار الذين كانوا يذهبون ويأتون ما بين الحجاز واليمن ، فمن ثم كانت له معرفة جيدة بأحوال ومحطات وأطوال الطريق الواصلة بين مدن الحجاز ومدن اليمن، والمارة ببلاد السراة ، إلى جانب أنه الجغرافي الوحيد الذي رسم لنا طول الطريق الجبلي الذي يأتي من صنعاء إلى الطائف ثم مكة المكرمة ، فذكر المسافات بين كل مرحلة وأخرى بالأميال ، ومثل هذه الأسباب تجعلنا في عداد المنصفين إذا اعتمدنا على كتابه :- **صفة جزيرة العرب**، في ذكر محطات هذا الطريق[٥٣] ، مع العلم أننا لن ننسى ما ذكره الجغرافيون الآخرون عن رخاء بعض المحطات التي كانت على هذه الطريق.

ويشير الهمداني إلى خروج الطريق الجبلي من صنعاء إلى صعدة مع ذكر الأطوال بين هاتين المدينتين ، ثم يورد قوله : " **من صعدة إلى العرقة اثنان وعشرون ميلاً ، ومن العرقة إلى المهجرة اثنا عشر ميلاً ، ومن المهجرة إلى أرينب ثلاثة عشر ميلاً ، ومن أرينب إلى سروم الفيض أربعة عشر ميلاً ، ومن سروم الفيض إلى الثجة ستة عشر ميلاً ، ومن الثجة إلى كتنة عشرون ميلاً ، ومن كتنة إلى يبمبم عشرون ميلاً ، ومن يبمبم إلى بنات حرب عشرون ميلاً ، ومن بنات حرب إلى الجسداء اثنان وعشرون ميلاً ، ومن الجسداء إلى بيشة أحد وعشرون ، ومن بيشة إلى تبالة أحد عشر ميلاً ، ومن تبالة إلى القريحاء اثنان وعشرون ميلاً، ومن القريحاء إلى كرى ستة عشر ميلاً ، ومن كرى إلى تربة خمسة عشر ميلاً ، ومن تربة إلى الصفن اثنان وعشرون ميلاً ، ومن الصفن إلى الفتق ثلاثة وعشرون ميلاً** "[٥٤] .

أما طريق الساحل فلم يشر الهمداني فيه إلى المسافات بين المحطات ، وإنما ذكر الطريق القادم من مدن اليمن الكبرى حتى بلد حكم في جازان ، ثم إلى الهجر، فعثر ، فبيض، فزنيف ، فضنكان ، فالمعقد ، فحلي ؛ فالجو ، فالجوينية ، فقنونا ، ثم دوقة ، فالسرين ، فالمعجر، فالخيال ، فيلملم ، فملكان ، فمكة المكرمة[٥٥].

ويتحدث ابن خرداذبة ، وقدامة، والإدريسي ، عن الطريق السروية التي تربط بين الطائف شمالاً وحواضر اليمن الكبرى جنوباً ، والتي كانت أنشط الطرق الواصلة بين الحجاز واليمن ، فكانت تستخدمها الجيوش في أثناء ذهابها وإيابها ما بين البلاد الحجازية واليمانية، بل كانَ يستخدمها التجار وموظفو الدولة ، كالأمراء والقضاة، والعلماء وجباة الزكاة وغيرهم، ولهذا فقد أشاروا إلى رخاء بعض المحطات التجارية التي كانت على طول الطريق، فابن خرداذبة أشار إلى أن الفتق وتربة قريتان كبيرتان ، أما تبالة وبيشة فذكر أنهما مدينتان كبيرتان بهما من العيون والنخيل الشيء الكثير ، وأورد بيت شعر عن بيشة لحميد بن ثور الهلالي حيث يقول :

إذا شئت غنتني بأجزاع بيشة إلى النخل من تثليث أو من يبمبماء

وواصل حديثه عن الجسداء وذات حرب ، وسروم راح التي أطلق عليها الهمداني سروم الفيض ، والتي تقع إلى الشرق بثمانية أميال من جرش ، فذكر تعدد الآبار بها، وأشار إلى أنها محطات تحتوي على قرى وسكان من عشائر مختلفة[٥٦] .

ويورد لنا قدامة معلومات أكثر دقة من ابن خرداذبة حيث عدد الأماكن التي ذكرها الهمداني ، وأعطى بعض الأوصاف الحضارية لبعض تلك المحطات فقـــــال :

« **... ومن الفتق إلى تربة ، وهي قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع ، وهي قرية خالصة مولاة المهدي ، ومن تربة إلى صفر ، وهي منزل فيه داران لصاحب البريد في الصحراء ، وفيه ماء عذب من بئرين، ومن صفر إلى كرى ، منزل فيه نخل وعين عذبة وليس إلاّ منزل لصاحب البريد ، ومنزل القوافل، وهي في بطن واد كثير النخل، ومن كرى إلى رنية ، منزل في صحراء ، ونخل وعين عظيمة عذبة ، والعمران حولها ، ومن رنية إلى تبالة قرية عظيمة كثيرة الأهل مضرية لقيس ، وفيها منبر وعيون وآبار، ومن تبالة إلى بيشة ، قرية عظيمة كثيرة الأهل في بطن الوادي ، ظاهرة الماء من عيون وآبار، مضرية قيسية ، ومن بيشة إلـى الجسداء ، قرية عظيمة، منزل أعراب من قيس ، ومن جسداء إلى بنات حرب قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع ، ومن بنات حرب إلـى يبمبم منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة وليس به أهل**

وحوله أعراب من خثعم وبينها وبين جرش نحو أربعة عشر ميلاً ، ومنه إلى كثبة قرية عظيمة ، ومنازل وقصور وآبار في صحراء بينها وبين جرش ثمانية أميال ، ومن كثبة إلى الثجة موضع البريد ، وفيه بئر ماء ينزله القوافل، وهو في بلاد زبيد، وحوله أعرابهم ، ومن الثجة إلى سروم راح ، وهي قرية عظيمة في صحراء فيها عيون كثيرة الكروم، فيها فخذ من همدان يقال لهم جنب ، ومن سروم راح إلى المهجرة، وهى قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل، وفيما بينها وبين سروم راح شجرة تسمى طلحة الملك[٥٧] وهذه الشجرة حد ما بين اليمن والحجاز ، وهي شجرة تشبه الغرب...ومن المهجرة إلى العرقة وهى أول عمل اليمن، وهي إلى عمل صعدة[٥٨] ». ويتعرض الإدريسي للطريق والمحطات التي ذكرها الهمداني ، وابن خرداذبة ، وقدامة ، ويتفق مع قدامة فيما ذكر عن شجرة (طلحة الملك) التي قيل كانت الحدّ بين الحجاز واليمن، ويضيف معلومات أكثر عن مدينتي تبالة وبيشة ، فيذكر تبالة وما بها من عيون كثيرة ومزارع ، ثم يقول :- « **وهي صغيرة في منخفض أكمة** » ، أما بيشة فهي أيضاً مدينة صغيرة متحضرة جيدة المساكن ، حسنة البقعة ، وبها ماء ونخل كثير[٥٩].

وقد أطلق على هذا الطريق الواصل بين اليمن والحجاز عدة أسماء منها :- الطريق الجبلي بحكم أنه يصعد إلى الجبال مخترقاً السلسلة الوسطى من جبال اليمن طولاً ، ويسير من عدن إلى ذمار، وصنعاء ، وصعدة ، وبيشة ، ومنها إلى الطائف... إلخ[٦٠]. كذلك أطلق عليها طريق السلطان ، أو الجادة السلطانية، لكونها الطريق الرئيس الذي كان محل اهتمامات خلفاء المسلمين الأول ، وبخاصة في العصر العباسي الأول، حيث دأبت الجيوش ورجالات الدولة ، وكذلك طلاب العلم ، وقوافل التجارة على عبوره في أسفارهم إلى الحجاز وغيرها[٦١].

٢ - وإلى الغرب من الطريق السابقة ، وعبر بلاد السراة ، يأتي طريق آخر ، وتخرج من بلاد قحطان (سراة جنب) ، ثم أجزاء من شهران وعسير شمالاً (مخلاف جرش قديماً)[٦٢]، ثم سراة الحجر ، فسراة غامد وزهران حتى

تصل الطائف ومكة المكرمة في الحجاز(٦٣). وهذه الطريق تأتي عبر قمم جبال السروات ، ويطلق عليها سكان السروات " طريق الحجاج" أو "محمل الجبال" ، ويشير إليها أحد الدارسين المعاصرين فيذكر أن هذه الطريق تعد من حلقات الاتصال بين اليمن والسراة ثم الحجاز في قديم الزمان وحديثه ، ثم يقول :- " ... **وأنا أذكر جحافل هذا الطريق مسلكاً ، وأعرف أن بعضه كان ولايزال مرصوفاً بالحجارة ليسهل السير فيه...**"(٦٤). وهذه الطريق لازالت آثارها ماثلة للعيان ، بل لازال كبار السن في هذه البلاد يذكرون حزونها ومسالكها ، بل يتذكرون بعض الجيوش العثمانية التي كانت تسلكها في الذهاب والإياب ما بين اليمن والحجاز خلال القرون الماضية المتأخرة(٦٥). ونجد "جادة السلطان" ، وكيفية خروجها من بلاد اليمن عبر جبال السروات، ولكن في بلاد قحطان (سراة جنب) ، وبلاد عسير (سراة عنز) يتم تفرعها إلى ثلاث طرق هي :- طريق السلطان الذي فصلنا الحديث عنه ، ويأتي عبر بيشة وتبالة ، وتربة ، حتى الطائف ومكة المكرمة. وطريق آخر من شمال أبها ، حاضرة عسير ، عبر عقبة تيه الساحل. والطريق الثالث، هي طريق الحاج عبر جبال السروات(٦٦). ويقول الحجري في هذا الطريـــق "... **ومن جبال عسير طريق حاج اليمن من جهة صعدة، يخرجون بلاد الحرجة من سنحان، ثم الوقشة من بلاد عبيدة ، ثم درب سلمان بعبيدة ، ثم درب العقدة لرفيدة ، ثم ذهبان بلاد ابن مشيط ، ثم شهران شرقي أبها على نحو ثلاث ساعات ، ثم المجزعة من شهران... ومن يريد طريق ساحل تهامة، فمن رأس عقبة تيه ، ثم وادي بعرور ، وهو واد ضيق على مسيرة (١٨) ساعة من الشرق إلـى الغرب، ومنه يخرجون إلى سبت محائل. وأما محمل الجبال فيمرون من المجزعة إلى الحمراء ما بين بللسمر وبللحمر، ثم المضفاه، ثم ساق الغراب، ثم تنومة ، ثم النماص من بلاد بني شهر، ثم غامد إلى رغدان**(٦٧) " .

وحلقة الوصل بين مرتفعات بلاد السراة ، والأغوار التهامية ، العديد من المنافذ التي تخترق السروات عبر المنحدرات الغربية حتى تصل سهول تهامة. وهذه المعابر الطبيعية يطلق عليها عقبات ، ومفردها عقبة ، وهي كثيرة جداً ، فيوجد لكل عشيرة أو قبيلة في جبال السروات من اليمن إلى الحجاز عقبة تصل بين الأجزاء السروية والتهامية ، ومن يدقق النظر في كتب التراث المبكرة ، فإنه لايجد أحداً دوّن شيئاً عن هذه العقبات ، وليس لأنها غير موجودة ، لكن أصحاب المدونات المبكرة لم يتوغلوا في أعماق جبال السروات ، وفي معرفة أحوال منحدراتها الغربية ، والسبب في ذلك يعود إلى صعوبة تضاريسها، وربما إلى فقدان الأمن بها في العصور الإسلامية الوسيطة ، وخاصة أن سكانها يتميزون بالقوة ، وصعوبة المراس ، وعدم قبول أي غريب يدخل بلادهم . وقد وجدنا كلاً من المقدسي، وناصر خسرو، وابن المجاور يتفقون على صعوبة تضاريس بلاد السراة ، وانغلاق أهلها على أنفسهم، وخصوصاً من يعيش منهم في قمم السروات ، أو في منحدراتها الغربية(٦٨)، ولكن تلك المنافذ كانت متواجدة بكثرة عبر جبال السروات ، وإصرارنا على هذا القول يعود إلى عدة أسباب منها :-

أ – أن من يدرس التقسيمات البشرية لسكان تهامة والسراة يجد العديد من العشائر والأفخاذ في جبال السروات لها فروع ، وفخوذ في الأغوار التهامية، بل يجد بينها العديد من الأحلاف والصلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية الوطيدة. وهذا مما يؤكد على حركة تنقلات وهجرات ما بين السراة وتهامة ، ولايتم ذلك إلاّ من خلال تلك المنافذ الضيقة بين السروات والأغوار التهامية(٦٩).

ب – إنني في جولاتي وتنقلاتي في بلاد تهامة والسراة خلال الثلاثين سنة الماضية ، وعبوري بعضاً من تلك العقبات التي تربط هذه الأجزاء ، وجدت عدداً من

النقوش، والآثار الواضحة للعيان تؤكد على أنها كانت ، بل ومازال بعضها مستخدماً حتى اليوم. وقد وجدت هذه النقوش على قبور أشخاص سلكوا هذا الطريق ، وربما أنَّ الجوع ، أو المرض، أو الوحوش المفترسة كانت سبب موت أولئك الأفراد(٧٠).

جـ - أثبتت الوثائق والدراسات الخاصة بالتاريخ الحديث أن كثيراً من الجيوش وقوات الأشراف في مكة المكرمة ، أو الجيوش العثمانية في اليمن ، أو الحجاز ، أو السروات كانت تسلك بعض العقبات التي تصل ما بين السراة وتهامة ، وذلك بهدف عبورها لمحاربة بعض القبائل في هذه البلاد ، وأحياناً لسرعة الوصول ما بين الحجاز واليمن في حالة طلب الإمدادات من طرف لآخر(٧١).

ومن أهم تلك العقبات ، وبخاصة التي وردت في بعض المصادر والمراجع المتأخرة، عقبات :- ضلع ، ورجم ، وتيَّهْ في سراة عسير ، وحظوة ، وساقين ، وسنان، وتلاع في سروات الحجر، والأبناء ، والمخواة ، وبني سعد في سروات غامد وزهران وما يليها شمالاً من سروات أخرى(٧٢).

والثابت أن هذه العقبات مثلها مثل الطرق الداخلية أو الخارجية التي تربط بين اليمن والحجاز ، عبر بلاد السراة ، حيث كانت تستخدم في تيسير مرور حركة الجيوش ، والحجاج، والتجار وغيرها من المنافع الأخرى.

٣ - الطريق البرية عبر تهامة ، فقد أشار الهمداني إلى طريق الساحل، أو طريق تهامة، والذي يبدأ مساره من عدن باليمن إلى مكة المكرمة ، ويصل حتى جدة، ونلاحظ أن الهمداني لم يفصل لنا مسافات هذا الطريق وطوله بالأميال، كما فعل في حديثه السابق عن طريق السلطان في بلاد السراة ، وإنما اكتفى بأن ذكر امتداد هذا الطريق بمحاذاة الساحل مباشرة ابتداء من عدن إلى باب

المندب، ثم أشار إلى أغلب المحطات التي تقع بين مدن اليمن الكبرى ، وبلد حكم في جازان، ثم استمر يذكر تلك المحطات حتى مكة المكرمة، فذكر بعد جازان : المهجر، فعثر،فبيض، فزنيف، فضنكان، فالمعقد ، فحلي ، فالجو، فالجوينية ، فقنونا، ثم دوقة، فالسرين، حيث يلتقي عندها الطريق الساحلية ، موضوع الحديث، بالطريق الأوسط أو السلطانية ، ومن عندها يعودان للافتراق، فيتجه طريق الجادة إلى مكة عبرالمعجر، فالخيال ،فيلملم، فملكان ، فمكة المكرمة. بينما يتجه الطريق الساحلي إلى جدة ، وكانت رحلة القوافل على هذه الطرق من عدن إلى مكة تستغرق في هذه الفترة نحو الشهر(٧٣).

وقد نوه عدد من الرحالة والجغرافيين الأوائل بالإضافة إلى الهمداني إلى أهمية طرق تهامة التي تربط بين اليمن والحجاز ، كما أوضحنا ، فبينوا لنا اعتماد سكان تلك المناطق والحجاج والتجار الوافدين من اليمن إلى الحجاز عبر بلاد تهامة والسراة على هذه الطرق التهامية ، ومن أولئك الرحالة عمارة اليمني الذي فَصَّل الحديث عن هذا الطريق فقال:– " **أما طريق تهامة فهي تفترق إلى طريقين :ـ فواحدة ساحلية على البحر، وواحدة هى الجادة السلطانية ، متوسطة منها إلـى البحر يوم أودونه ، وفيها إلـى الجبال يوم أودونه بحسب انضمام البحر والجبل وافتراقهما عند تهامة ، وفي كل مرحلة من الطريقين الساحلية والوسطى جامع عظيم ، فمن الساحلية :ـ الشرجة ، ثم المعجر ، فالقنديرة ، ثم عثر ، وهي مقر ملك قديم ، ثم بيض ، ثم الدويمة ، ثم حمضة، ثم ذهبان ، ثم حلي ، فالسرين**(٧٤) " إلى أن يصل الطريق إلى جدة(٧٥).

ثم يأتي على ذكر محطات الطريق الوسطى ، أو الجادة السلطانية ، فيذكر جازان، والساعد ، وتعشر ، والمبنى ، ورياح ، والهجر ، ثم تلتقي طريق الجادة بالساحلية ، ويفترقان من السرين ، وبينهما وبين مكة خمسة أيام ، فأول ما يلقى الحاج من عمارته بئر الرياضة ، ثم سبخة الغراب ، ثم الخبت ، ثم يرد الناس وادي يلملم ، وهو ميقات أهل اليمن... ثم يردون بئراً من عمارته يقالها لها أدام ، ثم يفترق الناس

فمن أراد مكة ورد من عمارته ببئر البيضاء ، ثم القرين ، ثم مكة ، ومن أراد عرفات ورد من عمارته بئر بوادي الرحم ، ثم نعمان ، ثم عرفات [٧٦].

ويذكر أبو إسحاق الحربي في كتاب المناسك تلك الطريق التهامية بين اليمن والحجاز، فيقول :- "... **من الخصوف إلـى جازان ، ومن جازان إلـى بيش ، ومن بيش إلـى عثر، ومن عثر إلـى ضنكان ، ومن ضنكان إلـى حلي ، ومن حلي إلـى بيض، ومن بيض إلى وادي المقل ، ومن وادي المقل إلـى وادي دوقة ، ومن وادي دوقة إلـى السرين، ومن السرين إلى وادي السباع ، ومن وادي السباع إلى الليث، ومن الليث إلـى مركوب ومن مركوب إلـى يلملم ثم إلـى ملكان ومنها إلـى مكة**"[٧٧] . وقد أشار أحمد الزيلعي في دراسة له عن وادي حلي فذكر وقوع خطأ في هذه الرواية التي أوردها الحربي حيث ذكر واديي بيض والمقل يقعان بعد وادي حلي ، مع أن هذين الواديين يقعان إلى الجنوب من حلي بمسافة كبيرة ، ثم يواصل الزيلعي حديثه فيذكر أن أحد نساخ كتاب الحربي عمل على تصحيح هذا الخطأ ، وكان تصحيحه من كتاب السلوك للجندي ، وذكره محقق كتاب الحربي حمد الجاسر بعنوان :- " ومن طريق تهامة خبر في الحاشية " وهو حديث أبي سعيد الجندي ، وفيه يقول : - " **إن من أراد طريق زبيد أخذ من مكة إلـى ادام ، ومن ادام إلـى مركوب ، ومن مركوب إلى الليث ، ومن الليث إلى عليب ، ثم القرما ، ثم قنونا ، ثم إلـى حلي ، ثم إلـى المعقد ، ثم إلـى ضنكان ، ثم إلـى زنيف، ثم إلـى بيض، ثم إلـى حاوي ، ثم إلـى العرش ، ثم إلـى جازان**"[٧٨] .

٤ – ويضاف إلى الطريقين اللتين سبق ذكرهما في تهامة ، طريق ثالثة ، سبق الإشارة إليها عند حديثنا عن طريق أهل السراة ، وهذه الطريق تأتي عن طريق جبال السراة حتى تصبح شمال أبها ، ثم تنحدر من عقبة تيه إلى تهامة ، ويقول الحجري عن هذه الطريق : ((**ومن يريد طريق ساحل تهامة ، فمن رأس عقبة تيه ، ثم وادي بعرور ، وهو وادٍ ضيق على مسيرة (١٨) ساعة من الشرق إلى الغرب ، ومنه يخرجون إلى سبت محائل...**))[٧٩] .

ومما يؤكد أيضاً على أهمية هذه الطرق البرية ، ولاسيما في رحلة الحج تناولها من قبل عدد من الأدباء في أراجيز نظمية معروفة تلقي بدورها الضوء على محطات هذه الطرق وتتابعها ، ومن أشهر هؤلاء الأدباء :- أحمد بن موسى الرادعي (٠٠٠ - ٢٨٠هـ)، ومحمد بن إسماعيل الأمير (١٠٩٩-١١٨٢هـ)، وابن إسحاق الصنعاني (١١٩١-١٢٦٦هـ)، وعلي بن الحسن العجيلي التهامي (١٢١٧-١٢٧٥هـ) وغيرهم ، ومما قاله ابن إسحاق :

كان خروجنا من الأوطـــــان   لقصد بيت الواحد المنان

يوم الخميس وهو من شـــوال   إحدى وعشرين بلا مقال

****

وبعد سرنا إلى يلملـــــم   ميقاتنا في قصدنا للحـــــرم

وهو يسمى الآن بالسعديـــة   باسم بئر عذبة هنيــــــة[٨٠]

وقال العجيلي :

صحبت المدلجين بخبت سعيــا   وفي وادي يلملم إذ أهلوا [٨١]

ولم تكن أحاسيس الأدباء التهاميين هينة تجاه الحج ، وطرقه ، ولا مكة المكرمة ومشاعرها ، بل تزداد هذه العواطف كلما أهل الموسم ، وهمّ المهلُّون بالرحلة إلى بيت الله ، وهناك تفيض المشاعر ، وهيج الأشواق ، يقول عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحيم البرعي (٠٠٠-٨٠٣هـ) في هذا الشأن :

أمن نيابتي برع تقيـــــم   وقد رحل الأحبة يانديـــــم

ومالك والتخلف عن فريـــق   متى رحلوا حللن بك الهمـــوم

طوت بهم المراحل في الفيافـــي   قلائص تذرع الفلوات كـــوم

فلعسان فسردد ثم مـــــور   فحيران لهن به رسيـــــم

إلى حرض إلى خلب تراءت / إلى جازان جازت وهي هيـــم
ومرت في ربا ضمد وصبيـا / ولؤلؤة[٨٢] وغوان تميـــم
وذهبان وفي عمق وحلـــي / تساورها المفاوز والرســـوم
وفي يبه وفي كنفي قنونـــا / سرت والليل متعكر بهيـــم
فدوقة فالرياضة ما استمـــرت / بجنب الحفر يطرها النسيـــم
إلى الميقات ظلت خائضـــات / غمار الآل يلحقهـــا السمـــوم
وباتت عندما وردت إذا مـــا / تحن فلا تنام ولا تنيـــم
وفي أم القرى قرت عيـــون / عشية لاح زمزم والحطيـــم[٨٣]

وهذه الطرق التي ذكرت عند المتقدمين لازالت آثارها باقية في كثير من المواطن ماثلة للعيان ، بل لازال هناك كثير من النقوش والكتابات والرسوم التي تثبت مرور العديد من التجار والحجاج وغيرهم عبر تلك الطرق، وقد رجعنا إلى بعض الدراسات الحديثة والمهتمة بالآثار والنقوش على محطات الطرق الساحلية، حيث كانت تذكر أسماء عدد من الأشخاص الذين وافتهم المنية على تلك الطرق، وهم في ذهابهم وايابهم إلى اليمن أو الحجاز ، بل وجدنا بعض النقوش توضح بما لا يدع مجالاً للشك السبب والزمن الذي كتبت فيه تلك النقوش ، أو الكتابات وكثير منها كان في العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة[٨٤]. كما لوحظ أن هذه الطرق قد استخدمت أيضاً أثناء التاريخ الحديث والمعاصر من قبل الجيوش العثمانية التي كانت تذهب من الحجاز إلى اليمن ، أو العكس، فبعض من رحالة العصر الحديث يذكرون مشاهداتهم على الطريق الواصل من مكة إلى منطقة عسير (سراة عتر قديماً)[٨٥] ، وهذا هو شرف ابن عبد المحسن البركاتي صاحب كتاب:-"الرحلة اليمانية" ، الذي قدم مع حملة الشريف حسين بن على من مكة إلى منطقة عسير عام (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) ، وقد رصد أثناء الرحلة أهم المواطن التي على طول الطريق من مكة المكرمة حتى تهامة سراة

الحجر ، ثم صعد مع عقبة ساقين التي تطل على تنومة في السراة،ومن هناك واصل طريقه عبر قمم جبال السروات حتى دخل مخلاف جرش (منطقة عسير الحالية) واستقر في حاضرتها مدينة أبها(٨٦) . ويلاحظ على رحلة البركاتي أنه كررّ ذكر أغلب المواطن التي ذكرها كل من الهمداني ، والحربي ، وعمارة اليمني، والحجري ، ومن أهم تلك المواطن :- الليث ، ودوقة ، وقنونا ، وبارق ، ومحائل، وجميع هذه الأماكن تقع في تهامة . أما في السراة فذكر أجزاء من سروات الحجر في بلاد بني شهر، وبللسمر ، وبللحمر حتى بلغ أبها(٨٧) .

كما يعدّ الطريق البحري أحد أهم وسائل الاتصال بين بلاد تهامة والسراة ، وبين العالم الخارجي ، فوجود الأجزاء التهامية على ساحل البحر الأحمر ، وفر لها منافذ عدة ربطتها بقارات العالم القديمة (أفريقيا ، وأوربا ، وآسيا) ، ويعد البحر الأحمر أحد الشرايين المائية الهامة التي كانت تصل بلاد أوروبا بأقصى الشرق ، على مدار العصور التاريخية، حتى إنَّ مختلف المصادر أجمعت على هذه الأهمية ، وبصفة خاصة في فترة صدر الإسلام وعصر بني أمية . وتعدّ هذه الطريق من أهم الطرق البحرية التجارية ، فحكام بني أمية قد أولوه كثيراً من الاهتمام فشجعوا سير التجارة فيه ، وسعوا إلى حمايته من كل ما يهدد أمنه(٨٨) . وفي عصر بني العباس تراجع نشاط هذا الطريق البحري بسبب تحول اهتمام خلفاء بني العباس إلى الخليج العربي ، والسعي إلى محاربة قبائل الجزيرة العربية اقتصادياً عندما كانوا يسعون إلى الوقوف في وجه الخلافة العباسية ، والانضمام إلى بعض اعدائهم مثلما حدث مع العلويين في عصر الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م)(٨٩) .

ولكن عاد طريق البحر الأحمر إلى مكانته السابقة ، وحاز ذات الاهتمام السابق وذلك بعد ضعف الخلافة العباسية ، وظهور عدد من الدويلات في العالم الإسلامي، واستقلال الأشراف بالحجاز ، بل تصاعدت أهمية هذا الطريق ، حتى أصبح

طريقاً عالمياً لفت نظر القوى الأجنبية كالبرتغاليين ، والأسبان ، والهولنديين ، ثم الإنجليز ، وصار طريقاً حيوياً لهم يمكن استخدامه للوصول إلى الشرق ، ويساعدهم أيضاً على الاستفادة من ثروات البلاد الواقعة على هذا البحر(٩٠). ومن خلال تفنيد هذه الحقائق التاريخية يمكن القول بأن بلاد تهامة والسراة قد تأثرت كثيراً بهذا الشريان البحري ، كطريق تجاري مثلما تأثرت بحركات المرور والتنقل التي قامت بها شعوب كثيرة على مر العصور، وهذا التأثير ربما كان سلباً أو إيجاباً لأن الأجزاء التهامية لها عدد من الموانئ المطلة على البحر، ومن تلك الموانئ:- ميناء الشعيبة ، الذي ذاع صيته منذ العصر الجاهلي ، ولكن قلت أهمية هذا الميناء في عصر الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بعد تشييد ميناء جدة في عام ٢٦هـ/٦٤٦م، الذي أصبح بعد ذلك واحداً من أهم المراسي العالمية في أواخر العصور الإسلامية الوسيطة(٩١). يليه إلى الجنوب ميناء القنفذة ، وكان من الموانئ القديمة ، لكن لم يظهر ميناءً هاماً إلاّ في أواخر العصر الإسلامي الوسيط(٩٢). ويأتي إلى الجنوب موانئ أخرى مثل :- السرين ، والبرك، وحلي ، والقحمة ، وجازان ، والموسم. وكل هذه الموانئ كانت معروفة منذ صدر الإسلام ، وبعضها من العهد الجاهلي. وكثير من كتب التراث أشارت إلى أهمية هذه الموانئ ونشاطها التجاري خلال العهود الإسلامية الوسيطة ، وأكدت أن أهل تهامة والسراة قد استخدموها لتصدير منتجاتهم التي كانت تصدر لهم من الهند والصين وعدن وبعض بلدان أفريقيا وأوربا(٩٣). ومما ساعد على تزايد حركة التجارة أيضاً من خلال هذه الموانئ، أنها كانت تتصل بالموانئ التي على الطرف الآخر من البحر الأحمر من جهة القارة الأفريقية(٩٤) ، وكذلك بالطريق التي تصل مصر بالبحر المتوسط حتى تصل إلى أوروبا ، وكذلك بالطريق التي تصل الهند والصين في أقصى الشرق(٩٥).

سادساً : أهم المراكز التجارية في تهامة والسراة :

اشتهرت عدة مراكز ومدن في تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة بالنشاط التجاري، الأمر الذي ساعد على توثيق العلاقات بينها وبين عدد من المناطق المحيطة بها كاليمن والحجاز ومدنها المتعددة ، فارتبطت معها بوشائج تجارية مما ساعد على زيادة مكانة التجار في مجتمع بلاد تهامة والسراة من جهة ، ومن جهة أخرى ساعد على إنماء الموارد المالية لهذه الجهات ، وتنوع النشاطات البشرية ، علاوة على زيادة الكثافة السكانية بتلك الجهات ، ومن ثم إلى ازدهارها الحضاري(٩٦).

وقد ورد ذكر هذه الأجزاء التهامية في عدد من المدونات وكتب التراث ، فنجد عاكشاً الضمدي يتحدث عن سكان المخلاف السليماني فيذكر أنهم قبائل كثيرون، وأنسابهم صحيحة ما بين عدنانية وقحطانية، وأغلبهم من قحطان ، وفيهم من المروءة ، والنجدة، والشجاعة، والكرم ماليس في غيرهم(٩٧). وفي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) يذكر الحسن بن أحمد الهمداني في كتابه :- " صفة جزيرة العرب " عدداً من المواطن والمراكز الهامة في بلاد تهامة فيقول :- **وببلد حكم قرى كثيرة مثل :ـ العداية ، والركوبة، والمخارف ، والقليق ، وبها :ـ وادي حرض ، وحيران ، وجـــدلان ، ووادي بني عبس، ووادي الحيد ، ووادي تعشر، ووادي جحفان ، ووادي لية ، ووادي خلب•• وضمد، وجازان، وصبيا**"(٩٨) ، ويواصل الهمداني حديثه قائلاً :- " **ثم مخلاف عثر، وعثر ساحل جليل ، ومدينة بيش،وحصبة أبراق ، وفيه من الأودية :ـ الأمان، ووادي بيش ، ووادي عتود، ووادي بيض ، ووادي ريم،ووادي عرمرم•••**"(٩٩)،ثم يتجه نحو الشمال معدداً بعض المواطن فيقول :- "••• **ثم بلد حرام من كنانة، وهو وادي أتمه وضنكان، وهو معدن غزير••• والحرة حرة كنانة، والمعقد، وحلي ، وهو مخلاف ، وقصبتها الصحاري موضع رؤوساء بني حرام ، والجو، ووادي تلومة، ووادي**

الفراسة ، والجونية ، ووادي المحرم، ودعنج ، وعشم معدن ، وقرية وحلي العليا والسرين ساحل كنانة هو وحمضة ، والليث ، ومركوب واديان فيهما عيون..."[١٠٠] .

وعلى هذا النحو عدد لنا " لسان اليمن " كثيراً من المواطن التجارية والمراكز الحضارية التي تكتنف منطقة تهامة في عصره، ويلاحظ أنه على الرغم من ذكره لعدد من هذه المواطن ، فإنه لم يأت على كل المراكز الكبرى في تهامة ، علاوة على عدم إمدادنا ، وهو الذي تجول وعاش بين بوادي وحواضر هذه المنطقة ، بتفصيلات دقيقة عن بعض الجوانب الحضارية التي اشتهرت بها تلك النواحي، وفي هذه الدراسة لانستطيع أن نورد كل التفصيلات عن كل بلدة ، أو مدينة ، أو قرية في تلك الأجزاء، وإنما سنحاول ذكر أكبر المراكز الحضارية التجارية التي وردت الإشارة إليها في كتب التراث الإسلامي خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . ومن تلك المواطن :- مدينة أبو عريش ، وبلدة بيش ، ومدينة عثر، والبرك ، وقنونا ، والسرين ، وعشم ، وحلي .

فمدينة أبو عريش تأتي إلى الشرق من مدينة جازان في يومنا الحالي ، وقد ذكرها كل من اليعقوبي والهمداني في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) فعدد اليعقوبي مراحل الطريق بين مكة المكرمة وصنعاء فقال :- "**ويبه المعقر ، وضنكان، وزنيف ، وريم ، وبيش ، والعرش من جازان**"[١٠١] وقال الهمداني في ذكر مراحل تلك الطريق"... ثم الشرجة ، ثم العرش ، ثم عثر" [١٠٢] ويأتي ذكرها أيضاً عند يحيى بن الحسن في كتابه " غاية الأماني في أخبار القطر اليمني " عندما تحدث عن أحداث عام ٥٩٩هـ/١٢٠٢م[١٠٣] .

ويعد الحسن بن أحمد عاكش أفضل المؤرخين في ذكر مدينة أبي عريش فيقول "**وأبو عريش هذا أول من اختط ببقعته مسكناً جد بني الحكمي ، وكان جدهم رجلاً صالحاً له يد في الطريقة فبنى عريشاً هناك ، وكان يقصده الناس من كل ناحية لما هو**

عليه من الفضل، فلذا يسمى أبو عريش ، وزمن اختطاطه قديم أظنه في القرن السابـع» (١٠٤).

وهناك بعض شعراء القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) الذين ذكروا "أبو عريش " في شعر ، فهاهو عبد الرزاق اليمني يقول :

عج بوادي الهضاب في الأسحار
وترنم هناك بالأوتـــــــــــــار

بربى أبي عريش حيث (الغواني)
مايسات الحجول والأســـــــوار

الصَّبا والصِّبا بها يا معنـــــــى
وطلوع البدور والأقمـــــــــار

ليت شعري أكون فيها دوامـــاً
أتمشى في حلة الجلّنـــــــار (١٠٥)

وبلدة بيش وردت في كتابي اليعقوبي والهمداني، فذكرها الأول على الطريق بين مكة واليمن ، ثم أشار إلى أن أهلها الأزد(١٠٦)، أما الهمداني فذكر أن بها موالي قريش وساحلها مدينة عثر، وذكر في مكان آخر من كتابه قول الشاعر أبي الحياش الحجري :-

فقرى بيش فالدويمات فالبر   ك فحلي ممطورة غينـــــــــاء(١٠٧).

أما مدينة عثر، فكانت إحدى المدن الهامة في بلاد تهامة خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، وأن مالكها آنذاك هو سليمان بن طرف الحكمي الذي ضرب العملة باسمه ووحد بينها وبين مخلاف حكم تحت مسمى" المخلاف السليماني "، وأن حجم إمارته التي كانت عثر عاصمة لها آنذاك تقدر بمسيرة سبعة أيام في الطول

ويومين في العرض ، فكانت من بلدة الشرجة جنوباً إلى مدينة حلي شمالاً ، ويصل خراجها في السنة خمسمائة ألف دينار عثرية(١٠٨).

وبلدة البرك كانت من المواطن المشهورة في تهامة ، وذلك لمكانتها السياسية والاقتصادية ، فلقد عمرها بعض الولاة في العصور الإسلامية الوسطى ، وتقع بين ذهبان وحلي ، كما تقع على ساحل البحر الأحمر من ناحية تهامة عسير، وفيها ترسو السفن، وهي بين ميناء حلي بن يعقوب من الشمال ، وميناء القحمة من الجنوب ، وقد سميت باسم البرك ابن وبرة بن يعلى بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعـــــه(١٠٩). وهذه المدينة وإن كانت معروفة خلال القرون الإسلامية الأولى ، فقد زادت شهرتها منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وذلك في عهد المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) ، الذي تذكر بعض الروايات التاريخية أنه اهتم بها فأمر بعمارتها.أما مدينة السرين فكانت أحد الموانئ الهامة على ساحل البحرالأحمر ، وقد تم تحصينها ، كما رتب الجنود على جبل البرك لحماية النشاط التجاري كأحد الموانئ المهّمة على البحر الأحمر(١١٠).

وقنونا أحد المواقع التجارية والحضارية في تهامة ، فقد ورد ذكرها عند الهمداني كإحدى المحطات الواقعة على الطريق الواصل بين مكة واليمن(١١١)، كما أنها كانت معروفة موقعاً تجارياً مهماً قريباً من سوق حباشة الذي عرف في الجاهلية والإسلام ، حيث يقول الأزرقي عن هذا السوق وقربه من قنونا: « **وحباشة سوق الأزد، وهي في ديار الأوصام من بارق، من صدر قنونا وحلي ...» وهي من مكة على ست ليالٍ ، وهو آخر سوق خربت**"(١١٢).

أما مدينة السرين فكانت إحدى الموانئ المهمة على ساحل البحر الأحمر، وقد ذكرها الرحالة المقدسي في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) فقال « **والسرين بلد صغير له حصن الجامع فيه على باب البلد مصنعه ، وهو فرضة السروات ،**

والسروات معدن الحبوب والتمور ، والبردية ، والعسل الكثير[113] » . ولهذا فإننا نجد أن بلدة السرين قد ظهرت مع غيرها من موانئ بلاد تهامة خلال العصور الوسطى كي تربط سكان أهل تهامة والسراة مع غيرهم من الشعوب والتجار الذين كانوا يطلون على البحر الأحمر من جهات عدة، أو كانوا يعملون في نقل البضائع من أو إلى أرض تهامة والسراة.

ويبدو أن بلدة السرين لم تعمر طويلاً في نشاطها التجاري الحضاري ، حيث أخذت المصادر تكتب عنها منذ منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) فيذكر أحد الباحثين المعاصرين بعض التفصيلات عن هذه المدينة فيقول : "**إن هذه الفترة كانت الحياة العامة فيها في تناقص وتأخر إلى أن آل بها ذلك إلى الخراب والموت في أواخر القرن الثامن الهجري، حيث ظهر على أقلام المؤرخين ذكر اسم الواديين من مستهل القرن التاسع الهجري بديلاً لاسم السرين تبعاً لاسم الموقع البديل الذي اتخذه نواب أمير مكة على تلك الجهات**"[114] ويؤكد هذا القول ما ذكره عمر بن فهد في تاريخه عندما قال " **وتوجه راجح بن قتادة إلى اليمن هارباً ، لما استولى عليها ابو سعد ابن أخيه ، علي بن قتادة ، وسكن السرين يعني :ـ الموضع المعروف بالواديين**"[115] .

أما مدينة عشم ، او مخلاف عشم ، كما ورد ذكره ضمن غيره من مخاليف مكة، فلقد أورده عدد من الجغرافيين والرحالة، عند ذكرهم لمخاليف تهامة، فذكروا أن لمكة مخاليف، وسموها أحياناً بالحصون ، ثم أوردوا أسماء عديدة منها :– السرين ، وضنكان، وعشم ، وبيش[116]. ويظهر أن هذه البلدة كانت نشطة بتجاراتها وحضارتها حتى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، حيث تواتر ذكرها في مدونات رجال هذه الفترة، وذلك بوصفها إحدى المراكز المهمة في تهامة[117]. بينما في القرنين السادس والسابع الهجريين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) صمتت المصادر عن ذكرها تماماً ، فعلى سبيل المثال ، لم ترد في معجم ياقوت الحموي،

خلال القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، مما يشير بطريق غير مباشر إلى انعدام أهميتها في زمنه ، وأن الخراب قد لحق بها[(١١٨)] .

ومدينة حلي كانت من أشهر مدن تهامة ، ويذكر الحجري أنها « **بلد من تهامة في شماليها ، جنوبي القنفذة على مسافة سبع مراحل من مكة** »[(١١٩)] و " تطلق كلمة حلي على وادي حلي المشهور قديماً وحديثاً باتساعه، وخصوبة أرضه ، كما تطلق هذه الكلمة على مدينة حلي المعروفة في المصادر العربية باسم :- حلي بن يعقوب التي يعتقد بأنها كانت العاصمة المركزية للوادي"[(١٢٠)] . وهذه المدينة كانت من أكبر وأنشط محطات طرق الحج اليمنية إلى مكة المكرمة ، كما تذهب بعض المصادر الإسلامية المبكرة إلى أنها بلغت قمة تطورها في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) . وظلت تؤدي دورها الحضاري حتى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، حيث أشار إليها ابن بطوطة في رحلته فذكر أنها مدينة كبيرة ، تتسم بالازدهار العمراني، ووصف جامعها الكبير بأنه أحسن الجوامع[(١٢١)]، كما يُعلق أحد الباحثين المحدثين في أثناء حديثه عن حلي من خلال أوصاف المؤرخين لها بأنها كانت مدينة ضخمة تضم بين جنباتها سوقاً تجارياً كبيراً، ومسجداً جامعاً، وآخر ثانوياً ، علاوة على أعمالها الكثيرة من قرى ونواحٍ [(١٢٢)]، فيقول :- "**ولا شك أن هذا دليل قاطع على أنها كانت مدينة متطورة، وأنها كانت عاصمة لإقليم حلي بأسره**"[(١٢٣)] .

وعلاوة على هذه المراكز التجارية والحضارية لبلاد تهامة، فهناك أيضاً الأجزاء التهامية الداخلية الواقعة بين سواحل البحر الأحمر وسفوح جبال السروات ، والممتدة من مكة المكرمة شمالاً إلى مخلاف حكم (جازان) جنوباً ، مثل:- الليث،والقنفذة [(١٢٤)]، ثم تهامة سراة غامد وزهران وحاضرتها المخواة ، يليها إلى الجنوب تهامة سروات الحجر، كوادي خاط ، والمجاردة ، وبارق ، ثم بلدة محائل، ورجال ألمع ، ودرب بني

شعبة ، والشقيق، وغيرها من مواطن عديدة كانت لاتقل في أهميتها الحضارية والتجارية عن مدن عشم، والسرين، وعثر ، وبيش ، وحلي وغيرها[١٢٥].

أما المراكز السروية التجارية والحضارية ، فقد كانت منتشرة في أرجاء المنطقة السروية ، ولكننا سوف نشير إلى أهمها. وهناك عدد من الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل قد أشاروا إلى أسماء عدد من تلك المحطات التجارية التي تقع على الطرق السروية التي تربط اليمن بالحجاز[١٢٦].

ويأتي في الجنوب مدينة نجران التاريخية ، وقد أفاضت المصادر في الحديث عن هذه البلدة ، وأشارت إلى أهميتها السياسية ، والدينية ، والاقتصادية[١٢٧]. ولما امتازت به بلاد نجران من استراتيجية الموقع ، فقد أكسبها ذلك أهمية كبيرة في مجال التجارة، وكذلك خصوبة تربتها جعلها من المدن الزراعية التي تنتج التمور والحبوب وأنواعاً أخرى من المحاصيل الزراعية التي قامت عليها بعض الصناعات والحرف التقليدية ، علاوة على تصديرها إلى الجهات المحيطة بها[١٢٨].

ويلي مدينة نجران مخلاف جرش (جزء من منطقة عسير الحالية) ، أو مدينة جرش، وهي لا تقل في أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية عن مدينة نجران ، بل إن هذه المدينة قد ورد ذكرها في المصادر الإسلامية المبكرة منذ أن دخلها الإسلام في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، واستمرت تؤدي مهمتها السياسية والحضارية في منطقة عسير حتى القرن السابع، وربما الثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) ، ثم يختفي ذكرها بعد ذلك [١٢٩]. ومن يتجول في موقع مدينة جرش اليوم، وهي تبعد عن مدينة أبها نحو الجنوب الشرقي بحوالي (٣٥ – ٤٠) كيلو متراً ، يجدها لازالت تحتوي على نقوش ورسوم وآثار عديدة توضح قيام نشاط حضاري تجاري كبير بها ، خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة[١٣٠]. وإنني من خلال هذا

البحث أهيب بالأقسام الأكاديمية الأثرية المختصة في البلاد السعودية أن تولي هذا المكان بعض الاهتمام من الدراسة والتنقيب، وإنني متأكد أنهم سوف يجدون مادة علمية كثيرة تعكس تاريخ وحضارة هذا الجزء من جنوب شبه الجزيرة العربية[١٣١].

ونخلص إلى القول ، بأن الهمداني قد أفاض في ذكر تفصيلات دقيقة عن مواطن السراة سواء المنحدرة تجاه الأغوار التهامية ، أو بلدان السراة الواقعة في الأجزاء الشرقية ، علاوة على ما ذكره عن مواطن سروات عسير (عنز)، والحجر ، وغامد وزهران[١٣٢]، مما ينهض دليلاً على كون كثير من هذه المراكز زاخرة بالنشاطات البشرية المتنوعة كفاية لحاجة سكانها ، ويأتي على رأس هذه النشاطات النشاط التجاري. هذا ونلاحظ أن هذه المواطن والمراكز الحضارية التي دونها الهمداني في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) لازالت تحمل نفس المسميات إلى يومنا هذا، بل لازال كثير منها يتميز بالنمو والنشاط الحضاري الذي تعيشه مواطن عديدة في شبه الجزيرة العربية. ومن هذه المراكز :- بلدة ظهران الجنوب في ديار وادعه ، وإلى الشمال من بلاد نجران ، ثم سراة عبيدة ، وأحد رفيدة في بلاد قحطان أو (سراة جنب). أما أبها ، والملاحة ، وطبب ، وتندحة ، والقرعاء ، وبيشة، وترج ، وتبالة ، وعبل ، وتنومة ، والجهوة ، والخضراء ، وحلباء، وسدوان، والعرق، وغيرها مما ذكر الهمداني ، فلا زالت تحمل نفس المسمى الذي كانت تحمله في القرون الإسلامية المبكرة، كما أن بعضها ، تعد اليوم ، من المحافظات الكبرى في منطقة عسير (مخلاف جرش قديماً)[١٣٣]. وجميع هذه البلدان وغيرها في أرض السروات تكتظ بالكثافة السكانية ، إلى جانب توافر جميع المقومات الأساسية لقيام نشاطات حضارية متعددة ، من اجتماعية ، وفكرية ، واقتصادية وغيرها[١٣٤].

سابعاً : الأسواق :

نشطت حركة التجارة الداخلية في بلاد تهامة والسراة نشاطاً ملحوظاً نلمسه في عدد من مدن هذه البلاد وقراها ، فكان هناك كثير من الأسواق التي تقام في ساحات هذه المدن والقرى . وعلى الرغم من كثرة هذه الأسواق وتنوعها ، إلاّ أن الغالب عليها، كما يبدو، هو نظام الأسواق الأسبوعية التي كانت تقام في يوم معين من أيام الأسبوع ، وكان هذا النوع من الأسواق أكثر شهرة وذيوعاً ، لاسيما في المدن والقرى الصغيرة ، فكان لكل قبيلة أو عشيرة في بلاد تهامة والسراة سوق يقام في أرضها ، ويسمى باليوم الذي يقام فيه ، فمثلاً:- يقال سوق الجمعة ، وسوق السبت، وسوق الاثنين ، وهكذا نسبة إلى اليوم الذي يقام فيه السوق من كل أسبوع[١٣٥]. ويخرج أرباب الصناعات والبضائع بضائعهم وسلعهم على اختلافها ، ويبدأ السوق في الصباح الباكر ، ويستمر إلى آخر النهار، ويزدحم طوال اليوم براغبي البيع والشراء ، وكانت القبيلة التي يقوم السوق على أرضها ، غالباً ما تتولى حمايته من أي اعتداء ، وتوفير الأمن والراحة للتجار ومرتادي الأسواق[١٣٦].

ولم تكن وظيفة الأسواق تقتصر على مزاولة البيع والشراء ، وإنما كان الناس يتداولون فيها الآراء ، ويتناقلون الأخبار ، ويتم فيها الوعظ والإرشاد. وأغلب الأسواق يكون فيها مكان مرتفع يسمى بـــ (الراية)، يستخدم للوعظ، أو الإعلان من فوقه عن خبر معين. ويذكر أن أهل تهامة والسراة كانوا يستخدمون مثل هذا المكان في رفع العلم الأبيض لمن فعل أمراً حميداً ليشكره الناس ، وينوهوا بفضله ، وقد يرفعون علماً أسوداً لمن غدر، أو لم يف بالتزاماته نحو عشيرته، أو غيرهم[١٣٧].

ومعظم السلع في أسواق تهامة والسراة الأسبوعية كانت تعرض على الأرض، فيفرش البائع لها قطعة من القماش، وأحياناً تكون على الأرض بدون أي فرش.

والسوق الواحد يكون في مكان محدد من أرض القبيلة[١٣٨]. وقد عرفت تهامة والسراة بالأسواق المتخصصة ، حيث كان السوق الواحد يضم عدة أسواق، كل منها قائم بذاته على بيع وشراء سلع معينة، فكان هناك سوق للحبوب، وآخر للماشية ، وثالث للبز ، وغيرها لبيع أغراض أخرى متنوعة[١٣٩].

وإلى جانب ذلك عرفت تلك المناطق أيضاً الأسواق الدائمة ، حيث شهدت بعض الأسواق وجود حوانيت ومحال صغيرة في أطرافها، وخاصة في الأسواق الكبيرة بالمدن مثل:- نجران ، وجرش ، وبيشة وغيرها في بلاد السراة ، وكذلك حلي ، والسرين، وعثر ، وغيرها في الحواضر التهامية[١٤٠]. وكانت هذه الأسواق على ما نرجح تقوم على غرار الأسواق الإسلامية في العصور الوسطى بالمدن والحواضر الكبرى، حيث تتألف من شارع طويل تكتنفه الحوانيت والمحال من الجانبين ، وكان يتقدم كل حانوت مصطبة مرتفعة يجلس عليها البائع أو صاحب الحانوت مع عملائه لعقد الصفقات ، وإجراء عملية البيع والشراء، وأحياناً كانت بعض الحوانيت الكبرى تنقسم إلى قسمين أحدهما داخل الآخر، ويتخذ القسم الداخلي مخزناً للبضائع ، بينما الجزء الخارجي يعدّ معرضاً لها ، ومجلساً للعملاء[١٤١].

وفي أثناء حديثنا عن الطرق التجارية لاحظنا مرور بعضها بمحطات عديدة حفلت بالنشاطات البشرية المتنوعة ، وبخاصة الأسواق التجارية ، التي كانت مقصداً للتجار السالكين لتلك الطرق ، حيث اعتادوا النزول في بعضها، وعقد الصفقات التجارية مع من يصادفوهم من التجار بكل محطة ، أو مع سكان القرى والمناطق المحيطة بكل محطة تجارية. وبعض الأسواق التجارية في هذه المحطات ترجع شهرتها التجارية إلى العصر الجاهلي، واستمرت خلال العصور الإسلامية المختلفة. وأبرز هذه المحطات النشطة بأسواقها : أسواق الشعيبة ، والسرين ، وقنونا ، وحلي والبرك ، وعشم ، وبيش ، وبارق ، وحباشة ، وغيرها في أرض تهامة ، وكانت جميعها تعج بالحركة

التجارية، ويرتادها الكثير من التجار من داخل بلاد تهامة والسراة ومن خارجها[١٤٢]. ونجد بعض الجغرافيين والمؤرخين الأوائل ينوهون في مدوناتهم عن نشاط بعض هذه الأسواق في العصور الإسلامية الوسيطة. فابن المجاور يشيد بأسواق نجران وما حولها، ويقول :- " **وعليها المعول في البيع والشراء**"[١٤٣]، ويتحدث الهمداني عن سوق عثر ويذكر أنه من أشهر أسواق تهامة خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، فيقول :- "... **بيش وبه موالي قريش، وساحله عثر، وهو سوق عظيم**"[١٤٤]. ويؤكد المقدسي ما ذكره الهمداني عن أسواق عثر أثناء حديثه عن تلك المدينة التي تعد حاضرة لبيش فيقول :- "... **وعثر مدينة طيبة مذكورة ، لأنها قصبة الناحية ، وبها سوق حسن**"[١٤٥]، ويتحدث ابن المجاور عن بعض نواحي تهامة ، ومنها ميناء السرين، الواقع على البحر الأحمر ، فيذكر نشاطه التجاري الزاخر، وأنه كان موئلاً للتجار القادمين من فارس بتجارتهم ، وأنه لكثرة توافدهم عليه كانوا سبباً في شهرته حتى أطلق عليـــه « **بناية الفرس على ساحل البحر**» [١٤٦]، كما أشار المقدسي إلى هذا الميناء فذكر أنـــــه [١٤٧] « **فرضة السروات**» ، وذلك لما يرد إليه من بلاد السراة من سلع متنوعـــة.

ونلاحظ كثرة الأسواق الأسبوعية في بلاد تهامة والسراة ، وتناثرها في أنحاء البلاد، وقد لمست ذلك من خلال مشاهداتي الشخصية أثناء تجوالي وزياراتي لعدد من مناطق هذه البلاد المعنية بالدراسة خلال السنوات الماضية ، فوجدت كل عشيرة أو قبيلة لاتخلو نواحيها من سوق أسبوعي ، كما اطلعت على عشرات الوثائق التي تنص على مسمى بعض هذه الأسواق، ومن المسؤول عن حمايتها ، وبنود أخرى عديدة تضمنتها هذه الوثائق تشيربل وتؤكد على استقرار الأمن بها[١٤٨]. كما شاهدنا عدداً من الآثار والنقوش التي لازالت واضحة للعيان في بعض الأسواق ، والتي تحتاج إلى تضافر جهود الدارسين والمهتمين لدراستها والتنقيب عن آثارها ، خصوصاً أن بعض

الأسواق يبدو عليها القدم التاريخي، ومن الصعب تحديد عمرها التاريخي إلاَّ عن طريق الدراسات والتنقيبات الأثرية[149] . كما أن بعض الجهات الرسمية في حكومة المملكة العربية السعودية بدأت منذ عدة سنوات تولي بعض هذه الأسواق الأسبوعية نوعاً من الجهود في صيانتها والحفاظ على ما يوجد بها من تراث وآثار قديمة ، ونرجو من هذه المؤسسات الحكومية ، بل نرجو من المؤسسات التعليمية في البلاد أن تضاعف الجهود في الحفاظ على هذه الأسواق، وما تحتويه من تراث وفكر حضاري. ولعل الاهتمام بصيانة هذه الأسواق الاقتصادية الأثرية ، والعمل على ترميمها وتجديدها يمثل أحد مظاهر التطور الحضاري الذي تشهده البلاد في الآونة الحالية[150].

ثامناً : الحسبة والمحتسب :

وإذا كانت مهمة حفظ الأمن ، والقيام بأعباء الحراسة في أسواق بلاد تهامة والسراة تقع على عاتق القبائل والعشائر المحيطة بكل سوق، فإننا لانعدم إشارات وردت في بطون المصادر الإسلامية تشير إلى أن أسواق التهائم والسراة قد عرفت - شأنها في ذلك شأن الأسواق بالحواضر الإسلامية الكبرى - وظيفة المحتسب ، وذلك منذ أمد طويل ، فقد أمدتنا المصادر بأن خلفاء المسلمين الأول كانوا يرسلون من قبلهم من يتولى وظيفة الحسبة في أسواق تهامة والسراة ، ولا أظن أن أولئك المحتسبين كانوا يغطون جميع أسواق هذه البلاد، لكن من المحتمل أنهم كانوا يشرفون على الأسواق الكبيرة ، والتي تقع في مدن واسعة، أو على ملتقى طرق رئيسة[151]. ومهمة المحتسب ، أو والي السوق[152] ، أن يشرف على سير البيع والتجارة في السوق ، منعاً للغش ، والتدليس ، والتلاعب في الأسعار ، مما يؤدي إلى ارتفاع أثمان السلع، الأمر الذي يثقل كاهل الأهالي ، ويزيد من أرباح تجار السلع. وكذلك يقوم المحتسب على فض المنازعات ، وحل المشاكل التي قد تحدث في السوق، وربما كان من مسؤولياته

جباية الأموال من البائعين في الأسواق نظير السماح لهم بالجلوس فيها وممارسة البيع والشراء ، كما أن من مسؤولياته حفظ الأمن في السوق، وكان يعين في عمله عريفاً أو نقيباً لكل صنعة في السوق من أهلها، خبيراً بعملهم وتدليسهم ، وتقتصر مهمته على رقابة أهل الصنعة ، وإطلاع المحتسب بأخبارهم ، وأحياناً قد يتعرض المحتسب، أو والي السوق ، للإيذاء من بعض العشائر المحيطة بالسوق، وما حصل في سوق حباشة ببلاد بارق في تهامة عام (١٩٧هـ/٨١٢ م) لأكبر دليل على وجود ولاة لبعض الأسواق في فترات الإسلام المبكرة ، حيث يذكر الأزرقي[١٥٣] ، وابن فهد أنه في سنة ١٩٧هـ (٨١٢م) كان عامل مكة داؤد بن عيسى، استعمل عاملاً على هذا السوق « **وهي آخر سوق خرب من أسواق الجاهلية ، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه جند فيقيمون به ثلاثة أيام من أول رجب متوالية ، فقتلته قبيلة الأزد في هذا العام، فأشار أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخربها وتركت** » [١٥٤] .

ونخرج مما سبق ذكره عن الأسواق ، والحسبة والمحتسب ببعض الاستنتاجات مثل:-

أ - لايستبعد أنه كان هناك أسواق أخرى عديدة في بلاد تهامة والسراة ، قد خربت نتيجة للصراعات القبلية في البلاد ، أو من قبل الولاة والأمراء في الحجاز ، وذلك لما قد يصدر من بعض القبائل المحيطة ببعض الأسواق، والمعتدية على عمال الأسواق المرسلين ، كما حصل في سوق حباشة ، خلال عصر الخليفة العباسي الأمين ١٩٣- ١٩٨هـ / ٨٠٨-٨١٣م) ، وفي عهد ولاية والي مكة داود بن عيسى .

ب - إن بعض الأسواق كانت ذات أهمية تجارية ، أو ذات موقع تجاري هام ، فولاة مكة المكرمة كانوا يرسلون إليها المحتسبين ومعهم قوة عسكرية تعينهم على ضبط الأمن وسير الحياة التجارية في الأسواق المرسلين إليها ، ولكن فيما يبدو

أحياناً فإن تلك القوة تكون صغيرة ، فلا تستطيع الدفاع عن نفسها ، وخصوصاً لو ثارت في وجوههم عشائر كبيرة ، ومن ثم فإنهم قد يتعرضون للخطر ويفقدون حياتهم.

جـ - إن المشاهد اليوم لأرض تهامة والسراة ، يرى جميع مقومات الحياة التجارية بها، فوقوعها بين منطقتي الحجاز واليمن ، ثم إطلالها على شاطيء البحر الأحمر أكسبها موقعاً تجارياً هاماً. كما أن وفرة الخيرات الزراعية والثروة الحيوانية بها، وتعدد مسالكها ، وتنوع تضاريسها أكسبها ميزة أخرى، إلى جانب كثرة سكانها ، وتعدد قراها ومدنها ، كل هذا جعل الأسواق التجارية منتشرة بها ، بل جعل النشاط التجاري الداخلي والخارجي معها ميسوراً.

تاسعاً : الصادرات والواردات :

إن بلاد تهامة والسراة كانت تتمتع بنشاط تجاري زاهر، فلا تقتصر المتاجر على أهل البلاد أنفسهم ، وإنما خرجوا للمتاجرة مع سكان الإقليم والأجزاء المجاورة لهم في داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها.

ففي ميدان التجارة الخارجية بأرض تهامة والسراة ، نلاحظ أن معظم العشائر والقبائل ، بل جميع المدن والحواضر كانت تحتوي على أسواق أسبوعية تكتظ بأنواع عديدة من السلع ، سواء المحلية منها كالمصنوعات والمنتجات التهامية والسروية التي كانت تشتهر بها وتعمل على تصريفها في الأسواق الخارجية ، أو تلك الواردة إليها من الشرق الأقصى وسواحل أفريقيا الجنوبية الشرقية مما أدى إلى التنوع الشديد في حركة الصادرات والواردات[١٥٥]. وقد توافر في هذه الأسواق الكثير من السلع المحلية ، كالحبوب بأنواعها، والصناعات اليدوية المتنوعة ، كأدوات الزراعة ، والنجارة ، والحدادة، والمنسوجات، والجلود بأنواعها ، وغيرها[١٥٦]. وغالباً ما كانت تصدر هذه

السلع من الحواضر والمراكز الحضارية المتعددة في أرض تهامة والسراة، وذلك لتوفر الزراعة عندهم. أما أهل البادية والأرياف فكانوا يتاجرون في بعض الحيوانات الأليفة التي توجد لديهم مثل :- الإبل، والأبقار، والأغنام ، والماعز . كما كانوا يتاجرون في منتجات تلك الحيوانات مثل :- السمن، والزبد ، والأصواف ، والجلود[١٥٧].

وإذا ما نظرنا في بعض المنتوجات التي كانت تتوفر في بلاد تهامة والسراة ، ثم تصدر إلى مدن اليمن، والحجاز ، واليمامة، والبحرين، وأحياناً إلى خارج شبه جزيرة العرب، فإن الحبوب تأتي على رأس قائمة تلك السلع. وقد وجدنا عدداً من المؤرخين والجغرافيين الأوائل يذكرون كثرة إنتاج الحبوب بأرض تهامة والسراة.[١٥٨] بل إن ابن المجاور في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) يذكر كثرة الحصون والقصور في بلاد السراة ، وكان من فوائد تلك القصور اتخاذها مخازن للحبوب فقال :- « **وقد بني في كل قرية قصر من حجر وجص ، وكل واحد من أهل القرية له مخزن في القصر يخزن فيه جميع ما يكون له من حوزه وملكه ، ولا يأخذ منه إلاّ قوت يوم بيوم**»[١٥٩] . ومثل هذه الحصون والمخازن التي توجد بها تدل على كثرة إنتاج الحبوب في البلاد، بل إن الباحث قد عاصر هذه العادات عند أهل السراة خلال العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، حيث كان لكل قرية حصن، أو أكثر[١٦٠]، ثم إن كل أسرة في القرية تمتلك غرفة أو جزءاً من غرفة في هذا الحصن كي تخزن فيها ما تنتج مزارعهم ، ولاتزال عشرات الحصون القديمة، التي كانت تستخدم لمثل هذا الغرض ماثلة للعيان، مع العلم أنها أهملت وبدت عليها علامات الخراب والاندثـــــــار[١٦١].

كما تعد الخضروات والفواكه من السلع المهمة التي توافرت ببلاد تهامة والسراة نظراً لكثرة زراعتها ، وخصوبة أراضيها ، والتي أشار إليها غير واحد من الرحالة والمؤرخين مثال ذلك ابن جبير الذي ذكر أنها « **أرض خصبة متسعة كثيرة**

التين والعنب ، واسعة الحرث، وافرة الغلات » (١٦٢) ، ومن ثم اضطلع سكانها بمهمة تصدير الفائض منها إلى الحجاز وبلاد اليمن وأفريقية عبر البحر الأحمر، ويأتي في مقدمة هذه السلع الكروم على أنواعها ، والرمان ، واللوز ، علاوة على بعض السلع الأخرى كالسمن والعسل(١٦٣). كذلك أشاد الهمداني بأرض تهامة والسراة وخصوبتها التي تبرز في تنوع ووفرة محاصيلها الزراعية، التي عدد بعضها مثل :- البر ، والشعير ، والتفاح ، والخوخ ، والكمثرى ، والعسل(١٦٤). ويوافق قدامة الهمداني في وفرة الفواكه بأرض السراة(١٦٥)، كما أكد المقدسي ما ذكره ابن جبير ، عن خروج الفائض من الفواكه والخضروات السروية والتهامية مصدراً إلى أسواق مكة المكرمة ، وإلى موانئ البحر الأحمر لتصديرها إلى خارج شبه الجزيرة العربية (١٦٦)، كما ذكرت مصادر أخرى وفرة هذه المزروعات في بلاد السراة مثل :- بيشة ، وجرش ، ونجران ، ونوهتْ بعدد من مواطن وفرة الفواكه ، والتمور بها ، حتى إن نجران وصفت باسم « **نجران الحقول** » (١٦٧) .كما أشادت ، دلالة على شهرتها الزراعية، بتمور بيشة ونجران وجودتها ، ويشارك الهمداني في هذا القول عندما وصف بعض أنواع التمور المنتجة في بلاد السراة ومدح جودتها، فذكر أنها على نوعين هما :- المدبس، والقسب، ولاتوجد إلاَّ ببلاد السراة ، وخاصة في نجران وبيشة(١٦٨).

كذلك اشتهرت أرض تهامة والسراة بوفرة ثرواتها النباتية الطبيعية ، والتي تقوم على المنحدرات من جبال السروات تجاه تهامة، والتي يطلق عليها اسم " صدر " وجمعه "أصدار" ، وقد حفظ لنا الدينوري أسماء مئات الأشجار والنباتات الطبيعية المتنوعة ، والمستخدمة لأغراض عديدة ، كما تحدث عن جودة بعض تلك الأشجار ، وتزايد الطلب عليها فكانت تصدر أخشابها أو أوراقها إلى بعض الأسواق الكبرى في الحجاز ، واليمن ، واليمامة ، كي يستفاد منها في منافع عديدة(١٦٩). وقد ساعد توافر هذه الأشجار والنباتات الطبيعية المتنوعة على تكاثر حشرة لها أهميتها في المجال

الاقتصادي ، ونعني بها النحل، مما أدى إلى توفر العسل الذي يزيد عن حاجة أهل البلاد، وبالتالي دخل في قائمة صادراتهم، ودلالة على كثرته ، أن بعض المواطنين في أرض السراة كانوا يدفعون عليه زكاة منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وعندما جاء عصر الخليفة الراشد، عمر بن الخطاب، (رضي الله عنه) امتنع بعضهم عن دفع زكاته ، فلم يكن على أمير الطائف الذي كان يتولى إدارة شؤون أهل السراة ، إلاّ أن يكتب للخليفة عمر بذلك ، فكتب عمر إلى الوالي قائلاً :- « **إن أدوا إليك ما كانوا يؤدونه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فاحم لهم أوديتهم، وإن لم يؤدوا إليك ما كانوا يؤدونه إلى (النبي صلى الله عليه وسلم) فلا تحم لهم** » [(١٧٠)]. ويذكر أن خلفاء بني أمية وبني العباس كانوا يرسلون إلى أمرائهم في أرض الحجاز كي يزودوهم بعسل السدر، والندغ ، والسحاء، والضرم المتوافر عند أهل تهامة والسراة[(١٧١)]. ولم تقتصر صادرات تهامة والسراة من العسل على شبه الجزيرة العربية ، ودمشق، وبغداد ، بل عرف طريقه أيضاً ، نظراً لجودته الفائقة ، عبر موانئ البحر الأحمر إلى بعض الأجزاء الأفريقية، كما اشتد عليه الطلب ببلاد فارس[(١٧٢)].

كذلك كانت الجلود والمنسوجات من السلع الهامة التي تصدر إلى خارج بلاد تهامة والسراة ، فيشيد ابن حوقل ويشاركه الاصطخري وقدامة بجودة أديم نجران، وجرش، وأجزاء عديدة من أرض السراة[(١٧٣)]. ويذكر الإدريسي شهرة هذه المناطق بالمصنوعات الجلدية ، لاسيما نجران وجرش ، حيث تعد دباغة الجلود صناعة رئيسة لمعظم أهلها، وقد بلغت الجلود المدبوغة فيهما درجة عالية من الجودة ، ويؤكد ذلك الإدريسي بقوله :« **وبها تدبغ الجلود اليمانية التي لايبلغها شيء في الجودة** » [(١٧٤)] ، وفي موضع آخر يؤكد أهمية هذه الصناعات لأهل هاتين البلدتين فيقول : إن هذه الصناعة هي « ... **بضائعهم وبها تجاراتهم وأهلها مشهورون بذلك** » [(١٧٥)]. وهذه السلعة كانت تصدر إلى حواضر عديدة في العالم الإسلامي، بل كانت تهدى بعض

المصنوعات الجلدية السروية التهامية إلى بعض الزعماء والخلفاء والأمراء ، وهذا يدل على جودها وعلو قيمتها[١٧٦] . كما تفنن أهل تهامة والسراة في تزيين الجلود وزخرفتها برسوم وزخارف متنوعة ، وعمدوا إلى الضغط عليها بآلات معينة ، كما تفننوا في تذهيب بعض الجلود الأخرى وحملها إلى أسواق مكة المكرمة والمدينة المنورة ، مما عرف بـــ (المذهب) ، وهو من أرقى الجلود وأغلاها، ويشتريها الأغنياء، والأمراء لاستعمالها في الأشياء الغالية[١٧٧] . ولكثرة الجلود ودباغتها في بلاد تهامة والسراة فكانت تستخدم لباساً وغطاءً أثناء الليل ، وتصنع منه النعال وأدوات أخرى عديدة[١٧٨] . كما أن الهمداني أثناء تجواله في أرض تهامة والسراة أشاد بدقة صناعة الجلود بتلك البلاد ، وبخاصة في مواطن نجران ، وجرش ، وبيشة وغيرها، وذكر ما يصنعون من المحافظ وتسمى (الجراب) ، وتصنع من الجلود السميكة ، وبأحجام مختلفة ، وهذه الجراب أو المحافظ لها استعمالات كثيرة منها ما يوضع به الطعام للأسفار ، وأحياناً توضع بها النقود :- الدراهم الفضية ، والدنانير الذهبية ، ومثل هذه المصنوعات كانت تصدر إلى أسواق الحجاز ، ومن هناك ينقلها تجار الشام ، ومصر ، وبلاد فارس، والعراق إلى مواطن عديدة في العالم آنذاك[١٧٩] .

كذلك عرفت المنسوجات المنتجة في بلاد تهامة والسراة طريقها للتصدير، وبخاصة ما ينتجه أهل مخلاف نجران، فتشير المصادر إلى مصالحة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لنصارى نجران على ألفي حلة يؤدونها له كل عام ، وثمن الحلة آنذاك كان أربعين درهماً، كما ذكر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه كفن في ثلاثة أثواب نجرانية[١٨٠]، وهذا مما يدل على بروز نشاط نجران في مجال صناعة وتصدير المنسوجات، لاسيما القطنية بوجه خاص، وكذلك الحلل اليمانية المشهورة التي تغنى بها الشعراء، ويطعم نسيجها بخيوط الحرير[١٨١] .

ومما ضاعف من شهرة هذه البلاد في صناعة المنسوجات ، وساعد على تقدمها وازدهارها، ازدياد الطلب عليها من أجل كسوة الكعبة، فتروي المصادر أن خلفاء بني أمية، وكذلك بعض خلفاء بني العباس ، طلبوا من أهل نجران صناعة الحلل النفيسة لكسوة الكعبة المشرفة(١٨٢) ، وكانت هذه الحلل مطعمة بالديباج(١٨٣).

كما كان أهل تهامة والسراة يصدرون إلى أسواق جزيرة العرب في الحجاز، واليمامة، واليمن ، والبحرين بعض الأدوات الحديدية التي كانت تصنع في بلادهم مثل:- الخناجر، والسيوف ، وبعض الأدوات المستخدمة في الزراعة والصيد وغيرهـا(١٨٤). أيضاً كانت الحيوانات توجد في هذه البلاد بكثرة ، وغالباً ما كانوا يصدروها إلى مكة المكرمة أثناء موسم الحج ، وربما صدروا بعضها من موانئ البحر الأحمر إلى خارج شبه الجزيرة العربية(١٨٥) ، كما كانوا يصدرون من تلك الموانئ الحبوب والتمور وغيرها(١٨٦).

وإذا كان أهل تهامة والسراة قد صدروا العديد من سلعهم المحلية إلى أسواق عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، فإنهم أيضاً كانوا يستوردون بدورهم الكثير من السلع التي يحتاجونها في تصريف حياتهم اليومية، وأحياناً يقايضون بها سلعهم التي جلبوها من بلادهم. ومعظم الأسواق الكبيرة في المواطن الساحلية التهامية وكذلك في البلاد السروية كانت ترد إليها السلع من خارج أرض تهامة والسراة ، وبها يتم التبادل التجاري. فكانت نجران، وجرش ، وبيشة ، والطائف وغيرها من الأسواق الساحلية تعج بالحركة التجارية ، ومما يؤكد ذلك قول ابن المجاور " **وعليها المعول في البيع والشراء** " (١٨٧) . فكان التبادل التجاري يتم في هذه الأسواق المحلية بين التجار القادمين إليها من اليمن ، والحجاز، والعراق وفارس ، وبلاد الروم، فكان التجار المحليون يجلبون سلعهم ويبيعون بالمقايضة مع أولئك التجار القادمين (١٨٨). بل كان التهاميون- والسرويون يستوردون من اليمن الكثير من السلع كالمنسوجات

اليمنية، المتسمة بدقة الصنع، وجمال الألوان والزخرفة ، علاوة على السلع الشرقية ، لاسيما الأفاوية الواردة من الشرق الأقصى والتي كانت تجد سوقاً نافقة عندهم لعدم وجودها ببلادهم. وكانت هذه السلع تصل إليهم عن طريق موانئ البحر الأحمر مثل:- ميناء عدن ، وجازان ، والبرك ، والسرين ، والشعيبة ، وجدة ، وغيرها(١٨٩). كما كانوا يستوردون من مكة المكرمة أيضاً بعض الملاحف ، والعباءات ، وغير ذلك من المنسوجات ، وأدوات الزينة . وكثير من هذه السلع المستوردة كانت ترد إلى الحجاز من بلاد الشام ، ومصر ، والمغرب ، والأندلس ، وفارس ، والعراق ، وبلاد ما وراء النهرين(١٩٠).

وقد دللت لنا بعض المصادر على عمق العلاقات التجارية القائمة بين سكان تهامة والسراة ، وأهل الحجاز ، وبخاصة أهل مكة المكرمة، فيذكر ابن حبيب في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أن التهاميين والسرويين كانوا يرتادون بسلعهم أسواق مكة ، لاسيما السلع الغذائية ، فيجدون حسن الاستقبال والترحاب من المكيين، وبخاصة تجارهم ، وذلك لجودة ما جلبوا من سلع قيمة(١٩١). كما يشير الأزرقي أيضاً وهو من أهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلى تعيين مكان محدد في أسواق مكة كانت ترتاده عير أهل تهامة والسراة فتقيم به مدة إقامتها وممارستها التجارة في مكة(١٩٢) و يأتي ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) فيذكر نشاط السرويين التجاري في مكة، وما يجلبون معهم من حبوب وسلع متنوعة يقايضونها بما يفيض بأسواق مكة من سلع لاتتوفر ببلادهم(١٩٣). كما يورد ابن جبير تفصيلات أخرى دقيقة عن تجار بلاد السروات الوافدين إلى مكة المكرمة ، ومعاملاتهم التجارية مع المكيين ، مما ينهض دليلاً على تواصل هذا النشاط التجاري بين الطرفين، والدور المهم الذي قام به أهل السروات في تزويد الحجازيين وأسواقهم بما ينقصهم من السلع الضرورية فيقول :- " **إن قبائل تعرف بالسرو أو**

السراة، أهل جبال حصينة يستعدون للوصول إلى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام فيجمعون بين النية في العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوبياء إلى مادونها ، ويجلبون السمن ، والعسل، والزبيب ، واللوز فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة، ويصلون في آلاف من العدد رجالاً وجمالاً موقرة بجميع ما ذكر، فيرغدون معايش أهل البلد، والمجاورين فيه ، وينفقون ويدخرون، وترخص الأسعار، وتعم المرافق، فيعد منها الناس ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى، ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش»(١٩٤) .

ويضيف ابن جبير قائلاً : « **ومن العجب في أمر هؤلاء المائرين انهم لايبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم ، إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل ، فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المتان ، وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب، ويبايعونهم به ويشارونهم ، ويذكر أنهم متى أقاموا عن هذه الميرة ببلادهم تجدب ، ويقع الموتان في مواشيهم وأنعامهم ، وبوصولهم بها تخصب بلادهم وتقع البركة في أموالهم»** (١٩٥) .

ويؤكد ابن بطوطة في رحلته على ما ذكره ابن جبير فيقول : - « **وأهل الجهات الموالية لمكة ، مثل بجيلة ، وزهران ، وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب ، ويجلبون إلى مكة :ـ الحبوب ، والسمن ، والعسل ، والزبيب ، والزيت ، واللوز فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها ، وتعمهم المرافق** » (١٩٦) ، ويضيف ابن المجاور إلى ما سبق قوله :- « **فأذا دخلوا مكة ملؤوها خبزاً من الحنطة ، والشعير ، والسويق ، والسمن ، والعسل، والذرة، والدخن واللوز والزبيب، وماشابه ذلك ، وكذلك يقول أهل مكة :ـ حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب ، والسرو أمنا نكسب منهم القوت** » (١٩٧) .

وقد ظل هذا النشاط التجاري متواصلاً إلى عهد قريب فكنا نرى أهل تهامة والسراة يسوقون مواشيهم ويحملون بعض سلعهم إلى أسواق مكة في مواسم الحج كي يبيعوها هناك ويستبدلوا بأثمانها سلعاً أخرى تفيدهم في حياتهم اليومية ، كالألبسة المختلفة ، وأدوات الزينة والطعام وما شابهها .

عاشراً : المعاملات التجاريـــــة :

إن دراسة أوجه النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة ، في ضوء الازدهار الذي شهدته تلك المنطقة في مجال التجارة داخلياً وخارجياً، تستلزم من الباحث بطبيعة الحال، استجلاء طرق التعامل التجاري المتبعة آنذاك في أسواقها، ودرج التجار من أبنائها والوافدين عليها على التعامل بها .

وفيمايلي دراسة موجزة لأوجه التعامل :-

أـ المقايضــة :

وكانت من أهم وسائل التعامل التجاري داخل أرض تهامة والسراة، وقد لجأ إليها التجار لإبرام الصفقات التجارية نظراً لقلة العملة الذهبية في أسواقهم ، فاستعاضوا بها عن النقد ، وكانوا يعمدون إلى تقدير قيمة البضائع بالدنانير الذهبية عند إتمام إجراءات المقايضة . وقد شملت المقايضة كل أنواع السلع المتبادلة في الأسواق، حيث كان المنتجون يقومون بنقل إنتاجهم للأسواق المحلية ، حيث يجدون فيها سلعاً أخرى هم في حاجة إليها، فيتم تبادل السلع بعضها ببعض كل حسب حاجته، ولم تكن المقايضة بوصفها إحدى وسائل التعامل التجاري، مقتصرة على الأسواق المحلية، وإنما كانت سائدة أيضاً داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، يؤكد ذلك كل من الأزرقي، وناصر خسرو ، وابن جبير، وابن المجاور، وابن بطوطة خلال حديثهم عن نشاط أهل السراة التجاري، وكيف انهم كانوا يحملون من بلادهم سلعاً عديدة مثل الحبوب بأنواعها، والسمن ، والعسل ، والزبيب، واللوز وغيرها، فيأتون بها إلى أسواق الحجاز فيقايضون بها سلعاً أخرى يحتاجونها في ديارهم(١٩٨) . وقد نص ابن جبير على شيوع المقايضة كوسيلة للتعامل التجاري أساسية بين تجار السروات وأهل مكة بشكل صريح

فيقول : " ومن العجب في أمر هؤلاء ـ يقصد أهل السراة ـ المائرين أنهم لايبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم ، إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل، فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المتان، وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب ، ويبايعونهم ويشارونهم"[١٩٩] .

ب ـ التعامل النقدي:

تُعد وحدات النقد العمود الفقري للاقتصاد النقدي ، فهي تمثل سلطة الدولة وشرعيتها، وتمنح المستهلك قوة شرائية عامة ، ومرونة قصوى في سبيل تحقيق مطالبه وإشباع رغباته الشرائية[٢٠٠] . وقد عرفت أسواق تهامة والسراة مثل غيرها من أسواق الشرق الإسلامي التعامل النقدي كواحد من أهم أوجه التعامل المختلفة التي سادت في الأوساط التجارية في العصور الوسطى الإسلامية، ولاسيما ما يتعلق منها بالتبادل التجاري بينها وبين أقطار العالم الخارجي ذات العلاقات الاقتصادية معها .

ويمكننا أن نقسم الوحدات التي سادت أسواق شبه الجزيرة العربية بما فيها أسواق تهامة والسراة وجرى بها التعامل التجاري في الفترة موضوع البحث إلى ثلاث وحدات نقدية وهي : النقود الذهبية (الدينار) . ويمثل الوحدة النقدية الرئيسة لاسيما في المعاملات والصفقات التجارية الكبرى، ثم النقود الفضية (الدارهم) ، وكانت تجرى بها عمليات البيع والشراء في الأسواق الداخلية لاسيما السلع الغذائية، والنقود النحاسية (الفلوس) وهى بمثابة الوحدات النقدية المساعدة .

ونلاحظ أن أهل تهامة والسراة قد استخدموا العملة على اختلاف وحداتها في نشاطهم التجاري بوجه خاص لاسيما مع تجار المناطق المجاورة كبلاد الحجاز واليمن ، وقد أشارت المصادر إلى أن العملة التي استخدمها تجار بلاد الحجاز واليمن في تجارتهم الداخلية والخارجية ، ومن بينها تجارتهم مع بلاد تهامة والسراة ، كانت هى العملة

الذهبية السائدة في العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي المبكر، وبالتحديد زمن الدولتين الأموية والعباسية(٢٠١) .

أما عن أنواع العملة المستخدمة في التعامل التجاري بين سكان تهامة والسراة، وكذلك أهل مكة واليمن، فيذكر المقدسي أنهم استخدموا النقود المحلية المطوقة ، وهي العثرية ثلثا المثقال(٢٠٢). حيث يقول ((**وتؤخذ كدراهم اليمن عدداً ، وتفضل العثرية، حتى ربما كان بينها دُريهم، ودينار عدن قيمته سبعة دراهم، وهو ثلثا البغوي توزن ولاتعد...، والدراهم المستعملة في الأقاليم - يقصد بلاد اليمن - تسمى بمكة المحمدية... ولأهل اليمن العلوية))**(٢٠٣).

كما عرفت بلاد الحجاز ، عملة " المزبقة" (٢٠٤) ، ولكن هذه العملة كثيراً ما كانت تتعرض للتزييف مثلها في ذلك مثل الدراهم النقية التي كانت هي الأخرى تتعرض للتزييف، وتبلغ قيمة هذا النوع من العملة (المزبفة) ، $\frac{1}{24}$ من الدرهم النقي، أي أن كل أربعة وعشرين درهماً من المزبفة ، تساوي درهماً واحداً من الدراهم النقيـــة(٢٠٥). ولوحظ أن أهل السراة وتهامة كانوا يتعاملون أحياناً بهذه العملة عند قدومهم إلى أسواق الحجاز، وربما حملوها إلى ديارهم للتعامل بها هناك.

وهناك نوع ثالث من العملة كانت سائدة بدورها أيضاً في الأوساط التجارية ببلاد اليمن والحجاز ، والأرجح أنه تم التعامل بها أيضاً في بلاد السراة ، وهذه العملة هي الذهب المصري، والذي عُرف أيضاً باسم الدينار المصري(٢٠٦)، أو الدينار الأحمـــر(٢٠٧) ، وقد أشار إلى هذه العملة المؤرخ ابن المجاور والذي حدّد استخدامها في هذه المناطق وأشار إلى سعر صرفه مقارنة بالدينار السائد في اليمن ويعرف بالدينار الملكي(٢٠٨).

كما راجت في أسواق المنطقة موضوع الدراسة الدراهم الفضية وكانت تعرف بالدراهم العباسية(٢٠٩) ، وقد ظلت سائدة في أسواق السراة واليمن، حتى بدايات (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) عندما أقدم الأئمة الزيدية على ضرب عملة فضية بأسمائهم في صعدة، ولكنها لم تنتشر انتشار الدراهم العباسية لنقص أوزانها عنها من ناحية، وتطرق الزُغل " التزييف" إليها(٢١٠). ومع قلة الواصل من معدن الذهب إلى أسواق الشرق الأدنى والساحل الشرقي للبحر الأحمر بصفة خاصة مع تزايد أخطار الحركة الصليبية، بدأ الناس في الاعتماد على الفضة واستخدامها بشكل رئيس في ضرب العملة، وبدأ النظام النقدي يعتمد على ما يضرب من دراهم كعملة أساسية، وتحول الذهب إلى مجرد وسيلة لتقدير القيمة المدفوعة من القطع الفضية.

جـ- الدفع بالأجل :

وهي إحدى طرق ثلاث عُرفت في أوجه التعامل بعد الدفع نقداً عند إتمام الصفقة التجارية بين البائع والمشتري ، وبعد الصكوك أو الحولات ، ثم البيع والدفع بالأجل ، فكان بإمكان التاجر الصدوق أن ينال الثقة لدى التجار الكبار، فيأخذ ما يشاء من البضائع دون مال حتى يبيع ثم يسدد ما عليه من أثمان البضائع من عملية البيع طالما لايستطيع الدفع نقداً، وأحياناً يقوم هؤلاء الباعة الصغار بدفع ما عليهم من ديون لتجار الجملة تقسيطاً، ويحدد يوم معين من أيام الأسبوع يتم الاتفاق عليه بين الطرفين موعداً للسداد وقد شاعت هذه الطريقة في شبه الجزيرة العربية عامة وفي بلاد اليمن خاصة في بيع صفقات التمور، ولا نستبعد تعامل أهل السراة وتهامة بها في ضوء انتشار هذه الطريقة في شتى مناحي الديار الإسلامية(٢١١).

د- الموازين والمكاييل والمقاييس :

اختلفت المكاييل والموازين ووحدات القياس من قطر إلى آخر من أقطار العالم الإسلامي، كما كانت تختلف أيضاً في القطر الواحد من مدينة إلى أخرى، كما يظهر هذا الاختلاف أيضاً من عصر إلى عصر(٢١٢).

ويبدو واضحاً اختلاف وحدة الموازين والمكاييل والقياس من سلعة إلى أخرى باختلاف نوعية السلعة من حيث السيولة والصلابة، فوحدة المكيال تعرف في السلع السائلة باسم الوعاء الذي يحتويها فالسمن على سبيل المثال يباع بالجَمَنة وهي تساوي خمسة أمنان(٢١٣) ، كذلك كان الشيرج " السليط " يباع بالجرة أو بالمن، والجمنة والجرة هما اللذان يحفظ بهما السمن والشيرج " السليط أو الزيت" لسيولتهما(٢١٤).

١- الموازين:

أما عن وحدات الوزن المعروفة في شبه الجزيرة العربية ، ومنها الحجاز واليمن وبلاد تهامة والسراة فأولها المن. وهو وحدة الميزان الرئيس في هذه المناطق، ويطلق عليه أحياناً مسمى " رطل " وكان الرطل المكي يساوي مائتي درهم(٢١٥). وكانت معظم السلع التجارية وفي مقدمتها العطور والحلويات والعسل، وكذا الثياب الحريرية تباع في بلاد تهامة والسراة بالرطل أو المن(٢١٦).

وجدير بالذكر أن عيار المن أو الرطل يختلف باختلاف نوعية السلعة الموزون بها، وبالتالي يختلف عياره عن المن أو الرطل الرسمي السابق. فكان المن أو الرطل المستخدم في وزن اللحم والشحم والهريس(٢١٧) ، والجنيه يعادل ٤٠٠ درهم(٢١٨) ، فيكون وزنه بالجرامات حوالي (١٢٥٠) جم وهو بذلك يساوي ما كان معروفاً في القطر المصري حتى وقت قريب بالأقة(٢١٩). بينما يبلغ عياره – كما سبق القول – في

وزن السمن ثمانمائة درهم ، كذلك يستخدم هذا العيار للمن في بيع الزيت والخـــــل(٢٢٠) . فيصبح مساوياً لـ $\left(2\frac{1}{2}\right)$ كيلو جراماً . ولايزال حتى عصرنا الحالي يتم التعامل بالأرطال في بعض أجزاء تهامة والسراة عند بيع بعض الحاجيات كرطل المسك والعنبر والبخور(٢٢١).

كما لايزال يستخدم حتى الآن عدة أنواع أخرى من الأرطال يختلف وزنها باختلاف البلد المنسوب إليه من بلاد تهامة والسراة ، مثل الرطل الحجري، والبندري، والبارقي وغيرها، كما استخدم في الموازين أيضاً الدينار، والدرهم ، والدانق(٢٢٢) ، والقيراط(٢٢٣) ، ومن الثابت عند اختلاف عيار النقد كان يتم التعامل بالنقود وزناً لاعداً(٢٢٤) ، فكان وزن الدرهم ستة دوانق، وكل عشرة دراهم تساوي سبعة مثاقيــــل(٢٢٥) ، والدانق يساوي قيراطين ونصفاً(٢٢٦).

ـ الأوقية :

وحددها ابن المجاور بحوالي $\left(21\frac{1}{3}\right)$ درهم وبحساب الدرهم (١٢٥ر٣جم) يكون وزن الأوقية في (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) بلـــــــغ (٦٧ر٠٧٠٨) جم، بينما ذكر هنتس أن وزنها في شبه جزيرة العرب في صدر الإسلام كان حوالي (٤٠) درهماً أي (١٢٥) جم (٢٢٧).

ـ البيعة :

وتعتمد كوحدة وزن لبيع الأديم وقدرها ابن المجاور بمائة مـــن، وذكر أن حمل الجمل يبلغ بيعتين ونصفاً ومن ثم يتراوح وزن البيعة الواحدة طبقاً لوزن المن ما بين $\left(81\frac{1}{4}\right)$ كيلو جراماً ، أو (١٠٠) كيلو(٢٢٨).

٢ـ المكاييل :

تعددت أنواع وأسماء المكاييل التي استخدمها أهل تهامة والسراة في التعامل مع الحبوب والغلال والتمور وما شابهها فكان هناك :-

أ- المد :

اختلف الفقهاء في تقديره ، ولذا اختلف عياره من منطقة إلى أخرى في العالم الإسلامي ، ففي بلاد تهامة والسراة ، حيث كان يستخدم وحدة كيل للتمور والغلال وسائر الأطعمة فيبلغ وزنه خمسة أرطال وثلثاً أو ما يعادل رُبع الصاع[٢٢٩].

ب - الصاع :

ويستخدم في بيع الحنطة وسائر الحبوب في بلاد تهامة والسراة، أو تلك المجلوبة إلى أسواق الحجاز، ويقدره ابن المجاور بأربعة أمداد. كما استخدم الفرق في الكيل ، وهو يعادل ثلاثة صيعان[٢٣٠].

ويلاحظ أن المكاييل شأنها شأن النقود، كانت تتعرض أحياناً لحالات الغش والتطفيف، لاسيما عند أرباب السفن في الموانىء الواقعة على ساحل البحر الأحمر، يؤكد ذلك المقدسي بقوله « **ولهم بالمراكب صاعان يعطون بأحدهما (وهو الأصغر) جرايات الملاحين، ويتعاملون بالكبير**»[٢٣١].

٣- المقاييس

وكانت أهم وحدات قياس الأطوال المستخدمة في أسواق تهامة والسراة هي :-

ـ الذراع : [٢٣٢] :

ويختلف طوله حسب الزمان والمكان ، وينقص في المواسم ويعود إلى ما كان عليه قبل الموسم، وهو عدة أنواع منها الذراع اليدوي ، والذراع الحديدي، أما ذراع

اليد فيستخدم كوحدة قياس في بيع وشراء الأقمشة كالبرود وشقق الحرير وغيرها ويتراوح طول ذراع اليد ما بين (٤٨,٥٤سم) إلى (٥٠,٣سم)[٢٣٣].

أما الذراع الحديدي ، فكان يستخدم في قياس وبيع ألواح الساج ، وأيضاً بعض الأقمشة كالبز وغيرها وطوله حوالي (٥٨,١٨٧سم)[٢٣٤] ويضاف إلى هذه الأنواع من الأذرع ذراع خاص بقياس الأراضي وتقدير مساحتها عُرف بالذراع الشرعي أو ذراع المساحة، وكان يبلغ طوله حوالي (٤٩,٨٧٥سم)[٢٣٥] .

كما عُرفت مقاييس وأطوال أخرى مثل قدم الانسان وخطوته ، وشبر الكف، والباع[٢٣٦] . وعُرف أيضاً الميل عند أهل تهامة والسراة، وذلك من خلال ما ذكره الهمداني عند تقديره لمسافات الطرق الواصلة بين اليمن والحجاز عبر أراضي السراة ، فقدرها بالأميال[٢٣٧].

الحادي عشر: معوقات التجارة:

رغم هذا النشاط التجاري الذي شاهدته بلاد تهامة والسراة، فإنه نشاط قد تأثر سلباً ببعض المعوقات ، والملاحظ أن هذه المعوقات لم تلق بظلالها على التجارة فقط، بل أيضاً على جوانب أخرى من الأنشطة البشرية في هذه المنطقة، ولعل أهم هذه المعوقات هي:-

أ - الأمـــراض والأوبئة التي كانت تفتك أحياناً بأهل البلاد، فتهلك منهم اعداداً كبيرة ، فتتأثر القوى البشرية المنتجة في المنطقة، ومن ثم تتاثر حركة الأنشطة البشـــرية في مجتمع تهامة والسراة، ونجد بعض المصادر تشير إلى هذه الأوبئة وتأثيرهـــا الضـــار على النشاط السكاني، مثل :- ابن كثير ، حيث يذكر في حوادث (٥٩٧هـــ/١٢٠٠م) فيقول :- **"وقـــع وباء شديد ببلاد عنزة بين الحجاز واليمن ، وكانوا عشرين قرية، فبادت منها ثماني عشرة لم يبق**

فيهـا ديـار ولا نـافخ نـار"(٢٣٨)، ويذكر ابن فهد في أحداث عام (٨٣٤هـ/ ١٤٣٠هـ) أنـه " **وقع بالطائف ، ووج ، وليه، وعامة بلاد الحجاز وباء عظيم هلك فيه من ثقيف وغيرهم من العربان عالم لا يحصيهم إلا الله ، بحيث صارت أموالهم ونعمهم لا مالك لها ، واستولى عليها سواهم ، وامتد هذا الوباء إلى نخلة ولله عاقبة الأمور**"(٢٣٩).

ومن أهم الأوبئة التي هاجمت منطقة تهامة والسراة: الطاعون ، والجدري ، والحمى وغيرها من الأمراض الفتاكة، ومن أهم المصادر التي أشارت إلى انتشار مرض الحمى والجدري وغيرها في بلاد تهامة، المؤرخ عبد الله بن علي النعمان فيذكر عام (٩٥١هـ/ ١٥٤٤م) أنه « **حصل على المسلمين الوباء العظيم، والأمراض بالحمى الضمدي المطبقة بمدينة أبي عريش ، وصبيا ، وضمد ... وكافة المخلاف السليماني كان ابتداؤه في شهر رمضان، واستمر نحو سبعة أشهر ، انتقل بسببه عالم كثيرون ، وعلماء أخيار، وسادة أخيار... وأشراف أجلاء كبار فلله الأمر من قبل ومن بعد ، قيل وإن الذين فقدوا من أعيان وادي جازان... مدة الوباء الف ومائتان نفس**» (٢٤٠) ، ويذكر أيضاً أنه في عام (١٠٥٩-١٠٦٠هـ/ ١٦٤٩-١٦٥٠م) ظهر بالناس ببلاد تهامة والسراة وغيرها مرض الجدري فقضي على خلق كثير(٢٤١).

وإذا كانت هذه الأمراض ، من أهم معوقات الحضارة في مجتمع تهامة والسراة، بسبب فقدان أهم قوة مؤثرة في خلق هذه الحضارة، وهي القوة البشرية ، فإن هذه الأمراض قد أضرت أيضاً بممتلكات سكان هذه المنطقة، وبخاصة بحيواناتهم مثل :- الجمال ، والأبقار، والحمير، والبغال وغيرها، فتأثر اقتصاد الأسرة والمجتمع كله ، وتؤكد الروايات إلى أنه كان من أصعب الأمراض منذ القدم هناك، هو مرض الجدري ، والحميات ، فكان كثير من الناس بل أسر كاملة تموت دون أن تجد المساعدة، أو الرعاية الطبية لمحاربة تلك الأمراض(٢٤٢).

ب - تعــرض البلاد لموجات من الجفاف، والقحط، والغلاء فيذكر أيضاً عبد الله الضمدي أثناء حديثه عن بعض أجزاء من تهامة فيقول :- « **حصـل فيها غلاء عظيـم عـن السهل والجبل، لاسيما المخلاف السليماني كان ابتداؤه في سنـــة (٩٧٢هـ/١٥٦٤م) وامـتد إلى سـنة (٩٧٨هـ/١٥٧٠م) حـتى كادت عقود شعائر الإسـلام أن تـتخرم وأجلت الناس عن أوطانها ... وخرجت المخدرات من بنات الـناس سـائرات في الأسـواق ، ويقـلون الـدم ويأكـلونه ، وانقطعـت السـبل والقوافـل... وتعطـلت مـن الأيـادي المأكولات والنفائس والأموال...**» [٢٤٣].

ويذكر أيضا في عام (٩٧٩هـ/١٥٧١م) أنه « **وقع القحط والغلاء في أرض الحجاز وانقطعت المأكولات في الأسواق وهلكت الدواب**» [٢٤٤] ، ويذكر أنه في عـــام (١٠٤٦هـــــ/١٦٣٦م) « **وقعت مجاعة في وادي ضمد ذهب ضحيتها ألفـان مـن أهل بلدة الشقيري**» [٢٤٥] ، وفي عـــــام (١٠٦٣هـ/١٦٥٢م) « **اشتد الغلاء على الناس في الحبوب ، والسمن ، والألبان ، والعسل**» [٢٤٦] ، وفي سنة (١٠٧٩هـ/١٦٦٨م) « **تواتـر الخبر من جهة أرض اليمن باشتداد الجـدب والقحـط في صـبيا والتهائم ونواحيها... وكذلك أهل الحجاز الأعلى هـربوا من بلادهم وتـركوها، وغالب أهل القرى والبادية جاؤوا إلى مكة هاربين وإلى رب الـبيت ملتجـئين وخاضـعين، وهـم يصـيحون ، الجـوع الجـوع ، ويتضرعون وفي الطـريق يتصرعون،**» [٢٤٧] **ويذكر أنه في صفر عام (١١٧١هـ/١٧٥٧م) ابـتدأ تـرافع الأسعار وشمـل ذلـك أكثر النواحي والأقطار...وكان يـنقل الطعـام مـن أرض الـيمن كـزبيد ونواحيها، ولم يزل الترافع في ازدياد حـتى بلغ حمل الجمل أربعين قرشاً... ومات عالم كثير بالجوع والمرض وهلكت الأنعام**» [٢٤٨].

جـ - صعوبة تضاريس بلاد السراة، وارتفاع درجة الحرارة في أرض تهامة، كل هذا اعاق حركة الإنتاج. فصعوبة التضاريس يعرقل حركة النقل والمواصلات، وارتفاع درجة الحرارة ينشر الأمراض ، ويقلل من حجم الإنتاج[٢٤٩].

د - انتشار القبائل في مناطق وعرة، وبُعد هذه القبائل عن المركز السياسي للخلافة الإسلامية،فنشبت الصراعات والحروب القبلية على حدود الأراضي والأودية بسبب النزاع على ملكية الأراضي أحياناً ، وبسبب التعدي على حقوق الجيران، وبسبب انتشار ظاهرة الأخذ بالثأر أحياناً أخرى، فانشغل أهل هذه القبائل عن أعمالهم ، ومنها العمل التجاري ، كما تخوّف تجار المناطق البعيدة من الحضور إلى مناطق المنازعات خوفاً على حياتهم وعلى تجارتهم بسبب غياب الأمن في هذه المناطق في بعض الأحيان. وتؤكد بعض الروايات التي ترجع إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) هذه النزاعات أو تذكر تفاصيل هذه الاشتباكات التي كانت تقلق مضاجع الناس ، وتشل حركتهم في شتى المجالات(٢٥٠).

هـ - معاناة التجار والحجاج للجوع والعطش أثناء رحلاتهم ذهاباً وإياباً ما بين الحجاز وبلادهم، مما أدى إلى موت كثير منهم، فتذكر بعض المصادر أنه في عام (٧٨٢هـ/١٣٨٢م) قد أصاب حجاج اليمن عطش شديد هلك على أثره حوالي ألف نسمة(٢٥١) ، وفي عام (٨٠٠هـ/١٣٩٧م) يذكر ابن حجر أنه أصاب الحجاج في طريقهم إلى مكة المكرمة ، في ذلك الموسم ، عطش أودى بحياة الكثير منهم،(٢٥٢) ويذكر ابن فهد أنه في سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م) قد وقع على حجاج البحر من أهل اليمن أمر عظيم، وهو أنهم لما وصلوا بلدة على طريق الليث خالف عليهم الريح، فخرجوا إلى البر فضاع بهم الدليل عن الماء ، فمات منهم خلق كثير(٢٥٣).

و - تهديد قطاع الطرق واللصوص لطرق التجارة والحج ، وتهدد أمن طرق التجار والحجاج من بلادهم إلى بلاد الحجاز. فقد أمدتنا المصادر التاريخية بمعلومات غزيرة عن جرائم قطاع الطريق، والاعتداءات التي كانوا يقومون

بها على الحجاج والتجار فيقتلوهم ويأخذون أموالهم . وغالباً ما كان أفراد من بعض القبائل والعشائر الواقعة على الطريق هم الذين يقومون بهذه الأعمال. وفقدان الأمن في البلاد ، ثم الجوع والحاجة هما من الأسباب الرئيسة التي دفعت هذه القبائل إلى الاعتداء على قوافل الحجاج والتجار ونهب أموالهم. ويذكر ابن المجاور ، خلال القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وضع السكان في إحدى الأجزاء التهامية وقطعهم طريق الحج والتجارة ، فيقول :- "**.... لم يكن في جميع العالم أضل من هؤلاء القوم ، ولا أسرف ، ولا أجرم ، ولا أخسر منهم في أخذ مال الحاج، لانهم يسمون الحاج جفنة الله ، فإذا قيل لهم في ذلك يقولون :ـ إذاحضر جفنة الله لخلقه أكل منها الصادر والوارد، وإذا قلت لأحدهم : قطع الله رزقك من الحرام ، يقول :ـ لابل قطع الله رزقك من الحلال، ما ترى عندنا من الخير سوى هذه الجبال السود لا لنا زرع ولا ضرع ، ولا أخذ ولا عطاء ، وجميع ما تعملونه أنتم مع حاج آخر جاء مقابل الكعبة من الفضائح والغنائم فسلطنا الله عليكم حتى نستقصى للحاج منكم الحق وثلث الباطل**"(٢٥٤).

الثاني عشر : الخاتمة

ومن هذا العرض نخلص إلى القول بأن بلاد تهامة والسراة قد تمتعت بنشاط تجاري زاهر خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، ساعد على ذلك ما حظيت به تلك الأراضي من بعض المقومات الرئيسة المساعدة على قيام نشاط تجاري متعدد ومتنوع ، حيث توفرت طرق المواصلات التجارية ، كما تعددت بها المراكز الحضارية التي تحتوي على أسواق عديدة زاخرة بحركة البيع والشراء للكثير من السلع المحلية ، أو تلك التي كان تجار السروات يهتمون بالحصول عليها من المناطق والبلدان المجاورة ، حيث تجد لها سوقاً نافقة ببلاد تهامة والسراة وبخاصة السلع الشرقية الواردة من الشرق الأقصى عن طريق بلاد اليمن الأمر الذي أدى إلى تنشيط حركة التبادل التجاري في المنطقة .

ونلاحظ أنه على الرغم من وجود بعض معوقات التجارة – كما اسلفنا القول– فإنها لم تفتّ في عضد النشاط التجاري على أرض تهامة والسراة بل ظل أهلها عبر حقب التاريخ المختلفة يقومون بدور إيجابي ملموس في تنشيط الحركة التجارية بخاصة والحياة الاقتصادية بعامة في شتى أنحاء شبه جزيرة العرب .

ونحن من خلال هذه الورقة لا ندعي استكمال كل ما يتعلق بالتجارة والتجار في بلاد تهامة والسراة ، وإنما اكتفينا بذكر بعض الملامح الهامة لهذا الجانب الهام من جوانب التاريخ الحضاري للبلاد الواقعة في جنوبي المملكة السعودية في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة – فتعرفنا على العوامل والأسباب التي أدت إلى ازدهار الدور التجاري لهذه المناطق– داخلياً وخارجياً فأبرزت ما لقيته التجارة من اهتمام الولاة والحكام حرصاً على توفير السلع اللازمة لمواطني السروات ، عن طريق الاهتمام

بإصلاح الطرق التجارية وإقامة المحطات لراحة التجار والمسافرين ، كما أوضحت من خلال هذا العرض كيف غمرت شتى المراكز الحضارية في المنطقة بالكثير من أصناف السلع سواء المنتجة محلياً او الواردة من بلدان الشرق على اختلافها، والتي قامت على تصريفها مجموعة من الأسواق المتنوعة ما بين أسبوعية ويومية ودائمة ومتخصصة. كما أشرنا إلى العامل الجغرافي وكيف كان له أبلغ الأثر في تبوُّء هذه المناطق مكانة متميزة في المجال التجاري، واختتمنا هذه الدراسة بابراز عدد من الحقائق تتصل بنظم المعاملات التجارية السائدة في أسواقها ، فأوضحت معرفة بلاد تهامة والسراة للتعامل النقدي وبينت أنواع العملة المتداولة في أسواقها ، وشيوع الاعتماد على النقد الفضي نظراً للتدهور الذي اصاب النقد الذهبي، كما أبرزت وسائل التعامل الأخرى التي شاعت في أسواق السروات ومنها المقايضة والبيع بالأجل وغير ذلك .

واختتمت الدراسة بعرض موجز لمجموعة من المكاييل والموازين والمقاييس المستخدمة في بلاد تهامة والسراة وأبرزت أن منها بعض الوحدات اشتركت في استعمالها مع مثيلاتها من بلدان الشرق، وأوضحت كيف أن هذه الوحدات كانت عيارتها تختلف باختلاف المدن من ناحية ، ونوعية السلع المباعة بهذه الوحدات من ناحية أخرى. كذلك أثبت معرفة بلاد تهامة والسراة لنظام الحسبة والمحتسب شأنها في ذلك شأن غيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى.

ورغم ما قدمناه في هذه الدراسة ، فإننا نوصي الدارسين والباحثين المهتمين بتراث وفكر وحضارة الجزيرة العربية عامة ، وتهامة والسراة خاصة أن يُعْنوَا بهذه المنطقة المهمة من أرض الجزيرة العربية التي طواها الإهمال والنسيان فعاشت معزولة فترة طويلة خلال عصور الإسلام ، حتى نتوصل إلى حقيقة أهميتها ودورها التاريخي على مر العصور الإسلامية.

الثالث عشر : الحواشي والتعليقات

١ – أنظر جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب ، نسقه وعلق عليه علي شيري (بيروت: دار احياء التراث العربي،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) جـ٢ ،٦٠-٦١ (مادة :– قمم)؛ إسماعيل بن حماد الجوهري،الصحاح :– تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (معلومات النشر بدون ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) جـ٥، ص ١٨٧٨ (مادة :– قمم) ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) جـ٢ (مادة :– قمامه) ص٦٣ ومابعدها.

٢ – محمد بن حبيب (البغدادي)، كتاب المنمق في أخبار قريش ، صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فاروق (بيروت :– عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ٥٢ وما بعدها، لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ص ١٨١ ومابعدها؛ ابو معين الدين ناصر خسرو، سفرنامة (رحلة ناصر خسرو) ترجمه عن الفارسية وحققه، أحمد خالد البدلي (جامعة الملك سعود) :– عمادة شؤون المكتبات، ١٩٨٣م) ص١٤١ ومابعدها، جمال الدين يوسف بن المجاور، صفة بلاد اليمن ، ومكة ، وبعض الحجاز، المسمى تاريخ المستبصر، تحقيق أوسكر لوففرين (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٥١م) جـ١، ص ١٧ ومابعدها.

٣ – الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٦٥، ٦٨، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٣، ٣٤١، محمد بن أحمد العقيلي، المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان، منشورات نادي جازان الأدبي (القاهرة : مطابع نهضة مصر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٢١٣، ٤٢٥، ٤٢٦؛ أحمد بن عمر الزيلعي، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الإسلامية الوسيطة ، (الرياض : الفرزدق ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)ص٧٥ ومابعدها، عبد الله محمد أبو داهش، أهل قمامة :– المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب

وأحوازها في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠-١٢٠٠هـ/١٠٠٩-١٧٨٥م) (الرياض:- مكتبة العبيكان ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ص ٢٤ ومابعدها.

٤ - المصادر نفسها، كما انظر: عاتق بن غيث البلادي. بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة:دار مكة،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)ص ٢٨ ومابعدها، أيضاً الباحث له خبرة بهذه المواطن كونه زارها وتجول في أرجائها مرات عديدة وفي أوقات مختلفة على مدار عشرين عاماً (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م - ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

٥ - انظر، ياقوت الحموي. معجم البلدان، جـ٢ (مادة :- حجاز) ص ٢١٩؛ زكريا بن محمد بن محمود القزويني. آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت : دار صادر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص ٨٤ - ٩٠، صالح أحمد العلي. " تحديد الحجاز عند المتقدمين" مجلة العرب (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) جـ١، ص١-٩؛ عبد الله الوهيبي. " الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب " مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض (الملك سعود حالياً) جـ١ (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) ص ٥٣ ومابعدها.

٦ - المصادر نفسها، أيضاً انظر غيثان بن علي بن جريس " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل" ، مجلة المؤرخ العربي العدد الثاني، المجلد الأول (مارس/ ١٩٩٤م) ص ٧٣ وما بعدها.

٧ - لمزيد من التفصيلات عن هذه السروات انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٩ ومابعدها،عاتق البلادي. بين مكة وحضرموت،ص١٤ ومابعدها ، غيثان بن علي بن جريس. " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" مجلة الدارة. عدد(٣) سنة (١٩) (ربيع الآخر والجماديان/ ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص ٧٦ ومابعدها.

٨ - المصادر نفسها.

٩ - المصادر نفسها، بالإضافة إلى كتاب ، عبد الرحمن صادق الشريف. جغرافية، المملكة العربية السعودية. (إقليم جنوب غرب المملكة) (الرياض : دار المريخ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص ١٣٣ ومابعدها.

١٠- المصادر نفسها التي وردت في حاشيتي (٨ ، ٩).

١١ - عبد الرحمن صادق الشريف، المرجع السابق، ص ١٣٧ ومابعدها، صالح بن علي بن عبد الرحمن الشمراني "أشكال المدرجات الزراعية،وتوزيعها المكاني ، وأهميتها في إقليم السراة جنوب غربي المملكة العربية السعودية" تم نشر هذا البحث ضمن سلسلة بحوث العلوم الاجتماعية، بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى (مكة المكرمة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ص ٢٣؛ غيثان بن علي بن جريس. عسير :- دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصاديــة (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م) (جدة:دار البلاد للطباعة والنشر،١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ص ١٩ ومابعدها.

١٢ - المصادر نفسها.

١٣ - محمد بن أحمد العقيلي. تاريخ المخلاف السليماني (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) جـ١، ص٦٧ وما بعدها، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع. اليمن في صدر الإسلام (دمشق : دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ص٤٩ ومابعدها، غيثان بن جريس "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العـــرب للهمداني"، ص ٧٨ ومابعدها.

١٤ - انظر: أبو عبد الله عمر الواقدي. فتوح الشام (بيروت : دار الجيـــل: د.ت، جـ١، ص٥ ومابعدها ؛ محمد بن عبد الله الأزدي. تاريخ فتوح الشام. تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص١٢٨ ومابعدها، أبو محمد أحمد بن أعثم. كتاب الفتوح، مصور من طبعة حيدر آباد بالهند (بيروت:دار الندوة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) جـ١، ص ١٠٤، ١١٤ ومابعدها؛ نزار عبد اللطيف الحديثي. أهل اليمن في صدر الإسلام (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشـــر، د.ت) ص١٢٥ وما بعدها، عبد الرحمن الشجاع. اليمن في صدر الإسلام، ص٢٩٣ ومابعدها.

١٥ - لمزيد من التفصيلات عن مراسلات الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين من بعده، انظر.ابن حبيب. كتاب المنمق، ص١٩٩-٢١١، جمال الدين بن الجوزي. صفة الصفوة ، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي (حلب:دار الوعي، محمد بن جرير الطبري. تاريخ الأمم والملوك . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت : دار

سويدان ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) جـ٣، ص ١٣٠، ١٣١، ١٣٤، ١٣٦، شمس الدين محمد بن قيم الجوزية. زاد المعاد في هدي خير العباد. تحقيق شعيب الأرناؤوط وأخرين (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) جـ٣، ص٦٢٠ ومابعدها ؛ محمد حميد الله . مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت: دار النفائس ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص٢٤١، ٢٨٩، ٢٩٠ ومابعدها.

١٦ - انظر : جميع المصادر الواردة في حاشيتي (١٤، ١٥) ، كما انظر عبد الواحد محمد راغب دلال. البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران (القاهرة : مطابع دار التعاون للطبع والنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ص ٢٥٤ ومابعدها، غيثان بن علي بن جريس " تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى"مجلة العصـــــور. مج (٩) جـ (١) (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ، ص٦٣ ومابعدها.

١٧ - لمزيد من التفصيلات عن اهتمامات خلفاء بني أمية والخلفاء الأول من بني العباس ببلاد تهامة والسراة ، وارسال الولاة إلى الحجاز، والذين هم بدورهم يمدون إصلاحاتهم وأعمالهم إلى هذه البلاد موضوع الدراسة، انظر : محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. تحقيق رشدي الصالح ملحس (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) جـ١، ص ١٨٨، ١٩١، ١٩٠، ١٩٢؛ عبد الرحمن الشجاع. اليمن في صدر الإسلام ، ص ٢٩٣ ومابعدها.

١٨ - المصادر نفسها، كما انظر عبد الواحد دلال. البيان ، ص٢٥٠، ومابعدها، كما انظر ايضاً :- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي. اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول (القاهرة : دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ، ص ٢١٩ ومابعدها.

١٩ - انظر المصادر التي وردت في حاشيتي (١٧ ، ١٨) ، كما انظر : ابن جريس " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة ..." ص٧٨ ومابعدها؛ عبد الله أبو داهش. أهل تهامة، ص١٠٨وما بعدها ، وللمؤلف نفسه انظر :- أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (معلومات النشر غير مذكورة) (١٤١٧هـ) ، ص ٥١ ومابعدها.

٢٠ - انظر : أبو الفرج الأصفهاني. كتاب الأغاني (بيروت : مؤسسة جمال للطباعة، عن طبعه دار الكتب المصرية ، د.ت) جـ١٣، ص ٦٤ وما بعدها؛ محمد بن سلام الجمحي.

طبقات فحول الشعراء. قراءة وشرح محمود شاكر (القاهرة : مطبعة المدني. د.ت) جـ٢،ص ٥٨٣، ٥٩٣، ٦٢٥ . وعن المعادن ومواطنها وأهميتها في شبه الجزيرة العربية وخاصة في بلاد تهامة والسراة وكذلك أرض اليمن ، انظر:- الحسن بن أحمد الهمداني. كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (السويد : ابسالا، ١٩٦٨م) ، ص ١٣٧، ومابعدها.

٢١ - انظر معلومات أكثر في المصادر والمراجع الواردة في الحواشي الآنفة الذكر (١٨، ١٩، ٢٠). وعن الحسبه وما يقوم به المحتسب من أعمال، انظر :- يحيى بن عمر. كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق (تونس، د.ت /١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ص ٦٥ ومابعدها، ضياء الدين محمد بن الأخوة. كتاب معالم القربة في أحكام الحسبة. تحقيق محمد شعبان (القاهرة، د.ت/ ١٣٩٦هـ/١٩٧٦) ص ٧٧ ومابعدها.

٢٢ - المصادر نفسها.

٢٣ - انظر : أحمد بن عبد الله القلقشندي. مآثر الآنافة في معالم الخلافة . تحقيق عبد الستار أحمد فرج (مطبعة الكويت،طبعة مصورة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م) جـ١، ص١٨٦؛ تقي الدين المقريزي. الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك. تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة، د.ت ،١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) ص ٤٥، أحمد العلي " طرق المواصلات في الحجاز" مجلة العرب (الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) جـ١١ ،سنة (٢) ، ص٩٧٥ ومابعدها، حسين علي المسري " نجران ودورها السياسي والاقتصادي " مجلة المؤرخ المصري (جامعة القاهرة : كلية الآداب، العدد (٩) يوليو (١٩٩٢) ، ص٧٧ - ٨٢ ومابعدها.

٢٤ - انظر : أبو الفرج قدامة. نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة. ملحق بكتاب ابن خرداذبة المسالك والممالك. تحقيق ام . دي غوي (ليدن ك مطبعة بريل، ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م) ، ص ١٨٨-١٨٩، ابن جريس " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون ..." ص ٧٤ ومابعدها.

٢٥ - انظر معلومات أكثر عن الخيزران عند شمس الدين أبو العباس بن حلكان. وفيات الأعيان (بيروت، دار صادر (١٣٩٧هـ/١٩٦٧م)، جـ١، ص٢٧٣، ٤٢٧، جـ٢، ص ٣٢٦، ٣٨٩، جـ٤، ص٢٢٧، ٢٧٧.

٢٦ - انظر : القلقشندي، مآثر الآنافة، جـ١، ص٨٦، حسين المسري " نجران ودورها السياسي ..." ص ٨٣ ومابعدها.

٢٧ - انظر الأزرقي، " اخبار مكة ، جـ٢، ص٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٦٠، ٢٧٨، ٢٨٧، قدامة، كتاب الخراج، ص١٨٨، المقريزي، الذهب المسبوك ، ص٤٥ ومابعدها، حسين المسري " نجران ودورها السياسي ..." ، ص ٨٤ ومابعدها.

٢٨ - المصادر نفسها.

٢٩ - ناصر خسرو، سفرنامة، ص١٤١ - ١٤٢ .

٣٠ - ابن المجاور، تاريخ المستبصر ، جـ١، ص ٣٧ .

٣١ - وقد لمس الباحث سيطرة القبيلة وسطوتها من خلال رصده لتاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المتأخرة الماضية، كما أنه أيضاً وجد ذلك واضحاً من خلال استقرائه للعديد من الوثائق السياسية والحضارية في الثلاثة القرون الماضية. وللمزيد من التفصيلات انظر : غيثان بن علي بن جريس. بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (ابها: مطابع مازن، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ص ١٦ ومابعدها،وللمؤلف نفسه، صفحات من تاريخ عسير (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) جـ١، ص ١٥ ومابعدها.

٣٢ - انظر : أحمد السباعي. تاريخ مكة (دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران) (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ط٤، جـ١، ص ١٤٨ ومابعدها ، كما انظر : عبد الله أبو داهش . أهل السراة، ص٢٩ ومابعدها، وللمؤلف نفسه. أهل تهامة ، ص٤٥ ومابعدها. (وعن تاريخ مكة المكرمة في العصور الوسطى، وكيف كان وضع طبقات الأشراف بها، سياسياً وحضارياً) انظر ، تقي الدين محمد محمد بن أحمد الفاسي. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء (بيروت ، معلومات النشر غير مذكورة) جزءان .

٣٣ – وعن موقع بلاد تهامة والسراة، وأهميتها الحضارية، وصلاتها مع جيرانها من أهل اليمن والحجاز، انظر، الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص٩٩ وما بعدها، جواد علي٠ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت : دار العلم ، وبغداد : مكتبة النهضة ، ١٩٧٨م) ط٢، جـ٧، ص ٩٧ ومابعدها٠

٣٤ – انظر : سورة قريش في القرآن الكريم وتفسيرها في تفسير القرآن الكريم لإبن كثير (بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) ، جـ٤، ص ٥٩٢ ٠

٣٥ – الهمـــداني ، صـــفة جزيرة العرب، ص ٩٩ ومابعدها، جواد علي، المفصل ، جـ٧ ، ص ١٠١ ومابعدها،

Patricia Crone Meccan Trade, and the Rise of Islam. (Oxford, 1987) PP. 12 ff.

٣٦ – المصادر نفسها٠ وعن جغرافية بلاد تهامة والسراة ، انظر: عبد الرحمن صادق الشريف ٠ جغرافية المملكة، جـ٢، ص٣٣ ٠

٣٧ – جواد علي، المفصل، جـ٧، ص٣١٧ ٠ ايضاً يروي لنا بعض المسنين في جنوب المملكة العربية السعودية عن معاناتهم في الماضي، وأن الدواب مثل:– الجمال، والحمير كانت الوسيلة الرئيسة في نقل بضائعهم وحوائجهم المختلفة٠ كما أن الباحث شاهد نشاطات الناس في هذه المناطق خلال الأربعين سنة الماضية كونه عاش معهم ومارس مع أهله العديد من الحرف والمهن المختلفة٠

٣٨ – المصادر نفسها٠

٣٩ – ويظهر أن هذه العقبات كانت مسلوكة خلال العصور الإسلامية الوسيطة، ولكن في العصر الحديث تدخلت الآلات الحديثة فشقت الطرق المهدة التي أصبحت تستخدم بالسيارات ، وصارت شريان حيوي يربط الجبال السروية بالأراضي التهامية٠ ومن أهم تلك العقبات المهدة اليوم مايلي :– عقبة بني سعد جنوبي الطائف ، يليها عقبة غامد وزهران ، المعروفة بـــ (المخواة) ، ثم عقبة الأبناء ، ثم عقبة بني عمرو، فعقبة تلاع ، ثم عقبة سنان التي تنحدر من أرض النماص إلى بلاد خاط والمجاردة، ثم عقبة ساقين ، وعلى مقربة من شمال أبها تأتي عقبة شعار، أو (عقبة تيه)، ثم عقبة ضلع المنحدرة من مدينة أبها

إلى جازان، ثم عقبة الفرشه ببلاد قحطان، وغيرها من الممرات والعقبات الأخرى. مشاهدات الباحث وإنطباعاته أثناء تجواله في هذه البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران ، ولمرات عديدة.

٤٠ - انظر سورة الفيل في القرآن الكريم ، وتفسيرها في تفسير ابن كثير، جـ٤، ص٥٨٦، انظر : ايضاً الأزرقي ، أخبار مكة ، جـ١ ، ص١٣٦ ومابعدها.

٤١ - المصادر نفسها، جواد علي ، المفصل، جـ٤، ص ١٥٨ ومابعدها.

٤٢ - انظر مقالة حسين المسري " نجران ودورها السياسي والاقتصادي..." ، ص٤٢ ومابعدها. انظر ايضاً : ابن جريس " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة ..." ص ٧٥ ومابعدها.

٤٣ - المراجع نفسها. كما أن الباحث تجول في أنحاء عديدة من المناطق التي مر بها درب الفيل، وقابل البعض من المعمرين هناك، وسمع بعضهم يطلق اسم "درب الفيل" أو " درب أسعد " على أجزاء من تلك المواطن. وانني أحث أقسام الآثار العلمية في جامعات المملكة أن تولي هذا الطريق وهذه الأجزاء بعض الاهتمام من الدراسة والتنقيب.

٤٤ - نزار عبد اللطيف الحديثي. أهل اليمن في صدر الإسلام ، ص٣٧ ومابعدها ، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع. اليمن في صدر الإسلام، ص ٧٧ ومابعدها.

٤٥ - أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة. كتاب المسالك والممالك، تحقيق ام.دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م) ، ص١٣٣ ومابعدها.

٤٦ - قدامة، كتاب الخراج، ص١٨٨-١٨٩، ١٩٢ - ١٩٣ .

٤٧ - أبو اسحاق الحربي. كتاب المناسك ، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. تحقيق حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر،١٤٠١هـ/١٩٨١م) .

٤٨ - أحمد بن اليعقوبي. كتاب البلدان. تحقيق أم.دي غوي (ليدن:مطبعة بريل، ١٨٩٢م) ص ٣١٦ وما بعدها.

٤٩ - الهمداني . صفة جزيرة العرب، ص ٣٣٩ ومابعدها.

٥٠ - شمس الدين أبو عبد الله المقدسي. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تحقيق أم. دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٧م) ص ١١١ ومابعدها.

٥١ - محمد بن محمد الإدريسي. كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. (بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) جـ١، ص١٤٥ ومابعدها.

٥٢ - حسين المسري " نجران ...." ص ٧٧ ومابعدها ، عبد الواحد دلال. البيان، ص٢٥٠ ومابعدها.

٥٣ - الهمداني، صفة جزيرة العرب ، ص٣٣٩ ومابعدها.

٥٤ - المصدر نفسه ، ص٣٤٠ .

٥٥ - المصدر نفسه ، ص ٣٤١ .

٥٦ - ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٣٤ ومابعدها.

٥٧ - وطلحة الملك تقع اليوم في الأجزاء الشرقية من ظهران الجنوب في بلاد قحطان، إلى الشمال من مدينة نجران.

٥٨ - قدامة، كتاب الخراج، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

٥٩ - الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ١، ص١٤٥ ، ١٤٦ .

٦٠ - انظر عصام الفقي. اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٢٧ ومابعدها، حسين المسري "نجران .... "، ص ٨٢ ومابعدها ، جميل حرب، محمود حسين. الحجاز واليمن في العصر الأيوبي (جدة : دار تهامة للنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص ١١٧ ومابعدها.

٦١ - جواد علي. تاريخ المفصل، جـ٧، ص ٢٨٥، حسين المسري. " نجران..."ص ٨٢ ومابعدها.

٦٢ - المراجع نفسها. ولمزيد من التفصيلات عن مخلاف جرش (منطقة عسير الحالية) انظر:غيثان بن علي بن جريس " تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى" مجلة العصور (رجب /١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) مجلد (٩) الجزء الأول، ص٦٣-٧٧ .

٦٣ - انظر : محمد بن أحمد الحجري. مجموعة بلدان اليمن وقبائلها. تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع (بيروت: مطابع دار النفائس، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) مج٢، جـ٣، ص٦٠٤، عبد الله أبو داهش. أهل السراة، ص ٥٤ .

٦٤ - محمد بن سعيد بن عوض آل رداد الإسمري. تاريخ رجال الحجر، المسمى :- نافذة الفكر على وطن ونسب رجال الحجر. (جدة : مكتبة السوادي، ١٤١٧هـ) ، ص ١٤٩، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٣؛ عبد الله أبو داهش. أهل السراة ، ص٥٤ - ٥٥ .

٦٥ - لمزيد من التفصيلات عن الجيوش العثمانية وكيف كانت تأتي عبر بلاد تهامة والسراة ما بين اليمن والحجاز، انظر : شرف بن عبد المحسن البركاتي. الرحلة اليمانية. تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن إلياس (بيروت : دار نشر تراث العرب، ١٣٨٦هـ) ، ص٤٣ ومابعدها، غيثان بن جريس، بلاد بني شهر، ص ١١٥ومابعدها.

٦٦ - انظر : عبد الله بن علي العمودي. تحفة القارىء والسامع في اختصار تاريخ اللامع (مخطوط)، ص ٢١؛ نجم الدين عمارة بن علي اليمني. تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد. تحقيق محمد علي الأكوع الحوالي (بيروت : مطابع دار العلم ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، ص١٠٠ ومابعدها ، ويلاحظ أن هذا الطريق بدأت أهميته في التضاؤل تدريجياً مع قيام الدويلات المستقلة باليمن كالدولة الزيادية والدولة الصليحية وغيرهما، حيث تحول حكام هذه الدويلات عن هذا الطريق إلى الطريق الساحلي عبر تهامة.. وساعد على هذا التحول العداء القائم بين الدولة الزيدية بصعدة وبين حكام الدويلات اليمنية في الوسط والجنوب، الأمر الذي عرقل سير القوافل إذا ما اتخذت طريقها عبر الجبال عند صعدة في طريقها عبر السراة إلى الحجاز، كما ساعد على هذا التحول.. قلة عناية الحكام بتعبيده منذ هذه الفترة مما زاد من وعورة مسالكه عبر الممرات الجبلية الضيقة التي كانت لاتسمح في بعض اجزائها إلاّ بمرو الواحد تلو الآخر مما أدى في النهاية إلى تقلص النشاط التجاري عبره وتحوله إلى طريق الساحل التهامي، انظر عصام الفقي. اليمن في ظل الإسلام، ص٧٩ ومابعدها، عبد الواحد دلال. البيان ، ص ٢٥٠ ومابعدها.

٦٧ - محمد بن أحمد الحجري - مجموعة بلدان اليمن ، مج٢، جـ٣، ص٦٠٤ .

٦٨ - المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص ٨٦، ناصر خسرو، سفر نامة،١٤١-١٤٢، ابن المجاور، تاريخ المستبصر، جـ١، ص ٣٧ .

٦٩ - مشاهدة ومعاصرة الباحث لهذه العلاقات ، إلى جانب حصوله على عشرات الوثائق الحديثة وهي تعكس علاقة الأحلاف القبلية بين سكان أهل السراة مع بعضهم البعض، وكذلك مع سكان أهل تهامة مع أهل السراة.

٧٠ - معاصرة الباحث للكثير من الجوانب الحضارية ببلاد تهامة والسراة خلال العقود الأربعة الأخيرة.

٧١ - انظر : البركاتي ، الرحلة ، ص ٤٣ ومابعدها ، ابن جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ١١٥ ومابعدها.

٧٢ - عبور الباحث لأغلب هذه العقبات، ومشاهدة بعض النقوش والرسوم في العديد من أجزائها مما يدل على أنها كانت تستخدم بالتجار وأهل البلاد يوم أن كانت وسائل نقلهم الجمال والحمير فقط.

٧٣ - انظر الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص ٣٤١ ومابعدها.

٧٤ - انظر : عمارة اليمني ، تاريخ اليمن، ص ٧٦ - ٨١ ، كما انظر معلومات أكثر العمودي، تحفة القارىء، ص ٧٨-٨٢، عبد الرحمن بن علي بن محمد الزبيدي، ابن الديبع .قرة العيون بأخبار اليمن الميمون. تحقيق محمد علي الأكوع (معلومات النشر بدون) جـ١، ص ٣٢٧ - ٣٣٠ .

٧٥ - عمارة اليمني ، تاريخ اليمن، ص ٧٧ وما بعدها.

٧٦ - المصدر نفسه.

٧٧ - الحربي ، كتاب المناسك ، ص ٦٤٦ - ٦٤٧ .

٧٨ - انظر : أحمد بن عمر الزيلعي " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي ق٣-٩هـ/٩ - ١٥م" حوليات كلية الاداب، جامعة الكويت (٣٩) الحولية (٧) (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص ١٢،١١ .

٧٩ - محمد الحجري. مجموعة بلدان اليمن، مج٢، جـ٣، ص ٦٠٤ . عبد الله أبو داهش، أهل السراة، ص ٥٥ ، وللمؤلف نفسه. أهل تهامة،ص ١٢٧ .

٨٠ - عبد الله أبو داهش ، أهل تهامة، ص ١٢٨، انظر أيضاً " أرجوزه الحج " تحقيق أحمد الشامي. مجلة العرب (جـ٥ -٦/ سنة ٢٩/ ذو القعدة والحجة/ ١٤١٤هـ) ، ص ٣٢٤ .

٨١ - المراجع نفسها.

٨٢ - الشقيق :- البلدة المعروفة في زماننا . انظر العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني ،جـ١، ص٢١٦ .

٨٣ - محمد أحمد العقيلي. من أدب جنوب الجزيرة (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٩١م) ، جـ١، ص ١٩٩-٢٠٠، أبو داهش، أهل تهامة، ص١٢٨ .

٨٤ - لمزيد من التفصيلات انظر : حسن بن إبراهيم الفقيه. مخلاف عشم (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ، ص٢٠٢ ومابعدها، وللمؤلف نفسه. مدينة السرين الأثرية (الرياض : مطابع الفرزدق ،١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ، ص ٩٣ ومابعدها. أحمد عمر الزيلعي الخُلُف والخليف ، آثارهما ونقوشهما الإسلامية (الرياض: مطابع الخالد، ١٤١٧هـ)،ص٨٣ ومابعدها، وللمؤلف نفسه. نقوش إسلامية من حَمْدَانه بوادي عليب (الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)،ص٣٩ ومابعدها، عاتق البلادي، بين مكة وحضرموت ، ص ١١ ومابعدها.

٨٥ - انظر : موريس تاميزية. رحلة في بلاد العرب:- الحملة المصرية على عسير (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م) ترجمة محمد بن عبد الله آل زلفة (الرياض: مطابع الشريف، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م). ولمزيد من التفصيلات انظر: غيثان بن علي بن جريس "إقليم عسير في عيون الرحالة الأوربيين " بحث قدم ضمن ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ونشر ضمن بحوث الندوة في كتاب: العرب واوربا عبر عصور التاريخ (بحوث ودراسات) (القاهرة : منشورات اتحاد المؤرخين العرب، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، ص ٤٠٩ وما بعدها .

٨٦ - انظر البركاتي ، الرحلة، ص ٢١ ومابعدها، وللمزيد من التفصيلات عن تاريخ مدينة أبها حاضرة منطقة عسير انظر. غيثان بن علي بن جريس. أبها حاضرة عسير (الرياض : مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ص ١٥ ومابعدها.

٨٧ - انظر البركاتي ، الرحلة ، ص ٢١ ومابعدها •

٨٨ - وعن أهمية البحر الأحمر في مجال التجارة عبر العصور التاريخية، وخاصة العهد الإسلامي المبكر والوسيط ، انظر العديد من الدراسات في كتاب :- البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية والمعاصرة• (القاهرة، ١٩٨٠م)، وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة ابحاث علمية محكمة قدمت في سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس في الفترة الممتدة من (١٠-١٥ مارس/ ١٩٧٩م) تحت اشراف الأستاذ الدكتور/ أحمد عزت عبد الكريم•

٨٩ - انظر، عمر فاروق• " الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد النفس الزكية " مجلة العـــرب (١٣٩٠هت/١٩٧٠م) جــ١، ص٢١ ومابعدها؛ غيثان بن علي بن جريس• بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية• تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور (الإسكندرية : دار المعرفة، ١٩٩٤م)، ص٦١ ومابعدها•

Umar Farug " Some Aspects of the Abbasid - Husanid Relations during the Early Abbasid Period, 132-193A. H/ 750 - 809 A.D" Arabica. Vol XXII (1975) PP. 170 - 9 .

٩٠ - انظر كتاب :- البحر الحمر الآنف الذكر في حاشية (٨٨) ، وخاصة الدراسات الواردة في هذا الكتاب والمتعلقة بالتاريخ الحديث•

٩١ - انظر : حمد الجاسر• " حول الجار والشعيبه " مجلة العرب (١٣٩٠هــ/١٩٧٠م)جــ١، ص ١١٧٠-١١٧٢ •

٩٢ - لمزيد من التفصيلات عن القنفذة انظر:عاتق بن غيث البلادي•بين مكة واليمن، رحلات ومشاهدات(مكة المكرمة:دارمكة للطباعة،١٤٠٤هــ/١٩٨٤م) ، ص١١٢- ١٣٨ •

٩٣ - عرام السلمي• كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها (القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٣٧٤هــ/ ١٩٥٥م) ، ص ٣٩٩ ، المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص٨٤ ومابعدها• ولمزيد من التفصيلات عن الطريق التجاري البحري في البحر الحمر، وأهمية الموانئ الواقعة على هذا البحر انظر :-

Angelo Pesce. Jiddah :- Portrait of an Arabian City (London, 1974) PP. 17 ff, Magbul Ahmad. " Commercial Relations of India with the Arab (1000 B.C. Upto Modern Times)" Islamic Culture. Vol. XXX VIII (1946) PP. 141ff.

٩٤ - غيثان بن جريس، بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جـ١، جـ١١ ومابعدها، كما انظر للمؤلف نفسه " الهجرات العربية إلى ساحل شرق افريقيا في العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية والثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجري" بحث منشور في كتاب:- بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، الجزء الثاني ، للمؤلف نفسه، (الاسكندرية : دار السماح، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ، ص٣٧ ومابعدها.

٩٥ - انظر المراجع الآنفة الذكر في حاشية (٩٣)، كما انظر معلومات أكثر عند السيد محمد يوسف " علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجري" مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة (١٩٥٣م) ١٥، ص٢ ومابعدها، محمد إبراهيم زغروت " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين " مجلة الدارة (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) جـ١١، ص١١٣ ومابعدها.

٩٦ - انظر : حسن صالح شهاب . عدن فرضه اليمن (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص٧٩ ومابعدها، ابو داهش. أهل تهامة، ص٢٣ ومابعدها، ابن جريس "الهجرات العربية إلى ساحل شرق أفريقيا.." ص٤٥ ومابعدها.

٩٧ - الحسن بن أحمد عاكش. الديباج الخسرواني بذكر ملوك المخلاف السليماني (مخطوط) ورقة (٤)، نزار الحديثي. أهل اليمن، ص٣٧ ومابعدها.

٩٨ - الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٥٨-٢٥٩، لقد شرح محمد العقيلي أغلب المواطن التي ذكرها الهمداني، انظر:- المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان، ص ٧٠ ،٨٤ ،١٩٩، ٢٨٤، ٢٩٢ .

٩٩ - الهمداني، صفة ، ص ٢٥٩ .

١٠٠- المصدر نفسه.

١٠١- اليعقوبي، البلدان، ص٣١٨ .

١٠٢- الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٤٢ .

١٠٣ - يحيى بن الحسين. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني . تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة:دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)،جـ١، ص٣٧٧ .

١٠٤- عاكش، الديباج الخسرواني ، ص ٩، أبو داهش، أهل قمامة، ص٣٠ .

١٠٥- العقيلي ، المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان ، ص ٥٩ ، أبو داهش ، أهل قمامة، ص٣١ .

١٠٦- اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٩، ٣٢٠ .

١٠٧- الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٦ ، ٢٥٩ ، ٣٨١ .

١٠٨- اليعقوبي، البلدان ، ص٣١٩، ٣٢٠، عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص٦٥ ، ٦٦ .

١٠٩- محمد الحجري، مجموعة بلدان اليمن ، مج١، جـ١،ص١١٧ ، ياقوت الحموي. معجم البلدان، جـ١، ص٣٩٩ - ٤٠٠ .

١١٠- يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ١، ص٤٣٣، عبد الرحمن (ابن الديبع)، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد. تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت، د.ن، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ص٨٢، ٨٣ .

١١١- الهمداني، صفة ، ص٣٤١ .

١١٢- الأزرقي، أخبار مكة، جـ١، ص ١٩١ .

١١٣- المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص ٨٦ .

١١٤- حسن الفقيه ، مدينة السرين ، ص ٥٩،٦٠ .

١١٥- نجم الدين عمر بن فهد. اتحاف الورى بأخبار أم القرى. تحقيق فهيم شلتوت (معلومات النشر بدون) ، جـ٣، ص٦٩؛ عبد الله أبو داهش. أهل قمامة، ص٣٧ .

١١٦- ابن خرداذبة ، المسالك ، ص١٣٣، اليعقوبي، البلدان، ص٣١٦ ، الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ١، ص١٤٥ .

١١٧ - المصادر نفسها.

١١٨- ياقوت الحموي ، معجم ، جـ٤، ص١٢٦؛ حسن الفقيه ، مخلاف عشـــم ، ص١٦ ، ١٩ ، ٣٩ .

١١٩- محمد الحجري، مجموعة بلدان اليمن، مج١،جـ١، ص٢٨٠ .

١٢٠- أحمد الزيلعي " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي "، ص١١ .

١٢١- محمد بن عبد الله بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحقيق علي المنتصر الكتاني (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، جـ١، ص٢٧١ .

١٢٢- أحمد الزيلعي " المواقع المندثرة في وادي حلي ..." ، ص١٨ .

١٢٣- المرجع نفسه .

١٢٤- تجوال الباحث في مدن وقرى تهامة خلال عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، وشاهد أن كثير من المدن الحضارية الحديثة هناك قد قامت على أنقاض أو قريبة من المراكز الحضارية القديمة، والرسوم والنقوش والآثار تؤكد على أهمية ماذكرنا، ولازالت المنطقة تحتاج إلى دراسات آثرية متأنية لتوضح العمق التاريخي والحضاري لهذه البلاد .

١٢٥- المرجع نفسه.

١٢٦- الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص ٣٣٨ - ٣٤٠

١٢٧- حسين المسري " نجران ...".ص٤١ - ٩٠؛ محمد الأكوع الحوالي، اليمن الخضراء مهد الحضارة (القاهرة : مطبعة السعادة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م) ، ص١٤٩ ، ولمزيد من المعلومات في بعض المصادر التاريخية المبكرة، انظر :- أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦م) ، ص٧٩ ، محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار (بيروت : مكتبة لبنــــان ، ١٩٧٥م) ، ص٥٧٣ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ١، ص٩٦ .

١٢٨- المصادر والمراجع الآنفة الذكر في حاشيتي (١٢٦، ١٢٧)، بالإضافة إلى ابن المجاور، تاريخ المستبصر، جـ١، ص٨٩، ٩٧ ،١٤٠، صالح العلي " طرق المواصلات في الحجاز " مجلة العرب (الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ، جـ١١، سنة (٢) ، ص ٩٧٥ .

١٢٩- انظر : ابن جريس " تاريخ مخلاف جرش ..." ، ص٦٣ ومابعدها.

١٣٠- زيارة الباحث لمدينة جرش في عام (١٤١٣-١٤١٤هـ/١٩٩٣-١٩٩٤م) ومشاهدته للعديد من الآثار والنقوش التي تعود إلى القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة.

١٣١- المرجع نفسه.

١٣٢- الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص٢٥٥ ومابعدها .

١٣٣- المصدر نفسه.

١٣٤- المصدر نفسه، انظر: ابن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" ، ص٧٦ ومابعدها.

١٣٥- جواد علي ، المفصل، جـ٧، ص٣٦٥ ومابعدها ، سعيد الأسمري. تاريخ رجال الحجر، ص١٧٣ وما بعدها، ابن جريس،" تاريخ مخلاف جرش..."، ص٦٥ ومابعدها، عبد الله أبو داهش. أهل السراة، ص ٥٣ ، حسين المسري "نجران..." ص ٨٢ ومابعدها.

١٣٦- المـــراجع نفســـها، انظر أيضاً ، قدامة ، الخراج، ص١٨٩، ابن المجاور، تاريخ المستبصر، جـ١، ٣٧ .

١٣٧- المصادر والمراجع الآنفة الذكر في حاشيتي (١٣٥-١٣٦).

١٣٨- المصادر والمراجع نفسها.

١٣٩- المصادر والمراجع نفسها.

١٤٠- المصادر والمراجع نفسها.

١٤١- المصادر والمراجع نفسها.

١٤٢- انظر:- حسين المسري " نجران ..." ، ص٨٢ وما بعدها، عبد الله أبو داهش، أهل تهامة ١٠٩، وللمؤلف نفسه أهل السراة، ص٥٢-٥٣، ابن جريس " تاريخ مخلاف جرش..." ، ص٦٣ ومابعدها.

١٤٣- ابن المجاور، تاريخ، جـ٢، ص٢٠٩ .

١٤٤- الهمداني ، صفة ، ص ٧٦ .

١٤٥- المقدسي ، أحسن ، ص ٨٦ .

١٤٦-ابن المجاور، تاريخ، جـ١، ص ٥٣ .

١٤٧- المقدسي، أحسن ، ص٨٦ .

١٤٨- الأسواق الأسبوعية القديمة تعد بالعشرات بل بالمئات في بلاد تهامة والسراة، فالباحث في احدى جولاته بهذه البلاد خلال الأعوام الثلاثة (١٤١٣هـ/١٩٩٣م- ١٤١٥هـ/

١٩٩٥م) حصر ما يزيد عن مائتين وخمسين سوقاً في المنطقة الواقعة بين جازان وعسير جنوباً إلى تهامة وسراة قبائل بني سعد جنوبي الطائف ومكة المكرمة. وشاهد أن بعض تلك الأسواق لازالت تعمل في أيام معلومة من كل أسبوع. المصدر:مشاهدات الباحث وانطباعاته (١٤١٣هـ/١٩٩٣م - ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

١٤٩- المرجع نفسه.

١٥٠- المرجع نفسه.

١٥١- حسين المسري " نجران..."، ص٨٣ وما بعدها، عصام الدين الفقي. اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٢٧ .

١٥٢- وعن مهام المحتسب، أو عامل السوق، انظر : يحيى بن عمر. كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، ص٢٦ وما بعدها، ابن الأخوة، كتاب معالم القربة في أحكام الحسبة، ص ٧٥ وما بعدها.

١٥٣- الأزرقي، أخبار مكة ، جـ١، ص ١٩١ .

١٥٤- المصدر نفسه، ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٢، ص٢٦٠-٢٦١ .

١٥٥- غيثان ابن جريس. عسير١١٠٠-١٤٠٠هـ، ص١٧١، ١٧٢، سعيد الأسمري. تاريخ رجال الحجر، ص١٧١ وما بعدها. مشاهدات الباحث للعديد من الأسواق الأسبوعية في المنطقة خلال الثلاثة عقود الماضية.

١٥٦- المراجع نفسها.

١٥٧- المراجع نفسها.

١٥٨- قدامة. كتاب الخراج، ص١٨٩-١٩٠، المقدسي ، أحسن التقاسيم، ص٨٧-٩٨، ابن المجاور، تاريخ، جـ١، ص ٢٦، ٣٧ ، سعيد الأسمري. تاريخ رجال الحجر، ص١٧٥-١٧٦ .

١٥٩- ابن المجاور، تاريخ ،جـ١، ص٣٧،٢٦ .

١٦٠- معاصرة الباحث لأحداث المنطقة وتغيراتها منذ حوالي أربعين عاماً.

١٦١- المرجع نفسه.

١٦٢- ابن جبير. الرحلة، ص١٠٤ .

١٦٣- ابن المجاور، تاريخ ، جـ١،ص ٣٧ ٠

١٦٤- الهمداني ، صفة ، ص ٢٦٢ ٠

١٦٥- قدامة، كتاب الخراج ، ص، ١٨٩، ١٩٠ ٠

١٦٦- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٦، ٨٧ ،٩٧-٩٨ ٠

١٦٧- انظر عبد الله بن عبد العزيز البكري٠ معجم ما استعجم٠ تحقيق مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، جـ٤، ص١١٢٩ ٠

١٦٨- حسين المسري " نجران ٠٠٠" ، ص٨٣ ، ٨٤ ٠

١٦٩- انظر: تفصيلات أكثر عند أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري٠ كتاب النبات، الجزءان الأول والثاني٠تحقيق محمد حميد الله٠(نشر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، عام ١٩٧٣م)٠ والجزء الثالث ، والنصف الأول من الجزء الخامس، شرح وتحقيق المستشرق برنهارد لفين، بمدينة (بفيسبادن بألمانيا، عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) ٠

١٧٠- القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم٠ كتاب الخراج (القاهرة : المطبعة السلفية، ١٣٨٢هـ) ، ص ٧٠-٧١ ٠

١٧١- انظر الدينوري٠ كتاب النبات (طبعة بفيسبادن)، ص ٢٦٤- ٢٦٧، قدامة، كتاب الخراج، ص١٨٩ ٠

١٧٢- الهمداني، صفة، ص ٣٥٨ ٠

١٧٣- انظر أبو القاسم بن حوقل٠ كتاب المسالك والممالك (صورة الأرض)٠ تحقيق أم٠دي غوي (ليدن : مطبعة بريل، ١٨٧٣م) ، ص٣٦، أبو اسحاق إبراهيم الأصطخري٠ كتاب مسالك الممالك ، تحقيق أم٠ دي غوي (ليدن : مطبعة بريل، ١٨٧٠م) ، ص٢٤، قدامة ، كتاب الخراج، ص١٨٩ ٠

١٧٤- الإدريسي، نزهة، جـ١، ص ١٥١ ٠

١٧٥- المصدر نفسه، جـ١، ص ١٤٦ ٠

١٧٦- ابن المجاور، تاريخ، جـ١، ص٨٩، ٩٧، ١٤٠، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٧، ٩٧،٩٨، قدامة، الخراج، ص١٨٩،حسين المسري " نجران ...."، ص٨٤ .

١٧٧- جواد علي، المفصل ، جـ٧، ص ٢٩٣ .

١٧٨- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٧،الهمداني، صفة،ص٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٧ ، ٢٦٠ .

١٧٩- المسري " نجران ... " ، ص٨٤، انظر أيضاً :- عمر بن بحر الجاحظ . كتاب التبصر بالتجارة . تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، (بيروت : دار الكتاب الجديد، ١٩٦٦م).

١٨٠- البلاذري . فتوح البلدان، ص٢٧٥ ، حسين المسري " نجران ...."، ص٦٥-٩٠ .

١٨١- الحوالي، اليمن الخضراء، ص١٥٢، أحمد أمين . فجر الإسلام . (القاهرة : مكتبة النهضة، ١٩٦٥م) ، ص ٢٦ .

١٨٢- البلاذري، فتوح البلدان ، ص٥٥، المسري " نجران ...."، ص ٨٤-٨٥ .

١٨٣- انظر : رأفت البنداري . " دراسة لقطعتين نادرتين من المنسوجات الإسلامية" مجلة الدارة عدد (٢٠) (١٤٠٨هـ)، ص ٢٠٨ .

١٨٤- انظر:- الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٣٥ ، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٧، ٩٧ ، ابن المجاور، تاريخ المستبصر، جـ١، ص٥٢ .

١٨٥- سعيد الأسمري . تاريخ رجال الحجر، ص١٧٥ ومابعدها.

١٨٦- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٦، ابن المجاور، تاريخ المستبصر، جـ١، ص٥٣ .

١٨٧- ابن المجاور، تاريخ المستبصر، جـ١، ص ٢٠٩ .

١٨٨- المصدر نفسه، سعيد الأسمري . تاريخ رجال الحجر، ١٧٣ ومابعدها.

١٨٩- المرجع نفسه، أيضاً انظر :

Magbul Ahmad “ Comercial Relation of India with the Arab” PP. 16 ff.

١٩٠- السيد محمد يوسف ، " علاقات العرب التجارية بالهند...." ، ص٩ ومابعدها؛ محمد إبراهيم زعروت " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها...." ، ص١١٦ ومابعدها.

١٩١- ابن حبيب، كتاب المنمق، ص٢٨٠-٢٨١ .

١٩٢- الأزرقي، أخبار مكة، جـ٢، ص٢٦٠ .

١٩٣- ناصر خسرو، سفرنامة ، ص ١٥٤ .

١٩٤- ابن جبير ، الرحلة ، ص٩٨-٩٩ .

١٩٥- المصدر نفسه.

١٩٦- ابن بطوطة ، رحلة ، جـ١، ص ١٨٣ .

١٩٧- ابن المجاور، تاريخ، جـ١، ص ٢٧ .

١٩٨- المصادر الآنفة الذكر التي وردت في حواش (١٩٢-١٩٧).

١٩٩- ابن جبير الرحلة ، ٩٨ - ٩٩ .

٢٠٠- جواد علي، المفصل، جـ٧، ص ٣٦٥ ومابعدها، عصام الدين الفقي، اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٢٧ ومابعدها.

٢٠١- انظر: أحمد الزيلعي. مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١-٤٨٧هـ) (الرياض : عمادة شؤون المكتبات ١٤٠١هـ/١٩٨١م)ص١٦٠ومابعدها،عبدالله السيف.الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي. (بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص ١٥٠ .

٢٠٢- المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٩ .

٢٠٣- المصدر نفسه.

٢٠٤- المصدر نفسه.

٢٠٥- المصدر نفسه.

٢٠٦- انظر :-

S.D. Goitien " from Aden to Andia" Journal of the Economic and Social History of the Orient. Vol. XXII. Parts 1-2 (Leiden, 1980) P.60.; " Letters and Documents on the India Trade in Medieval Times" Islamic Culture. Vol. XXX VII. No. I (1963)P. 199.

٢٠٧- ابن المجاور، تاريخ، جـ١، ص ٨٠ . ولعل تسمية هذا الدينار بـ (الأحمر)، لأن لونه يميل إلى اللون الأحمر.

٢٠٨- ابن المجاور، تاريخ ، جـ١، ١٢-١٣، ٨٠ .

٢٠٩- يحيى بن الحسين ، غاية الأماني، جـ١، ص ٣٨٨ .

٢١٠- انظر :- مجهول، سيرة الإمام عبد الله بن حمزة . مخطوط بدار المخطوطات اليمنية، ورقة ٦١-٦٢ .

٢١١- وكان الدفع بالأجل يُعرف في بلاد الأندلس باسم القبالة (Copala) ، بينما عرفت في اليمن باسم التقبيل، حيث يترل تجار التمور في موسم جني التمور، فيأخذ كل تاجر على قدر استطاعته ثم يسدد الثمن من عملية البيع في يوم محدد يتم الاتفاق عليه بين التاجر وصاحب الثمرة. انظر : ابن المجاور، تاريخ ، جـ١، ص ٧٩-٨٠ .

٢١٢- المصدر نفسه، ص ٨٩ ، ١٤٤ .

٢١٣- المَنّ في بيع ووزن السمن = ٨٠٠ درهم، فيكون وزن الجمنة تقريباً حوالي ١٢,٥ كجم.

٢١٤- ابن المجاور، تاريخ، جـ١، ص ٨٩ .

٢١٥- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٩ ؛ ابن المجاور، جـ١، ص١٢ . لقد استخدم الرطل للوزن في صدر الإسلام ، فكان يساوي في أغلب حواضر شبه الجزيرة العربية (١٢) أوقية ، كل أوقية تساوي (٤٠) درهماً ، أي يساوي (١,٥) كجم. انظر:- فالترهنتس المكائيل والأوزان وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي (عمان ،١٩٧٠م) ص ٣٠ ، عبد الله السيف ، الحياة الاقتصادية ، ص١٥٠ . والرطل اليمني يساوي الرطل البغدادي وكلاهما حدده ابن المجاور بـ (١٣٠) درهماً ، أي ما يساوي (٤٠٦,٢٥) جرام على أساس أن الوزن الدقيق للدرهم = (٣,١٢٥) جم، راجع ابن المجاور، تاريخ ، جـ١، ص ١٢، هنتس ، ص٣٠-٣١ .

٢١٦- بينما يذكر ابن المجاور أن المَنّ في اليمن = (٣٢٠) درهماً ويباع به الحرير ويوزن به العود والزعفران، وطبقاً لذلك فهو يساوي في اليمن (١٠٠٠) جم أي كيلاً واحداً في حين أن مَنّ الحرير في مناطق أخرى كان يساوي (٢٦٠) درهماً أي حوالي $812\frac{1}{2}$ جرام. انظر : ابن المجاور ، تاريخ ، جـ١، ص١٢، ٨٩، ١٤٤،أبو محمد الطيب بامخرمة. تاريخ ثغر عدن ،(ليدن : مطبعة بريل، ١٩٣٦م)، جـ٢، ص١٩٥ .

٢١٧- المصادر نفسها التي وردت في حاشية (٢١٥، ٢١٦) .

٢١٨- المصادر نفسها.

٢١٩- المصادر نفسها .

٢٢٠- المصادر نفسها .

٢٢١- المصادر نفسها .

٢٢٢- الدانق :- كلمة فارسية ، ويعني السدس ، وهو كوحدة وزن نقد $\left(\frac{1}{6}\right)$ درهم . انظر: هنتس، المكائيل ، ص ٢٩، عبد الله السيف، الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٠

٢٢٣- القيراط :- جزء من الدينار، وكان يستخدم في عيار النقود وضربها ووزن الأحجار الكريمة، ويعادل في جزيرة العرب حوالي ١٩٥ر٠جم . انظر: ابن المجاور، تاريـــــخ ص ٨٩، ١٤٣ ، هنتس ، المكائيل ، ص ٤٤ .

٢٢٤- انظر أبو عبد الله الزبير بن بكار . جمهرة نسب قريش ، تحقيق محمود شاكر (القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) ، جـ١، ص ٤٩ .

٢٢٥- القاسم بن سلام أبو عبيد . كتاب الأموال . تحقيق محمد خليل هراس (القاهـــرة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ص ٦٣٠ . الدينار كوحدة وزن يساوي نظرياً مثقالاً واحداً، وكوزن سبيكة ذهبية يساوي (٤,٣٣٣) جم، انظر : هنتس، المكائيل ، ص٢٩ .

٢٢٦- انظر : عبد الله السيف، الحياة الاقتصادية ، ص١٥٠ .

٢٢٧- انظر : ابن المجاور ، تاريخ ، جـ١، ص ١٢؛ هنتس ، المكائيل ، ص١٩ .

٢٢٨- ابن المجاور، تاريخ ، ط١، ص ١٣ .

٢٢٩- لمزيد من التفصيلات عن المدّ والصاع وغيرهما، انظر : أبو عبيد ، كتاب الأمـــوال، ص٣٢٩، ٦٢٣، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٩٨-٩٩، عبد الله السيف، الحياة الاقتصادية، ص١٥٠ ، هنتس ، المكائيل ، ص ٦٤ .

٢٣٠- ابن المجاور، تاريخ ، جـ١، ص١٣ .

٢٣١- المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٩ .

٢٣٢- انظر عبد الله السيف ، ص ١٥٠، هنتس ، ص ٩٣ ٠

٢٣٣- هنتس ، ص ٩١ - ٩٢ ٠

٢٣٤- المرجع نفسه ، ص ٨٤ ، ٨٧ ٠

٢٣٥- المرجع نفسه ، ص ٨٥ ٠

٢٣٦- جواد علي، المفصل، جـ٧، ص ٦٢٠، ٦٢٣ ومابعدها٠

٢٣٧- الهمداني ، صفة ، ٣٣٨ - ٣٤٠ ٠

٢٣٨- أبو الفداء إسماعيل بن كثير٠ البداية والنهاية (بيروت : مكتبة المعارف، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) جـ١٣، ص ٢٦ ٠

٢٣٩- عبد الله أبو داهش، أهل السراة، ص٥٠، نقلاً عن ابن فهد في كتابه:- (أتحاف الوري)٠

٢٤٠- عبد الله بن علي النعمان الضمدي٠ العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني ٠ مخطوط ، جـ٢، ص١٨١، ١٨٢ (يوجد صورة من هذا المخطوط ضمن أوراق مكتبة الباحث)٠

٢٤١- المصدر نفسه ، جـ٣، ص ٤٠٥ ٠

٢٤٢- لازالت هذه الأمراض تظهر في الأجزاء التهامية ، وخاصة الحميات٠ فقد عاصر الباحث، في شهر جمادى الثانية عام (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ظهور مرض الحمى في منطقة جازان، ثم إنتشارها في أماكن عديدة من المملكة العربية السعودية، وقد توفي على أثرها عشرات الأشخاص ، مع أن عدداً من الأجهزة الحكومية تصدت لهذا المرض الذي أطلق عليه (حمى الوادي المتصدع)، وقد تحتاج إلى وقت طويل للقضاء عليه٠

٢٤٣- عبدالله الضمدي، العقيق اليماني ، جـ٢، ص٢٤٢ ٠

٢٤٤- عبد الله أبو داهش، أهل السراة، ص ٥٠-٥١ ٠

٢٤٥- أحمد بن محمد المشني" الشقيري" مجلة العرب ، جـ١١-١٢ (الجماديان/١٤١٦هـ)، ص ٧٩٨، انظر ايضاً : أبو داهش، أهل تهامة، ص١١٩ ٠

٢٤٦- عبد الله الضمدي ، جـ٤، ص ٤٠٨ ٠

٢٤٧ – انظر : عبد الله بن حسين العصامي • سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (مصر: المطبعة السلفية ، د ٠ت) جـ٤، ص ٥٠٢ ٠

٢٤٨– عبد الله أبو داهش ، أهل تهامة ، ص ١١٩ ٠

٢٤٩– معاصرة الباحث للكثير من المسنين في بلاد تهامة والسراة، وهم يذكرون ما عانوه في حياتهم المعيشية الماضية من جوع وعدم وجود الأمن على أموالهم وأرواحهم، كما أيضاً من يطلع على الوثائق التاريخية في العصر الحديث، وخاصة ما يمس التاريخ السياسي لأهل تهامة والسراة وبقية قبائل الجزيرة العربية فإنه سوف يجد ويلمس صحة ما رواه الرواه وتناقلوه عن بعضهم البعض ٠

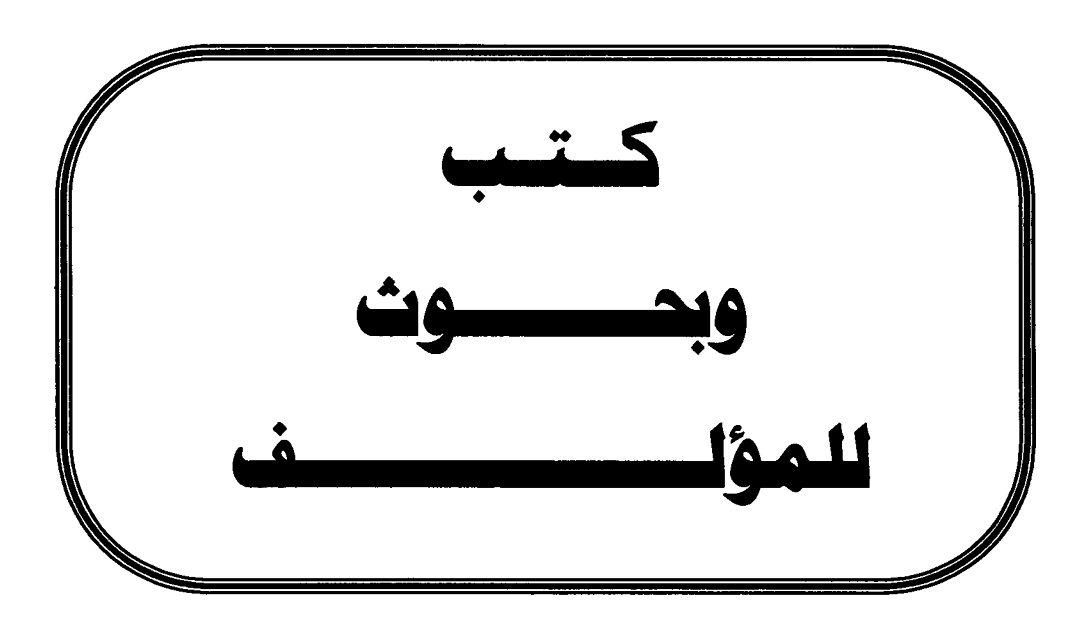
٢٥٠– المرجع نفسه ٠

٢٥١– انظر تقي الدين محمد الفاسي ٠ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد سيد (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) جـ٤، ص٨٦ ٠

٢٥٢– انظر ابن حجر العسقلاني • أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، جـ٤، ص ١٧٧ ٠

٢٥٣– عز الدين بن فهد ٠ غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام (جدة : دار المدني، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ٠

٢٥٤– ابن المجاور ، تاريخ ، جـ١، ص ٥٢ ومابعدها ٠


كتب
وبحوث
للمؤلف

أ- الكتب :

١- افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية .(جدة – دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ، أربع طبعات ، أولى وثانية وثالثة ورابعة ، (والطبعة الأولى من منشورات نادي أبها الأدبي عام ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) .

٢- بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (أبها : مطابع مازن ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) .

٣- صفحات من تاريخ عسير ، الجزء الأول (جدة ، دار البلاد للطبع والنشر ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م) طبعتان أولى وثانية .

٤- بحوث في التاريخ والحضارة الاسلامية ، الجزء الأول ، تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، رئيس إتحاد المؤرخين العرب (الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) .

٥- عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨-١٩٨٠م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م) .

٦- تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م) الجزء الأول ، (جدة:دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) .

٧- الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية والثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجري . دراسة نشرت في هيئة كتب بمركز بحوث كلية التربية بأبها . وتم تصويره وتجليده في مطابع جامعة الملك سعود بالرياض (عام ١٤١٦هـ /١٩٩٥م) .

٨- **أبها حاضرة عسير(دراسة وثائقية)**.(الرياض:مطابع الفرزدق،١٤١٧هـ/١٩٩٧م) .

٩- **الأقليات الإسلامية في العالم (١) أفريقيا الجزء الأول**. (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) (بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور / السر سيد أحمد العراقي).وقد أخرجت الطبعة الثانية في عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

١٠- **بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية الجزء الثاني**. (الإسكندرية : دار السماح للطباعة ، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م) .

١١- **عسير في عصر الملك عبد العزيز (دراسة تاريخية للحياة الإدارية والاقتصادية** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م) .

١٢- **دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)) .

١٣- **بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر** (جدة : دار العويفي للدعاية والإعلان ، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) .

١٤- **تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (١٤٠٢-١٤٢٢هـ / ١٩٨٢-٢٠٠٢م)** تم طباعة ونشر الطبعة الأولى على نفقة وزارة التعليم العالي وجامعة الملك خالد ، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ، ثم أعيد طبعه مرة ثانية في عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .

١٥- **دراسة عن قسمي التاريخ بفرعي جامعة الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها (١٣٩٦-١٤٢٣هـ /١٩٧٦-٢٠٠٢م) (النشأة – التطور – الإلغاء)** (جدة :وكالة الرواد ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

١٦- **دراســـات في تـــاريخ تهامـــة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١هـــ - ق١٠هـــ / ق٧م - ق١٦م) الجزء الأول** (تحت الطبع) .

١٧- **صفحات من تاريخ عسير . الجزءان الأول و الثاني .** (تحت الطبع) .

١٨- **من ذكريات طالب مبتعث في كل من أمريكا وبريطانيا** (مخطوط) .

١٩- **رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية** (مخطوط) .

ب- البحوث :

١- **"بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني"** مجلة الدارة ، ربيـــع الآخر والجماديان (١٤١٤هـــ) ، العدد الثالث ، السنة (١٩) ، ص ٧٦-١١١ . كما أعيد نشرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٢٧) جمادى الأولى ، (١٤٢٠هـــ /١٩٩٩م)، ص١٤-٤٤ .

٢- **"بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط"** مجلة العرب (جـــ٩-١٠) سنة (٢٧) (الربيعان) (١٤١٣هـــ /١٩٩٢م) ، ص٦٠٧-٦٢٤ .

٣- **" بـــلاد تهامـــة والســـراة كمـــا وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل"**، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني، المجلد الأول، مارس (١٩٩٤م) ، ص٧٣-١٠٠ . وقـــد أعيـــد نشـــرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٢٩) (محرم / ١٤٢١هـــ / ٢٠٠٠م)، ص٦٣-٩٤ .

٤- **"تـاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى"** مج٩ ، جـ١، (رجب ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، ص٦٣-٧٨ . وقد تم إعادة نشره مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٢٤) (ربيع الثاني /١٤١٩هـ) ، ص٦٦-١٠٠ .

٥- **"بلاد تهامة والسراة منذ فجر الدعوة الإسلامية حتى عهد حروب الردة "** مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد (٣٨) لعام ١٩٩١-١٩٩٥م ، ص٤١-٦٥ . وقد أضيف معلومات جديدة على هذه الدراسة، ثم أعيد نشرها في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٣١) (رمضان / ١٤٢١هـ /٢٠٠٢م) ، ص١٧-٤٧ .

٦- **"أعمال الخليفة المهدي العباسي الخيرية تجاه أهل الحجاز (١٥٨هـ / ٧٧٤م - ١٦٩هـ /٧٨٥م)"** مجلة الدارة (رجب ، وشعبان ، ورمضان، ١٤١١هـ) العدد الرابع ، سنة (١٦) ، ص١١٣-١٢٩ .

٧- **"الأوضاع السياسية والحضارة في الحجاز خلال عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦هـ / ٧٥٣م - ١٥٨هـ /٧٧٤م)"** ، منشور ضمن سلسلة دراسات مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس ، القاهرة ، رقم السلسلة (٩٦) (١٤١١هـ /١٩٩١م) ، ثم أعيد نشر هذه الدراسة في مجلة العرب ، وعلى جزئين في العددين المتتالين (رجب وشعبان) و (رمضان وشوال) ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، سنة (٢٩) من ص (٥١-٦٣) ثم في الجزء الآخر من (١٧٥-١٨٤) .

٨- **"تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام"** مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الثامن (رجب ١٤١٣هـ /١٩٩٣م) ص٤١٢-٤٣٣ ، ثم أعيد نشر هذه الدراسة

في مجـلة العـرب ، وعلى جزئين في العددين المتتالين (ذو القعدة والحجة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص٣١١-٣٢٤ ، و(محـرم وصفر ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ، سنة (٢٩) ، ص٤١١-٤٥٠ .

٩- "تـاريخ عقوبة النفي منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني العباس" مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،العدد السادس (المحرم ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ص٥٨٨-٦٠٩ ، وقد أعيد نشرها في مجلة المنهل، العدد (٥١٢) (شعبان ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ص٨٢-٩٠ .

١٠- "صـور من تطور نظام العيون (الاستخبارات) خلال القرون الإسلامية المـبكرة" منشـورة ضمن سلسلة دراسات مركز بحوث الشرق الأوسط بالقاهرة ، ورقم السلسلة (٨٩) (١٤١١هـ/١٩٩١م) ، ثم أعيد نشر هذه الدراسة مع بعض الإضافات في مجلة المنهل العدد (٥١٦) عام (٦٠) المحرم ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) ، ص٦٦-٧٥ .

١١- "صـور من تاريخ المثلة منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني عباس" مجلة الـدارة ، العـدد الأول ، السنة (١٨) (شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة ، ١٤١٢هـ) ، ص٨٤-١٠١ .

١٢- "الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز" مجلة العرب،جـ ٧ و ٨ سنة (١٦) (محرم وصفر / ١٤١٢هـ / ١٩٩١م) ، ص٤٤٧-٤٦٢ .

١٣- "أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة" مجلة المـنهل ، العـدد (٤٩٢) ، مج٥٣ ،جمادى الأول والآخر ١٤١٢هـ / ١٩٩١م) ، ص٨٢-٩٦ .

١٤- **"مواقف خلفاء بني العباس الخيرية تجاه أهل الحجاز"** (١٣٢-٢٣٢هـ) ، مجلة المنهل ، العدد (٤٩) ، مج ٥٤ ، (المحرم ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص ٨٢-٨٨ .

١٥- **"علماء الحجاز وعلاقتهم بخلفاء بني العباس (١٣٢ -٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٦م)** " مجلة المنهل ، العدد (٥١٠)،مج (٥٥)جمادى الآخر(١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ص٥٠-٥٦ ، وسبق أن نشرت في نفس مجلة المنهل العدد(٥٠٢) مج (٥٤) ، (شعبان ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، ص٢٥-٣٠ .

١٦- **"أهم الملابس العربية خلال العهود الإسلامية الأولى"** مجلة المنهل ، العدد (٤٩٨) ، مج٥٤ (صفر ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص٧٨-٩٥ .

١٧- **"العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام"** مجلة المؤرخ العربي ، العدد الأول، المجلد الأول ، مارس (١٩٩٣م) ص ١٢٨-١٥٨ . ثم أعيد نشرها مع التطوير والإضافة في مجلة المنهل ، عدد (٥١٤) مج٥٥ ، شوال ، ذو القعدة (١٤١٤هـ /١٩٩٤م) ص٤٨-٥٩ ، كما أضيف عليها بعض التفصيلات والتعديلات ونشرت في مجلة العرب ، جـ٣، ٤ ،سنة (٣٠) (رمضان ،شوال) ١٤١٥هـ، (١٩٩٥م)، ص١٨٥-٢٠٥ .

١٨- **"المدينة المنورة .... ورقات من ذاكرة التاريخ ١٣٢-١٦٩هـ"** مجلة المنهل (العدد السنوي الخاص) عدد (٤٩٩) مج ٥٤ (الربيعان / ١٤١٣هـ /١٩٩٢م) ، ص١١٢-١٢٠ .

١٩- **"القــدس الشــريف خلال القرون الإسلامية المبكرة"** مجلة المنهل (العدد السنوي الخاص)عدد (٥٠٨) مج ٥٥ (الربيعان / ١٤١٤هـ /١٩٩٣م) ، ص٤٠-٤٥ .

٢٠- **"الإمــارة في الحجــاز خلال العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ / ٧٤٩-٨٤٦م"** مقالــة نشــرت باللغة الإنجليزية في مجلة العصور ، المجلد السابع ، الجزء الأول (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، PP . 13-21 .

٢١- **"العمائم تيجان العرب"** مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، العــدد (٨) ، محرم ١٤١٣هـ ، ص٦٦-٧١ .

٢٢- **"المستشــرقون ونشــاطهم تجــاه دراسة التراث الإسلامي"** ، مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، العدد (٦) (محرم ، ١٤١٢هـ) ، ص٦٢-٧٧ .

٢٣- **"الدونمة بين اليهودية والإسلام"** مجلة المنهل ، العدد (٤٩٦) مج ٥٣ ، ذو الحجة (١٤١٢هـ /١٩٩٢م) ص٩٠-٩٦ .

٢٤- **"يهــود الدونمة في الميزان"** مجلة التضامن الإسلامي ، السنة (٤٧) ، الجزء الثامن (صفر ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ص٢٤-٣٠ .

٢٥- **"آراء حول التاريخ وكيفية تدريسه في الجامعة"** مجلة المنهل، العدد (٥٠٧) مــج ٥٥ (صــفر ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، ص١٢-١٧ ، ثم أجرى عليه بعــض التعديلات ونشرت في مجلة القافلة العدد (١١) مج٤٢ (ذو القعدة ١٤١٤هـ /١٩٩٤م) ، ص٤٤-٤٧ .

٢٦- **"كيف نبني ثقافتنا"** مجلة المنهل ، العدد (٥٠٦) مج ٥٥ (المحرم ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ص٣٠-٣٦ .

٢٧- **"المخطوطات العربية بمكتبة كلية التربية بأبها (فرع جامعة الملك سعود)"** مجلة المنهل ، العدد (٤٨٧) مج٥٢ ، (رمضان وشوال ١٤١١هـ / ١٩٩١م) ص١٩٠-١٩٣ .

٢٨- **"صور من التنظيمات العرفية الحديثة ببلاد عسير في ضوء بعض الوثائق المحلية"** مجلة العرب ، جـ٧ ،٨ ، سنة (٢٧) محرم وصفر (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص٤٤٥ -٤٦١ .

٢٩- **"من رسائل الملك عبد العزيز آل سعود ورجال حكومته إلى بعض الشيوخ والعشائر العسيرية"** مجلة العرب ، جـ١١، ١٢، سنة (٢٧) (الجماديان ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص٧٣٥-٧٥١ .

٣٠- **"ملامح من حياة الأمن والاستقرار في عسير في عهد الملك عبد العزيز"** ، مجلة العرب ، جـ ١ ،٢ ، سنة (٢٧) (رجب وشعبان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، ص٢٧-٤٤ .

٣١- **"أسر الفقهاء ببلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرون المتأخرة الماضية"** مجلة العرب ، جـ ٩ ،١٠ ، سنة (٢٦) (الربيعان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص٥٩٤-٦١١ .

٣٢- **"وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩-١٣٣٧هـ)"** مجلة العرب ،جـ٣، ٤ ، سنة (٢٨) (رمضان وشوال، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ص١٥٤-١٧٠ القسم الأول . وقد نشر هذا البحث في كتابنا : **صفحات من تاريخ عسير . الجزء الأول** ، ٦٧-٩٠ .

٣٣- **"مـن رسـائل الملك عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ عبد الوهاب أبو مـلحة"** ، مجـلة العرب ، جـ ٥، ٦ ، سنة (٢٨) (ذو القعدة والحجة ، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م) ، ص٣٤١-٣٥٩ .

٣٤- **"العادات والتقاليد في عسير من خلال الوثائق"** مجلة العرب ،جـ ٧، ٨ ، سنة (٢٨) (محرم وصفر / ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ، ص٤٨٦-٤٩٨ .

٣٥- **"صور من الاحتفالات الرمضانية عبر العصور الإسلامية"** ، مجلة المنهـل (ضمن العدد (٥١٣) مج ٥٥ ، رمضان ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ص ١١٣-١١٧ .

٣٦- **"دور أهـل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة"** ، مجلة الـدارة ، العدد (٤) سنة (٢٠) رجب وشعبان ورمضان ١٤١٥هـ ، ص ٤٠-٧٠ .

٣٧- **"الهجـرات العـربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق أفريقية في العصور الوسطى"** مجلة المؤرخ العربي ، العدد (٣) مجلد رقم (١) مارس ١٩٩٥م ، ص٦٧-٨٥ .

٣٨- **"جـدة في مواجهة الخطر البرتغالي خلال الثلث الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي"** بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخـين العـرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٢٥-٢٧ جمادى الآخر ١٤١٥هـ / ٢٨-١٩٩٤/١١/٣٠م) ونشـرت ضمن بحوث الندوة في كـتاب "الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوروبي الأول" (منشـورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة) (القاهرة : المطبعة الإسلامية الحديثة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) ، ص٢٢٧-٢٧١ .

٣٩- **"مهنة الطب في ضوء شريعة الإسلام "** مجلة المنهل ، العدد (٥٢٣) المجلد (٥٧) العام (٦١) المحرم ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص٤٦-٥١ .

٤٠- **"مكانة شعر اللحية والرأس عند سكان المجتمعات العربية القديمة"** مجلة الحرس الوطني ، عدد (١٣٧) سنة (١٥) رجب ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) ، ص١٠٨-١٠٩ .

٤١- **"ملامح الحياة الاجتماعية في العراق خلال عصر بن العباس"** مجلة المنهل العدد (٥٢٥) مج ٥٧ عام (٦١) الربيعان ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) ، ص ١٦٨-١٧٤ .

٤٢- **"زي الطيلسان" : دراسة تاريخية حضارية"** ملف بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (١٨) ربيع ثاني ١٤١٧هـ (١٩٩٦م) ، ص٦٥-٧٤ .

٤٣- **"سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى"** (٦٠٠-٩٠٠هـ / ١٢٠٠-١٥٠٠م) في مجلة المؤرخ المصري العدد السادس عشر ، يوليو ١٩٩٦م (الصادرة من قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) ص١٥٣-١٨٩ .

٤٤- **"ظاهرة السمل بين التشريع والتسييس في العصور الوسطى"** نشر في مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس،مسلسل رقم (١٨٦) (القاهرة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) ، ص١-٣٧ .

٤٥- **"الدور الحضاري لنشاط التجارة بين شمالي وغربي أفريقيا في العصور الوسطى"** مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية . المجلد (٤٥) (العام الجامعي ١٤١٧هـ / ٩٦/١٩٩٧م) ص١٣١-١٦١ .

٤٦- "ســـلطنة أوفات الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي وعلاقاتها مع العالم الإســـلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط" مجلة كلية البنات بجامعة عين شمس ٠ عدد (١٩) (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ٠

٤٧- "التعلـــيم وحـــركة التحول التاريخي في منطقة عسير خلال القرن الرابع عشـــر الهجـــري (العشرين الميلادي)" ٠مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ٠ عدد (٢٠) محرم (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) ، ص٢٩-٤٦ ٠

٤٨- "الإســـلام والـــلغة العـــربية في دول الطـــراز الإسلامي خلال العصور الوســـطى" ، مجـــلة المؤرخ العربي بالقاهرة ، مجلد (١) العدد (٥) (مارس ١٩٩٧م) ص١٦٥-١٩١ ٠

٤٩- "أهم مراكز صناعة السيوف الإسلامية" مجلة الحصاد (رجب ١٤١٤هـ / ديسمبر / ١٩٩٣م) ، ص١٦-١٨ ٠

٥٠- " أوراق مـــن تـــاريخ عســـير خلال عهد الملك عبد العزيز كما أملاها الشـــيخ/ عـــبد الله بن عبد الرحمن (ابن إلياس)" (دراسة وتحقيق) ٠ مجلة بيادر الصادرة من النادي الأدبي بأبها ، عدد (٢٢) (رمضان / ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ص٥٣-٨٥ ٠ كمـــا أجرينا بعض التصويبات والإضافات على هذه المخطوطة ، وقدمناها محاضرة في مؤتمر المملكة العربية السعودية الذي أقيم في شهر شوال عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) بالرياض ٠بمناسبة الاحتفال بمـــرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ٠ وكان عنوان تلك المحاضرة : (ابن إلياس ورسالته في تاريخ عسير في عهد الملك عبد العزيز) وسوف تنشر ضمن أعمال المؤتمر ٠

٥١- "قراءة في مخصصات مقاطعة جيزان وملحقاتها من الموازنة العامة للمملكة عام (١٣٦١هـ) في أثناء حكم الملك عبد العزيز " نشرت هذه المقالة في

مجلة بيادر عدد (٢٥) (رمضان/١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ، وهو عدد خاص بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ص١١٥-١٣٩ .

٥٢- "**إقليم عسير في عيون الرحالة الأوروبيين**" بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٨-١٠ شعبان/ ١٤٢٠هـ ، الموافق ١٦-١٨نوفمبر ١٩٩٩م) . ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب : العرب وأوربا عبر عصور التاريخ (بحوث ودراسات) . منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص ٤٠٩-٤٥٩ . كما أضيف عليها بعض المعلومات وألقيت محاضرة في (سمنار) قسم التاريخ ، كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية، جامعة الملك خالد في ١٨/٧/١٤٢٠هـ ، الموافق ١٥/١٠/٢٠٠٠م .

٥٣- "**بلاد السراة في العصر الأموي ... دراسة لبعض مظاهر الحضارة**" بحث قدم ضمن أعمال الندوة العالمية الرابعة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية : الجزيرة العربية في العصر الأموي (الأحد – الثلاثاء ٧-٩ من ذي القعدة ١٤٢٠هـ /١٣-١٥ من فبراير ٢٠٠٠م) بجامعة الملك سعود – كلية الآداب ، وهذا البحث سوف ينشر ضمن أعمال الندوة .

٥٤- "**العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية)**" . مجلة المنهل العدد (٥٧١) المجلد (٦١) العام (٦٦) شوال ذو القعدة (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) ص٢٦-٤٩ .

٥٥- "**وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٨-١٣٣٧هـ/١٨٧٣-١٩١٩م)**" . القسم الثاني في طريقه للنشر في إحدى المجلات العلمية ، وسوف ينشر أيضاً ضمن الأعمال المجموعة في كتابنا : **صفحات من تاريخ عسير . الجزء الثاني** .

٥٦- **"التعليم العالي في منطقة عسير ، بداياته ، تطوره ، آفاقه المستقبليـــــــة (١٣٩٦-١٤٢١هـ/١٩٧٦-٢٠٠٠م)"** . بحث مقدم في ندوة التعليم العـــالي في عســـير : ربع قرن من الإنجاز والعطاء ، المنعقدة بمدينة أبها تحت إشراف جامعة الملك خالد في الفترة الممتدة من (٢-١٤٢١/٨/٣هـ/٢٩-٣٠/ أكـــتوبر ٢٠٠٠م) وقد تم نشر هذا في الكتاب الذي أصدرته الجامعة بخصوص هذه الندوة تحت "**سلسلة بحوث وأوراق الندوات والمؤتمـــرات (١)**" (المركز الإعلامي بالجامعة /١٤٢٣هـ)، ص١٥٥-٢٢٦ ، كما نشر هذا البحث أيضاً في كتاب لصاحب هذه السيرة بعنوان : "**بحوث في تاريخ عســـير الحديــــث والمعاصـــر**" ، (جدة : دار العويفي للدعاية والإعلان ، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ص١٨٥-٢٧٧ .

٥٧- **"ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الوسطى"** بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة مـــن (٢٥-١٤٢١/٨/٢٧هـ الموافق ٢١-٢٣/١١/٢٠٠٠م) ، ونشرت ضـــمن بحـــوث الندوة في كتاب : **طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي عـــلى مر عصور التاريخ** (حصاد (٨)). منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهـــرة ، (١٤٢١هـ /٢٠٠٠م) .ص١٥٧-٢٢٢، كما نشرت هذه الدراســـة مـــع دراســـات أخرى في كتاب لصاحب هذه السيرة بعنوان : **دراســـات في تـــاريخ تهامـــة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١- ١٠هـ/ ق٧-١٦م)** الجزء الأول .

٥٨- **"ملامح التطور الصحي في جنوبي المملكة العربية السعودية خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)"** . مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي.عدد (٣٣) جمادى الأولى (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)ص٥١-٨٣ .

٥٩- **"أبها مدينة المستقبل ، مقترحات ووجهات نظر"** نشرت هذه المقالة في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٣٥) (المحرم /١٤٢٣هـ / مايو ٢٠٠٢م) ص١٣-٣٤ .

٦٠- **"بلاد عسير في كتابات فيلبي وفيليب ليبتر"** طبع هذا البحث ضمن أعمال الملتقى العلمي الثالث بجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والذي عقد بمدينة عمان في رحاب جامعة السلطان قابوس في (المحرم عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) . ص٥٢٣-٥٩٤ .

٦١- **"ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة"** بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين بالقاهرة في الفترة الممتدة من (١٣-١٥/٨/١٤٢٢هـ الموافق ٣٠ أكتوبر – أول نوفمبر / ٢٠٠١م) ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب : **المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور** . حصاد (٩) منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) . كما نشرت هذه الدراسة مع غيرها من الدراسات الخاصة بصاحب هذه السيرة في كتاب له بعنوان " **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١هـ- ق١٠هـ/ ق٧م – ق١٦م)**، الجزء الأول.

٦٢- **"تاريخ بيشه خلال القرون الإسلامية الأولى"** (بحث في طريقه للنشر) .

٦٣- **"تاريخ نجران خلال العهود الإسلامية الأولى"** (بحث تحت الطبع) .

٦٤- **"تاريخ مخائل عسير خلال القرون المتأخرة الماضية"** (بحث تحت الطبع) .

Studies in Tihama and Al- Sarah History in Early and Middle Islamic Ages Hijra: 1st-10th centuries /7th-16th centuries A.D.

Professor
Ghithan Ali Jrais
Dept. of Social Sciences
College of Arabic, Social & Administrative Sciences
King Khaled University

First Edition
1424 -2003

Studies in
Tihama and Al- Sarah History in
Early and Middle Islamic Ages
Hijra: 1st-10th centuries /7th-16th centuries A.D.